بسم الله الرحمن الرحيم



الجـامعــــة الإسلامية – غـــزة

كلـيـــــة أصـــــول الديـن

قـــسم العقيدة والمذاهب المعاصرة

بحث تكميلي مقدم لنيل درجة الماجستير في العقيدة الإسلامية بكلية أصول الدين

بعنوان

قضايا المرأة المسلمة والغزو الفكري

إعـداد الطالبة

صفاء عوني حسين عاشور

إشراف

د.صالح حسين الرقب

أستاذ مشارك بقسم العقيدة

كلية أصول الدين

٢٠٠٥م ــ ١٤٢٦هــ

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾

(الأحزاب: ٥٩)

﴿ وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِن فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴾

(النساء: ٣٢)

إهـــداء

إلــى والديّ الكريمين اللذين ربياني صغيــراً، وعلمـاني كبيــراً

إلــى كل مسلمــة أرادت أن تبصر نــور الحــق والعــدل

إلــى كل داعيــة، لتأخذ بيد التائهين إلى طريق الخيــر

إلى كل مجاهدة في سبيل نيل المرأة حقوقها كما

أعطــاها إيـاها الإســـلام

أهدي بحثي هذا

شكـــر وتقدير

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم، وعلى آله وصحبه ومن اتبع هداه إلى يوم الدين، أما بعد.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من لا يشكر الناس لا يشكر الله"[(١)] انطلاقاً مـــن قوله صلى الله عليه وسلم أرى لزاماً عليّ أن أدوّن شكري وتقديري لكل مـــن أعـــانني علـــى مواصلة المسيرة التعليمية، ولكل من ساهم في إخراج هذا البحث العلمي في أبهـــى صـــورة، والله أسأل أن يجزيهم حسن الثواب.

الفضل والشكر لله أولاً وأخيراً أن وفقني لإتمام هذا البحث، ثم أشكر والديّ وإخواني وأخواتي وأخوالي وأعمامي وخالاتي الذين شجعوني على مواصلة البحث. وفي هـــذا المقـــام أتقدم بالشكر والتقدير إلى الجامعة الإسلامية وإلى جميع القائمين عليها من رئـــيس الجامعـــة ومجلـــس الأمناء ومجلس الإدارة، وأخص بالذكر أستاذي الفاضـــل المـــشرف علـــى رســـالتي الدكتور/ صالح حسين الرقب، الذي أولاني برعايته واهتمامه، وإرشاداته القيمة للنهـــوض بهـــذا البحث، فكنت أستشيره في كل وقت وفي كل حين، ولا أجد منه إلا سعة الصدر، وحسن القبـــول والاستقبال، فجزاه الله عني كل خير.

كما أتوجه بالشكر الجزيل للأساتذة الكـــرام أعـــضاء لجنـــة المناقـــشة كـــل مـــن : د. محمود الشوبكي، د. خالد حمدان

وذلك على تفضلهما بقبول مناقشة هذه الرسالة ليثرياهـــا بالملاحظـــات والتوجيهـــات السديدة.

كما أتوجه بالشكر إلى جميع الأخوة في هيئة التدريس بكلية أصول الـــدين وأخـــص بالذكر قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة.

ولا أنسى أن أشكر الأخوة والأخوات في مكتبة الجامعة الإســـلامية بغـــزة بجميـــع أقسامها، لما ييسروه للباحثين حتى تم إنجاز هذا الجهد المتواضع، فجـــزاهم الله عنـــي خيـــر الجزاء.

كما أتقدم بالشكر للأستاذين الفاضلين/ فهد الجمل، خليل نصار، والأخـــت الفاضـــلة/ أمل الخضري لما بذلوه من جهد في تدقيق البحث لغوياً، كما وأتقدم بالشكر لأختي الحبيبة / أم

(1) سنن لترمذي، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في الشكر لمن أحسن إليك، رقم الحديث (١٩٦١)، عن أبي سعيد الخدري، ٣٨٣/٣، دار الفكر للطباعة، بيروت- لبنان، ١٤٢١هـــ- ٢٠٠١م، وقال الترمذي، حسن صحيح.

عبد الله التي ساهمت في تدقيق الطباعة، كما وأشكر الأستاذ الفاضل/ أبو أسامة غانم الذي ترجم لي خلاصة البحث، فجزاهم الله كل خير.

ولا يسعني إلا أن أقدم وافر الشكر وعظيم الامتنان للأخ الفاضل/ هاني الصوص الذي قام بطباعة هذه الرسالة، وأقدم الشكر والتقدير لكل من ساهم وساعد في إنجاز هذا البحث أو أسدى إليّ توجيهاً أو نصيحة.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة البحث:

بسم الله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، نبينا محمد وآله وصحبه أما بعد،،،

لو تأملنا حال الأمة الإسلامية خلال القرن الأخير، نجد أن أعظم العلل وأشدها خطراً هي تلك الأمراض الاجتماعية التي تفتك بالمجتمعات، وتسقط الدول؛ نتيجة انحرافها وغزوها فكرياً بواسطة دعاة التغريب من أعداء الإسلام.

فما من شك أن الغرب يرمي العالم الإسلامي كل يوم بوابل من سهامه الفكرية في صورة نشرات خبرية، وأحاديث إذاعية، وتمثيليات ومقالات، وصور وكتب، ومحاضرات جامعية، ودروس مدرسية، وغير ذلك من أشكال الفكر والدعاية التي لقت قبولاً من قبل شرائح كبيرة من المجتمعات الإسلامية وخاصة المرأة دون تفرقة بين ما كان سماً قاتلاً، وما كان بلسماً شافياً، بل وتسعى للاستزادة منه على أنه تقدم وتحرر.

فأعداء الإسلام يسعون بكل وسيلة لإفساد مجتمع المسلمين، ولم يجدوا سلاحاً لبلوغ أهدافهم أمضى من إفساد المرأة، وإخراجها من حصن عفافها، وسياج حيائها فقدموا لها الإغراءات الدنيوية المثيرة، والزخارف الفانية، والموديلات الجذابة الفاضحة، وذلك لتلحق بالمرأة الغربية الكافرة التي تزعم الدفاع عن حقوق المرأة المهضومة، ورد حريتها المسلوبة، وضرورة مساواتها بالرجل، ونظموا لذلك المؤتمرات، وعقدوا الندوات، ووضعوا لها التشريعات المحلية والدولية.

وأخطر ما في الأمر أن الذين ينادون لذلك في زماننا هذا هم أناسٌ من بني جلدتنا حتى أصبحت المرأة نفسها من المروّجين لهذه الأفكار الهدامة، تحت زخرف ما يسمى بالحضارة الحديثة، والتقدم الصناعي؛ مما أدى إلى ضرب الإسلام، والسيطرة على التعليم والثقافة، وتدمير القيم الأخلاقية ببث التحلل والإباحة والفساد التي ترمي إلى تحطيم المرأة بل الأسرة والمجتمع.

فلا بد من إعداد العدة لمواجهة حركة التغريب، وبناء جيل عقدي يتصدى للفكر المسموم ويحيي الفكر الرباني.

سبب اختيار الموضوع:

نظراً لأهمية الموضوع وما للغزو الفكري من نتائج سلبية تشكل خطراً على المرأة المسلمة كان لا بد من إفراده ببحث علمي، وليس كثيراً على المرأة المسلمة أن تضع الباحثة لها دراسة تحمل اسمها، وتكون مرجعاً لها للتعرف على الشبهات والشكوك التي أثيرت حول قضاياها وكيفية مواجهتها.

أهمية الموضوع وأهدافه:

تبرز أهمية الموضوع وأهدافه من خلال النقاط التالية:

١. الغزو الفكري الغربي امتد ليصل إلى المجتمعات الإسلامية وله مقاصده وله أساليبه ومخططاته، التي استهدفت المرأة المسلمة لتحطيم كرامتها وأنوثتها وتغييبها عن عقيدتها السليمة لذا لا بد من التعريف به.
٢. لم يكف الغرب الصليبي عن إثارة موضوع المرأة المسلمة والإلحاح على قضيتها حتى أصبحت قضية عالمية، لذا تنطلق الباحثة في محاولة لتأصيل الفكر الإسلامي، بعرض قضايا المرأة المعاصرة، والرد على الدعاوى القائمة بإقامة الحجة عليهم.
٣. محاولة تبصير المرأة المسلمة بما يحاك لها من مؤامرات، وما ينصب لها من شراك، لتكون على بينة من ذلك، ولتأخذ حذرها فلا تنساق وراء الأفكار المعاصرة مهما تزخرفت وتزينت، وأخذ العبرة من الواقع المؤسف الذي هبطت إليه المرأة التي تأثرت بهذه التقاليد الفاسدة.
٤. بيان مهمة العلماء والدعاة والجماعات الإسلامية لمقاومة تيار الغزو الفكري والعولمة الذي يستهدف الحياة الاجتماعية للمسلمين.
٥. تفعيل دور المرأة المسلمة في مواجهة الأخطار التي تهدد كيانها وذلك من خلال وقوفها على أرضية صلبة من صحة العقيدة الإسلامية، ثم تجاوبها النشط للعقيدة بالعمل الصالح والممارسات الإسلامية، وانضباط ذلك كله بالضابط الخلقي.
٦. إثراء المكتبة الإسلامية ببحث جديد يحمل في طياته خيراً للأمة المسلمة.

الدراسات السابقة:

من خلال البحث في هذا الموضوع لم تعثر الباحثة على أبحاث علمية تخص قضايا المرأة المسلمة والغزو الفكري، فمعظم الدراسات التي تناقش قضايا المرأة غالباً ما تتناول الجانب الفقهي عندما تتحدث عن حقوق المرأة ومكانتها في الإسلام وهي تقوم بالرد على من زعم أن الإسلام هضم حقوق المرأة وطالب بحقوقها تحت مسمى "تحرير المرأة"، وبعض

الدراسات تتناول جانب واحد فقط من قضايا المرأة ؛ لذا تحاول الباحثة جاهدة في عرض أهم قضايا المرأة المسلمة المعروضة على الساحة وبيان آثار الغزو الفكري المتعلق بها.

ومن الجهود السابقة ما يلي:

١ - موسوعة المرأة المسلمة:

الجزء الأول: الحقوق العامة للمرأة : د. صلاح عبد الغني محمد

يبين فيه الحقوق العامة للمرأة كحقها في الهجرة والجهاد والحقوق المالية ولا يتطرق إلا لقضية واحدة وهي قضية خروج المرأة للعمل.

الجزء الرابع: وسائل الإسلام في المحافظة على كرامة المرأة : د. صلاح عبد الغني محمد يبين فيه بعض الوسائل التي كانت من أجل تحرير حقيقي للمرأة، ويذكر فيه آراء من الشرق والغرب حول تحرير المرأة.

٢- رسالة المرأة والعمل السياسي رؤية إسلامية: هبة رؤوف عزّت، وهي تعرض قضية المرأة في أخطر حلقاتها، وهي حلقة الحقوق السياسية.

٣- تحرير المرأة في عصر الرسالة: عبد الحليم أبو شقة يبين فيه شخصية المرأة في القرآن الكريم ويستشهد ببعض المواقف الطيبة للمرأة، ونماذج من قوة شخصية المرأة المسلمة ويذكر بعض الشخصيات النسائية.

٤- غزو في الصميم: للميداني وفي هذه الرسالة بيان لأساليب الغزو الفكري والسلوكي والنفسي والخلقي في مجالات التعليم المنهجي والتثقيف العام، وينوه فيه إلى تعليم البنات على أنه من توصيات المؤتمر الأول للتعليم الإسلامي، ويذكر الوسائل التعليمية والتثقيفية المقروءة والمسموعة والمرئية بأشكالها وأنواعها، وكيف جعلها الأعداء ضمن وسائلهم للتضليل والإفساد.

٥- حقوق المرأة وواجباتها في السنة النبوية وهي رسالة للطالب وليد عويضة يستشهد فيها بالأحاديث النبوية المحققة.

٦- النفقة الواجبة على المرأة رسالة لطالب في كلية الشريعة إعداد : إحسان عاشور.

منهج البحث :

١. تم اتباع المنهج التاريخي وذلك عند الحديث عن نشأة الغزو الفكري وأهدافه وتطور وسائله وبيان آثاره السلبية على المجتمع والمرأة.
٢. تم استخدام الأسلوب الوصفي: وهو نوع من أساليب البحث يدرس الظواهر الطبيعية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية الراهنة دراسة كيفية توضح خصائص الظاهرة، وهو يهتم بتحديد دقيق للأنشطة والأشياء والعمليات

والأشخاص كما هي في الوقت الحاضر، لذا يلزم المنهج الوصفي التحليلي للباحثة عند الحديث عن وسائل الغزو الفكري للمرأة؛ لأنه سيحدد الأنشطة والأشياء التي يقوم بها الغرب لإفساد المرأة، وبالمقابل تحدثت الباحثة عن الجهود والأنشطة المبذولة لمقاومة هذا الغزو الفكري.

٣. تم عزو الآيات القرآنية، وذكر اسم السورة، ورقم الآية في الحاشية، لا في المتن.
٤. تم تخريج الأحاديث النبوية التي استدلت بها الباحثة، وعزوها إلى مصادرها الأصلية من كتب المتون والسنن، وإذا ذكر الحديث لأول مرة فيوثق مصدر الكتاب الذي أُخِذَ منه الحديث، وتكتب المعلومات كاملة عن الكتاب مع ذكر الباب والكتاب، ورقم الحديث، والجزء والصفحة، وإذا تكرر ذكر الحديث يتم الإشارة إلى ذلك في الحاشية (سبق تخريجه في صفحة كذا) من البحث.
٥. تم الحكم على الأحاديث التي وردت عند غير البخاري ومسلم من كتب الصحاح للألباني.
٦. ردت الباحثة على الشبهات التي أثيرت حول قضايا المرأة المسلمة، موضحة موقف الإسلام وحكمه.
٧. قدّمت الباحثة لبعض المباحث والمطالب نبذة مختصرة؛ لتكون مدخلاً للموضوع وذلك حسب أهميته.
٨. إذا ورد اسم المصدر أو المرجع لأول مرة، يتم ذكر معلومات كاملة عنه، الاسم والمؤلف ودار النشر ثم الطبعة وتاريخ النشر، وإذا لم يوجد للمصدر أو المرجع طبعة أو دار نشر أو تاريخ نشر يكتب كما هو في الحاشية.
٩. تم توثيق المعلومات التي أخذت من شبكة المعلومات الإلكترونية، بذكر اسم الموقع كاملاً ومعلومات كاملة عنه.
١٠. تمت الترجمة للأعلام غير المشهورين، وتم الرجوع إلى المعاجم وكتب اللغة للوقوف على معاني الألفاظ الغامضة.

الصعوبات التي واجهت الباحثة عند كتابة البحث:

لا يمكن للباحث الوصول إلى غايته ومطلبه بدون صعوبات ومعوقات، ولكن بالاعتماد على الله سبحانه وتعالى والثقة به، ثم بمساعدة مشرفي وفقني الله سبحانه إلى تحقيق مبتغايَ وسهل لي طريق العلم.

ومن الصعوبات التي واجهت الباحثة:

١. ندرة المصادر في بعض المباحث، لذا تم الاستعانة بشبكة المعلومات الإلكترونية.

٢. صعوبة الاتصال والتواصل مع المشرف نظراً للظروف السياسية التي نعيشها، مما أدى إلى وجود فترات انقطاع عن المشرف، وتم التغلب على هذه المشكلة باستخدام بريد الجامعة، والبريد الإلكتروني.

خطة البحث :

يشتمل البحث على مقدمة وفصل تمهيدي وأربعة فصول وهي على النحو التالي:

أولاً: المقدمة وتتضمن أهمية البحث وبواعث اختياره وأهدافه، ثم منهج البحث، والدراسات السابقة والصعوبات التي واجهت الباحثة، وخطة البحث.

وخطة البحث كالآتي:

<u>فصل تمهيدي</u>: مكانة المرأة

المبحث الأول: مكانة المرأة عند غير المسلمين

المطلب الأول : مكانة المرأة في المجتمعات القديمة.

المطلب الثاني: مكانة المرأة عند اليهود والنصارى.

المطلب الثالث: مكانة المرأة عند العرب قبل الإسلام.

المطلب الرابع : مكانة المرأة في الحياة الغربية المعاصرة.

المبحث الثاني: مكانة المرأة في الإسلام

المطلب الأول : مكانة المرأة في القرآن والسنة.

المطلب الثاني : مكانة المرأة في عهد الخلفاء الراشدين والتابعين.

المطلب الثالث: مكانة المرأة في الحياة الإسلامية المعاصرة.

<u>الفصل الأول</u>: الغزو الفكري على العالم الإسلامي

المبحث الأول : مفهوم الغزو الفكري ونشأته.

المطلب الأول : مفهوم الغزو الفكري

المطلب الثاني: نشأة الغزو الفكري

المبحث الثاني : علاقته الغزو الفكري بالحركات الهدامة.

المطلب الأول: علاقة الغزو الفكري بالصهيونية

المطلب الثاني: علاقة الغزو الفكري بالماسونية

المطلب الثالث: علاقة الغزو الفكري بالتبشير

المبحث الثالث: أهداف الغزو الفكري ومخاطره.

المطلب الأول: أهداف الغزو الفكري

المطلب الثاني: مخاطر الغزو الفكري

المطلب الخامس: كثرة المشكلات والأمراض الاجتماعية.

المطلب السادس: علمنة أفكار المرأة.

المطلب السابع: عولمة الحياة الاجتماعية.

المبحث الثاني : طرق ووسائل مواجهة الغزو الفكري على المرأة المسلمة.

المطلب الأول : دور التربية والمنزل

المطلب الثاني: دور المؤسسات والجمعيات النسائية الإسلامية

المطلب الثالث: المؤتمرات والندوات

المطلب الرابع: الإعلام الموجه

الخاتمة:

ويذكر فيها أهم النتائج التي توصل إليها الباحث والتوصيات.

الملاحق والفهارس:

الفصل التمهيدي

مــكـــانـــة الـــمـــرأة

المبحث الأول : مكانة المرأة عند غير المسلمين

المبحث الثاني: مكانة المرأة في الإســلام

فصل تمهيدي

مـــكـــانـــة الـــمـــرأة

مقـــــدمـــة

تعرض الباحثة هنا بعض الحقائق التاريخية التي تظهر الأوضاع السيئة التي عاشتها المرأة في المجتمعات القديمة قبل ظهور الإسلام، ثم تعرض مكانة المرأة ومنزلتها في الإسلام؛ لبيان مدى تكريم الإسلام لها وما قدمه لإعلاء مكانتها الاجتماعية، حيث أعطاها كل حقوقها، والتي تتفق مع فطرتها ومع رسالتها في الحياة الإنسانية، بعد أن كانت قبل الإسلام محرومة مهانة ذليلة فاقدة حريتها وسيادتها.

المبحث الأول

مكانة المرأة عند غير المسلمين

يبين هذا المبحث مكانة المرأة في المجتمعات غير الإسلامية ثم مكانتها عند اليهود والنصارى، ثم عند العرب قبل الإسلام.

المطلب الأول: مكانة المرأة في المجتمعات القديمة.

أولاً: المرأة عند اليونان:

لم تكن منزلة المرأة عند الإغريق تساوي منزلة الرجل، بل كانت منزلتها أقل بكثير، وقد تأثرت مكانة المرأة تبعاً للمراحل التي مر بها هذا العصر وهي:

المرحلة الأولى: في بداية العصر الإغريقي.

المرحلة الثانية: نشأة الحضارة الإغريقية.

المرحلة الثالثة: في أوج حضارة اليونان.

في بداية العصر الإغريقي:

كانت المرأة في غاية الذل والمهانة وسوء الحال في بداية ذلك العصر، في كل جانب من جوانب الحياة الاجتماعية، والرجل هو الذي يتفرد بمنازل العز والكرامة، وكانت الأساطير اليونانية قد اتخذت امرأة خيالية تسمى (باندورا)[٢] ينبوعاً لجميع آلام الإنسان ومصائبه، وكان لهذه الأسطورة مفعول قوي في حقول القانون والأخلاق والاجتماع، بحيث أثرت على عقولهم وأذهانهم[٣].

ولم تكن وظيفة المرأة عند الرجل اليوناني إلا إنجاب الأولاد الأصحاء، فإذا أنجبت ولداً دميماً أو ضعيفاً كان جزاؤها القتل، لذا كانت تستعار المرأة الولود من زوجها، لتلد

---

(2) باندورا pandore: هي المرأة الأولى في العالم عند اليونان وتقابل حوّاء التوراة فتحت جرة مغلقة فانطلقت منها ويلات الإشاعة وشرور العالم. المنجد في الأعلام، دار المشرق، بيروت، ط١٦، ١٩٨٨م، ص١١٠.

(3) انظر الحجاب، أبوالأعلى المودودي، دار التراث للطباعة والنشر، ص٨. والمرأة بين التبرج والتحجب، محمد أحمد السباعي، السنة الثانية عشرة، الكتاب التاسع،١٤٠٢هـ، ١٩٨١م، ص١٥-١٦.

للوطن أولاداً أصحاء من رجلٍ آخر تحسيناً للنسل، فهي عندهم مخلوقة منحطة لا تنفع إلا لدوام النسل وتدبير المنزل(٤).

نشأة الحضارة الإغريقية

ارتفعت مكانة المرأة قليلاً مع ظهور النهضة وبداية التحضر فأصبحت أفضل حالاً، وأرفع منزلةً من ذي قبل، وكانت محصنة عفيفة، فهي ربة البيت، لا تغادره، وتقوم فيه بكل ما تحتاج إليه الأسرة من رعاية، لكنها حُرمت من الثقافة العامة، وكان الحجاب شائعاً في البيوتات العالية، وكانوا يبنون بيوتهم على قسمين: قسمٍ للرجال وآخر للنساء، وما كان نسوتهم يشاركن في المجالس والأندية المختلطة، ولا يبرزن في الأماكن العامة، وكانوا يعدّون زواج المرأة وملازمتها لزوجها دون غيره من أمارات النجابة والشرف. وعرف ازدراء الإغريق لحياة العهر والدعارة واعتبارها مفاسد خلقية، ومع ذلك وجدت بعض هذه المفاسد الخلقية، لكن في نطاق محدود، فمثلاً بعض النساء لم يعجبها أن تبقي حبيسة البيت، فخرجت تعاشر الرجال كاسيةً عارية(٥).

أما من الناحية القانونية فقد اختلفت معاملة المرأة عند الإغريق في المدينتين الرئيستين في أثينا وإسبرطة.

ففي أثينا كانت المرأة عندهم كسقط المتاع تُباع وتُشترى في الأسواق، وهي مسلوبة الحقوق المدنية؛ فلم تُعط شيئاً من الميراث، ولم يخصوها بنصيبٍ من التعليم، بل عدوا من تمتاز منهن بشيءٍ من العلوم والمعارف لا شرف عندها ولا أخلاق، وليس لها حق في التملك، وتبقى خاضعة للرجل، فعاشت تحت سيطرة أبيها أو زوجها أو ابنها في حال موت زوجها، ووليها يستطيع أن يفرض عليها من يشاء زوجاً، وهو الذي يشرف على إدارة أموالها، ولا تتصرف بشيء فيه دون موافقته، وللرجل الحق في الفصل بين الزوجين، أما هي لم تمنح حق طلب الطلاق إلا في حالات استثنائية، بل وضعوا العراقيل في سبيل الوصول إلى هذا الحق، ومن ذلك أن المرأة إذا أرادت أن تذهب إلى المحكمة لطلب الطلاق يترصد لها الرجل في الطريق فيأسرها ويعيدها قسراً إلى البيت.

---

(4) انظر: موسوعة المرأة المسلمة، الحقوق العامة للمراة: صلاح عبدالغني محمد، مكتبة الدار العربية للكتاب، طـ١، ١٤١٨هـ، ١٩٩٨م، ٣/١.

(5) انظر: الحجاب، للمودودي، ص٨-٩، المرأة بين الفقه والقانون، د. مصطفى السباعي، المكتب الإسلامي، بيروت-دمشق، ط٥، ١٩٦٢م، ص١٣.

وأما في اسبرطة فقد نالت المرأة بعضاً من الحقوق المدنية، فأعطيت شيئاً من الحق في الميراث والبائنة[٦] (الدوطة)، واعترفوا بأهلية التعامل معها، فكانوا يعلمونها الرياضة البدنية والتمرينات العسكرية، والغناء والإنشاد، ومن باب تكريمها في التعليم تم عزلها بحيث خصصت مدارس للبنات وأخرى للبنين؛ لأن رأيهم في الاختلاط أنه يعوق الشباب عن البطولة والحياة الجادة، ويشيع بينهم الليونة والميوعة، وعزلت المرأة في مسكنٍ بعيد عن الرجال، وأما الغواني فقد تمتعن في نفس الوقت بأوسع الحريات، فأوسع الرجال لهن في مجالسهم طلباً للاستمتاع، لذلك انتشرت أنديتهن وزادت شهرتهن في المجتمع الإسبرطي. .

ثم تصدرت المرأة المكانة في البيت، وعندما انشغل الرجال في الحروب اضطرت أن تحل محل الرجل في بعض مجالات العمل الخاصة بالرجال، ومن هنا كانت المرأة في إسبرطة أكثر خروجاً إلى الشارع وأوسع حرية من أختها في أثينا وسائر مدن اليونان، وقد عاب أرسطو ــ من كبار فلاسفة اليونان ــ هذا التساهل، وهذه الحرية والحقوق التي أعطيت للمرأة حتى أنه عزا سقوط أسبرطة إلى هذه الحرية، وذلك لأنه كان ينظر إلى المرأة كما ينظر للعبيد[٧].

أوج حضارة اليونان:

في تلك المرحلة خرجت المرأة سافرة، واختلطت بالرجال في الأندية والمجتمعات، مما جعل الشهوات النفسية تتغلب على أهل اليونان، فتبوأت العاهرات والمومسات مكانة عالية لا نظير لها في تاريخ البشرية كلها، وأصبحت دور البغايا مراكز يلجأ إليها الأدباء والشعراء والفلاسفة، وصاروا يرجعون في المسائل الرئيسة التي تحدد مصير الأمة إلى المرأة، وأصبحت المرأة لا ترضى أن تعاشر رجلاً بعينه أكثر من ليلة أو ليلتين، وشاعت الفواحش، وزاد حب أهل اليونان للجمال، ومالوا إلى جسد المرأة فصنعوا تماثيل عارية حركت فيهم الشهوة، وأصبح عامتهم ينظرون إلى عقد الزواج نظرة لامبالاة، ولا يرى إليه حاجة؛ فلا بأس من معاشرة المرأة أو مخادنتها علناً من غير عقد ولا زواج، مما أدى إلى خضوع ديانتهم لأخلاقهم وغرائزهم.

ومما يدل على الانحطاط المعنوي والخلقي الذي وصلوا إليه: أن صوّروا إلهاً يزني، ويسرق ويشرب الخمر، واتخذوا من (أفروديت) آلهة يُقدَّم لها جميع آداب العبودية والتذلل والخضوع.

---

(6) البائنة: وتسمى عند اليونانيين الدوطة، وهي ما يكون مع العروس من مالٍ وجهازٍ عند زفافها. المنجد في اللغة، دار المشرق، بيروت، ط٢٠، ١٩٨٨م، ص٥٧.

(7) انظر: المرأة بين الفقه والقانون، د. مصطفى السباعي، ص١٤، والمرأة في الإسلام، د. علي وافي، دار نهضة مصر، ط٢، ١٩٧٠، ص١٨، والمرأة بين التبرج والتحجب، محمد السباعي، ص١٦-١٧.

إن (أفروديت) في أساطيرهم كانت زوجة لإله، ومع ذلك عاشرت ثلاثة ءالهة آخرين، ولم تكتف بذلك فعاشرت رجلاً من عامة الشعب، ونتيجة لذلك ولدت من بطنها (كيوبيد) إله الحب.

وانتشرت عبادة أفروديت في اليونان، وأصبحت الفحشاء والدعارة يُنظر إليها بعين التقديس والإجلال، وأصبحت أماكن الفجور مراكز للعبادة، وألبسوا الزنا كساءً من العمل الديني المبرور، وأصبحت المومسات متنسكات وخوادم للمعابد، ثم لم يشبع غرائزهم ذلك، حتى انتشر الاتصال الشاذ بين الرجل والرجل، وأقاموا تمثالاً لرجلين وهما في علاقة آثمة، مما أدى في النهاية إلى انهيار تلك الحضارة[٨].

ثانياً: المرأة عند الرومان:

الحضارة الرومانية سليلة الحضارة اليونانية، اقتبسوها من الحضارة الإغريقية لذا فهم ليسوا أحسن حالاً من اليونان في معاملتهم للمرأة، التي لم تحظ عندهم بأي شيء من التكريم.

ففي التشريع الروماني كانت المرأة تعد متاعاً مملوكاً للرجل، وسلعة رخيصة يتصرف فيها كيف يشاء ويملك من أمرها ما يريد[٩].

والنظام الأبوي الذي كان معروفاً لدى الرومان جعل السلطة كلها في يد الرجل عميد الأسرة لا يشاركه فيه أحد، والمرأة زوجة كانت أو ابنة فهي تابعة لعميد الأسرة، والأب ليس ملزماً بقبول ضم ولده إلى أسرته ذكراً كان أو أنثى، بل يوضع الطفل بعد ولادته عند قدمي أبيه، فإذا رفعه وأخذه بين يديه كان ذلك دليلاً على أنه قَبِلَ ضمه إلى أسرته، وإلا فإنه يعني رفضه، فيؤخذ الوليد إلى الساحات العامة أو باحات الهياكل فيطرح هناك، فمن شاء أخذه إذا كان ذكراً، وإلا فإن الوليد يموت جوعاً وعطشاً، أو من شدة حرارة الشمس أوبرودة الشتاء.

وكان لرب الأسرة أن يُدْخِل في أسرته من يشاء، ويُخْرِج منها من يشاء عن طريق البيع والشراء؛ لذا كان باستطاعة الأبناء الذكور التحرر من سلطة العميد بعد وفاته، فيصبح كل ابن عميداً لأسرته الخاصة.

أما المرأة فلا تستطيع تغيير وضعها فهي إن مات أبوها، انتقلت السلطة عليها إلى أخيها أو إلى زوجها إن تزوجت، وبذلك تظل تابعة للرجل لا تملك من أمرها شيئاً، كان

---

(8) انظر: الحجاب: للمودودي، ص٩-١٠، والمرأة بين الفقه والقانون، د.مصطفى السباعي، ص١٤، وموسوعة المرأة المسلمة، الحقوق العامة للمرأة، صلاح عبدالغني، ٣٧/١.

(9) انظر: موسوعة المرأة المسلمة، الحقوق العامة للمرأة، صلاح عبد الغني محمد، ٣٧/١-٣٨، وانظر: الحجاب، للمودودي، ص١٠، والمرأة بين الفقه والقانون، ص١٥.

الرجل يتصرف في المرأة كما يتصرف في الرقيق والحيوان والجماد، وهذه السلطة سُلطة ملك لا حماية، فهي تشمل البيع، والنفي، والتعذيب، والقتل.(١٠)

وقد قرر أحد مجامعهم الدينية أن المرأة لا روح لها ولا خلود، ولكن يتحتم عليها العبادة والخدمة، وكانوا يعدونها شراً يجب تجنبه، وأنها مثار للشهوة، وأنها شيطانة، وهي رجس، لا سلطان لها على أنوثتها، ويجب ألا تأكل اللحم، وألا تضحك، وألا تتكلم، لأن كلامها أداة للإغراء، وكأن الله حرم عليها النطق ولو بخيرٍ، أو تدل عليه، وعليها أن تمضي أوقاتها في الخدمة والخضوع(١١).

واعتبر القانون الروماني "الأنوثة" سبباً من أسباب انعدام الأهلية والحَجْر، ولم يكن للمرأة الحق أن تباشر أي شأن من شئونها العامة، فمثلاً ليس لها حق التوظيــف، والشهادة، أو التوقيع على وصية، ولا ترث أرضاً ولا عقاراً، وأنّ الذي يستحق أن يرث هو الرجل، لأنه يقوم بحماية الحمى ورعاية الأولاد، والدفاع عن القبيلة، أما المرأة فقد خلقت للبيت ورعاية الأولاد.

وكان رب الأسرة هو مالك كل أموالها، فليس لفرد فيها حق التملك، وهو الذي يقوم بتزويج الأبناء والبنات، دون إرادتهم، ولم يسوّوا بينها وبين الرجل في عقوبة الزنا، فعقوبتها أن تصبح مالاً مباحاً يستبيحها أي راغب، ثم استبدلت بعد ذلك بالنفي المؤبد، أما الرجل فعقوبته على الزنا إسقاط حقه فيما آل إليه من مالٍ بسبب الزواج(١٢).

فلما تقدم الرومان خطوات في سبيل المدنية والحضارة، تخففت القسوة في السلطة الممنوحة للرجل، وبدأت الكفة تميل إلى الاستواء والاعتدال شيئاً فشيئاً، وإن بقي نظام الأسرة القديم على حاله، ولم يكن الحجاب عند الرومان معمولاً به كاليونان، ومع ذلك قيدوا النساء والشباب عامة بقيود مثقلة من نظام الأسرة، للحفاظ على عفة المرأة وخُلُقها.

ورغم وجود طبقة المومسات بينهم، وإعطاء الرجل نوع من الحرية في مخادنتهن إلا أنّ عامة الرومان نظروا إليهن نظرة احتقار وتعيير لمن خادنهن.

---

(10) انظر: المرأة بين الفقه والقانون، د. مصطفى السباعي، ص١٥، والمرأة في الإسلام، علي عبدالواحد، ص١٨، والمرأة بين التبرج والتحجب، محمد السباعي، ص١٩.

(11) انظر: موسوعة المرأة المسلمة، الحقوق العامة للمرأة، صلاح عبد الغني محمد، ٣٨/١.

(12) انظر: المرأة بين الفقه والقانون، د. مصطفى السباعي، ص١٥، والمرأة بين التبرج والتحجب، محمد السباعي، ص٢٠.

وقد حدث موقف ذات مرة أنّ عضوْاً في مجلس الشيوخ قبّل زوجته أمام ابنته، فغضب القوم عليه، وحكموا علي صنيعه بأنه غَضٌ من كرامة الخُلُق القومي وإهانة له، وأمضوا قرار النكير عليه في مجلس الشيوخ.

وتطورت الأمور عندهم فنظَّموا العلاقات الزوجية، فمثلاً أصبح غير مباح أن يعاشر الرجل المرأة بدون عقد زواج، وأصبح للأم مكانة طيبة في المجتمع الروماني.

وتبدلت نظرة الرومان في النساء بتطوّر الحياة، وأثّر ذلك على نظمهم وقوانينهم المتعلقة بالأسرة، ومنها: عقد الزواج والطلاق، فلم يبق لعقد الزواج عندهم معنى سوى أنه عقد مدني فحسب، يتوقف بقاؤه ومضيه على رضا المتعاقدين، وأصبحوا لا يهتمون بتبعات العلاقة الزوجية إلا قليلاً، ومنحت المرأة جميع حقوق الإرث والملك، وجعلها القانون حُرةً طليقة لا سلطان عليها للأب الروماني أو الزوج(١٣).

وكان الزواج العرفي سائداً، واعترف به الرومان كالزواج الشرعي، إلا أن الفرق بينهما أن رجال الدين كانوا لا يتدخلون فيه، بل يكفي فيه اتفاق الطرفين ولهما الحق في الرجوع فيه.

وكانت النساء تُقرض أزواجهن بالربا الفاحش حتى يصبح الأزواج عبيداً لهن في ميادين العمل والحياة، ويعود عليهن بالثراء الفاحش.

وانتشر الطلاق عندهم انتشاراً واسعاً، حيث سهل أمره تسهيلاً وأصبح شيئاً عادياً يُلجأ إليه لأتفه الأسباب(١٤).

وقد بلغ من كثرة الطلاق أن جعلت النساء يعددن أعمارهن بأعداد أزواجهن، وكانت المرأة الواحدة تتزوج رجلاً بعد الآخر، وتمضي في ذلك من غير حياء، فقد ذكر عن امرأة كان لها عشرة رجال، وغيرها كان لها ثمانية أزواج في خمس سنوات، وأعجب من كل ذلك ما ذكره أحد القديسين عن امرأةٍ تزوجت في المرة الأخيرة الزوج الثالث والعشرين، وكانت هي أيضاً الزوجة الحادية والعشرين لبعلها.

وقد بلغ بهم التطرف في آخر الأمر أن أصبح كبار علماء الأخلاق عندهم يعدون الزنا شيئاً عادياً، فأحدهم يجهر بجواز اقتراف الفحشاء في عصر الشباب، وآخر يرى عدم تقييد الشباب بأغلال الأخلاق، ويشير إلى إطلاق العنان لهم في هذا الشأن، فأحد المتشددين في باب

---

(13) انظر: الحجاب، للمودودي، ص١١.

(14) انظر: المصدر السابق، ص١١، وموسوعة المرأة المسلمة، الحقوق العامة للمرأة، صلاح عبد الغني محمد، ٣٨/١.

الأخلاق يقول لتلاميذه مرشداً ومعلماً: "تجنبوا معاشرة النساء قبل الزواج إن استطعتم، ولكن لا ينبغي أن تلوموا أحداً أو تؤنبوه إذا لم يتمكن من كبح جماح شهواته "[١٥].

فالذي يفعل الفاحشة كان لا يعاقب ولا يلام، مما أدى إلى اندفاع تيار من العري والتبذل، والفواحش وجموح الشهوات، وأصبحت المسارح مظاهر للخلاعة والتبرج والعري، وزينت البيوت بصورٍ ورسوم سافرة تدعو إلى الفجور والدعارة والفحشاء، وراجت مهنة المومسات والداعرات، وانجذبت إليها نساء البيوتات الرفيعة، وتمادى الرومان وتفشى الزنا إلى أن اضطر القوم إلى وضع قانون خاص يمنع نساء البيوتات الرفيعة من احتراف هذه المهنة.

ونالت مسرحية (فلورا)[١٦] حظوة عظيمة لدى الرومان لكونها تحتوي على سباق النساء العاريات، وكذلك انتشر استحمام الرجال والنساء في مكانٍ واحد على مرأى ومشهد من الناس.

وأصبح سرد المقالات الخليعة والقصص الماجنة العارية شغلاً مقبولاً لا يتحرج منه أحد، بل الأدب الذي كان يتلقاه الناس بالقبول والرضى -يعبر عنه اليوم بالأدب المكشوف- هو الذي يتبين فيه أحوال الحب والعناق والتقبيل.

ونتيجة لانغماسهم في الشهوات البهيمية زالت دولة الرومان، وتمزق جمعها كل ممزق[١٧].

ثالثاً: المرأة عند الفرس:

لم تكن المرأة الفارسية في مكانةٍ تختلف عن مثيلاتها في المجتمعات القديمة، حيث قرر الفرس بعد جدال ونقاش أن المرأة إنسان، إلا أنها خلقت للذل والهوان، ولتكون في خدمة الرجل، وتحت أمره ونهيه يتصرف فيها تصرفه في السلعة، وله أن يحكم عليها بالموت.

ومن تقاليد الزواج عند الفرس أن يتزوج الرجل بأخته وابنته، ويبيحون زواج الأمهات، والجمع بين الأختين.

وكان تعدد الزوجات والتسري[١٨] واتخاذ الخليلات مباحاً في شريعة زرادشت[١٩].

---

(15) الحجاب: للمودودي، ص١١-١٢، وانظر: موسوعة المرأة المسلمة، الحقوق العامة للمرأة، صلاح عبد الغني محمد، ١/ ٣٨-٣٩، عن مبادئ القانون الروماني.

(16) فلورا Flores: ءالهة الزهور عند الرومان، إليها تنسب أعياد "الفلوراليا" في الربيع. المنجد في الأعلام، طــ١٦، ص١٤.

(17) انظر: الحجاب، للمودودي، ص١٢.

وكان الحجاب مفروضاً على نساء الطبقة الراقية، ولم يكن خروج النساء إلا في الهوادج، وكان محظوراً عليهن أن يخالطن الرجال في أي مجتمع خاص أو عام، حتى كانت تُمنع من رؤية أبيها أو أخيها.

أما الفقيرات من النساء فكانت لهن الحرية في التنقل، وكذلك المومسات والخليلات. وكانت ولادة البنات تُحزن البيت، حيث كانوا يتشاءمون منهن عند الولادة، لأنهن ينشأن لغير بيوتهن، وكانوا يقدمون القرابين لمولد الولد بخلاف البنت، وليس لها إذا كبرت أن تختار زوجها.

ولم يكن الزنا جريمة يعاقب عليها؛ بل كان الفقير يرسل زوجته ليستغني بعملها، وإذا حملت من الزنا فإن الأولاد ينسبون إلى الزوج الأول(٢٠).

رابعاً: المرأة عند الهنود:

كانت نظرة الهنود إلى المرأة بين الإفراط والتفريط، فهي ذليلة مهينة ليس لها حق الاستقلال عن أبيها أو زوجها أو ولدها، فإذا مات هؤلاء وجب أن تنتمي إلى رجلٍ من أقارب زوجها، وهي قاصرة طيلة حياتها، وتحرم من حقوق الملكية والإرث، وتبقى ملكاً للرجل مدة حيازته حتى آخر أنفاسها(٢١).

ومما يدلل على ذلك ما جاء في شرائع مانو إله الهند حيث يقول: "تخضع المرأة في طفولتها لأبيها، وفي شبابها لزوجها، وفي تأيمها لأبنائها، وفي ثكلها لأقرباء زوجها، ولا يجوز ترك أمرها لها، وتعد المرأة زانية إذا خلت بالرجل مدة تكفي لإنضاج بيضة، وتحرم من حقوق الملكية والإرث"(٢٢).

---

(18) التسري: إعداد الأَمَة أن تكون موطوءة بلا عَزْل. التعريفات: للجرجاني، ت ٨١٦هـ، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط١، ٢٠٠٠م، ص٦١.

والتسري من سرر والسِّرُ: الجماع، وتسرّى تسرياً: اتخذ أمةً للجماع وأصل التسري: التسرر، معجم لغة الفقهاء (عربي – إنجليزي)، وضع د. محمد رواس قلعة جي، وحامد صادق قنيبي، دار النفائس، بيروت، ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥، ص١٣٠.

(19) زرادشت: (ت نحو ٥٨٣ ق.م.): مصلح ديانة الفرس الأقدمين (الديانة الأولى)، انظر: المنجد في الأعلام، ط١٦، ص٢٧٨.

(20) المرأة بين التبرج والتحجب، محمد السباعي، ص٢٣-٢٤، والإسلام وقضايا العصر، د. إبراهيم الدبو ومؤلفون آخرون، مكتبة وهبة، القاهرة، ط١، ١٤١٢هـ، ١٩٩٢م، ص١٠.

(21) انظر: المرأة بين الفقه والقانون، مصطفى السباعي، ص١٨، والحجاب، ص١٩.

(22) موسوعة المرأة المسلمة: الحقوق العامة للمرأة، صلاح عبدالغني محمد، ٣٩/١.

"وهكذا كانت كل حقوق المرأة منوطة بزوجها وكانت تابعة له، وهذا ما كان معروفاً عندهم بـــ "الموشكا" أي الانفصال عنها"(٢٣).

"ويرى علماء الهند الأقدمون أن الإنسان لا يستطيع تحصيل العلوم والمعارف ما لم يتخل عن جميع الروابط العائلية"(٢٤).

والمرأة عندهم مادة الإثم، وعنوان الانحطاط الخلقي والروحي، ولا خير فيها، ونصت شرائع مانو على: "أن الوباء والموت والجحيم والسم والأفاعي والنار خيرٌ من المرأة "(٢٥)، كما جاء: "أن الزوجة الوفية يجب أن تخدم زوجها كما لو كان إلهاً، وألا تأتي شيئاً من شأنه أن يؤلمه، حتى إن خلا من الفضائل، وعلى المرأة أن تخاطب زوجها في خشوع قائلة له: يا مولاي وأحياناً يا إلهي، وتمشي خلفه بمسافة ولا تتكلم معه، ولا تأكل معه، بل تأكل مما يتبقى منه" (٢٦).

وجاء أيضاً في أساطير مانو: "أن مانو عندما خلق النساء فرض عليهن حب الفراش والشهوات الدنسة، والغضب، والتجرد من الشرف، وسوء السلوك، فالنساء دنسات كالباطل نفسه، وهذه قاعدة ثابتة" (٢٧).

ومما يؤكد هضم حقوق المرأة الهندية القديمة عقيدة نيوك، التي هي في الواقع نوع من الإهانة لعفة المرأة، حيث تقول: "تتمكن المرأة أن تضطجع مع رجل أجنبي من أجل إنجاب الأولاد إذا لم يكن عندها ولد" (٢٨).

والمرأة في الهند لم يكن لها حق الحياة بعد وفاة زوجها، بل يجب أن تموت يوم موت زوجها، وأن تحرق معه، وهي حية على موقد واحد، واستمرت هذه العادة حتى القرن السابع عشر، حيث أبطلت على كرهٍ من رجال الدين الهنود. وإذا رضيت أن تعيش بعد زوجها، فهي قد تخففت من الموت المادي إلى نوعٍ من أنواع الموت المعنوي، فعليها أن تحلق رأسها،

---

(23) المرأة بين الجاهلية والإسلام، سعد صادق محمد، إدارة الصحافة والنشر برابطة العالم الإسلامية، مكة المكرمة، العدد ٧٥، جمادى الثاني، ١٤٠٨هـــ، يناير١٩٨٨م، ص١٠.

(24) المرأة بين الفقه والقانون، ص١٨.

(25) موسوعة المرأة المسلمة، الحقوق العامة للمرأة، صلاح عبد الغني محمد، ٣٩/١.

(26) نفس المصدر السابق، وحقوق المرأة المسلمة في المجتمع الإسلامي، مصطفى بغدادي، المنظمة الإسلامية، طـــ١، ١٤١١هـــ، ١٩٩١م، ص٢٤.

(27) موسوعة المرأة المسلمة، صلاح عبد الغني محمد، ٣٩/١-٤٠، عن حضارة الهند، لول ديورانت، ترجمة زكي محمود، وحقوق المرأة المسلمة في المجتمع الإسلامي، ص٢٤.

(28) حجاب المسلمة بين انتحال المبطلين وتأويل الجاهلين، د. محمد فؤاد البرازي، مكتبة أضواء السلف، الرياض، طـــ٣، ١٤٢٠هـــ- ٢٠٠٠م، ٥٥/٢-٥٦.

أو تجدع أنفها أو تصم أذنها، أو تشوه وجهها لكي تضمن ألا ينظر الرجال إليها بعد زوجها، وقد منعت ذلك الحكومات المسلمة التي تولت إدارة الهند قبل استعمارها من الإنجليز عام ١٨٥٧م.

وكانت المرأة تُقَدَّم قرباناً للآلهة لترضيها، لتأتي بالمطر أو الرزق، وفي بعض شرائع الهند القديمة شجرة يجب أن يقدم لها أهل المنطقة فتاة تأكلها كل سنة(٢٩).

وتعد الشريعة الهندية البرهماتية(٣٠) الاستيلاء على المرأة بالقوة وسيلة مشروعة لاتخاذها زوجة في طبقة الكشترين أي رجال الحرب، فقد ورد في المادة الثالثة والثلاثين من الكتاب في قوانين مانو: "إذا استولى رجل على امرأة بالقوة، وسباها من منزل أهلها وهي تبكي وتصرخ في طلب النجدة، وانتصر على من حاولوا مقاومته، فقتلهم، أو جرحهم، فإن طريقته هذه تسمى (طريقة الجبابرة، أو العمالقة)". (٣١)

خامساً: المرأة عند الصينيين:

كانت تحتل المرأة في المجتمع الصيني مكانة مهينة، ولقد كتبت إحدى سيدات الطبقة العليا بالصين رسالة قديمة تصف فيها مركز المرأة فكان مما جاء فيها: "نشغل نحن النساء آخر مكان في الجنس البشري ويجب أن يكون من نصيبنا أحقر الأعمال "(٣٢).

ومن أغانيهم: "ألا ما أتعس حظ المرأة، ليس في العالم كله شيء أقل قيمة منها، إن الأولاد – يقصد الذكور – يقفون متكئين على الأبواب كأنهم آلهة سقطوا من السماء أما البنت فإن أحداً لا يسر بمولدها، وإذا كبرت اختبأت في حجرتها تخشى أن تنظر في وجه إنسان، ولا يبكيها أحد إذا اختفت من منزلها"(٣٣)، ومما يدل على احتقارها عندهم المثل الصيني القائل: "أنصت لزوجتك ولا تصدقها" (٣٤).

سادساً: المرأة عند البابليين:

---

(29) انظر: المرأة بين الفقه والقانون، مصطفى السباعي، ص١٨، والمرأة بين التبرج والتحجب: محمد السباعي، ص١١، وموسوعة المرأة المسلمة، الحقوق العامة للمرأة، صلاح عبد الغني، محمد، ٤٠/١.

(30) أسمى الطوائف عند الهندوس. المنجد في الأعلام، ص١٢٤.

(31) حقوق المرأة المسلمة: مصطفى بغدادي، عن الأسفار المقدسة، ص٢٥

(32) الإسلام وقضايا المرأة المعاصرة، البهي الخولي، مكتبة دار التراث- القاهرة، ط٤، ١٤٠٤هـ ١٩٨٤م، ص١٠-١١.

(33) المصدر السابق، ص١١.

(34) موسوعة المرأة المسلمة، الحقوق العامة للمرأة، صلاح عبد الغني، ٤٠/١.

رفعوا منزلة المرأة، واستطاع (حَمُورابي)[٣٥] أن يشرّع للمرأة قانوناً يرتفع بمكانتها إلى الدرجة العظمى من الاستقلال والحرية، فقد اعترفت شريعة حمورابي أن الزواج ليس إلا تعاقداً بين المرأة والرجل، وأنه ليس للزوج أن يتزوج بأكثر من واحدة، ما لم تكن عاقراً أو مريضة، بمرض لا أمل في الشفاء منه، كما كان الرجل مسؤولاً عن زوجته في الكفالة والحماية، أما الطلاق فكان مباحاً في حدود، وكان لها الحق في حضانة الأولاد، فإذا أثبت الزوج أنها شريرة استطاع أن ينزلها منزلة الإماء، وكانت تحل محل زوجها في ملكيته إذا مات، كما كان لها الحق في أن تتولى المناصب المختلفة، كما كان لهن الحق في الانتظام في سلك الكهان، وكانت المرأة مساوية للذكر في الميراث[٣٦].

سابعاً: المرأة عند قدماء المصريين:

كانت المرأة المصرية تتمتع بموقع متقدم نسبياً في مجتمعها عن المرأة عند غير المصريين، حيث كانت البيئة زراعية في ذلك الوقت، والحياة مستقرة، فكان لها في هذه البيئة مكان القداسة لما بينها وبين الأرض من علاقة الإنتاج والولادة.

لقد أعطيت المرأة حق التملك والميراث، وحملت مسؤولية تجاه والديها ومجتمعها، وكانت تتولى الملك إذا فقد الوارث من الذكور، وكانت تشارك في الحياة العامة وفي شتى الأعمال المناسبة لقدراتها خارج إطار عملها المنزلي، ولكنها في هذه الحياة تتشبه بالملوك كما فعلت الملكة (حتشبسوت) وكانت تنال من السلطة والتكريم أكثر مما ينال الرجل.

أما وضعها كزوجة: فلها مكانة عظيمة عندهم، حيث تتمتع بالحرية، فكان لها حق التصرف في بيتها، وهي صاحبة الكلمة العليا فيه، لذا كانت تلقب بربة البيت أو ست البيت؛ لأنها سيدته وصاحبة الأمر فيه، وكانت بالنسبة إلى زوجها أختاً وحبيبةً، وكانت تحضر مع زوجها الحفلات العامة، وتكون بجانب رجلها أينما وجد[٣٧].

وقد عثر على أوراق بردي قرب طيبة جنوب مصر فيها كثير من النصائح والحكم، وكانوا يوصون بإكرامها وإعزازها ومن وصاياهم: "إذا كنت عاقلاً فأجد تموين بيتك، وأحب

([35]) أشهر ملوك الدولة البابلية، قضى على الإمارات الصغيرة وحقق وحدة ما بين النهرين، اشتهر بشرائعه الإدارية والاجتماعية. المنجد في الأعلام، ص٢٢٥.

([36]) انظر: المرأة بين التبرج والتحجب، محمد السباعي، ص١٢، وموسوعة الأسرة المسلمة، جـ١، ص٨٠-٨١.

([37]) انظر: مجلة عالم الفكر، المرأة، المجلد السابع، العدد الأول، تصدر عن وزارة الإعلام في الكويت، مايو– يونيو ١٩٧٦م، ص٤٣.

امرأتك ولا تشاحنها، وغذِّها وزينها وعطرها ومتعها ما حييت، فهي ملك يجب أن تكون جديرة بالمالك، ولا تكن معها فظاً غليظاً" [٣٨].

وابتغى "بتاح حتب" [٣٩] حكيم القرن الخامس والعشرين قبل الميلاد أن يصور لابنه حقوق الزوج والزوجة فشفع عبارة: "أحبب زوجتك في حدود العرف، أو عاملها بما تستحق" ثم أتبع قوله: "أشبع جوفها، واستر ظهرها، وعطر بشرتها بالدهن والعطر، فالدهن ترياق بدنها، وأسعدها ما حييت، فالمرأة حقل نافع لولي أمرها، ولا تتهمها عن سوء ظن، وامتدحها تضعف شرّها، فإن نفرت راقبها واستمل قلبها بعطاياك تستقر في دارك، وسوف يكيدها أن تعاشرها ضرة أخرى" [٤٠].

ومن وصايا حكيم فرعوني لابنه: "اتخذ لك في شبابك زوجة تلد لك أبناء، فإن أحسن شيء في الوجود هو بيت الإنسان الخاص" [٤١].

أما مكانة الأم عندهم فكانت مرموقة، لا تقل كثيراً عن مكانة الأب، وقد ظهرت هذه المكانة في صورهم وتماثيلهم، وقد دلت الصور أيضاً على احترام الولد لها، فظهر راكعاً أمامها، يقبل يدها، وكانت مساوية للرجل في الحقوق، فكانت البنت ترث مثل الولد، كما كان نصيب الأم أكبر من نصيب البنت أو الولد، واعتبرت كاملة الأهلية، فلها أن تبيع وتشتري وتُقاضي دون إذن من الأب أو الزوج، ولم يكن تعدد الزوجات مباحاً، وكان هذا في عصر ما قبل الأسرة الخامسة.

وما أن جاءت الأسرة الخامسة حتى تحولت البلاد إلى نظام إقطاعي يصاحبه الظلم، واستمر ذلك حتى نهاية الأسرة العاشرة، حيث عم الفساد في ظل الإقطاع، لذا تغيرت نظرة الرجل للمرأة، فأبيح تعدد الزوجات، وقد عبَّرت الصور عن ذلك، فظهر فيها الرجل تحيط به زوجات كثيرات، ولم تكن المساواة بين الزوجات قائمة، ثم أُبيح للرجل أن يعاشر من النساء من يشاء بلا رقيب، فعرفت المحظيات اللائي يتمتع بهن الرجل دون أن يكون لهن حقوق الزوجة الشرعية، ولا حتى الاعتراف بأبنائهن، فكثر بذلك عدد الضحايا المشردين من الأطفال، إذ لم يكن لهم ولا لأمهاتهم الحق في الاعتراف بحقوقهم.

([38]) مجلة عالم الفكر، المرأة، ص٤٣، والمرأة بين التبرج والتحجب، محمد السباعي، ص١٢-١٣، وموسوعة المرأة المسلمة، الحقوق العامة للمرأة، صلاح عبدالغني محمد، ٧٩/١.

([39]) بتاح: معبود مصري، كان هيكله في سيف هو رأس الثالوث المكون منه ومن زخمة وابنها نفرتوم. ربّ الصناعات وحامي الصناعيّين. المنجد في الأعلام، ص١١٢.

([40]) مجلة عالم الفكر، ص٤٣، وانظر: موسوعة المرأة المسلمة، الحقوق العامة للمرأة، صلاح عبد الغني محمد، ٧٩/١.

([41]) موسوعة المرأة المسلمة، الحقوق العامة للمرأة، صلاح عبد الغني محمد، ٧٩/١-٨٠.

أما الزوجة الشرعية فكانت تخضع لزوجها كوصي عليها، فإذا مات انتقل خضوعها لابنها الأكبر أو لوصيه، وقد كانت تعد ناقصة الأهلية، لذلك لم يكن لها حق الميراث في العقارات، ولا حق البيع والشراء بدون إجازة الوصي، ولم يكن يحاسب الوصي على إساءة التصرف في مالها. ونتيجةً لذلك قامت ثورة عنيفة على الإقطاع، وعمت الفوضى، فسطا اللصوص على الأغنياء، وانتقم الجواري من النساء الموسرات، فسرقن حليهن، وتَرك القوم الزراعة لفقدانهم الأمن والطمأنينة، ثم انتهت هذه الموجة بانتصار الفلاحين والعمال(٤٢).

ولم يدم هذا الحال طويلاً: "فقد غزا الهكسوس مصر، واستمروا بها مدة قرنين، ولم تأتِ هذه الفترة بجديد للمرأة، فكانت تعيش في كنف رب الأسرة، كما كان تعدد الزوجات سائداً بين الأثرياء، وكان الزواج يتم في حضور أقرباء الزوجين.

وكان للرجل أن يتزوج من أخته أو بنت أخته، وكان نظام الخليلات قائماً كما في الأسرة الخامسة، ولكن سُمح لهن في هذه المرحلة بالإقامة في بيت الأسرة، ونلن معاملة أحسن مما كانت عليه من قبل، وكان للزوج أن يؤدب زوجته بالضرب الخفيف إذا ارتكبت ذنباً.

واستمر هذا الوضع حتى الأسرة الحادية والعشرين، فخضعت المرأة في مصر العليا في شئون الزواج للإجراءات الدينية، إلا أنّ تعدد الزوجات كان لا يزال قائماً، والطلاق مباحاً، والتسري أكثر انتشاراً، وخضعت المرأة للزوج ثم لابنه البكر من بعده كسابق عهدها، وكان الابن الأكبر هو الوارث الوحيد لأموال الأسرة.

أما في مصر السفلى فقد أعطيت المرأة أهليتها الكاملة، وسُوِّى بين الذكر والأنثى(٤٣).

وكان تكريم المرأة عند قدماء المصريين في حياتها وبعد وفاتها، ومما يدل على ذلك كتب قائد عسكري إلى روح زوجته يقول: "لم أتخلَّ عنك، ولم أُدخل إلى قلبك أي همّ، ولم أُخْفِ عنك طوال حياتك شيئاً، لم أفعل بك سوءاً ولم أخنك، وعندما حضرت كانت روحك قد صعدت إلى السماء فبكيتك كثيراً من أهلي أمام منزلي، واستحضرت ملابس وأقمشة يلفون بها جسدك الطاهر، ولم أَدَعْ شيئاً حسناً إلا فعلته لك" (٤٤).

ثامناً: المرأة عند السومريين في بلاد ما وراء النهرين:

([42]) انظر: المرأة بين التبرج والتحجب: محمد السباعي، ص١٣-١٥.

([43]) انظر: المرأة في التاريخ والشريعة: د. أسعد السحمراني، دار النفائس، بيروت، لبنان، ١٤١٠هـ، ١٩٨٩م، ص٢٠-٢١.

([44]) االمرأة بين التبرج والتحجب، ص١٥.

كان حال المرأة عند السومريين (٤٥) سيئاً للغاية، فالرجل عندهم هو السيد المسيطر، والمرأة من جملة ملكيات الرجل يتصرف بها على هواه كيف يشاء، فمن حقه أن يقتل زوجته، أو يبيعها أمةً، كي يسدد ديونه، كما استبعدت من الميراث.

وكان قانون العقوبات لصالح الرجل، ويسوّغ له أن يرتكب الحماقات والفواحش، فمثلاً إذا زنا يصفح عنه، ويُعَدّ ذلك نزوة من نزواته، بخلاف الزوجة فإن عقوبتها الإعدام.

ومما يدعو للاستغراب أنهم كانوا يسهلون الدعارة لكهنتهم في المعابد، ولا يرون في ذلك أي عارٍ أو عيب، ولم تكن الفتاة السومرية ترى شيئاً من العار في أن تخدم الهياكل، فمنهن خادمات، ومنهن سراري للآلهة أو ممثليهم(٤٦).

وكان الأب يفخر بأن يهب جمال ابنته ومفاتنها للكهنة لتخفيف ما يعتري حياة الكهان المقدسة من مللٍ وسآمة، ويحتفل بإدخال ابنته في هذه الخدمة المقدسة، واستمر نظام عاهرات المعابد عندهم قروناً عديدة، حيث ربطوا استباحة التمتع بالمرأة بمعابدهم، وجعلوا ذلك من حقوق الآلهة، وأصبح عملاً له طابع القداسة في شرائعهم، ولا يحق لأحدٍ رفضه(٤٧).

المطلب الثاني: المرأة عند اليهود والنصارى:

أولاً: المرأة عند اليهود:

رغم أن بني إسرائيل كانت لديهم رسالة سماوية وكتاب مقدس إلا أنهم آمنوا ببعض هذا الكتاب وكفروا ببعضه، وحرفوا وبدلوا فيه، وأكد هذه الحقيقة القرآن الكريم حيث قال الله تعالى: **﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾**(٤٨)، وتحريفهم هذا أثّر على مكانة المرأة بحيث جعلهم يحتقرونها ويذلونها، حيث جاء في أسفارهم: "درت أنا وقلبي لأعلم وأبحث، ولأطلب حكمةً وعقلاً، ولأعرف الشر أنه جهالة، والحماقة أنها جنون، فوجدت أمرَّ من الموت المرأة، المرأة التي هي شباكٌ، وقلبها أشراك، ويداها قيود. الصالح قدّام الله ينجو منها، أما الخاطئ فيؤخذ بها" (٤٩).

---

(45) السُّومريون: شعب إيراني الأصل استوطن جنوبيّ ما بين النهرين أوائل الألف ٤ ق.م.، أسسوا مدناً مشهورة منها: أور، كيسن، أروك، لكسن، وبنوا حضارة غنية واسعة، أنهى سيادتهم ظهور الشعوب السامية. المنجد في الأعلام، ص٣١٦.

(46) انظر: موسوعة المرأة المسلمة، الحقوق العامة للمرأة، صلاح عبد الغني محمد، ٨٠/١.

(47) نفس المصدر السابق، ٨٠/١

(48) سورة النساء، الآية (٤٦).

(49) الكتاب المقدس، سفر الجامعة، الإصحاح السابع، الفقرتان ٢٥، ٢٦.

وأيضاً يتهمون المرأة أنها وراء المعصية الأولى التي حصلت في الجنة عندما نهى الله تعالى آدم وحواء بألا يأكلا من الشجرة، فأتى إبليس في صورة حية وغرّر بحواء فاستجابت لندائه، وأكلت ثم أطعمت آدم، فكان الهبوط من الجنة وكانت الخطيئة في الأرض، لقد جاء في سفر التكوين أن الرب سأل آدم: "هل أكلت من الشجرة التي أوصيتك ألا تأكل منها، فقال آدم: المرأة التي جعلتها معي هي أعطتني من الشجرة فأكلت فقال الرب الإله للمرأة: ما هذا الذي فعلت، فقالت المرأةُ الحيةُ غرّتني فأكلت...فقال للمرأة: تكثيراً أكثر أتعاب حبلك بالوجع تلدين أولاداً. وإلى رجلك يكون اشتياقك وهو يسود عليك" [٥٠].

آدم برئ من الخطيئة، وحواء مسببتها لذلك كتب الله عليها الآلام والأوجاع أثناء الحمل عقاباً لها.

فهذه العقيدة المحرفة جعلتهم يقفون من المرأة موقف الحذر والشك، ويتعاملون معها على أنها دون الرجل، ويلصقون بها كل موقف فيه انحراف أو معصية أو ذل أو عار، وما ذلك إلا لاعتقادهم أن المرأة منبع الخطايا، ومسبب الآثام والرذائل[٥١].

ويعجب المرء مما نسبته توراتهم المحرفة إلى نبينا لوط عليه السلام وابنتيه، مما يطعن في نبوته، وأخلاق ابنتيه، حيث يتهمون ابنتي لوط أنهما ارتكبتا الفاحشة مع أبيهما بعد سقيه خمراً من أجل إحياء نسل أبيهم[٥٢].

وهذه القصة في مفهومها عندهم تحمل معنى الخطيئة الملصقة دوماً بالمرأة، حيث وصلت المرأة إلى مستوى أباحت لنفسها مضاجعة أبيها والحمل منه، وهما ابنتا نبي فكيف ببنات الناس الآخرين؟!.

ومن شرائعهم المحرفة: احتقارهم للمرأة واعتبارها نجسة طوال فترة حيضها، فلا يأكلون من يدها، ولا ينام معها زوجها في فراش واحد[٥٣]. ويتكرر ظلمهم للبنت حيث يعتبرونها متاعاً، مسلوبة الأهلية، تورث كما يورث المتاع، وهي قاصرة وللوارث أن يبيعها أو يحبسها وكانت سلطة الآباء على بناتهم مطلقة[٥٤]، كما كانوا يتشاءمون من ولادة البنات ويكرهون ولادتهم. يقول (بابا بتره) أحد كبار رجال الدين عندهم: "ما أسعد من رزقه الله ذكوراً، وما

---

(50) سفر التكوين، الإصحاح الثالث، الفقرات من ١٢-٢٠.

(51) انظر: المرأة في التاريخ والشريعة، د. أسعد السحمراني، ص٤٣-٤٥.

(52) راجع الكتاب المقدس، سفر التكوين، الإصحاح التاسع عشر.

(53) المرأة في التاريخ والشريعة، ص٤٧.

(54) انظر: المرأة بين التبرج والتحجب، ص٢٦.

أسوأ حظ من لم يرزق بغير الإناث، نعم لا ينكر لزوم الإناث للتناسل، إلا أن الذرية كالتجارة سواء بسواء" (٥٥).

ولم يكن للمرأة أهمية إلا بقدر ما تنجب من الأولاد، وحرمت من الميراث، فإذا مات الرجل ورثه أخوه أو بعض أقاربه، والبنت إذا مات أبوها ورثها أقرب الرجال إليها، ثم عدلت هذه القاعدة في وقت متأخر فسمح لها بأن ترث إذا لم يكن لأبيها ذرية من البنين، وما كان يتبرع به لها أبوها في حياته(٥٦).

أما الزوجة فلا نصيب لها من تركة زوجها، والمهر يدفع لها على أنه ثمن شراء سلعة، وبذلك تصير مملوكة للزوج بعد الزفاف، وكل ما لها بعد موته أو الطلاق منه مؤخر الصداق فقط، وأجيز الزواج بالأخت، وأجاز الرّبانيون(٥٧) زواج بنت الأخ وبنت الأخت، وأباحوا تعدد الزوجات على إطلاقه، ومصحوباً بإباحة التسري على أنواعه، وإن كان بعض الربانيين ينصحون بالقصد في عدد الزوجات.

أما الطلاق فقد أبيح في شريعة العبرانيين، وشرط على الرجل أن يعطي امرأته وثيقة بالتسريح، ولا تعود إلى زوجها الأول أبداً بعد طلاقها من الزوج الثاني أو وفاته.

وللرجل في قوانينهم أن يطلق زوجته إذا فعلت ما لا يرضى، ولم يُسمح للزوجات أن يطلبن الطلاق من أزواجهن حتى أباحه القرّاءون(٥٨) للمرأة في العصور المتأخرة(٥٩).

وتقرر الشريعة اليهودية المحرّفة أنه إذا توفي شخص بدون أن ينجب أولاداً ذكوراً تصبح أرملته زوجة تلقائياً لشقيق زوجها أو أخيه لأبيه، رضيت بذلك أو كرهت، وتجب عليه نفقتها، ويرثها إذا ماتت، وأوّل ولد ذكر يجئ من هذا الزوج، يحمل اسم زوجها الأول، ويخلفه في تركته، ووظائفه، وينسب إليه لا إلى زوجها الحالي، فيخلد بذلك اسم زوجها الأول ولا

([55]) اليهودية: د. أحمد شلبي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط٢، ١٩٨٦م، ص٣٠٠.

([56]) انظر: المرأة بين التبرج والتحجب، ص٢٦، والمرأة بين الفقه والقانون، ص١٩.

([57]) الربانيون: هم إحدى فرق اليهود، وهم الفريسيون ويسمون بالأحبار أو الربانيين، هم متصوفة رهبانيون لا يتزوجون، ولكن يحافظون على مذهبهم عن طريق التبني، يعتقدون بالبعث والملائكة بالعالم الآخر، انظر: الموسوعة الميسرة في الأديان، المذاهب والأحزاب المعاصرة، إعداد: د. مانع بن حماد الجهني، الناشر دار الندوة العالمية، ط٤، ١٤٢٠هـ، ٤٩٩/١.

([58]) القراءون: إحدى فرق اليهود، وهم قلة من اليهود ظهروا عقب تدهور الفريسيين وورثوا أتباعهم، ولا يعترفون إلا بالعهد القديم، ولا يخضعون للتلمود ولا يعترفون به بدعوة حديثهم في شرح التوراة، نفس المصدر السابق، ٤٩٩/١-٥٠٠.

([59]) انظر: المرأة بين الفقه والقانون، ص١٩، والمرأة بين التبرج والتحجب، ص٢٦.

يمحى من سجل إسرائيل، ولا يجوز أن تتزوج من غيره إلا إذا خلّصها، ويتم هذا في طقوس غريبة وردت في أسفارهم المقدسة حسب زعمهم[٦٠].

ثانياً: المرأة عند النصارى:

لقد هال رجال المسيحية الأوائل ما رأوا في عالم الغرب من ترف وفجور، وما آل إليه المجتمع من انحلال أخلاقي شنيع، فاعتبروا المرأة مسئولة عن هذا كله، لأنها كانت تخرج إلى المجتمعات، وتتمتع بما تشاء من اللهو، وتختلط بمن تشاء من الرجال، لذا أرادت أن تتدارك الفوضى الخلقية في عالم الغرب، وتسد السبيل في وجه الفحشاء، وفعلاً استطاعت أن تقضي على العري والدعارة، ودعا بعضهم إلى التبتل والزهد والنسك، لكنهم غالوا في ذلك وتجاوزوا حد التطرف، وحاربوا الفطرة البشرية، وكانت لهم في المرأة نظرتان، كلاهما تحط من مكانتها وتحرمها من حقوقها.

النظرة الأولى:

يرون أن المرأة ينبوع المعاصي وأصل السيئة والفجور، وهي للرجل باب من أبواب جهنم من حيث مصدر تحريكه وحَمْله على الآثام، ومن المرأة انبجست عيون المصائب الإنسانية جمعاء، فيكفيها ندامة وخجلاً أنها امرأة، وينبغي لها أن تستحي من حسنها وجمالها؛ لأنه سلاح إبليس الذي لا يوازيه سلاح، وعليها أن تكفّر ولا تنقطع عن أداء الكفارة أبداً، لأنها هي التي أتت بما أتت به من الشقاء للأرض وأهلها.

وذكر (ترتوليانس) أحد أقطاب المسيحية: "أنها مدخلُ الشيطان إلى نفس الإنسان، وأنها دافعة بالمرء إلى الشجرة الممنوعة، ناقضة لقانون الله، ومشوهة لصورة الله، أي صورة الرجل فهي الخطيئة مجسمة، وهي باب للجحيم، ويجب أن نلعن المرأة؛ لأنها سبب الغواية"[٦١].

ولهم أقوال كثيرة يهينون فيها المرأة، ويعتبرونها شراً وآفة، وخطراً على البيت والأسرة، وأن الشيطان مولعٌ بالظهور في شكل أنثى، حتى كان من موضوعاتهم التي يتدارسونها: هل تعد المرأة إنساناً أم غير إنسان؛ وأخيراً قرروا أنها إنسان خلقت لخدمة الرجل فحسب.

([60]) انظر: موسوعة المرأة المسلمة: الحقوق العامة للمرأة، ١/٨٠-٨١، وحقوق المرأة المسلمة في المجتمع الإسلامي، مصطفى بغدادي، ص٣٢، وراجع: سفر التثنية، الإصحاح الخامس والعشرين، فقرات من ٥-١٠، والمرأة في التاريخ والشريعة، ص٤٧-٤٨

([61]) انظر: الحجاب، المودودي، ص١٢.

لقد انطلقت نظرتهم هذه للمرأة من واقع الإيمان والتسليم بما جاء في العهد القديم من اتهام حواء بالخطيئة[٦٢]، حيث جاء نص لبولس يقول فيه: "وآدم لم يُغْوَ لكن المرأة التي أغويت فجعلت في التعدّي"[٦٣].

النظرة الثانية:

محاربة الفطرة في العلاقة بين الرجل والمرأة فيعتبرون هذه العلاقة نجس في نفسها، يجب أن تُتجنب، ولو كانت عن طريق نكاح وعقد رسمي مشروع.

لذا شجعوا على عدم الزواج، ونفّروا من الارتباط بالمرأة، لأنه يجر إلى الخطيئة، ومن أراد ملكوت السماء فطريقه تبدأ بالبعد عن المرأة، وأصبحت حياة العزوبة مقياساً لسمو الأخلاق، والعازب هو التقي الورع والخلوق، أمّا الحياة العائلية فقد أصبحت من أمارات انحطاط الأخلاق ومهانة الطباع، ومن أراد أن يعيش عيشةً نزيهة فلا يتزوج أصلاً، أو لا يعاشر امرأته معاشرة الزوج لزوجته، وبذلوا كل جهدٍ ليثبتوا في قلوب الناس الشعور ببشاعة العلاقة الزوجية وتنجسها.

ونتيجة لهذه الرهبانية تكدرت العلاقات والأواصر بين أفراد الأسرة، حتى بين الأم وولدها، وأصبحت الحياة الزوجية مبعث حرج وضيق للرجال والنساء معاً، وانحطت منزلة المرأة في المجتمع في كل ناحية من نواحي الحياة.

واتسمت القوانين التي صدرت حين ذاك بتأثير الشريعة المسيحية بالخصائص الآتية:

١- جعل المرأة تحت سلطة الرجل الكاملة، بل يجب عليها أن تقر بسلطة الرجل عليها[٦٤]، ففي رسالة بطرس: "أيتها النساء كنَّ خاضعات لرجالكن" [٦٥].

وأصبحت حقوقها في الإرث والملكية قليلة جداً، وليس لها الحق في كسب يدها، إنما كل ما تملكه ملك لزوجها.

٢- لا يجوز الطلاق أو الخلع مهما بلغ البغض والشقاق بين الزوجين في إفساد العشرة بينهما، فالدين والقانون يحتم عليها دوام العشرة، ويحتم بقاء حبل الزوجية بينهما

---

(62) انظر: الحجاب، ص١٢-١٣، والمرأة بين الفقه والقانون، ص٢٠، وموسوعة المرأة المسلمة، ٤٢/١-٤٣، والمرأة في التاريخ والشريعة، ص٥١، وحقوق المرأة المسلمة، ٣٥/١.

(63) رسالة بولس الرسول الأولى إلى ثيموثاوس، الإصحاح الثاني، الفقرة ١٥.

(64) انظر: الحجاب، للمودودي، ص١٣، والمرأة بين الفقه والقانون، ص٢٠، والمرأة في التاريخ والشريعة، ص٥٢-٥٣.

(65) الكتاب المقدس، رسالة بطرس الأولى، الإصحاح الثالث، فقرة رقم (١٩).

متصلاً إلا في حالات شاذة يفرق بينهما، وأنه لا يجوز لذلك الرجل أو تلك المرأة أن يجدد الحياة الزوجية، وكان القديس أوغسطين يكره الطلاقَ ويفضل الالتجاء إلى التسري بدلاً منه.

٣- أن من كبائر الإثم أن يتزوج الرجل أو المرأة مرة ثانيةً إذا توفي عن أحدهما زوجه حيث يرى علماء المسيحيين في ذلك: إذعاناً للشهوات البهيمية، وإطلاقاً لعنان غريزة الفحشاء، وكانوا يعبرون عن القران الثاني بكلمة (الزنا المهذب)، أما رجال الكنيسة أنفسهم فلم يكن النكاح مباحاً لهم في قانون الكنيسة[٦٦].

المطلب الثالث: مكانة المرأة عند العرب قبل الإسلام:

إن المرأة عند العرب في الجاهلية الأولى لم تلق التكريم اللائق بها، بل كانت مهانة ومحتقرة، حيث كانت بيئة العرب بيئة رعاة، وكان لابد للقوة أن تسود، وأن يكون لها السلطان.

ولما كانت المرأة أقل من الرجل قوة، أصبحت منزلتها أقل من منزلته، إذ كان الرجل يحمل السيف دفاعاً عن القبيلة في الحروب التي كانت لا تنقطع؛ طلباً لبسط الحماية وتوسيع النفوذ، أو لتأمين المراعي وحماية القبيلة.

لذا كانـــوا يحرصون على كثرة إنجاب البنين، في حين يكرهون ولادة الإناث، لأنهن لا يستطعن أن يمنعن الحمى، ويحمين الديار، ولا فائدة منهن عندما تتأزم الأمور، وهنّ بعد ذلك هدف للعـــدو إذا أغار يقصدهن أول ما يقصد، فيكون السبي الذي يورث القبيلة الذل والقهر ويجللـــها بالعار، حيث كانت تؤخذ غنيمة حرب، فتصبح مِلْكاً لمن أسرها، له أن يبيعها أو يحتفظ بها[٦٧]. وقد لاقت المرأة ألواناً من الظلم والاضطهاد والمهانة والإذلال منها:

أولاً- وأد البنات:

والقرآن الكريم سجل ذلك المشهد البغيض الذي كان ينتظر الأنثى ساعة ولادتها، حيث قال: **﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدّاً وَهُوَ كَظِيمٌ، يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾**[٦٨].

---

(66) انظر: الحجاب، للمودودي، ص١٤، والمرأة في التاريخ والشريعة، ص٥٣-٥٤.

(67) انظر: ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، أبي الحسن الندوي، دار الكتاب العربي – بيروت، طـ٧، ١٤٨٧هـ- ١٩٦٧م، ص٦٠، والمرأة بين التبرج والتحجب، ص٢٢، وموسوعة المرأة المسلمة، الحقوق العامة للمرأة، ص٥٠-٥١.

(68) سورة النحل، الآيتان (٥٨-٥٩).

وكانت مذاهب العرب مختلفة في وأد البنات فمن أسباب الوأد عندهم:

١ - وأد البنات ذوات العاهات:

فكان العرب في الجاهلية يئدون الزرقاء أو الشيماء (السوداء) والبرشاء (البرصاء)[٦٩]، والكسحاء(العرجاء) تشاؤماً منها ويأساً من تزويجها، وفيها عاهة، فلا تبقى عالة على الأب[٧٠].

٢ - وأد البنات تأثراً بعبادة قديمة:

حيث كان الوأد بقية متخلفة من عادة قديمة قدّمت فيها الإناث قرابين إلى الآلهة على نحو ما عرف من المصريين القدماء قبل الإسلام من تقديم عروس للنيل ضحية وقرباناً وأشار القرآن الكريم إلى ذلك تعجباً[٧١] حيث قال: **﴿أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمُ الْبَنُونَ﴾**[٧٢]، ويقول: **﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ﴾**[٧٣].

٣ - وأد البنات خوفاً من الفضيحة والعار:

ويقال إن أول من فعـل ذلك لقمان بن عاد من العرب البائدة، وذلك أنه ريع بخيانة نسائه،فراح يقتلهن انتقاماً واشتفـاءً، وخـرج إلـى الطريق إثر المذبحة فلقي ابنته فوثب عليها وقتلها.

وما وأدهم البنات إلا خوفاً من العار وحماية لثرواتهم، ومراكزهم وجاههم من مذلة السبي أو الزواج من غير كفء[٧٤]، كما ورد في حديث قيس بن عاصم حين وفد علـى رسول الله صلى الله عليه وسلم واعترف أنه ما ولدت له بنت إلا وأدها، فسأله أحد المهاجرين: ما الذي حملك على هذا وأنت أكثر العرب مالاً، فقال: مخافة أن ينكحهن مثلك. قالوا: وتبسم رسول الله وقال: "هذا سيد أهل الوبر!!" [٧٥].

---

(69) البَرَص: بفتح الباء والراء، مرض يحدث في الجسم قشراً أبيض ويسبب للمريض حكاً مؤلماً، معجم لغة الفقهاء، ص١٠٦.

(70) انظر: ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، أبو الحسن الندوي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٧، ١٩٦٧م-١٣٨٧هـ، ص٦٠، وانظر: موسوعة المرأة المسلمة، الحقوق العامة للمرأة، صلاح عبد الغني محمد، ٥٣/١.

(71) انظر: موسوعة المرأة المسلمة، الحقوق العامة للمرأة، ٥٣/١.

(72) سورة الطور، الآية (٣٩).

(73) سورة النحل، الآية (٥٧).

(74) انظر: موسوعة المرأة المسلمة، الحقوق العامة للمرأة، ٥٤/١-٦١.

(75) المستدرك على الصحيحين، للإمام الحاكم النيسابوري، دارالكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط٢، ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م، ٧٠٨/٣-٧٠٩.

٤ - وأد البنات خشية الفقر والإملاق:

وأخبرنا القرآن الكريم عن ذلك حيث قال ناهياً: **﴿وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئاً كَبِيراً﴾**[٧٦]، وفي آية ثانية يقول سبحانه: **﴿وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ مِنْ إِمْلاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُم﴾**[٧٧]، ورغم وجود أو انتشار عادة الوأد فإن الروايات تفيد أن بعض العرب استنقذ البنات في الوأد ومن ذلك: صعصعة بن ناجية[٧٨] وزيد بن عمرو بن نفيل القرشي وكان على دين إبراهيم عليه السلام، فأما صعصعة: مرّ برجلٍ من تميم يحفر حفرة، وغير بعيد منه امرأة تبكي متشبثة بوليدة لها، فلما سألها صعصعة عما بها أشارت إلى الرجل وقالت: هذا زوجي يريد أن يئد ابنتي. وانثنى صعصعة إلى الرجل يسأله: ما حملك على هذا؟ أجاب الفقر. فافتداها منه بناقتين يتبعهما أولادهما، وصار كلما سمع بموءودة عن فقر إلا سعى في فدائها، وأما زيد بن عمرو بن نفيل فكان إذا سمع بفقير يهم بوأد ابنته مضى إليه فقال: لا تقتلها أنا أكفيك مؤونتها، فإذا كبرت عاد بها إلى أبيها فراجعه في أمرها، خيره بين استردادها أو بقائها في كنف من استحياها[٧٩].

٥ - وأد البنات حمية جاهلية:

روي أن رجلاً من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كان لا يزال مغتماً بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: مالك محزوناً؟ فقال: يا رسول الله إني أذنبت ذنباً في الجاهلية، فأخاف ألا يغفره الله وإن أسلمت فقال: يا رسول الله: إني كنت من الذين يقتلون بناتهم، فولدت لي بنت فتشفعت لي امرأتي أن أتركها، فتركتها حتى كبرت وصارت من أجمل النساء، فخطبوها، فدخلتني الحَميَّةُ، ولم يحتمل قلبي أن أزوجها أو أتركها في البيت بغير زوج، فقلت لامرأتي: إني أريد أن أذهب إلى قبيلة كذا وكذا في زيارة أقربائي فابعثيها معي، فسُرّت بذلك وزينتها بالثياب والحلي، وأخذتْ عليّ المواثيق بألاّ أخونها، فذهبتُ بها إلى رأس بئر، فنظرت في البئر، ففطنت ابنتي أني أريد أن ألقيها في البئر، فالتزمتني وجعلت تبكي وتقول: يا أبت، أي شيء تريد أن تفعل بي؛ فرحمتها، ثم نظرتُ في البئر فدخلت عليَّ الحمية، ثم التزمتني وجعلت تقول: يا أبت، أي شيء تريد أن تفعل بي، فرحمتها، ثم نظرتُ في البئر فدخلت عليّ الحمية، ثم التزمتني وجعلت تقول: يا أبت

---

(76) سورة الإسراء، الآية (٣١).

(77) سورة الأنعام، الآية (١٥١).

(78) انظر: الجامع لأحكام القرآن: القرطبي، أعاد طبعه دار إحياء التراث العربي، بيروت–لبنان، ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥، ١٠٤/١٠.

(79) موسوعة المرأة المسلمة، الحقوق العامة للمرأة، ٥٦/١-٥٧

لا تضيّع أمانة أمي، فجعلت مرة أنظر في البئر ومرة أنظر إليها فأرحمها، حتى غلبني الشيطان، فأخذتها وألقيتها في البئر منكوسة وهي تنادي في البئر: يا أبت، قتلتني: فمكثت هناك حتى انقطع صوتها فرجعت، فبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه وقال: "لو أُمرتُ أن أعاقب أحداً بما فعل في الجاهلية لعاقبتك" [٨٠].

وكان الوأد في الجاهلية يتم في صورةٍ قاسية، وكانوا يتفننون في هذا بشتى الطرق:

- منهم من كان إذا ولدت له بنتاً حفر لها حفرةً ودفنها وهي حية، كما ذكر في الروايات السابقة.
- ومنهم من كان يتأخر في وأدها لسفرٍ أو شغل، فلا يئدها إلا وقد كبرت، وصارت تعقل كما في الرواية التي ذكرت قبل قليل، حيث كبرت وصارت عروساً فألقاها في البئر.
- وقال ابن عباس رضي الله عنه: "كانت المرأة في الجاهلية إذا حملت حفرت حفرة وتمخضت على رأسها، فإن ولدت جارية رمت بها في الحفرة وردت التراب عليها، وإن ولدت غلاماً حبسته"[٨١].
- وقد كان بعضهم يلقي الأنثى من شاهق.
- وبعضهم إذا نوى ألا يئدها أمسكها مهينة إلى أن تقدر على الرعي، فيلبسها جبةً من الصوف أو الشعر ويرسلها في البادية ترعى له إبله، وإلى جانب هذه العادة القبيحة، كانت عادة السبي حيث تسبى المرأة فتصبح مملوكة للسابي، فيتصرف فيها كما يشاء من بيع وتمتع وامتهان واسترقاق[٨٢].

ثانياً: النكاح في الجاهلية:

فقد روي عن عائشة رضي الله عنها: "أن النكاح في الجاهلية كان على أربعة أنحاء:

- فنكاح منها نكاح الناس، يخطب الرجل إلى الرجل وليته أو ابنته فيصدقها – أي يؤدي مهرها – ثم ينكحها (يتزوجها).
- ونكاح آخر كان الرجل يقول لامرأته إذا طهرت من طمثها (حيضها): أرسلي إلى فلان فاستبضعي منه (أي اطلبي منه الولد)، ويعتزلها زوجها ولا يمسها أبداً حتى يتبين حملها

([80]) تفسير القرطبي،٨٥/٧.

([81]) نفس المصدر السابق، ٢٠٢/١٩.

([82]) انظر: الإسلام والمرأة، سعيد الأفغاني، دار الفكر، ط٣، ١٣٨٩هـ-١٩٧٠م، ص٢٣، ودستور الأسرة في ظلال القرآن، أحمد فائز، مؤسسة الرسالة، ص١٧-١٨، وموسوعة المرأة المسلمة، الحقوق العامة للمرأة، ٦١/١.

من ذلك الرجل الذي تستبضع فإذا تبين أصابها إذا أحب، وإنما يفعل ذلك رغبةً في نجابة الولد، ويسمى هذا النكاح الاستبضاع.

- ونكاح آخر يجتمع الرهط ما دون العشرة، فيدخلون على المرأة كلهم يصيبها، فإذا حملت ووضعت ومرّ عليها ليالٍ بعد أن تضع حملها أرسلت إليهم، فلم يستطع الرجل منهم أن يمتنع، حتى يجتمعوا عندها فتقول لهم: "قد عرفتم ما كان من أمركم، وقد ولدتُ فهو ابنك يا فلان" وتسمي من أحبت باسمه، فيلحق به ولدها، لا يستطيع أن يمتنع منه الرجل.
- ونكاح رابع يجتمع ناس كثيرون فيدخلون على المرأة لا تمتنع عمن جاءها، وهنّ البغايا، ينصبن على أبوابهن رايات تكون عَلَماً، فمن أرادهن دخل عليهن، فإذا حملت إحداهن ووضعت جمعوا لها ودعوا لهم القافة[٨٣]، "أهل القيافة"، ثم ألحقوا ولدها بالذي يرون، فالتاط به (نُسِبَ إليه) ودُعِيَ ابنه، لا يمتنع عن ذلك، فلما بُعث محمد صلى الله عليه وسلم بالحق هدم نكاح الجاهلية كله إلا نكاح الناس اليوم" [٨٤].

ثم كانت عند العرب أنواعٌ أخرى من النكاح ومنها:

١ - **الشّغار**: روى ابن عمر "أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن الشغار، والشغار فسره أبو هريرة رضي الله عنه بقوله: "هو أن يقول الرجل زوّجني ابنتك وأُزَوّجك ابنتي، أو زوّجني أختك وأزوجك أختي، ولا يكون بينهما مهرٌ سوى هذه المبادلة" [٨٥].

فيتفق شخصان على أن يزوج كل منهما قريبته للآخر، فتعتبر المرأة مهراً للأخرى، حتى إذا ماتت إحدى الزوجتين يسترد زوجها قريبته من الآخر، حتى يزوجه امرأة أخرى بدلاً منها[٨٦].

٢ - **نكاح المتعة**: عن محمد بن كعب عن ابن عباس قال: إنما كانت المتعة في أول الإسلام، كان الرجل يقدم لبلدة ليس له بها معرفة، فيتزوج المرأة بقدر ما يرى أنه مقيم، فتحفظ له متاعه وتصلح شأنه حتى نزلت هـذه الآية: **﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ، إِلاَّ عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ﴾**[٨٧]

([83]) القافة: جمع قائف، وهو الذي يتتبع الآثار ويعرفها، ويعرف شبه الرجل بأخيه وأبيه ويقال فلان يقوف الأثر ويقتافه قيافةً، قاف الأثر قيافة، لسان العرب، ابن منظور، دارالمعارف، ٣٧٦/٤.

([84]) صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب من قال لا نكاح إلا بولي، رقم الحديث(٥١٢٧)، ١٣١٨/٣، دار الفكر، بيروت – لبنان، ط١، ١٤٢١هـ، ٢٠٠١م.

([85]) صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب الشغار، رقم الحديث (٥١١٢)، ٣٥٢/٣.

([86]) انظر: موسوعة المرأة المسلمة، صلاح عبد الغني محمد، ٦٤/١-٦٥.

([87]) سورة المؤمنون، الآية (٥- ٦).

٣- **نكاح السفاح**: وهو أن يتبادل زوجان زوجتيهما بدون طلاق وعقد جديد، وهي عملية سفاح بالتراضي.

٤- **نكاح المخادنة**: وهي ارتباط امرأة برجل مخادنةً ومعاشرتها معاشرة الأزواج بدون عقد، وإلى هذين النوعين يشير قوله تعالى **﴿مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ وَلا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَان﴾**[88].

٥- **نكاح المقت**: وهو أن يتزوج الولد امرأة أبيه، وسمي نكاح المقت لقوله تعالى **﴿إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتاً وَسَاءَ سَبِيلاً﴾**[89].

٦- **نكاح الإرث**: كان أهل الزوج إذا مات، يرون أنفسهم أحق بزوجته من نفسها ومن أهلها، فإذا شاء أحدهم تزوجها، فلا يحق لها ولا لأهلها الممانعة، ولهم أن يزوجوها ممن يشاءون، ويقبضوا مهرها، ولهم إن شاءوا عضلها أي منعها من الزواج لتدفع فدية، أو تظل كذلك حتى تموت.

فهذه الأنكحة في الجاهلية تثبت إلى أيّ مدى بلغت مكانة المرأة أو الزوجة، وكيف كان الظلم يلاحقها، حتى بعد وفاة زوجها، حيث كانت تورّث كما يورث المتاع[90].

ثالثاً: الحرمان من المهر:

حيث كان الوليّ يأخذ مهر المرأة ولا يعطيها شيئاً، وجاء في رواية الكلبيّ: "إن أهل الجاهلية كان الوليُّ إنْ زَوَّجَ امرأة فإن كانت معه في العشرة لم يعطها مهراً كثيراً ولا قليلاً، وإن كانت غريبة حملها على بعيرٍ إلى زوجها ولم يعطها شيئاً غير ذلك البعير" [91].

رابعاً: تعدد الزوجات بلا حدود:

حيث كان الزوج يجمع في عصمته ما يشاء من الزوجات بدون تحديد، وكثيراً ما كان يفعل ذلك ليفدي بعض أزواجه، أو ليبتز أموالها، أو يضرّها فيجور عليها، وهذا يمثل قمة الظلم الاجتماعي الفاحش.

وكان الرجل ينظر إلى المرأة كأداة لإرضاء شهواته، ولا يهتم بالعدل بين زوجاته.

خامساً: الطلاق بلا حدود:

---

(88) سورة النساء، الآية (٢٥).

(89) سورة النساء، الآية (٢٢).

(90) انظر: موسوعة المرأة المسلمة، ٦٥/١-٦٩.

(91) تفسير القرطبي، ٢٥/٥.

كان الرجل يملك سلطة الطلاق بأوسع حدودهـــا، فلم يكـــن للطلاق حدود أو قيـــود أونهاية، فما دامت في العدة فله أن يطلقها كما يشاء، ويراجعها كما يشاء، فكان يطلق الثلاث والعشرة، وله سلطة أن يطلق بأي عدد شاء من الطلقات، وله أن يراجعها ما دامت في عدتها.

وكثيراً ما كان يستخدم الزوج الطلاق كسلاح لتعذيب المرأة والتنكيل بها، أو حرماناً لها من الزواج بغيره وهذا يسمى الطلاق مع العضل أي يمنع زوجته من الزواج بغيره فيطلقها ثم يراجعها في نهاية عدتها.

ومن أنواع الطلاق التي كانت سائدة في الجاهلية الإيلاء والظهار، حيث يستطيع الرجل أن يحرم المرأة من حياتها الجنسية إلى الأبد وإلى أمدٍ بعيد.

فالإيلاء: بأن يحلف الرجل ألا يقرب زوجته، وكان الإيلاء في الجاهلية السنة والسنتين وجاء الإسلام وجعل له نهاية وهي أربعة أشهر.

أما الظهار: وهو تشبيه زوجته بمحرم عليه تأبيداً كأن يقول لها: أنت عليّ كظهر أمي، أو كظهر أختي، أو والله لا أقربك أبداً، وكانت الزوجة تحرم على زوجها تحريماً أبدياً، ولكنها تبقى في ذمته أو عنده فلا يحل لها أن تتزوج بغيره[٩٢].

سادساً: الحداد على الزوج:

قالت زينب بنت أم سلمة: "كانت المرأة في الجاهلية إذا تُوفيّ عنها زوجها دخلت جِفْشاً (أي بيتاً صغيراً) ولبست شرَّ ثيابها، ولم تمس طِيباً ولا شيئاً حتى تمرّ بها، ثم تخرج فتُعطى بَعرة فترمي بها، ثم تُؤتَى بدابة (حمارٍ أو شاةٍ، أو طير)، تغتضُّ بهِ (تمسح بها نفسها) فقلّما تغتض بشيء إلا مات" [٩٣]، أي أنها تمضي حولاً كاملاً في بيتها بلا زينة، تلبس شر ثيابها، فإذا مضى الحول خرجت، ورمت ببعرة أول كلب يمر عليها لتُرى من حضرها من الناس.

سابعاً: الحرمان من الميراث:

كانت المرأة العربية في الجاهلية محرومة من الميراث، حيث كان العرب يقصرون حق الميراث على الذكور الراشدين، القادرين على ركوب الخيل وحمل السلاح والذود عن

---

(92) انظر: موسوعة المرأة المسلمة، صلاح عبد الغني، ١/٧٠-٧١.
(93) تفسير ابن كثير، دار الفكر، ١/ ٢٨٥.

العشيرة، وتحرم الزوجة والبنت من موارد الرزق، وإن كانت أحق الناس به، وتُتْرك المرأة عرضةً للفاقة والبؤس في المجتمع الذي تعيش فيه(٩٤).

ثامناً: أكل أموال اليتامى ذكوراً وإناثاً:

كان اليتيم يحرم ويتعرض للظلم، سواء كان ذكراً أم أنثى، فبدلاً من أن يحافظ الولي على مال اليتيم وينميه، فإنه يتصرف فيه، بإنقاصه أو إنقاص قيمته، أو أكل المال كله أو عدم الاعتراف به لليتيم أو اليتيمة عند بلوغ سن الرشد.

فهـذه صـورة بشعـة من امتهان المرأة عند العرب في الجاهلية، سواء كانت بنتاً أو زوجة أو أماً، وهي مطلقة، وهي أرملة، من قتل ووأد وإذلال وحرمان(٩٥).

وبسبب كون مكة ويثرب ممراً للتجارة بين جنوب الجزيرة وشمالها، فقد حصلت المرأة على قدرٍ من الحقوق المالية، فمثلاً سُمِحَ لها بمزاولة التجارة، والمشاركة في الحياة العامة(٩٦).

المطلب الرابع: مكانة المرأة عند الغرب:

أولاً: مكانة المرأة في العصور الوسطى:

قبل الحديث عن مكانة المرأة في الحياة الغربية لابد من التنويه إلى حياة الظلم والقهر التي عاشتها المرأة في العصور الوسطى، حيث استبداد رجال الأمن، وظلم الإقطاع، إلى أن جاءت الثورة الصناعية فكانت المصيبة الكبرى التي لم تصب المرأة بشرٍ منها في تاريخها. فمن تأمل في مجتمعات العصور الوسطى يجد أن المرأة كانت في هذه الفترة:

- إما حبيسة في قصور الأمراء ورجال الإقطاع، تعيش في فراغٍ تام، حيث الخدمة موكولة إلى الخدم، وذلك في الطبقة الراقية.
- وإما فتاة بتول سكنت الدير لتحتمي من ظلم الإقطاع.
- وإما غذاء للشهوات في بيوت الدعارة، أو زينة في السهرات.
- وإما مستذلة فلا هي من طبقة الأشراف، ولا هي استطاعت لارتباطها بالمجتمع أن تفر إلى الأديرة، وظلت محتفظة بعفتها التي كان يطاردها رجال الإقطاع.

---

(94) انظر: الإسلام وقضايا المرأة المعاصرة، البهي الخولي، ص٢٠١، والإسلام والمرأة، سعيد الأفغاني، ص٢٦.

(95) انظر: موسوعة المرأة المسلمة، ١/ ٧٦-٧٨.

(96) انظر: المرأة بين التبرج والتحجب، ص٢٣.

كما كانت هناك طبقة من النساء منبوذات، وهنّ من العجائز اللاتي اتهمهن الناس بالسحر والشعوذة، حيث كانت الواحدة منهن تدّعي أنها على اتصال مع الله، لكن العصور التي عشن فيها تنكر أن تسمع امرأة صوت الله، بل هو صوت الشيطان الذي يتنزل على الساحرة من وراء الحائط، لذلك كنّ يؤخذن قسراً أمام محاكم التفتيش، ويقطّعن إرباً، أو يعذّبن حتى الموت، أو يرجمن بالحجارة.

في هذه الفترة طغت العلاقات المادية على علاقات المحبة، كما خضع الزواج لطغيان المصالح الشخصية، إما لضرورة حربية أو سياسية أكثر منه ضرورة اجتماعية.

لذلك كان أمير الإقطاع يتزوج من ابنة أمير الإقطاع حتى تنضم الأرضان فتتسع رقعة الأرض، وكان يتقي بعضهم بعضاً بالمصاهرة، وكانت الفتيات يزَوّجْن وهنّ أطفال، لم يبلغن الخامسة بعد، وكان الطلاق شائعاً تلتمس له أتفه المعاذير.

لذا لم يكن للفتيات في القرون الوسطى إلا المكانة الأدنى في حياة المجتمع، بل كن مملوكات يحركهن أولياؤهن كما يتحرك الخاتم في إصبع أحدهم، فظلت المرأة قاصراً، لا حق لها في التصرف بأموالها دون إذن وليها؛ بل كانت بعض قوانينهم تبيح للرجل أن يبيع زوجته، وقد حددوا ثمناً للزوجة(٩٧).

ثانياً: مكانة المرأة في العصر الحديث:

واستمر احتقار الغربيين للمرأة وحرمانهم لحقوقها طيلة القرون الوسطى، وعندما جاءت الثورة الصناعية كانت السبب في تحطيم الأسرة، وفك روابطها، ودفعت المرأة الثمن غالياً من جهدها وكرامتها وحاجاتها النفسية والمادية، حيث امتنع الرجل عن إعالتها، وفرض عليها أن تعمل لتعول نفسها حتى لو كانت زوجةً أو أمّاً.

ومن ناحيةٍ أخرى استغلتها المصانع أسوأ استغلال، فجعلتها تعمل ساعات طويلة وأعطتها أجراً أقل من الرجل، مع أنها تقوم بالعمل نفسه، والمصنع نفسه، ولكنها مضطرة أن تقبل لتعيل نفسها(٩٨).

وأسفر هذا النظام المستبد عن ثورة فرنسا المشهورة، حيث أعلنت حقوق الإنسان تحت شعار "الحرية والمساواة والإخاء" في نهاية القرن الثامن عشر سنة ١٧٨٩م، ومما هدفت إليه الثورة الفرنسية إعطاء المرأة حقوقها.

---

(97) انظر: المرأة بين التبرج والتحجب، ص٣٢-٣٣، وحقوق المرأة المسلمة، بغدادي، ص٣٩-٤٤.

(98) انظر: موسوعة المرأة المسلمة، صلاح عبد الغني محمد، ٤٥/١.

وما فعلوه كان له أثر محمود في الحياة الاجتماعية، حيث خففوا شيئاً مما كان في قوانين الطلاق من شدة وضيق، وردوا إلى النساء بعضاً من حقوقهن الاقتصادية المسلوبة، وتناولوا بالإصلاح والتهذيب نظرياتهم التي تهين المرأة، وعدلوا القوانين التي كانت تضع المرأة في مستوى الجواري والإماء، وفتحوا أمامها أبواب التعلّم[٩٩].

ومع أوائل القرن العشرين جاءت الحرب العالمية الثانية، وقتل ملايين من الشباب الأوربي والأمريكي، مما أدى إلى وجود ملايين من النساء بلا عائل وبلا زوج، فتحملت المرأة قسوة المحنة، فكان يجب عليها أن تعمل وإلا هلكت جوعاً هي ومن تعول من الأطفال والعجائز، وتنازلت عن أخلاقها لتشبع حاجاتها الطبيعية من الطعام والجنس، واستمرت المصانع في معاملتها الظالمة لها، حيث كانت تمنحها أجراً أقل من أجر الرجل مع اتحاد الإنتاج والجهد المبذول، فلم يبق لها شيء، لقد بذلت نفسها وكبرياءها وأنوثتها، وحرمت من حاجتها الطبيعية إلى أسرة وأولاد تحس بكيانها معهم دون مقابل.

لذا كان لابد من ثورة نسائية تحطم هذا الظلم الواقع على المرأة منذ قرون طويلة، فاستخدمت المرأة أسلحة عديدة دفاعاً عن حقوقها المهضومة، استخدمت الإضراب والتظاهر، والخطابة في المجتمعات، واستخدمت الصحافة، وأخذت تطالب بحق الانتخاب، وحق التمثيل في البرلمان، وبدأت حركة إصلاح لأحوال المرأة الأوربية، وتحقيق بعض مطالبها، فكانت أول حركة نسائية لتحرير المرأة في إنجلترا سنة ١٩٠٣م[١٠٠]، ومطالب هذه الحركة تتركز في ثلاثة أمور وهي:

١- المساواة المطلقة بين الرجال والنساء في كافة الحقوق البشرية والأخلاقية والاقتصادية والقانونية، فطالبت المرأة بأن تؤدي كلَّ ما يؤديه الرجل من أعمال، بدون قيود من وظائف المكاتب، ومهن تجارية، وصناعية، وحضور مجالس اللهو، وحفلات الرقص والسهرات العامة، مما أدى إلى انحرافها عن أداء واجباتها الفطرية ووظائفها الطبيعية، وأثّر ذلك على النظام العائلي في الغرب، فانهارت الحياة الأسرية الهادئة التي تسودها الطمأنينة.

٢- استقلال النساء بشئون معاشهن، حتى أصبحت المرأة تكسب كما يكسب الرجل، وأدى ذلك إلى تدمير البيت والعلاقة الزوجية، فلا يجبرها على الحياة الزوجية المشتركة غير صلة الشهوات وغرائز النفس، فلم ترهق نفسها بتبعات الأسرة والمنزل، ولم تجد عقبات تعترضها في سلوك طريق الدعارة والفجور، ساعدها في ذلك فكرة المساواة الخُلقية، فلا تخاف من حملٍ أو ولادة لأنها تستخدم تدابير لمنع الحمل، ولا مانع من إسقاط الجنين، ساعدها

[99] انظر: الحجاب، للمودودي، ص١٥.

[100] انظر: موسوعة المرأة المسلمة، صلاح عبد الغني محمد، ١/٤٥-٤٦

في ذلك المجتمع الغربي الذي أصبح يكرم الأم العذراء وولد الزنا، وغير ذلك عندهم يعد رجعية وتخلفاً وجموداً.

٣- الاختلاط المطلق بين الرجال والنساء والتبرج السافر والعري، وأصبح الأخذ بكل أسباب الفتنة والاستهواء هو شعار المرأة الأوربية في الغرب، وصارت تتسابق نحو التجمل وحب الظهور، والتجرد من ملابسها شيئاً فشيئاً، إثارةً لنار الشهوة البهيمية المتأججة في صدور الرجال الذي لا يزيدهم ذلك إلا عطشاً لرؤية منظراً آخر أكثر منه سفوراً وتكشفاً، وكأن المرأة لم تخلق لأي دور إلا دور تمتع الرجل بجسدها(١٠١).

ورغم كل ذلك ما زالت المرأة في كثير من بلاد الغرب تعامل معاملة جائرة، وتحمل من الأعباء ما تنوء بحملها الجبال، فما زالت محرومة من حق الميراث، ومن حق التصرف فيما تملك حتى أنه لم يعترف لها بهذا الحق في إنجلترا إلا عام ١٩٢٦م بموجب قانون يجعل للزوجة الإنجليزية شخصية مستقلة، ولها حق التصرف في أموالها وأملاكها.

وما زالت البنت في كثير من بلاد الغرب مطالبة بكفالة نفسها عند بلوغها سن الرشد ولو أدى ذلك إلى حياة التبذل والاستهتار، وما زالت المرأة هي التي تبحث عن الزوج المنشود، وتختلط بكل من هب ودب من الذكور، وتمارس الجنس مع من تشاء، حتى توفق إلى الرجل الذي تتراضى معه على الزواج.

وما زالت قوانين الغرب قاصرة عن حماية عرض الفتاة إلا في سن القصور،أما بعد البلوغ فإن المجتمع يتساهل في التغرير بها أو الاعتداء عليها، مع أن الجنس مباح بتراضي الطرفين.

وقد كان قانون البغاء في إنجلترا إلى عهد قريب يعتبر سن البلوغ للفتاة هو الثانية عشرة من عمرها، مما أدى إلى تعرض مئات الفتيات للسقوط في سن مبكرة، قبل أن يبلغن الخامسة عشرة، ثم بعد محاولات نجح دعاة الإصلاح في إنجلترا في دعوتهم إلى اعتبار السن الذي تتحمل فيه المرأة المسئولية كاملةً عن عرضها هو السادسة عشرة.

ومع ذلك ازداد التغرير بالفتيات الصغيرات حتى أن أحد الأطباء من الباحثين البريطانيين رأى وجوب تزويد الفتيات في سن مبكرة قبل أن يبلغن الخامسة عشرة بتدابير منع الحمل لتفادي الزيادة المطردة في الطفولة غير الشرعية وحالات الإجهاض. وليس مهماً عند الغرب الحفاظ على عرض المرأة، إنما المهم هو منع الآثار المترتبة على الاتصالات

---

(101) انظر: الحجاب، ص١٥-١٩، وموسوعة المرأة المسلمة، صلاح عبد الغني محمد، ٤٦/١-٤٨، والمرأة في التاريخ والشريعة، ص٦٤-٦٦.

الجنسية غير المشروعة، لتقليل ما يترتب عليها من أضرار ومشاكل، وأخيراً جعل الإجهاض أمراً مشروعاً لا تعارضه الحكومة. وما زالت المرأة في الغرب محرومة من أي حق لها من قبل زوجها في حالة طلاقه لها، بل هي مكلفة بالإنفاق على أولادها مناصفةً مع الرجل.

ذلك هو مبلغ تكريمهم للمرأة، وما هذا التكريم الذي يستغل المرأة إلى أقصى حد، ويجعلها هدفاً لإرضاء الشهوات، وإشباع النزوات(١٠٢)، فباتت المرأة كما يقول الأوربيون أنفسهم: "إنها سلعة استهلاكية بكل معنى الكلمة، فقد أصبح جسمها طُعماً في الدعاية، فمن أجل دعاية لمرهم للوجه تظهر المرأة عارية بأكملها، ومن أجل دعاية للجوارب تظهر المرأة مستندة إلى الأرض بأطرافها الأربعة وكأنها كلبة تطلب الفساد"(١٠٣).

إن الحالة التي وصلت إليها المرأة في أوربا وملحقاتها تحت شعارات الحرية والتقدم ساهم فيه الرجال الشهوانيون والنساء اللواتي وقعن بردّة الفعل على أوضاع سابقة. ونتيجة لذلك فلا يوجد اليوم في الغرب رابط أسري، بل تفكك وضياع، مصحوب بأنانية وفردية طاغية، ويضاف إلى ذلك إهدار لكرامة المرأة ورسالتها في الحياة مع تضييع الأوقات وإهدار الطاقات في أعمال مضرة ومسيئة لكيان المرأة كالتمثيل والرقص مع التعري، والغناء المفسد للذوق والقاتل للمروءة، وصناعة أدوات التجميل والزينة المفسدة لبشرة المرأة، والمسببة لسرطان الجلد، وصناعة الخمور، وإقامة أماكن اللهو والعبث والفجور.

فالقاصد لعواصمهم ومتنزهاتهم يلاحظ وبسهولة مظاهر الانحراف والشذوذ حيث تمارس العلاقات الانحرافية بشكل وقح، مما أوصلهم إلى أمراض خطرة جنسية، كان أخطرها مرض فقدان المناعة "الإيدز" الذي لقب بطاعون القرن العشرين. فأية حرية هذه التي تصل فيها الأمور إلى هذا الحدّ من التعلق المسعور بالجنس حيث يمارس في كل مكان حتى الأماكن العامة.

فهذا هو حال المرأة الغربية وما آلت إليه من هجر للأخلاق والقيم، ومقاومة الفضائل والحشمة تحت دعوات سميت زوراً حرية وتقدماً(١٠٤).

---

(102) انظر: أهداف الأسرة في الإسلام والتيارات المضادة، حسن محمد يوسف، بناء الأسرة المسلمة، سلسلة (١)، دار الاعتصام، القاهرة، ١٩٧٧م، ص٣٢-٣٥.

(103) المرأة في التاريخ والشريعة، ص٦٧.

(104) نفس المصدر السابق، ص٦٧-٦٩.

المبحث الثاني

مكانة المرأة في الإسلام

يُعد موقف الإسلام من المرأة ثورةً على المعتقدات والآراء التي رسخت في المجتمعات القديمة ولا تزال سائدة عند أتباع بعض الديانات والطوائف الشرقية، التي كانت تنظر إلى المرأة نظرة جاحدة، كلها احتقار وتعسف وظلم.

كانت المرأة في الجاهلية عندهم لا وزن لها ولا كيان ولا حقوق، كانوا يشكّون بإنسانيتها ويرون أنها غير جديرة بتلقي الدين، ودخول الجنة مع المؤمنين الصادقين، ولا يحترمونها الاحترام الحقيقي اللائق بكرامتها، ولا يعترفون بأهليتها، فلم تكن إلا ضمن الأشياء التابعة للرجل، وتحت وصايته بحكم أنوثتها، ومن ثمّ أُهدِرت شخصيتها، فهي مأمورة لا آمرة، بل عرضةً للبيع والشراء، يتحكم بها الرجل المتميز عليها في الوجود كما في معتقداتهم، فيأمر بقتلها أو وأدها وهي على قيد الحياة.

ولقد كان بَعْثُ الله نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم انطلاقاً لتحرير المرأة من مظالم الجاهلية، وتكريمها بنتاً وزوجةً وأماً.

لقد جاء الإسلام لينتقل بوضع المرأة من الحضيض إلى الأعلى، فقفز بها من العدم إلى الوجود، ومن الشك في إنسانيتها إلى كامل إنسانيتها، ومن منتهى المهانة إلى أعلى الكرامة، ومن فقدان الأهلية إلى كامل الأهلية.

وجاء التشريع الإسلامي ليصون المرأة عن عبث الشهوات، وفتنة الاستمتاع بها استمتاعاً جنسياً حيوانياً، ويجعلها عنصراً فعالاً في المجتمع الذي تعيش فيه، فقرّر لها حقوقها المشروعة والثابتة، وأعطاها ما تستحق من غير استغلال لأنوثتها، ولا تملقٍ لها، وأثبت لها كل ما يحقق به كرامتها الإنسانية الحقيقية[١٠٥].

المطلب الأول: مكانة المرأة في القرآن والسنة:

جـــاء القـــرآن الكريـــم بمـــبادئ سامية من أجل إصلاح حال المرأة، ووضح الرسول صلى الله عليه وسلم هذه المبادئ وأكّدها وشرحها وهي مبادئ ثابتة صالحة لكل زمان ومكان، ويمكن تلخيص هذه المبادئ الإصلاحية التي تهم المرأة، وترفع شأنها في النقاط الآتية:

---

(105) انظر: المرأة بين الفقه والقانون، ص٢٥-٢٩، ٣٨،٥١، والمرأة في الإسلام، د. محمد معروف الدواليبي، دار النفائس، بيروت– لبنان، طــ١، ١٤٠٩– ١٩٨٩م، ص ٢٨-٢٩.

أولاً: إنسانية المرأة:

إن المرأة كالرجل في الإنسانية سواء بسواء، فهما من أصل واحد يقول **سبحانه وتعالى** في سورة النساء: **﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾**(١٠٦).

ويكفي المرأة شرفاً وإنسانية أن تسمى سورة من القرآن باسمها وهي سورة النساء وأوّل آية منها تدلل على كامل إنسانيتها وكرامتها، وكأنّ هذه الآية الكريمة جاءت رداً شافياً كافياً على من لم تكن إنسانية المرأة موضع اعتبار عندهم، حيث كانوا يتدارسون فيما بينهم هل المرأة إنسان له روح أم حيوان نجس لا روح له.

وآية أخرى تبين أن المرأة أخت للرجل، إذ تنسب وإياه إلى أب واحد وأم واحدة، فقال تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾**(١٠٧).

ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقرر هذه الحقيقة بقوله:"إنما النساء شقائق الرجال"(١٠٨)، وأخوة النسب على هذا النحو تقتضي المساواة فيه، إذ لا يكون أحد الشقيقين أوفر حظاً في النسبة إلى أبويه من الآخر(١٠٩).

ثانياً: مسئولية المرأة:

أعلن الإسلام كامل مسئوليتها إلى جانب مسئولية الرجل فيما عهد به للإنسان من شرف الخلافة في الأرض لقوله **سبحانه**: **﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً﴾**(١١٠)، وطالبهما على السواء بعمارة الأرض حيث قال **سبحانه**:**﴿هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا ﴾**(١١١)، وطالبهما أيضاً على السواء بعبادة الله فيها حيث قال **جل وعلا**: **﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالأِنْسَ إِلاَّ**

---

(106) سورة النساء، الآية (١).

(107) سورة الحجرات، الآية (١٣).

(108) سنن الترمذي، كتاب الطهارة، باب ما جاء فيمن يستيقظ فيرى بللاً ولا يذكر احتلاماً، حديث رقم (١١٣)، ١٦٤/١، دار الفكر، سنة٢٠٠١م، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي، ٨٠/١، مكتبة المعارف، الرياض، ط٢، ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م.

(109) انظر: المرأة بين الفقه والقانون، ص٢٥، والمرأة في الإسلام، علي عبدالواحد وافي، دار نهضة مصر، ط٢، ص٣٩-٤٢، والإسلام وقضايا المرأة المعاصرة، البهي الخولي، ص٢٠-٢٢.

(110) سورة البقرة، الآية (٣٠).

(111) سورة هود، الآية (٦١).

لِيَعْبُدُونِ﴾(١١٢)، وهكذا فقد شارك الجنسان فيما عهد إليهما به من قبلِ الله سبحانه وتعالى ليقوما به من غير استثناء(١١٣).

ثالثاً: تبرئة المرأة من بعض التهم الملصقة بها:

دفع عنها اللعنة التي كان يلصقها بها رجال الديانات السابقة، فلم يجعل عقوبة آدم بالخروج من الجنة ناشئاً منها وحدها، بل منهما معاً. يقول الله في قصة آدم وحواء: **﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيه ﴾**(١١٤)، ويقول عن توبتهما: **﴿قَالا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾**(١١٥).

بل إن القرآن في بعض آياته نسب الذنب إلى آدم وحده فقال: **﴿وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى﴾**(١١٦)، ثم قرر مبدأ آخر يعفي المرأة من مسئولية أمها حواء، وهو يشمل المرأة والرجل على السواء(١١٧)، فقال **سبحانه: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾**(١١٨).

رابعاً: أهلية المرأة:

قرّر أهليتها للتدين، وتلقي التكاليف الشرعية، ودخول الجنة إن أحسنت، ومعاقبتها إن أساءت كأخيها الرجل سواء بسواء.

فالله سبحانه أشرك حواء مع آدم عليه السلام فيما خاطبه به، وأمره ونهاه، فحين أمره أن يسكن الجنة، ونهاه أن يأكل من الشجرة وجه إليهما الخطاب معاً: **﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلا مِنْهَا رَغَداً حَيْثُ شِئْتُمَا وَلا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾**(١١٩)، وحين خالفا أمر الله وجه الإنكار إليهما معاً: **﴿ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ﴾**(١٢٠).

وللمرأة شخصيتها المستقلة عن الرجل، ويذكر لنا القرآن الكريم مبايعة النبي صلى الله عليه وسلم للنساء مبايعة مستقلة عن الرجال وذلك في قوله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ**

---

(112) سورة الذاريات، الآية (٥٦).

(113) انظر: المرأة في الإسلام، الدواليبي، ص١٧-١٩.

(114) سورة البقرة، الآية (٣٦).

(115) سورة الأعراف، الآية (٢٣).

(116) سورة طه، الآية (١٢١).

(117) المرأة بين الفقه والقانون، ص٢٦.

(118) سورة البقرة، الآية (١٣٤).

(119) سورة البقرة، الآية (٣٥).

(120) سورة الأعراف، الآية (٢٢).

الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَنْ لا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئاً وَلا يَسْرِقْنَ وَلا يَزْنِينَ وَلا يَقْتُلْنَ أَوْلادَهُنَّ وَلا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾(١٢١).

وتأكيداً على تلك المسئولية كانت مع الرجل في ميزان الثواب والعقاب الأخروي حيث قال **سبحانه**: **﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلا يُظْلَمُونَ نَقِيراً﴾**(١٢٢)، وقال: **﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ﴾**(١٢٣)، ولو تتبعنا القرآن الكريم لوجدنا آيات كثيرة تؤكد هذا المبدأ لا مجال لذكرها كلها في هذا المبحث(١٢٤).

وقول الرسول صلى الله عليه وسلم المشهور: "لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها"(١٢٥) يؤكد مسئولية المرأة، وهي تعاقب ويقام عليها الحد وكذلك الرجل، ولم يخص المرأة بالذكر هنا، إلا لأن السارقة كانت امرأة.

خامساً: تحرير المرأة من مظالم الجاهلية:

ومن هذه المظالم: الضيق بها والاكتئاب عند ولادتها حيث قال **سبحانه**: **﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلاً ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدّاً وَهُوَ كَظِيمٌ﴾**(١٢٦)، وأنكر عليهم هذه العادة السيئة حيث قال: **﴿يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾**(١٢٧)، وحرّم وأدها وشنّع على ذلك أشد تشنيع فقال: **﴿وَإِذَا الْمَوْؤُودَةُ سُئِلَتْ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾**(١٢٨)، والرسول صلى الله عليه وسلم كان يحزن ويبكي عند سماع قصص الصحابة الذين دفنوا بناتهم وهنّ أحياء وأمرهم بتكفير ذنب الوأد، فعندما جاءه قيس بن عاصم وقال له: إني وأدت ثماني بنات لي في الجاهلية فقال له الرسول صلى الله

---

(121) سورة الممتحنة، الآية (١٢).

(122) سورة النساء، الآية (١٢٤).

(123) سورة التوبة، الآية (٦٧).

(124) انظر: المرأة بين الفقه والقانون، ص٢٦-٢٧، والمرأة في الإسلام، د. علي وافي، ص٣٤-٣٨، والإسلام وقضايا المرأة المعاصرة، البهي الخولي، ص٢٢-٢٤.

(125) صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب (٥٢/٥٤) حديث رقم (٣٤٧٥)، ٨٦٥/٢.

(126) سورة الزخرف، الآية (١٧).

(127) سورة النحل، الآية (٥٩).

(128) سورة التكوير، الآيتان (٨-٩).

عليه وسلم: "أعتق عن كل واحدة منهن رقبة، قال يا رسول الله إني صاحب إبل، قال: فانحر عن كل واحدة منهن بدنة إن شئت"(١٢٩).

ونهى عن تورثها وجعلها كالمتاع، والتضييق على حريتها فقال: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهاً وَلا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ . . .﴾**(١٣٠).

وحرم على الابن أن ينكح زوجة أبيه أو زوجة أخيه خاصة بعد وفاة زوجها، كما كان في الجاهلية يلقي عليها ثوبه فيتزوجها أو يمنعها من الزواج فقال سبحانه وتعالى:**﴿وَلا تَعْضُلُوهُنَّ﴾** وقال تعالى:**﴿وَلا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلاَّ مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتاً وَسَاءَ سَبِيلاً۞ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالاتُكُمْ ﴾** (١٣١)

وحرّم إفساد علاقات المودة والأرحام بتحريم الجمع بين المرأة ومحارمها من النساء كالعمة والخالة والأخت وبنت الأخت، فورد في السنة: "لا يجمع بين المرأة وعمتها ولا بين المرأة وخالتها"(١٣٢).

سادساً: إكرام المرأة بنتاً وزوجةً وأماً:

أما إكرامها كبنت فأمره بتعليمها وتأديبها والإحسان إليها فقال صلى الله عليه وسلم "أيما رجل كانت عنده وليدة فعلمها فأحسن تعليمها، وأدبها فأحسن تأديبها، ثم أعتقها وتزوجها، فله أجران"(١٣٣).

وأما إكرامها زوجة ففي ذلك آيات وأحاديث كثيرة منها:

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾(١٣٤)، وقوله صلى الله عليه وسلم: "خير متاع الدنيا الزوجة الصالحة، إن نظرت إليها

([129]) تفسير القرطبي، ٢٠٢/١٩.

([130]) سورة النساء، الآية (١٩).

([131]) سورة النساء، الآيتان (٢٢-٢٣).

([132]) صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب لا تنكح المرأة على عمتها، رقم الحديث (٥١٠٩)، ١٣١٣/٣، وانظر: المرأة بين الفقه والقانون، ص٢٧، تحرير المرأة في عصر الرسالة، عبدالحليم أبوشقة، دار القلم، الكويت والقاهرة، ط٤، ١٤١٥هـ، ١٩٩٥، ص ٧٢/١-٧٤.

([133]) صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب اتخاذ السراري ومن أعتق جارية ثم تزوجها، رقم الحديث (٥٠٨٣)، ٣٤٤/٣.

([134]) سورة الروم، الآية (٢١).

سرتك، وإن غبت عنها حفظتك"[١٣٥]. وقوله تعالى: **﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْراً كَثِيراً﴾**[١٣٦]

وأما إكرامها كأم، فقد أوصى الله بالأم خيراً: **﴿وَوَصَّيْنَا الأنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَاناً حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهاً وَوَضَعَتْهُ كُرْهاً﴾**[١٣٧]، وقال:**﴿فَلا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلاً كَرِيماً﴾**[١٣٨]، وجاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: "من أحق الناس بحسن صحابتي، قال: أمك، قال: ثم من، قال: أمك، قال: ثم من، قال: أمك، قال: ثم من، قال: أبوك"[١٣٩]، فقدم الأم في الصلة والبر على الأب.

وكثير من المواقف يظهر فيها تكريم الرسول صلى الله عليه وسلم للمرأة فمثلاً:

من عامة النساء هناك موقف لرسول الله صلى الله عليه وسلم عندما رأى النساء والصبيان مقبلين من عرس فقام النبي صلى الله عليه وسلم مُمْثِلاً أي انتصب قائماً فقال: "اللهم أنتن من أحب الناس إليّ قالها ثلاث مرات"[١٤٠].

سابعاً: تعليم المرأة

رغب في تعليمها كالرجل بخلاف ما رأينا في السابق عند غير المسلمين كانت تحبس في البيت وتحرم من العلم فأعطى الإسلام كل فرد ذكراً أو أنثى الحق في أن ينال العلم حسب ظروفه وإمكانياته بل جعل ذلك فرضاً حسناً حيث قال صلى الله عليه وسلم: "طلب العلم فريضة على كل مسلم"[١٤١]، وقوله مسلم يشمل الرجل والمرأة، وقد اتفق العلماء على أن كل ما يطلب من الرجل تعلمه يطلب من المرأة كذلك.

---

(135) صحيح مسلم، كتاب الرضاع، باب خيرمتاع الدنيا المرأة الصالحة، رقم الحديث: (١٤٦٧)، ١٠٩٠/٢، دار إحياء التراث العربي- بيروت.

(136) سورة النساء، الآية (١٨)

(137) سورة الأحقاف، الآية (١٥).

(138) سورة الإسراء، الآية (٢٣).

(139) صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب من أحق الناس بحسن الصحبة، حديث رقم (٥٩٧١)، ١٥١٦/٤، صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب بر الوالدين وأنهما أحق به، ٢/٨.

(140) صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل الأنصار، ١٧٤/٧، دار الفكر.

(141) سنن ابن ماجة، كتاب المقدمة، باب فضل العلماء والحث على طلب العلم، حديث رقم (٢٢٤)، ٨١/١، دار الفكر، وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجة، ٩٢/١، مكتبة المعارف، الرياض.

وروي عن الشفاء بنت عبدالله قالت: دخل عليّ النبي وأنا عند حفصة فقال لي: "ألا تعلّمين هذه رقية النملة كما علمتها الكتابة"(١٤٢)، ورقية النملة أي تحسين الخط وتزيينه، وشواهد كثيرة تدل على أن أبواب التعليم والثقافة كانت مفتوحة على مصراعيها للفتاة، فالرسول صلى الله عليه وسلم كان يأتي النساء ويعظهن، وخصص يوماً للنساء ليذكرهن فيه(١٤٣).

ثامناً: توريث المرأة:

أعطاها حق الإرث أماً وزوجةً وبنتاً، كبيرة كانت أو صغيرة، أو حملاً في بطن أمها، وآيات المواريث في سورة النساء شاهد على ذلك(١٤٤).

تاسعاً: تنظيم حقوق الزوجين:

نظم حقوق الزوجين، وجعل للزوجة حقوقاً كحقوق الرجل، مع رئاسة الرجل لشئون البيت، وهي رئاسة غير مستبدة ولا ظالمة، حيث قال **جل في علاه**: **﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَة ﴾**(١٤٥).

وقال الرسول صلى الله عليه وسلم "والمرأة راعية في بيت زوجها ومسئولة عن رعيتها"

فالزواج في الإسلام لا يفقد المرأة اسمها ولا أهليتها في التعاقد، ولا حقها في التملك بل تظل بعد زواجها محتفظة باسمها وباسم أسرتها، وبكامل حقوقها المدنية، وبأهليتها في تحمل الالتزامات، وإجراء مختلف العقود من بيع وشراء ورهن وهبة ووصية وغيرها، ولها ثروتها الخاصة وذمتها المالية، المستقلة عن زوجها، ولا يجوز للزوج أن يأخذ شيئاً من مالها إلا بإذنها، قال تعالى: ﴿ **وَلا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئاً**﴾(١٤٦) أي المهر لها وجعل ولاية الرجال عليها ولاية رعاية وتأديب، ورعاية بشئونها وتنمية أموالها، لا ولاية تملك واستبداد، ولها الحق في اختيار الزوج المناسب، وإن كانت بكراً يكتفي بسكوتها وهو

---

(142) سنن أبي داوود، كتاب الطب، باب ما جاء في الرقي، حديث رقم (٣٨٨٧)، ٣٩٣/٣، دار الفكر ،وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داوود، مكتبة المعارف- الرياض، ط٢، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م، ٤٦٨/٢.

(143) انظر: ص: ٢٠١.

(144) سورة النساء، الآيتان (١١-١٢).

(145) سورة البقرة، الآية (٢٢٨).

(146) سورة البقرة، الآية (٢٢٨).

تعبيرٌ عن رضاها[١٤٧]، ويروى في هذا قصة حيث ذهبت فتاة إلى السيدة عائشة تشكو إليها أن أباها زوجها من ابن أخيه ليرفع خسيسته، فقالت: انتظري حتى يحضر النبي صلى الله عليه وسلم: فلما حضر ذكرت له ما ذكرته لأم المؤمنين فقال ــ صلى الله عليه وسلم ــ: "الأيّم أحق بنفسها من وليها، فقالت الفتاة: يا رسول الله قد أمضيت ما فعل أبي، وإنما قلت ما قلت ليعلم النساء أن ليس للرجال في هذا أمر"[١٤٨]، كما ألغيت أنواع الأنكحة التي فيها إجحاف وظلم للمرأة في مرة واحدة، وجعل الله للطلاق حداً لا يتجاوزه الزوج وهو ثلاث، وجعل له وقت، ولأثره عدة تتيح للزوجين العودة إلى الصفاء والوئام فقال **تعالى**: ﴿**الطَّلاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَان** ﴾[١٤٩].

عاشراً: تقييد الطلاق:

نظم الإسلام قضية الطلاق الذي كان بلا حدود، فمنع تعسف الرجل فيه وظلمه.

حادي عشر: تحديد التعدد للزوجات:

جعل لتعدد الزوجات حداً، فجعلت أربعاً بعد أن كان على إطلاقه وبلا حدود فقال **سبحانه**: ﴿ **فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلاثَ وَرُبَاعَ**﴾[١٥٠]، وقيده بالعدل فقال: ﴿. **فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم** ﴾[١٥١].

ثاني عشر: حق العمل:

أباح الإسلام للمرأة العمل، فلها أن تقوم بالوظائف والأعمال المشروعة التي تحسن أداءها ولا تتنافر مع طبيعتها وفطرتها، وبما لا يؤثر ورسالتها الأصلية، كأم مربية وزوجة مخلصة، ولم يقيد هذا الحق إلا بما يحفظ للمرأة كرامتها، ويصونها عن التبذل، وأن تؤدي هذا العمل في أدب وحشمة بعيداً عن الاختلاط بالرجال، وأن لا يؤدي عملها إلى ضرر اجتماعي أو خلقي أو يصرفها عن رسالتها الفطرية وأداء واجبها نحو زوجها وبيتها وأولادها.

وقد كانت النساء في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم يقمن بكثير من الأعمال في داخل بيوتهن وفي خارجها وخير قدوة لنا أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما، قالت: "كنت

([147]) انظر: المرأة بين الفقه والقانون، ص ٢٩، والمرأة في الإسلام، علي وافي، ص٧-١٤.

([148]) صحيح مسلم، كتاب النكاح، باب استئذان الثيب في النكاح بالنطق والبكر بالسكوت، رقم الحديث (٢٥٤٥)، ١٠٣٧/٢.

([149]) سورة البقرة، الآية (٢٢٩).

([150]) سورة النساء، الآية (٣).

([151]) سورة النساء، الآية (٣).

أخدم الزبير خدم البيت كله، وأسوس فرسه وأعلفه وأحتش له، وكنت أخرز الدلو، وأسقي الماء، وأحمل النوى على رأسي من أرض له على ثلثي فرسخ"[١٥٢].

ولم تخل غزوة من الغزوات إلا شاركت النساء فيها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، فيقمن بمساعدة المرضى والمصابين وسقاية العطشى.

لو تتبعنا القرآن والسنة لوجدنا كثيراً من الشواهد التي تعز المرأة، وتساوي بينها وبين الرجل في الإنسانية والكرامة والأهلية، مع وجود بعض الفروق التي لا تؤثر أو لا تنتقص من منزلتها والتي وجدت لضرورات فسيولوجية واجتماعية واقتصادية ونفسية.

ونتيجة لهذا كله يجب على المرأة المسلمة أن تفاخر جميع نساء العالم لأن في دينها الإسلامي فضل السبق في تقرير حقوقها والاعتراف بكرامتها اعترافاً إنسانياً نبيلاً، بعيداً عن الهوى والأغراض الدنيوية، ولا يدفع إليه قسراً ولا ضرورة[١٥٣].

المطلب الثاني: مكانة المرأة عند الخلفاء الراشدين والتابعين:

إن المتتبع لتاريخ المسلمين بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم سيجد ما لا يجده في العالم الحديث، سيجد نساءً عبقريات كنّ النموذج للمرأة المسلمة، الواحدة منهن تفوق نساء الحضارة الغربية كلهن.

فعلى الرغم من الدعوى العريضة لتحرير المرأة ورفع مستواها في الغرب، فإنه لم تنبغ فيهم المرأة التي تكون لكبار الرجال إماماً يأخذون عنها، بينما نجد في مختلف عصور الإسلام نساءً لهن أثر بالغ يخلده التاريخ.

والفضل في ذلك يرجع للخلفاء الراشدين من الصحابة والتابعين أمثال (أبو بكر وعمر وعلي وعثمان وعمر بن عبدالعزيز وغيرهم)، الذين ساروا على نهج نبيهم محمد صلى الله عليه وسلم في تكريمهم للمرأة ورعاية حقوقها، والدفاع عن عرضها، وإتاحة الفرصة لها لتصبح عالمة ومعلمة ليس للنساء وحدهم، بل للرجال أيضاً.

وستكتفي الباحثة بذكر بعض الأمثلة والمواقف التي تعلّي من شأن المرأة وتغرس في نفسها الثقة والإيمان بحقوقها التي كفلها الإسلام.

الأمثلة والمواقف:

([152]) المرأة في الإسلام، علي وافي، ص: ٣١-٣٢.

([153]) انظر: المصدر السابق، ص: ٣١-٣٢.

١- السيدة عائشة رضي الله عنها كانت شاعرة أديبة وعالمة بالطب، وفقيهة مجتهدة يؤخذ عنها الدين والقرآن، وشاركت في رواية السنة وتعليمها للناس، حيث بلغ مسند عائشة ألفين ومئتين وعشرة أحاديث، وتشترك معها من أمهات المؤمنين ونساء الصحابة حفصة وأم سلمة وزينب بنت جحش وأم حبيبة وجويرية وصفية بنت حيي وميمونة، وأسماء بنت أبي بكر وغيرهن، وقد عرض الشيخ عبد الحليم أبو شقة في كتابه تحرير المرأة في عصر الرسالة نماذج مما روته النساء من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم [١٥٤].

وفي أتباع الصحابة نبغت حفصة بنت سيرين، وأم الدرداء الصغرى في علوم الدين، وكتب التاريخ حافلة بالنساء اللاتي نهضن بالعلم في ظل حضارة الإسلام، بل يسجل للمرأة مفخرة ليست للرجل، فقد وقع الكذب في الحديث من رجال كثيرين، ووقع منهم الغلط، أما النساء على كثرتهن في الرواية فلم يقع منهن تعمد الكذب في الحديث، وهذه شهادة إمام الجرح والتعديل في عصره شمس الدين الذهبي حيث يقول في قسم النساء من كتابه ميزان الاعتدال في نقد الرجال: "وما علمت في النساء من اتهمت- أي بالكذب- ولا من تركوها".[١٥٥] وكذلك كثر في العهد العباسي في المشرق، وفي ظل الأمويين في الأندلس النساء اللواتي اشتهرن بمعارفهن العلمية والأدبية.

٢- خطب عمر بن الخطاب ﷺ مرة يحث النساء على التساهل في المهور، وأعلن أن من دفع لزوجته مهراً أكثر من مهر نساء النبي صلى الله عليه وسلم فسيأخذه لبيت المال، وعلى مشهد الملأ تقوم من النساء امرأة تجابه أعظم زعيم وتقول: "ما ذاك لك"، قال: ولم، قالت: إن الله قال: **﴿وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنْطَاراً فَلا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئاً ﴾**[١٥٦]، فرجع عمر عن قوله وقال: "فمن شاء أن يعطي من ماله ما أحب "، وفي رواية أخرى قال: "أخطأ رجل وأصابت امرأة" [١٥٧].

وهذا الاعتراض على عمر لأنه أراد أن يمنع المغالاة في المهور وهي ليست بحرام، لكنها مخالفة لما اعتاده المسلمون من رسول الله صلى الله عليه وسلم، فوقفت المرأة المسلمة أمام الخليفة تدافع عن حقوق المرأة وتصحح الخطأ في ذلك.

---

(154) انظر: الجزء الأول، ص١١٨-١٢٢.

(155) إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، الألباني، المكتب الإسلامي – بيروت، ط٢، ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م، ٢٥٦/٢.

(156) سورة النساء، الآية (٢٠).

(157) تفسير ابن كثير، ٤٦٧/١، وانظر: حياة الصحابة، محمد يوسف الكاندهلوي، دار القلم،دمشق، ط٤، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م، ٦٧٧/٢.

٣- كان الخلفاء يستمعون إلى شكوى المرأة وينصفونها ولا يردونها خائبة، حيث أتت سودة بنت عمارة إلى علي بن أبي طالب في رجل ولاه أمر الصدقات، فكان بينه وبين قومها ما بين الغث والسمين، فوجدته قائماً يصلي، فانفتل من صلاته ثم قال برأفة وعطف: "ألك حاجة "، فأخبرته خبر الرجل فبكى ثم رفع يديه إلى السماء فقال: "اللهم إني لم آمرهم بظلم خلقك، ولا ترك حقك "، ثم كتب إليه بعزله عن ولاية الصدقات.

هذا نموذج لامرأة جريئة في قول الحق وطلب العدل، لا في اللغو واللهو[١٥٨].

٤- أم أيمن كان لها منزلة عظيمة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان يعتبرها بدل أمه التي فقدها صغيراً وكان يناديها "يا أمه" ويقول: هذه أمي بعد أمي وكان ينظر إليها ويقول: "هذه بقية أهلي"، وكان يتلطف بها ويرعى شئونها ويزورها من حين لآخر ويمازحها ويقول لها: "غطي قناعك يا أم أيمن"[١٥٩].

وكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرفون لأم أيمن ولأبنائها منزلتهم عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وحبه لهم، فكانوا يقدرون هذه المنزلة ويرقون لأم أيمن وأبنائها، فكان أبو بكر وعمر يزوران أم أيمن ويرعيان شئونها كما يفعل الرسول صلى الله عليه وسلم في حياته، حيث قال أبو بكر رضي الله عنه بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر انطلق بنا إلى أم أيمن نزورها كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يزورها، فلما انتهيا إليها بكت، فقالا لها ما يبكيك ما عند الله خير لرسوله صلى الله عليه وسلم، فقالت: ما أبكي أن لا أكون أعلم أن ما عند الله خير لرسوله صلى الله عليه وسلم، ولكن أبكي أن الوحي قد انقطع من السماء، فهيجتهما على البكاء فجعلا يبكيان معها[١٦٠].

وفي زمن عمر بن عبدالعزيز خاصم بن الفرات مولى الحسن بن أسامة بن زيد ونازعه وقال في كلامه "يا بن بركة"، فلما رفع الأمر إلى قاضي المدينة، أمر بإنزال العقوبة به؛ لأنه أراد بذلك التصغير من شأن المرأة[١٦١].

٥- أم عمارة نسيبة بنت كعب قطع ذراعها الأيمن في معركة اليمامة بعد أن طعنت مسيلمة الكذاب في بطنه،، وكانت أم عمارة تتحرج من ذراعها المقطوع، لذا لا تجيب دعوة من يدعوها إلى طعامٍ أبداً؛ لأنها لا تستطيع أن تأكل بيد واحدة.

---

(158) مكانك تحمدي، أحمد محمد جمال، مطبعة أطلس، القاهرة، ط١، ١٩٧٦م، ص٢٢٤.

(159) الطبقات الكبرى، ابن سعد، دار صادر، بيروت، ٢٢٤/٨.

(160) صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أم أيمن، رقم الحديث (٢٤٥٤)، ١٩٠٧/٤.

(161) انظر: مكانك تحمدي، أحمد محمد جمال، مطبعة أطلس- القاهرة، ط١، ١٩٧٦م، ص٢١٣-٢١٤.

عرف عمر بن الخطاب عن أم عمارة فصعد المنبر من أجل أن يطيب شعور امرأة مسلمة، وقال: أيها الناس أين أم عمارة؛ فصاحت من آخر المسجد: هأنذا يا أمير المؤمنين، فقال: يا أم عمارة، لعلك تخجلين من ذراعك المقطوع، يا أم عمارة أبشري، شيءٌ منك سبقك إلى الجنة، فسمع المسجد كله تكبير المرأة: الله أكبر اليوم أتيه على النساء بذراعي المقطوع[١٦٢].

٦- ولقد سجل التاريخ للمرأة المسلمة آثاراً جليلة، هي من أبلغ ما سجله من أمجاد لهذه الأمة، بسبب الغيرة على كرامة المرأة.

فهذه امرأة مسلمة أسرها الروم، لا تربطها بخليفة المسلمين المعتصم بالله رابطة سوى أخوة الإسلام، تستنجد به وتصيح (وا معتصماه)، وما أن بلغت المعتصم هذه الندبة ـــ وكان يأخذ لنفسه قسطاً من الراحة ـــ حتى قال بملء جوارحه: لبيك، وانطلق لتوه إلى القتال، وانطلقت معه جحافل المسلمين، وقد ملأت الغيرة لكرامة المرأة نفس كل جندي إباءً وحماساً، فأنزلوا بالعدو شر هزيمة، اقتحموا قلاعه من أعماق بلاده، حتى أتوا عمورية، وهدموا قلاعها، وانتهوا إلى تلك الأسيرة وفكّوا عقالها[١٦٣].

المطلب الثالث: مكانة المرأة في الحياة الإسلامية المعاصرة:

المرأة المسلمة في مجتمعاتنا الإسلامية المعاصرة بين موقفين وهما الغلو والتقصير:

الموقف الأول:

فهناك المسلمون المقصرون في حق المرأة الذين ينظرون إليها نظرة استهانة واحتقار، فهي عندهم أحبولة الشيطان، وشبكة إبليس في الإغواء، والإضلال، وناقصة العقل والدين.

وهم يعتبرونها مخلوقاً ناقص الأهلية، وهي عند الرجل أمَةٌ أو كالأَمَة، يتزوجها لمتعه إن شاء، ويمتلك بضعها بما يدفع من مال، ويطلقها متى أراد، دون أن تملك له دفعاً، ولا تستحق عن ذلك متاعاً ولا تعويضاً، حتى عبر بعضهم بأنها كالنعل، يلبسها متى أراد، ويخلعها متى أراد.

وهي إذا تزوجت الرجل: فكرهته، ولم تطقه بغضاً ونفرة، فليس لها إلا أن تصبر على مضض، وتتجرع مرارة الحياة على كره، حتى يرضى بطلاقها أو خلعها، وإلا فلا ولا وسيلة لها للخلاص من نير عبوديته.

---

(162) مكانة المرأة في الإسلام: عمرو خالد، أريج للنشر والتوزيع، ط١، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م، ص٤٢.

(163) ماذا عن المرأة، نور الدين عتر، دار الفكر - دمشق، ط٣، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م، ص٢٦-٢٧.

وبعض هؤلاء رجع إلى عهد الجاهلية قبل الإسلام، فلا يجعل لبناته في الميراث حقاً، ويكتب تركته بيعاً وشراءً لأبنائه الذكور، أما الإناث فما لهن من نصيب.

لقد حبسوها في البيت، فلا تخرج لعلمٍ ولا عمل، ولا تساهم في أي نشاط نافع يخدم مجتمعها، مهما يكن نوعه، حتى صور بعضهم المرأة الصالحة بأنها لا تخرج إلا مرتين: مرة من بيت أبيها إلى بيت زوجها، ومرة من بيت زوجها إلى قبرها.

هذا مع أن القرآن جعل حبس المرأة في البيت عقوبة لمن تأتي الفاحشة ويشهد عليها أربعة من المسلمين، وذلك قبل استقرار التشريع على حد الزنا المعروف، حيث قال سبحانه: **﴿ وَاللاتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِنْكُمْ فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّى يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلاً﴾**[١٦٤].

حرموها من الخروج لطلب العلم والتفقه في الدين، وقالوا: إن على أبيها أو زوجها أن يفقهها ويعلمها، فحرموها من نور العلم، وحكموا عليها بالبقاء في ظلمة الجهل، ولم يعلمها أب ولا زوج، لأن الأب والزوج كان في حاجة إلى من يعلمه، وفاقد الشيء لا يعطيه، هذا مع علمهم أن طلب العلم فريضة على كل مسلم، وأن من أمهات المؤمنين ونساء الصحابة والسلف من بلغن مكاناً عظيماً في العلم والفقه، ورواية الحديث، بالإضافة إلى الشعر والأدب[١٦٥].

وقد وجد من علمائنا من يقول: "حدثتني الشيخة المسندة الصالحة فلانة بنت فلان"، وقد كانت (كريمة بنت أحمد) المروزية إحدى راويات صحيح البخاري، ونسختها إحدى النسخ المعتمدة التي نوه عليها الحافظ ابن حجر العسقلاني في فتح الباري، حيث قال: "وأما رواية كريمة، فأخبرنا بها الحافظ أبو الفضل عبد الرحيم بن الحسين العراقي، سماعاً عليه لبعضه، وإجازة لسائره"[١٦٦].

وهناك من منعها من الذهاب للمساجد لحضور صلاة أو موعظة، مع علمهم بأن النساء في العصر النبوي كن يشهدن الجماعة، حتى في العشاء والفجر، وأن النبي صلى الله عليه وسلم قال بصريح العبارة: "لا تمنعوا إماء الله مساجد الله"[١٦٧].

([164]) سورة النساء، الآية (١٥).

([165]) انظر: تقديم د. يوسف القرضاوي لكتاب تحرير المرأة في عصر الرسالة، ١٠/١.

([166]) فتح الباري شرح صحيح البخاري بن حجر العسقلاني، دار الفكر، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م، ١٢/١١/١.

([167]) صحيح البخاري، كتاب الجمعة، باب هل على من لم يشهد الجمعة غسل، رقم الحديث (٩٥٥)، ٢١٣/١، وصحيح مسلم، كتاب الصلاة، باب أمر النساء المصليات وراء الرجال أن لا يرفعن رؤوسهن من السجود حتى يرفع الرجل، رقم الحديث (١٣٦)، ٣٢٧/١.

كما حرموها من مشاركة الأب أو الزوج فيما تستطيع المشاركة فيه من أعمال الحياة المشروعة، مخالفاً لما جاء عن الصحابة حيث صح ذلك عن بعض نساء الصحابة، مثل أسماء ذات النطاقين مع زوجها الزبير بن العوام.

وكثيراً ما استند هؤلاء في حبس المرأة إلى متشابهات[(١٦٨)] من النصوص، تاركين المحكمات[(١٦٩)] البينات، فتراهم يحتجون بالآيات الواردة في نساء النبي: **﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُن﴾**[(١٧٠)] **﴿ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعاً فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَاب ﴾**[(١٧١)].

وحرموا المرأة كذلك في أحيان كثيرة من حقها في اختيار من يكون شريك حياتها، أو على الأقل حقها في الموافقة عليه أو رفضه، إذا عرضه عليها وليها.

ووجد من الآباء من يزوج ابنته بغير رضاها، بل بغير استشارتها واستشفاف رأيها.

وكم استغلوا في هضم حق المرأة، وإعطائها دون مكانتها أحاديث صحيحة وضعوها في غير موضعها، واستدلوا بها في غير ما سيقت له، كالحديث الذي طالما اتخذوه عكازاً يتوكئون عليه في تبرير نظرتهم إلى المرأة، وهو حديث وصفهن بأنهن "ناقصات عقل ودين"[(١٧٢)]، وحديث: "لو أمرت أحداً أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها"[(١٧٣)].

ولم يكتفوا بذلك فجاءوا بأحاديث لا أصل لها ولا سند، أو أحاديث واهنة شديدة الوهن أو موضوعة مكذوبة على رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل حديث سؤال النبي صلى الله عليه وسلم لابنته فاطمة الزهراء: "أي شيء أصلح للمرأة؟ فقالت: ألا ترى رجلاً ولا

([168]) المتشابه : هو ما لم يتضح معناه، وما احتمل أوجهاً، وهو مما استأثر الله بعلمه، كالحروف المقطعة، انظر: أقاويل الثقات في تأويل الأسماء والصفات والآيات المحكمات والمتشابهات، مرعي يوسف الكرمي، المقدسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٠٦هـ، تحقيق: الأرنؤوط، ٤٩/١.

([169]) المحكم: هو ما وضح معناه، ولا يحتمل من التأويل إلا وجهاً واحداً، وهو المكشوف المعنى الذي لا يتطرق إليه إشكال، انظر: نفس المصدر السابق، ٤٩/١.

([170]) سورة الأحزاب، الآية (٣٢).

([171]) سورة الأحزاب، الآية (٣٣).

([172]) صحيح البخاري، كتاب الحيض، باب ترك الحائض الصوم، رقم الحديث (٣٠٤)، ٨٨/١.

([173]) سنن الترمذي، كتاب الرضاع، باب ما جاء في حق الزوج على المرأة، رقم الحديث (١١٥٩) دار إحياء التراث العربي- بيروت، ٤٦٥/٣، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي، ٥٩٣/١.

يراها رجل، فقبلها ثم قال: ذريـــة بعضها من بعض"(١٧٤) وهو حديث واهٍ لا يساوي المداد الذي كتب به(١٧٥).

ومثل حديث: "شاوروهن وخالفوهن" (١٧٦)وهو حديث لا أصل له، وهو مخالف لما جاء في القرآن من تشاور الوالدين: الأب والأم جميعاً، في فطام الطفل وفصاله: ﴿ **فَإِنْ أَرَادَا فِصَالاً عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا** ﴾(١٧٧).

كما أنه مخالف لما ثبت في السنة من مشاورته صلى الله عليه وسلم لأم سلمة في غزوة الحديبية وأخذه برأيها الذي كان فيه الخير والصواب.ومثل قولهم: "لا تسكنوهن الغرف ولا تعلموهن الكتابة"(١٧٨)

وغير ذلك من الأحاديث المختلقة على رسول الله صلى الله عليه وسلم والتي فيها انتقاص لحق المرأة ويكاد هؤلاء المتشددون يجعلون حياة المرأة سجناً لا ينفذ إليه بصيص من نور، فخروجها من البيت لا يجوز، وذهابها إلى المسجد لا يشرع، وكلامها مع الرجال ــ ولو بالأدب المعروف ــ لا يسوغ، وصوتها عورة.

---

(174) إحياء علوم الدين للغزالي، كتاب النكاح، الباب الثالث، آداب المعاشرة، كيف يتقي الرجل الغيرة، وقـــال الحافظ العراقي رواه البزار والدارقطني في الأفراد من حديث عليّ بسند ضعيف، المكتبـــة العـــصرية، صيدا- بيروت، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م، ٦٧/٢.

(175) انظر: تحرير المرأة في عصر الرسالة، ١٢/١.

(176) قال السخاوي: لم أره مرفوعاً، وقيل ضعيف جداً، وفيه انقطاع، المقاصد الحسنة في بيـــان كثيـــر مـــن الأحاديث المشتهرة على الألسنة للسخاوي، الطبعة الرابعة، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٢٢هـــــ - ٢٠٠٢م، ص٢٩٧، وكشف الخفاء، العجلوني، رقـــم الحـــديث (١٥٢٩)، ٣/٢، دار إحيـــاء التـــراث العربية، بيروت – لبنان، ط٣، ١٣٥٢هــ، ص٢٩٧.

(177) سورة البقرة، الآية (٢٣٣).

(178) رواه الخطيب عن عائشة مرفوعاً، وفي إسناده محمد بن إبراهيم الشامي كان يضع الحـــديث، الفوائـــد المجموعة في الأحاديث الموضوعة، للشوكاني، رقم الحديث (٢٠١٧)، ١٢٦/١، المكتـــب الإســـلامي، بيروت، ط٣، ١٤٠٧هــ.

الموقف الثاني:

وفي مقابل هؤلاء الذين فرطوا وقصروا في حق المرأة وجاروا عليها، نجد الآخرين الذين أفرطوا في شأنها، وتجاوزوا حدود الله، وحدود الفطرة، وحدود الفضيلة في أمرها.

فإذا كان الأولون أسرى تقاليد شرقية موروثة، فهؤلاء أسرى تقاليد غربية وافدة، وهؤلاء يريدون أن يلغوا الفوارق بين الرجل والمرأة، ويقولون إن المرأة إنسان كما أن الرجل إنسان، هما مولودان لذكر أو أنثى، فلماذا يتفاوتان؟ لذا نادوا بتحرير المرأة ومساواتها مع الرجل تماماً كما فعل الغرب، فأثاروا الشبهات حول المرأة، وطالبوا بخروجها للعمل بكل الأعمال حتى التي لا يقدر عليها إلا الرجل، أو لا تناسب إلا الرجل وطعنوا في الأحاديث النبوية الشريفة وردوها كحديث: "لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة"[١٧٩] وهو حديث صحيح رواه البخاري وتلقته الأمة بالقبول ولم يطعن فيه طاعن[١٨٠].

ومن هؤلاء من يريد أن يحرم ما أحل الله للرجل، من الزواج بأكثر من واحدة، لمن يحتاج إليه، ويقدر عليه، ويثق في نفسه بالعدل، مخالفين ماثبت بنص القرآن الكريم والسنة النبوية وأقوال الصحابة وعمل السلف الصالح في خير قرون هذه الأمة، وعمل خلف الأمة إلى يومنا هذا.

بل نجد من هؤلاء من يدعو إلى توريث البنت مثل ما يرث شقيقها، رافضاً أن يكون للذكر مثل حظ الأنثيين، مخالفاً كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم وإجماع الأمة فقهاً وعملاً طوال أربعة عشر قرناً.

ومن هذا التيار بعض المنتسبين إلى الإسلام، وممن يتحدثون باسم الإسلام ويقولون على الله ما لا يعلمون وهدفهم تشويه صورة الإسلام.

ومنهم من يتجاهل أحاديث صحيحة، ليفتي بحل أشياء محرمة في شرع الله، يبرر فيها الواقع القائم، أو يبرر بها اتجاهات الحكام في تحريم الحلال وتحليل الحرام، فتراهم يسكتون على إباحة القانون للزنا، وينكرون على تعدد الزوجات.

ومنهم من أفتى بلبس الثياب القصيرة التي تكشف عن الذراعين والساقين، أو الشعر، والتي تشف وتصف والبعض اعتبرها أنها من الصغائر يكفرها أداء الصلوات ونحوها.

ونتيجة ذلك كله خرجت المرأة كاسية عارية مترجلة تدّعي أنها حرة، ولا فرق بينها وبين الرجل مقلدة للغرب تقليداً أعمى في اللباس والموضة والزينة وغيرها، وأصبحت تبعاً للغرب[١٨١].

([179]) صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب كتاب النبي إلى كسرى وقيصر، رقم الحديث (٤٠٧٣)، ٩٦٥/٣.

([180]) انظر: تحرير المرأة في عصر الرسالة، ١/١٢-١٤.

([181]) انظر: نفس المصدر السابق، ١/١٤-١٦.

والله سبحانه وتعالى لم يكلفنا أن نكون تبعاً لغرب ولا لشرق ولا أسرى لقديم أو حديث إنما يجب أن يكون هوانا تبعاً لما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم من الهدى ودين الحق ولهذا كان لا بد من موقف يمثل الوسطية في الإسلام التي لا غلو فيها ولا تفريط، ولا طغيان ولا خسران وهي التي يشير إليها قول الله تعالى: ﴿ **أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ، وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ**﴾[١٨٢]

---

(182) سورة الرحمن، الآيتان (٨-٩)

الفصل الأول
الغزو الفكري على العالم الإسلامي

المبحث الأول: مفهـوم الغـزو الفكـري ونشأته

المبحث الثاني: علاقة الغزو الفكري بالحركات الهدامة

المبحث الثالث: أهداف الغزو الفكـري ومخاطـره

المبحث الرابع: وسـائل الغــزو الفكــري

المبحث الخامس: رواد الغـزو الفكـري

المبحث الأول

مفهوم الغزو الفكري ونشأته

المطلب الأول: مفهوم الغزو الفكري:

الغزو الفكري له عدة تعريفات ذكرها العلماء والباحثون:

أ- عرفه الشيخ عبد الرحمن حبنكة الميداني، فقال: "الغزو الفكري عنوان أطلق في الثلث الأخير من القرن الرابع عشر الهجري، الموافق للثلث الثالث من القرن العشرين الميلادي، على المخططات والأعمال الفكرية والتثقيفية، والتدريبية، والتربوية والتوجيهية، وسائر وسائل التأثير النفسي والخُلقي، والتوجه السلوكي الفردي والاجتماعي، التي تقوم بها المنظمات والمؤسسات الدولية والشعبية من أعداء الإسلام والمسلمين، بغية تحويل المسلمين عن دينهم تحويلاً كلياً أو جزئياً، وتجزئتهم، وتمزيق وحدتهم، وتقطيع روابطهم الاجتماعية، وإضعاف قوتهم لاستعمارهم فكرياً ونفسياً، ثم استعمارهم سياسياً وعسكرياً واقتصادياً، استعماراً مباشراً أو غير مباشر" (١٨٣).

والملاحظ أن هذا التعريف يشمل وسائل الغزو الفكري وأهدافه، وزمان نشأته.

ب- وذكر الأستاذ محمد قطب تعريفاً ركز فيه على الهدف الأساس من الغزو الفكري الصليبي فقال: "يقصد بالغزو الفكري: الوسائل غير العسكرية التي اتخذها الغزو الصليبي لإزالة مظاهر الحياة الإسلامية، وصرف المسلمين عن التمسك بالإسلام، مما يتعلق بالعقيدة، وما يتصل بها من أفكار وتقاليد وأنماط سلوك" (١٨٤).

ج- وعرفه الدكتور توفيق الواعي تعريفاً عاماً، لم يحدد فيه أصحاب الغزو الفكري بل ذكر هدفهم الرئيس وهو تدمير الأمة المسلمة، والقيم والأخلاق ونهب ثروة الأمة، فقال: "ومصطلح الغزو الفكري قصد به، إغارة الأعداء على أمة من الأمم بأسلحة معينة وأساليب مختلفة، لتدمير قواها الداخلية، وعزائمها ومقوماتها، وانتهاب كل ما تملك" (١٨٥).

د- وعرفه الدكتور صالح الرقب تعريفاً دقيقاً فقال: "المراد بالغزو الفكري تغيير أحوال المسلمين السياسية والثقافية والاجتماعية والاقتصادية عن طريق استعمار القلوب

---

(183) أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها، عبد الرحمن حبنكة الميداني، دار القلم، دمشق، بيروت، طـ٧، ١٤١٤هـ، ١٩٩٤م ص٢٥.

(184) واقعنا المعاصر، محمد قطب، مؤسسة المدينة، طـ١، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٦م جدة، ص١٩٥.

(185) الحضارة الإسلامية مقارنة بالحضارة الغربية، د. توفيق يوسف الراعي، دار الوفاء، المنصورة، ط١، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م ص٦٨٠.

والعقول، وتبديل الأفكار والقيم والعقائد، فيصبح المغزو فكرياً خاضعاً بشكل تام لقادة الغزو وجنوده"[186] فأضاف فيه شيئاً مهماً وهو آثار الغزو الفكري، حيث أن المغزو فكرياً مسلوب الإرادة، ومنهزم نفسياً، فيصبح خاضعاً بشكل تام لقادته الغازين من أعداء الإسلام فيطيعهم طاعة عمياء ويقلدهم عن حب ولأنهم في اقتناع، ولا يحاول التخلص منهم لأنهم في نظره ليسو بأعداء بل هم أصحاب الرقي والتقدم والحضارة.

يتبين من التعريفات السابقة:

ــ أن الغزو الفكري مخطط جديد حصل في استراتيجية أعداء الإسلام من الصليبيين واليهود ونحوهم من المستعمرين، جعلهم يستبدلون استعمار الأراضي باستعمار القلوب والعقول، فإذا تم لهم ذلك يصبح من السهل عليهم بعد ذلك فرض سيطرتهم السياسية والعسكرية والاقتصادية.

إن مخطط السيطرة على المسلمين لتصفية العقول والأفهام، لتكون خاضعة وتابعة للغازي، أشد وأقسى من الغزو العسكري، لأن الغزو العسكري يأتي للقهر، وتحقيق أهداف استعمارية مادية دون رغبة الشعوب المستعمرة، فتهب للدفاع ومقاومة هذا الاستعمار، أما الأمة التي تهزم فكرياً ونفسياً فهي تسير إلى غازيها طائعة لا تحاول التمرد أو الخلاص.

ــ وقد استعيرت كلمة الغزو للفكر، لما بينها وبين الغزو العسكري من علاقة في نهب خيرات الشعوب، وتدميرها والسيطرة عليها، ولكن عن طريق الفكر، وتحطيم القوى المفكرة فيها، وهذا يؤثر في الأمم والمجتمعات أكثر مما يؤثر المدفع والصاروخ والطائرة [187].

وجدير بالذكر أنه ظهرت مصطلحات فكرية مشابهة لمصطلح الغزو الفكري يقصد بها ما يقصد به الغزو الفكري، ويراد منها ما يراد منه، إلا أنها تختلف أحياناً في الأساليب والمخططات والأزمان ولكن الأهداف واحدة منها:

١ - **(الحرب الباردة)**: وسميت بذلك لأنها تحتاج إلى زمن أطول من الحرب العسكرية، لأن فيها تأثيراً على الأعصاب وضغطاً على التفكير فلا تقتصر على وقت القتال،

---

(186) حاضر العالم الإسلامي والغزو الفكري، د. صالح حسين الرقب، مطبعة الرنتيسي، غزة، فلسطين، طـ١، ١٤١٨هـ، ١٩٩٨م، ص٣٢.

(187) انظر: الحضارة الإسلامية مقارنة بالحضارة الغربية، ص٦٨٠-٦٨١، والغزو الفكري في التصور الإسلامي، د. أحمد عبد الرحيم السايح، هدية مجلة الأزهر المجانية، جمادى الآولى ١٤١٤هـ، ص٥- ١٥.

بل أصبحت تستخدم في وقت السلم والصلح، وأوقات النزاع المسلح، والمفاوضات الدبلوماسية، وفي أوقات التحفز[188].

٢ - **(الحرب النفسية)**: "وهي استخدام مخطط من جانب دولة أو مجموعة من الدول، للدعاية وغيرها من الإجراءات الإعلامية، الموجهة إلى جماعات عدائية أو محايدة أو صديقة، للتأثير عليها وعلى آرائها، وعواطفها، ومواقفها وسلوكها، بطريق تعين على تحقيق سياسة وأهداف الدولة المستخدمة" [189].

فالحرب النفسية تنصب بالدرجة الأولى على فكر الإنسان وعقله، وقواه المدركة، لتدميرها بأساليب مختلفة مثل الإثارة، والتخويف، والإرهاب، والترغيب والتشكيل وغيرها وهي تشترك مع الغزو الفكري في التأثير على العدو، وتدميره ونهبه، ولكن عمل الحرب النفسية في وقت النزاع المسلح يكون أكثر وألزم منه في وقت السلم على خلاف الغزو الفكري.

وقد تستعمل الحرب النفسية للتخويف والإرهاب، بخلاف الغزو الفكري الذي يكون بالدهاء والمكر واستعمال الحيل العقلية والثقافية والدعائية التي تؤثر في الناس وتغرر بهم وتجعلهم يميلون إليها ويأنسون بها.

٣ - **غسيل المخ**: ويراد به "إزالة ما في المخ والعقل، وتفريغه من كل ما يحتويه من أفكار ورغبات أو آراء ومعتقدات"، وقد يصاحب هذا قتل للعقل وتعطيل للإدراك؛ لأن عملية غسيل المخ توجد خضوعاً لا إرادياً وقهراً للناس، تسلبهم إنسانيتهم بطرق شتى، وضغوط معينة، يستحيل معها المحافظة على أي توازن أو إرادة أو تفكيرٍ ولهذا عرفوه بقولهم: "هو محاولات تستخدم لتوجيه الفكر الإنساني أو العمل الإنساني، ضد رغبة الفرد الحر، أو ضد إرادته وعقله".

وغسيل المخ يعتمد على القهر، وعلى التعذيب، والتصفية الجسدية في بعض الحالات للإرهاب وعلى قتل الفكر، وإجهاض العقل إجهاضاً مباشراً، ويستعمل هذا على الأسير أو الحبيس أو ما في حكمه، وهذا يخالف أساليب الغزو الفكري، ولكن الأهداف متقاربة" [190].

---

(188) انظر: الحضارة الغربية مقارنة بالحضارة الإسلامية،ص٦٨٢، عن الحرب النفسية، صلاح نصر، ٩٢/١.

(189) المصدر السابق، ص٦٨١، ٦٨٢، عن غسيل الدماغ، فخري الدباغ، ص١٣.

(190) انظر: نفس المصدر السابق، ص٦٨٢-٦٨٤.

المطلب الثاني- نشأة الغزو الفكري:

أولاً: الغزو الفكري والقرآن الكريم

تتضح لنا صورة الغزو الفكري من خلال مفهومه الاصطلاحي أنه مخطط جديد، ومصطلح حديث لم يطلق إلا في القرن العشرين، لكن هو مع حداثة اسمه قديم المدلول والمعنى، حيث ذكر معناه في القرآن الكريم، وأشارت كثير من الآيات إلى وسائله وأساليبه، ومن الشواهد القرآنية التي تؤكد ذلك:

١- قوله تعالى: **﴿وَلا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا﴾**[١٩١]، بيّن الله سبحانه وتعالى في هذه الآية قاعدة أبدية، حددت طبيعة الصراع الأبدي بين الكفار وأتباع الدين الحق (الإسلام)، والقتال هنا جاء بلفظٍ عام والمراد به ما وقع فعلاً من الوسائل والأساليب الحربية وغير الحربية وغيرها ومنها الغزو الفكري.

٢- وصف القرآن الكريم هذا اللون من الغزو بصفات الأساليب الخسيسة وأطلق عليه أسماء: زخرف القول، والغرور، والخبال، والفتنة، والسفه، فقال عز وجل: **﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّاً شَيَاطِينَ الإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُوراً﴾**[١٩٢]، وقال: **﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلاَّهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا﴾**[١٩٣].

وقال تعالى: **﴿لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلاَّ خَبَالاً وَلأَوْضَعُوا خِلالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ، لَقَدِ ابْتَغَوُا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ وَقَلَّبُوا لَكَ الأُمُورُ حَتَّى جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَارِهُونَ﴾**[١٩٤].

تصف هاتان الآيتان الكريمتان الحرب الفكرية التي أشعلها المنافقون في غزوة تبوك، وقبلها من نشر الإشاعات الكاذبة والعمل على تفريق المؤمنين.

٣- بين الله سبحانه وتعالى أن أسلوب الغزو الفكري أشد فتكاً من فتك السيف والقتل[١٩٥] بقوله تعالى: **﴿وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ﴾**[١٩٦].

---

(191) سورة البقرة، الآية (٢١٧).

(192) سورة الأنعام، الآية (١١٢).

(193) سورة البقرة، الآية (١٤٢).

(194) سورة التوبة، الآية (٤٧، ٤٨).

(195) انظر: الأمة الإسلامية وقضاياها المعاصرة، عبد الوهاب بن أحمد عبد الواسع، الطبعة الأم، مكتبة العبيكان ، الرياض، السعودية، ص٥٠.

(196) سورة البقرة، الآية (٢١٧).

ثانياً: تاريخ الغزو الفكري:

بدأ ظهور الغزو الفكري للعالم الإسلامي منذ بزوغ فجر الإسلام، وكان وراء هذا الغزو الماكر الأيدي اليهودية الحاقدة، فوجهوا سهام مكرهم للمؤمنين بالله تعالى كونهم أصحاب عقيدة راسخة لا اعوجاج فيها ولا تبديل ولا تحريف، فكيف يهدأ لهم بال وهم يرون الناس يدخلون في دين الله أفواجاً ورقعة الإسلام تتسع، ونوره ينتشر في كل مكان، لذا فكر اليهود بأسلوب آخر وهو الاستيلاء على العقول والقلوب حتى تنحرف عن الصراط المستقيم.

ويشهد تاريخ الإسلام بمكايد اليهود في المدينة المنورة من أجل التحريف في الإسلام، ولصد المشركين عن الدخول في الإسلام، وللتأثير على المسلمين الجدد وتشجيعهم على الارتداد عن دين الإسلام واستخدموا وسيلة النفاق ضمن وسائلهم الكثيرة، خدعوا به بعض أبناء المدينة، ممن اندسوا بين صفوف المسلمين، مدّعين الإسلام، لكنهم في حقيقتهم كفارٌ حسدٌ للمؤمنين، ولكن الله عز وجل حمى دينه ورسوله ﷺ والمسلمين من مكايدهم، مدة عصر الرسول صلى الله عليه وسلم ومدة خلافة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، وكان اغتيال عمر وعثمان رضي الله عنهما نتيجة المكر اليهودي، واستمرت مكايدهم عبر تاريخ الإسلام، ولم تنته حتى عصرنا هذا، فمن مكايد الغزو الفكري التي ظهرت في التاريخ الإسلامي.

١- عمل اليهود على إحراج النبي صلى الله عليه وسلم وتعجيزه، حيث شرعوا بإمداد مشركي قريش بالأسئلة المختلفة لتعجيزه وإحراجه، ومثال ذلك عندما طلبوا من المشركين أن يسألوا رسول الله ﷺ عن ثلاثة أشياء عن الروح، ورجل طاف مشارق الأرض ومغاربها، وعن أهل الكهف فانقطع الوحي عن رسول الله ﷺ في هذه الفترة، فاشتعلت الأقاويل، والتشنيع على رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أنزل الله في ذلك قرآناً.

٢- مؤامرات المنافق اليهودي الماكر (عبدالله بن سبأ) حيث كان سبباً في تفريق المسلمين وانقسامهم إلى فرق كثيرة، حيث ظهرت فرق الشيعة الغلاة، والخوارج والمرجئة وغيرهم، وأشنعهم من الشيعة الذين ألّهوا علياً رضي الله عنه.

٣- مؤامرات المنافق اليهودي (ميمون القداح) التي نجم عنها ظهور فرق الباطنية على اختلاف نزعاتها، وكان لعصاباتهم دور كبير في الكيد والمكر للإسلام والمسلمين، واكتوى المسلمون بنار كيد عصاباتهم قروناً طويلة.

٤- مكايد يهود الدونمة ضد الخلافة العثمانية الإسلامية، وضد المسلمين عامة.

٥- مؤسسو الشيوعية في العالم الإسلامي، وناشرو المذاهب الفكرية المعاصرة الرامية إلى هدم الدين والأخلاق والشرائع والنظم الاجتماعية الحسنة[١٩٧].

٦- التقاء الفكر المجوسي مع الفكر اليهودي منذ القرن الأول الهجري، ولكن مع ظهور الإسلام وانتشاره ضعف مكر المجوس، ولم يبق منه إلا مسائل فكرية مدسوسة، حملها أصحاب الأهواء من الفرق المنحرفة التي تنتمي إلى الإسلام.

٧- كـــان للنصارى دورهم في الغزو الفكري منذ ظهور الإسلام، حيث اتخذوا الموقف المعادي للمسلميـــن، ولم يكن له أثـــر قـــوى إلا عندما قامت الحرب الصليبية، وباءت بالفشل، وبدأ مفكروهم يخططـــون لتنصـــير العالم الإسلامي، أو صرفه عن الإسلام ليبقى بلا دين أو أخلاق.

٨- اتسعت دوائر الغزو الفكري اليهودي والنصراني، فظهرت الحملات التبشيرية والاستشراقية، والتغريب، مرافقة للتحركات الاستعمارية العسكرية التي قامت بها الدول النصرانية ضد العالم الإسلامي، بدءً بالحملة الفرنسية، وأخذت وسائل هذا الغزو تتنامى وتتكامل، ويجري عليها التعديلات والتبديلات مع استخدام الوسائل الحديثة، حتى نضجت في القرن الرابع عشر الهجري، الموافق للقرن العشرين الميلادي[١٩٨].

وفيما يلي الأسباب التي أدت إلى سرعة انتشار الغزو الفكري في العالم الإسلامي:

ثالثاً : أسباب الغزو الفكري:

السبب الأول: العداء الصليبي للإسلام والمسلمين:

ويرجع أثر هذه العداوة إلى الحروب الصليبية، ويذكر المؤرخون أن الجيوش الأوربية الصليبية لما هاجمت بلاد الإسلام كانت مدفوعة بدافعين:

١- **الدافع الديني:** دافع الدين والعصبية العمياء التي أثارها رجال الكنيسة في شعوب أوروبا، فافتروا على المسلمين أبشع الافتراءات، وحرّضوا النصارى على تخليص مهد المسيح من أيدي الكفار، (المسلمين) فهم يريدون انتزاع القدس من أيدي المسلمين، ليقيموا عليها دولة مسيحية في قلب العالم الإسلامي، فكانت جمهرة المقاتلين من جيوش الصليبيين الذين أخرجتهم العصبية الدينية من ديارهم عن حسن نية وقوة عقيدة، لكنهم لاقوا الموت والقتل والتشريد حملة بعد حملة وجيشاً بعد جيش.

---

(197) انظر: أجنحة المكر الثلاثة، الميداني، ص٢٧-٢٨.

(198) المصدر السابق، ص٢٧-٢٨.

٢- **الدافع السياسي الاستعماري**: حيث شُنَّتْ ثماني حملات صليبية على الشرق الإسلامي رغبةً في الاستعمار والفتح، واستغلال خيرات بلاد المسلمين، وامتلاك منابع الثروة الطبيعية في أوطانهم(١٩٩).

"وكان شعار الحروب الصليبية "اتجهوا إلى بلاد المسلمين حيث تتدفق الأرض عسلاً ولبناً "أو" لنتجه شرقاً حيث كنوز الذهب والفضة، وخيرات القمح والفاكهة"، أما (بيت المقدس) و (كنيسة القيامة) فكل هذه رموز وأستار، وشعارات وعباءات اختفت تحتها الأطماع"(٢٠٠).

ويذكر التاريخ أن الحملة الصليبية الأولى عند دخولها بيت المقدس في الخامس عشر من يوليو سنة ألف وتسعٌ وتسعين، الموافق الثالث من رمضان عام أربعمائة وثلاث وتسعين، قد ذبحت أكثر من سبعين ألف مسلم، حتى سبحت الخيل إلى صدورها في الدماء، وفي أنطاكية قتلوا أكثر من مائة ألف مسلم(٢٠١).

وقد صمدت الأمة الإسلامية في وجه هذه الحروب الوحشية التي سلبت، ونهبت الخيرات وسفكت الدماء، حيث أيقظت الإيمان في قلوب المسلمين وأثارت في نفوسهم الحمية الدينية، فأبوا إلا أن يعيشوا حياة كريمة عزيزة أو يموتوا شرفاء في سبيل الله، فحقق الله أمانيهم بالنصر، وارتدت الحروب الصليبية وباءت حملاتهم بالفشل، وكانت هزيمتهم الساحقة في الحروب الصليبية الأولى مع المسلمين في القرنين الخامس والسادس الهجري، هي الدافع لاستخدام الغزو الفكري في حروبهم الجديدة ضد الإسلام والمسلمين، حيث وقع ملك فرنسا (لويس التاسع) في الأسر بعد هزيمة حَمْلته الصليبية الثامنة سنة ١٠٩٧م، وبقي سجيناً في المنصورة بالقاهرة فترة من الوقت، أخذ وقتها يفكر فيما حل به وبقومه، ثم عاد بعد فك أسره إلى فرنسا يقول لقومه: "إذا أردتم أن تهزموا المسلمين فلا تقاتلوهم بالسلاح وحده فقد هزمتم أمامهم في معركة السلاح ولكن حاربوهم في عقيدتهم فهي مكمن القوة فيهم" (٢٠٢).

فأيقن الصليبيون أن قوة الحديد والنار لا تجدي نفعاً مع المسلمين الذين يملكون عقيدةً راسخة، تدفعهم إلى الجهاد، وتحضهم على التضحية بالنفس، لذا أوصى لويس التاسع أتباعه أن يعملوا على تغيير فكر المسلمين، والتشكيك في عقيدتهم وشريعتهم، وذلك بعد دراستهم للإسلام لهذا الغرض، وفعلاً بدأت حركة الغزو الفكري من منطلق ضرب المسلمين عن طريق الكلمة، وقد أعلنوا أن الإسلام هو عدوهم الأول وأن أكبر غاية لهم هي هدم قواعده وتقويض مبادئه، فأخذوا مستميتين يوزعون السموم في كل مكان، ويختلقون الأكاذيب،

---

(199) انظر: الغزو الفكري في التصور الإسلامي، ص١٧-٢٠.

(200) انظر: وسائل مقاومة الغزو الفكري للعالم الإسلامي، د. حسان محمد حسان، مكة المكرمة، الأمانة العامة لرابطة العالم الإسلامي، ١٩٨١م، ص٢٤.

(201) انظر: الغزو الفكري في التصور الإسلامي، ص١٩-٢٠.

(202) واقعنا المعاصر، محمد قطب، ص١٩٦.

ويطمسون الحقائق، ويدبرون المكائد، ويتصيدون السقطات، ويثيرون الشكوك والشبهات، ثم يظهرون أمام غيرهم من بني جلدتهم أنهم أرقى عنصراً وأنهم أوصياء على البشرية(٢٠٣).

ومن أقوالهم التي تؤكد حقدهم وعداءهم للإسلام، قول: (وليم جيفور بلغرايف)(٢٠٤) الإنجليزي: "متى توارى القرآن، ومدينة مكة عن بلاد العرب يمكننا أن نرى العربي يندرج في سبيل الحضارة، التي لم يبعده عنها إلا محمد وكتابه" (٢٠٥).

وقال جلادستون رئيس وزراء بريطانيا وهــو يمسك بنسخة من القرآن الكريم: "ما دام هذا القرآن موجوداً فلن تستطيع أوروبا السيطرة على الشرق، ولا أن تكون هي نفسها فــي أمان"(٢٠٦). ويرى غاردنر الأوروبي: "أن القوة التي تكمن في الإسلام هي التي تخيف أوروبا"(٢٠٧).

هذا الحقد والضغن والمقت كان سبباً قوياً في الإغارة على المسلمين، وسلوك الغزو الفكري، فوضعوا الخطط، وحاكوا المؤامرات للإغارة على الأفكار، والمفاهيم الإسلامية، وعلى كل ما له صلة بالإسلام حضارة وثقافة، وصارت قاعدتهم التي ارتكزوا عليها: "إذا أرهبك عدوك فأفسد فكره، ينتحر به ومن ثم تستعبده" (٢٠٨).

السبب الثاني: الاستعمار الغربي للمجتمعات الإسلامية:

لقد تعرض المجتمع الإسلامي في آسيا وأفريقيا للغزو الأوروبي، وبدايةً قبل الاستعمار كانوا يتربصون بالمجتمعات الإسلامية للانقضاض عليها من كل جانب، وكان الأمر سهلاً بالنسبة لهم لأنهم وجدوا الاستسلام والضعف من قبل المجتمعات الإسلامية.

وبعد قرنين ونصف، أي منذ بداية القرن السابع العشر الميلادي إلى النصف الثاني من القرن التاسع عشر، تمكن الاستعمار الغربي الصليبي من السيطرة التامة على المسلمين في وسط آسيا وشرقها، واتخذ له نقطة ارتكاز رئيسة في أفريقيا، كما تمكن من مد نفوذه إلى

---

(203) انظر: واقعنا المعاصر، ص١٩٦، والغزو الفكري في التصور الإسلامي، ص٢٠-٢١.

(204) وهو مبشر بروتستانتي دعته أطماعه الخاصة إلى أن ينقلب راهباً يسوعياً ويجادل البروتستانت قوة ولما استغنى عن اليسوعيين عاد بروتستانتياً حتى أنه سمي بالحرباء، انظر: التبشير والاستعمار، د.مصطفى الخالدي، ود. عمر فروخ، شركة علاء الدين، بيروت، ط٤، ١٣٩٠، ١٩٧٠م، ص٣٥.

(205) أجنحة المكر الثلاثة، ص٦٩.

(206) دمروا الإسلام أبيدوا أهله، جلال العالم، المختار الإسلامي- القاهرة، ط٣، ١٣٩٧هـ، ١٩٧٧م، ص٣٣.

(207) التبشير والاستعمار، ص٣٦.

(208) أجنحة المكر الثلاثة، ص٣٤٠.

قلب العالم الإسلامي، ومركزه الرسمي في منطقة الشرق الإسلامي، وبذلك طوّق العالم الإسلامي من الشرق والغرب، وسلّط الاستعمار ألاعيبه ودسائسه على بقية المجتمعات الإسلامية، مما أدى إلى إضعافها، وتفكيك روابطها، حتى سقطت وأصبحت تحت نفوذ المستعمر الغربي، وما أن انتهت الحرب العالمية الأولى حتى أصبح العالم الإسلامي كله تحت سيطرتهم إما بالاحتلال المباشر أو المعاهدات والاتفاقيات المفروضة، أو الحماية أو الانتداب أو الوصاية.

تنحصر وسائل الاستعمار لإضعاف المسلمين في إسلامهم في توجيه الفكر الإسلامي، وقد برز هذا التوجيه في صورتين:

١- قيام بعض المفكرين من أبناء الإسلام، ممن تربوا على موائد الغرب الفكرية، بإحداث فتنة فكرية تهدف إلى تقرير سلطة المستعمر، وتثبيت ولايته على المسلمين، فلا يجد المستعمر من يعارضه أو يتحداه، واعتمدوا في تنفيذ ذلك على تأويل خبيث لبعض آيات القرآن الكريم، ففسروها تفسيراً يرضي نزعاتهم وعقولهم، وفي نفس الوقت تناسب ما هدف إليه المستعمر.

٢- قيام بعض الغربيين النصارى بإبراز الخلافات المذهبية، وعمل فجوات بين طوائف المسلمين وشعوبهم، وتشويه صورة الإسلام، وتحسين صورة المجتمعات الغربية، وذلك بتمجيد القيم المسيحية، والحضارة الغربية، والنظام السياسي، والسلوك الفردي للشعوب الغربية [٢٠٩].

واستطاع الاستعمار الغربي السيطرة اقتصادياً على العالم الإسلامي، حيث إن وجودهم في بلاد المسلمين زاد من اتساع السوق الاستهلاكية لمنتجات الغرب الصناعية، وزاد من سيطرتهم على الموارد المالية والموارد الأولية لصناعاته، وهذا أدى إلى تفوق الصناعة الغربية مما أدى إلى اتساع نفوذ المستعمر، وزيادة قبضته على ما تم استعماره، وبالمقابل زاد ضعف المجتمع الإسلامي الذي وقع فريسة هذا الاستعمار، وزادت تبعيته لما يأتي من الغرب، واستطاع هذا الاستعمار أن يعزل المجتمع المسلم عن ماضيه كليةً، وعن تراثه الفكري والروحي والسلوكي، فإذا ما تم عزله أصبحت قيادته ميسرة، وطوع أمر المستعمر، وخاصةً الأجيال التي تنشأ في ظل هذه العزلة[٢١٠].

---

(209) انظر: الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي، د. محمد البهي، دار الفكر، بيروت، ط٦، ١٩٧٣م، ص٣٠-٣٥-٣٦، والغزو الفكري في التصور الإسلامي، ص٢٨، ووسائل مقاومة الغزو الفكري للعالم الإسلامي، د. حسان محمد حسان، ص٣٦.

(210) انظر: الغزو الفكري في التصور الإسلامي، ص٢٨-٢٩.

السبب الثالث: تقدم الغرب العلمي:

لقد كان الغرب يملك تقدماً علمياً ومادياً، وعبقرية تنظيمية مبدعة، وروحاً من الجلد والصبر على العمل والإنتاج، وروحاً عمليـــة في مواجهة المشكلات سواء من ناحية الدراسة أو من ناحية التنفيذ، وكان كل هذا لازماً لزوماً شديداً للمسلمين، لتخلفهم الشديد في تلك الميادين كلها، بعد أن كانوا أصحاب قدم ثابتة فيها، وقت أن كانوا على جادة الإسلام، وكانوا هم أصحاب الحضارة العريقة وأصحاب الرقعة الواسعة، والثقافة الأصيلة، والقوة الكبرى التي يخشى جانبها.

وكان عند الغرب قدر هائل من الفساد الروحي والفكري والخلقي، لا ينبغي لعاقل أن يأخذه، فضلاً عن أن يأخذه مسلم، وكان عندهم كذلك نظم اقتصادية وسياسية واجتماعية يختلط فيها الفاسد والصالح، النافع والضار، فما كان من المسلمين إلا أن أخذوا الفاسد والضار، فسارعوا إليه واستوعبوه كله، وعبُّوا منه عباً كأنما هو "الزاد" وأما النظم والقوانين فقد سعوا إلى استيرادها وتقليدها ضاربين عرض الحائط بما أنزل الله سبحانه وتعالى، من التشريعات، وأما الأشياء النافعة فقد اتجهوا إليها ولكن بجهد متقاعس متخاذل متعثر الخطوات[٢١١].

لقد ظنوا في غفلتهم أن الحضارة الغربية كتلة واحدة، وحسبة واحدة، إما أن تؤخذ كلها وإلا لا فائدة من أخذ بعضها وترك بعضها الآخر، كما أوهمهم بذلك دعاة الغزو الفكري، هدفهم في ذلك أن ينسلخ المسلمون انسلاخاً كاملاً عن كل مقومات دينهم، فلن يبقى لهم من شخصيتهم المتميزة شيء، ولن يبقى لهم من القدرة على المقاومة شيء، ومن ثَم يتم إخضاعهم، وفعلاً تحقق لهم ما يبغون، فذهب كثير من أبناء المسلمين إلى تلك البلاد ليأخذوا من علمها وحضارتها وفنها وتأثروا بها ومبعث هذا التأثير كان له أسباب عدة:

١- دهشتهم وانبهارهم بالتقدم العلمي الكبير في تلك الأقطار.

٢- حال المسلمين وما وصلوا إليه من تخلف علمي ومادي.

٣- عدم استيعابهم استيعاباً كاملاً للثقافة الإسلامية.

٤- حب التقليد بغير فكر ورويّة.

وأصبحت المجتمعات الإسلامية تمجد الحضارة الأوروبية والتقدم العلمي والصناعي، واستطاع الغرب أن ينقل الإنتاج المادي إلى المجتمعات الإسلامية في أفريقيا وآسيا لاستخدامه

---

(211) انظـــر: واقعنا المعاصـــر، ص٣٤٣-٣٤٤، وانظـــر: الحضارة الإسلامية، مقارنة بالحضارة الغربية، ص٦٨٦.

في تيسير الحياة، والتغلب على صعوبات المشاق التي تصحب عادةً الحياة الإنسانية المتخلفة، أو البدائية، وذلك ليكون شواهد مادية، ترى وتختبر في التطبيق وفي واقع الحياة[٢١٢].

السبب الرابع: الضعف الفكري والتفكك الاجتماعي:

نتيجة لما سبق أُصيب المجتمع الإسلامي بالضعف الفكري، والتفكك الاجتماعي حيث نجد أن المجتمعات الإسلامية ابتليت بطوائف متعددة ومتناحرة، ومذاهب متعصبة، وتعدد السلطنات والدويلات التي قامت على أساس شعوبي أو مذهبي، وهذا كله جرّ المجتمع الإسلامي إلى فوضى قاتلة، وتناحر حقيقي، وسلب ونهب وقتل، دون وازع أو رادع وهذا ما يبغيه الغرب المتربص بالمسلمين الدوائر، وأساس انهيار الأمم يأتي من الداخل، وقد يأتي تدخل خارجي ليعجل بالسقوط. ويأتي الانهيار الداخلي حين تتكون طبقة مترفة تتحكم في الثروة وتتسلط على الناس، فينتشر الظلم، والانحلال، مما يؤدي إلى تأخر الأمة الإسلامية وغفلتها، وطمع الطامعين في مجتمعاتها وهذا كان سبباً في سقوطها ونيل الأعداء منها[٢١٣].

السبب الخامس: تخلف الشعوب الإسلامية عن ركب الحضارة:

إن المجتمعات الإسلامية عندما أصيبت بضعفها الفكري والتفكك الاجتماعي، انشغلت بالتافه من الأمور، فقادتها التفاهة إلى التخلف عن ركب العلم والتقدم والحضارة، وذلك لأنها انصرفت عن تعاليم الإسلام التي تدعو إلى العلم والمعرفة، واستعمال العقل والفكر، فانحرفت وصاحب هذا الانحراف انحطاط في القيم، ودعوات إلى الركون إلى المتع والعبث بالأموال، إلى حد السفه والجنون، والترف والفجور.

هذا التخلف أضعف الثقة بالنفس، وأوقف عجلة التقدم والانطلاق في الشعوب الإسلامية، وجعلها تعتمد في كل شيء على غيرها، وأن الفساد الخلقي والتحلل الديني اكتسح العالم الإسلامي بحيث أصبح هو السمة البارزة فيه، ولذا كان هذا التخلف عاملاً من عوامل الغزو الفكري الذي اجتاح العالم الإسلامي[٢١٤].

---

(212) انظر: واقعنا المعاصر، محمد قطب، ص٣٤٣-٣٤٥، والحضارة الإسلامية مقارنة بالحضارة الغربية، ص٦٨٦، والغزو الفكري في التصور الإسلامي، ص٣١.

(213) انظر: الغزو الفكري في التصور الإسلامي، ص٣١-٣٣، نقلاً عن تراثنا الفكري في ميزان الشرع والعقل، دار الشروق، بيروت، ص١١٠.

(214) المصدر السابق، وانظر: واقعنا المعاصر، ص٣٤٧-٣٤٨.

السبب السادس: الفراغ العقدي:

العقيدة هي الأساس العميق الذي ترتكز إليه الوحدة السياسية للأمة، لتكون حياتهم مستقرة، مطمئنة، لها جذور فكرية تثبتها، وهذه الجذور ربانية المصدر.

لذا إذا تركت الأمم عقائدها وتخلفت عن غذائها الروحي، وعن عمقها الإيماني، فإنها تصبح فريسة سهلة للأعداء، وهذا ما حدث في مجتمعاتنا الإسلامية، حيث انطلقت في سبيل الشهوات والملذات، ودب فيها داء التنازع والاختلاف، وتركت تعاليم الإسلام التي تدعو إلى طلب العلم والتفكير، والإبداع المادي، ولم تحسن استغلال التقدم العلمي، والرّقي المادي الغربي، فانغمست في حياة الترف واللهو.

ولقد وقع التمكين في الأرض لأوروبا رغم فسادها وظهرت فيها سنن الله سبحانه وتعالى التي يجريها في عباده حيث قال: **﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ﴾**[٢١٥]، وقال سبحانه: **﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لا يُبْخَسُونَ ، أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ إِلاَّ النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾**[٢١٦]، وهكذا أصبحوا ممكنين في الأرض رغم فسادهم لا بسبب فسادهم، وإنما بالجهد الإيجابي الذي يبذلونه لتمكين أنفسهم، فيعطيهم الله ثمرته في الأرض إلى وقت محدد لا يعلمه إلا الله، حسب سنته، ثم يدمر عليهم بنيانهم في النهاية، لأنهم غير مستقيمين على طريقه.

فحاولوا أن يقنعوا الناس أن الإسلام عقيدة في القلب فحسب، ولا علاقة أن تتدخل العقيدة في سلوكه ومعاملاته، وحركته في الحياة، شعارهم في ذلك: ساعة لقلبك وساعة لربك، وهدفهم في ذلك أن يتلهى المسلمون ويضيّعوا أوقاتهم في مشاهدة السينما والفيديو، والرقص والأغاني، وما يسمونه بالفن، وإن كان هابطاً، ويريدون من المسلمين أن يمارسوا الكذب والغيبة والنميمة والفسق والدجل بحرية دون رقيب أو حسيب، وأن يقترفوا كل عمل سواء كان حلالاً أو حراماً، حتى لو كان فيه انتهاك للأعراض والحرمات.

وكل هذا لا يكون إلا بفراغ روحي، وهدم عقائدي، وغزو ثقافي منظم ومبرمج لإفساد الأمة الإسلامية[٢١٧].

---

(215) سورة الأنعام، الآية (٤٤).

(216) سورة هود، الآيتان (١٥-١٦).

(217) انظر: واقعنا المعاصر، ص٣٤٦-٣٤٧، والحضارة الإسلامية مقارنة بالحضارة الغربية، ص٧٠٢-٧٠٣.

المبحث الثاني

علاقة الغزو الفكري بالحركات الهدامة

لقد شهد العالم الإسلامي غزو مجموعة من التيارات الفكرية والحركات الهدامة عقولَ وقلوبَ كثير من أفراد الأمة الإسلامية، رغبةً في إبعادها عن دينها وتاريخها وحضارتها.

وقد استطاع الغزو الفكري أن يثبت أقدامه في قلب العالم الإسلامي، ونجح في تحقيق أهدافه، فتمكن من إقصاء الإسلام عن الحكم، وهدم حصون المسلمين من داخلها، وذلك بتبني النفوس الضعيفة والمريضة من أبنائه.

المطلب الأول: علاقة الغزو الفكري بالصهيونية(٢١٨):

تعتبر الصهيونية من أخطر المذاهب الدينية والفكرية والسياسية، والتي لها اليد الطولى في إفساد المجتمعات البشرية بشكل عام، والمجتمعات الإسلامية بشكل خاص. فاليهود إما أن يصطنعوا المذاهب الفكرية، أو تستغلها في حربها ضد الأديان. لقد لجأ اليهود إلى طرق ملتوية من الحيلة والمكر والدهاء، سعياً لتحقيق آمالهم وأهدافهم الشريرة، والتي أهمها السيطرة على العالم.

إن اليهود الصهاينة يدبرون لغزو المسلمين في عقيدتهم وأخلاقهم وهم في عقر دارهم، ويظهر ذلك من مخططاتهم وأساليبهم، وجمعياتهم السرية، ودراسة عقيدتهم المستمدة من كتبهم المحرفة، وبروتوكولاتهم التي تعتمد على تقويض أركان المجتمع، وبث عناصر الانحلال والفساد، وإشاعة الفوضى الاجتماعية.

يسمي اليهود أنفسهم شعب التوراة، أو شعب الله المختار، فيدّعون أنهم أبناء الله وأحباؤه، لا يتقبل العبادة إلا منهم، ونفوسهم مخلوقة من نفس الله، وعنصرهم من عنصره، وقد منحهم الله الصورة البشرية تكريماً لهم، أما غير اليهود فيسمونهم (الجوييم) أو الأمميين أي الكفرة الوثنيون، خلقوا من طينة شيطانية، والهدف من خلقهم خدمة اليهود ولم يمنحوا الصورة

---

(218) الصهيونية: حركة سياسية عنصرية متطرفة،ترمي إلى إقامة دولة لليهود في فلسطين تحكم من خلالها العالم كله، واشتقت الصهيونية من (جبل صهيون) في القدس، إذ ابتنى داوود قصره بعد انتقاله من حبرون (الخليل) إلى بيت المقدس في القرن العاشر قبل الميلاد وهذا الاسم يرمز إلى مملكة داوود وإعادة تشييد هيكل سليمان من جديد، بحيث تكون القدس عاصمة لها،مؤسسها هرتزل فهو الداعية الأول للفكر الصهيوني الحديث والمعاصر الذي تقوم على آرائه الحركة الصهيونية في العالم، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، د. مانع بن حماد الجهني، ١/ ٥١٨.

البشرية إلا بالتبعية لليهود، ليسهل التعامل بين الطائفتين إكراماً لليهود، فاليهود أصلاء في الإنسانية، والجوييم أتباع فيها.

وقد صورت توراة اليهود المحرفة إلهاً خاصاً ببني إسرائيل، لا يحب سواهم أما سائر الناس فأغنام، وأقل من أن يأبه بهم الرب، وزيفت موقف بني إسرائيل من إبراهيم وأبنائه، فميراث إبراهيم يستأثر به إسحق وحده دون أخيه الأكبر إسماعيل، بل ذرية إسماعيل يكونون عبيداً لإسحاق وذريته[٢١٩]. ومن ذلك قولهم: "تسكنون أنتم فيها إلا الكنعانيين، الميراث الأبدي لكم وليس للكنعانين، ملعون كنعان عبد العبيد لإخوته"[٢٢٠]

فمن هم اليهود الصهاينة الذين يعتبرون الأمميون عبيداً لها، وأنهم يستحقون القتل، ومن قتل يهودياً فقد قدم قرباناً للرب!!

اليهود كانوا قلة لا يدينون بالولاء لأية أمة، همهم الوحيد تحقيق مكاسب اقتصادية وسياسية، فهم كانوا صرّافي نقود، وتجاراً مرابين، ينظمون ويحتكرون التجارات الفاسدة من مخدرات ودعارة وخمور، وتهريب العطور والجواهر والبضائع، ويتعاملون بالربا مع غيرهم، هُجِّروا إلى أوروبا، وكان يحكمهم حاخاماتهم أو حكماؤهم الذين يخضعون لتوجيهات كبار المرابين اليهود، ولهم مراكز في كل مكان، حيث أنشأوا شبكات خفية تعمل بالسر، وهم وراء الثورات والحروب التي نشبت من عام١٧٨٩م وحتى يومنا هذا، واستطاعوا بأموالهم الربوية ودهائهم أن يسيطروا على الثروات والموارد الطبيعية، واليد العاملة في العالم. [٢٢١]

وتعد بروتوكولات حكماء صهيون[٢٢٢] عصارة الفكر العنصري اليهودي المستقي من التوراة والتلمود، حيث عقد أول مؤتمر لهم في مدينة بال في سويسرا عام١٨٩٧م برئاسة هرتزل، وكان يضم خمسين جمعية يهودية وثلاث مائة من أعتى حكماء صهيون، وقرروا فيه خططهم السرية لاستعباد العالم كله تحت تاج ملك من نسل داوود، وقرر المؤتمر تكوين منظمات صهيونية في البلاد التي يوجد بها عدد كاف من اليهود، وافتضح أمر هذه البروتوكولات التي حال الإعلام الاستعماري دون دخولها العالم الإسلامي حتى عام ١٩٤٨م، وهي تؤكد عقيدة

---

(219) انظر: اليهودية، أحمد شلبي، ص٢٧٥، والمخططات التلمودية الصهيونية اليهودية في غزو الفكر الإسلامي، أنور الجندي، ١٩٧٧م، ص ١٩-٢٠.

(220) سفر التكوين، الإصحاح ٩، ص٢٥.

(221) انظر: أحجار على رقعة الشطرنج، وليام كاري كار، الطبعة الأولى، سنة ١٣٩٥هـ، ١٩٧٠م، والطبعة العاشرة، سنة ١٤٠٨هـ-١٩٨٨، ص٤٨-٧.

(222) وهو أخطر كتاب ظهر في العالم يهدف إلى إفساد العالم، وبروتوكولات بمعنى محاضر جلسات وهي القرارات السرية لمؤتمر بال، انظر: اليهودية، احمد شلبي، ص ٢٧٣-٢٧٤. .

الاصطفاء الإلهي لليهود، وتنظر إلى غير اليهود نظرات الاحتقار والاستعلاء، وتصفهم بالأغنام كما في البروتوكول الحادي عشر "إن الأمميين (غير اليهود) كقطيع من الغنم، وإننا الذئاب، فهل تعلمون ما تفعل الغنم حينما تنفذ الذئاب إلى الحظيرة، إنها لتغمض عيونها عن كل شيء"(٢٢٣)

ووصف البروتوكول الثالث عشر غير اليهود بالخدم الأذلاء "إن الحاجة يومياً إلى الخبز ستكره الأمميين على الدوام إكراهاً على أن يقبضوا ألسنتهم ويظلوا خدمنا الأذلاء"(٢٢٤)

لذا يعتبر اليهود أن لهم الحق في معاملة غيرهم كالبهائم، فلهم أن يسرقوهم، ويغشوهم، ويكذبوا عليهم ويخدعوهم، ويغتصبوا أموالهم، ويهتكوا أعراضهم، ويرتكبوا معهم كل الموبقات(٢٢٥).

وقد ذكر القرآن الكريم من ذلك بقوله على لسانهم ﴿ **لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ** ﴾(٢٢٦)

وبناءً على هذه العقيدة يسعى اليهود من خلال هذه البروتوكولات لتحقيق أهداف خطيرة وهي:

١-الإفساد في ميادين الثقافة والعلم والفنون والتمثيل. جاء في البروتوكول التاسع: "قد تمكنا من تضليل الشبان من غير اليهود وإفسادهم خُلُقياً، وحملهم على البلادة عن طريق تعليمهم المبادئ التي نعتبرها نحن باطلة على الرغم من إيحائنا بها"(٢٢٧) وفي البروتوكول الثالث عشر: "ولكي نبعد الجماهير من الأمم غير اليهودية عن أن تكشف بأنفسها أي خط عمل جديد لنا، سنلهيها بأنواع شتى من الملاهي والألعاب ومزجيات الفراغ والمجامع العامة وهلم جرا" (٢٢٨)

٢- الإفساد في ميادين العلاقات والروابط الاجتماعية. يقول البروتوكول العاشر: "علينا أن ننهك كل إنسان بالمنازعات والعداوات والحزازات والحروب والمجاعة وانتشار الأوبئة، والعوز والفاقة، حتى يجد غير اليهود أن لا مناص لهم من مناشدتها العون المادي والسلطان".(٢٢٩)

---

(223) الخطر اليهودي، بروتوكولات حكماء صهيون، محمد خليفة التونسي، ط٢، ١٩٦١م، ص١٧٢، وبروتوكولات حكماء صهيون، إعداد: د.إبراهيم عبد الله، دار البشير، طنطا، ط١، ١٩٩٩م، ص٨١.

(224) الخطر اليهودي، ص١٨١، وبروتوكولات حكماء صهيون، د. إبراهيم عبد الله، ص٩١.

(225) اليهودية، أحمد شلبي، ص٢٧٢-٢٧٣.

(226) سورة آل عمران، الآية (٧٥).

(227) الخطر اليهودي، ص١٥٩، بروتوكولات حكماء صهيون، إعداد: إبراهيم عبد الله، ص ٦٦.

(228) الخطر اليهودي، ص١٨٣، وبروتوكولات حكماء صهيون، ص٩٣.

(229) الخطر اليهودي، ص١٦٩، وبروتوكولات حكماء صهيون، ص ٧٨.

ويقول البروتوكول الخامس "هذه السياسة ستساعدنا أيضاً في بذر الخلافات بين الهيئات، وفي تفكيك كل القوى المتجمعة، وفي تثبيط كل تفوق فردي، ربما يعوق أغراضنا بأي أسلوب من الأساليب" [٢٣٠]

٣- افتعال الأزمات الاقتصادية: وخطتهم في ذلك تعتمد على عنصرين:

الأول: احتكار العملة وسحبها من التداول وذلك بمختلف وسائل الاحتكار المصرفي العالمي، الأمر الذي يوقع الناس في ارتباك ناجم عن فقد السيولة النقدية.

الثاني: إيجاد أرباب العمل إلى طلب قروض من اليهود المحتكرين للذهب وغيره من العملات النقدية[٢٣١]. يقول البروتوكول العشرون "إن الأزمات الاقتصادية التي دبرناها بنجاح باهر في بلاد الجوييم قد أنجزت عن طريق سحب العملة من التداول، فتراكمت ثروات ضخمة، وسحب المال من الحكومة التي اضطرت بدورها إلى الاستنجاد بمالكي هذه الثروات لإصدار قروض"[٢٣٢]

٤- القضاء على الأديان. جاء في البروتوكول الرابع "يجب علينا أن ننتزع فكرة الله ذاتها من عقول غير اليهود، وأن نضع مكانها عمليات حسابية ورغبات مادية"[٢٣٣]. وفي البروتوكول الرابع عشر: "عندما نصبح أسياد الأرض لا نسمح بقيام دين غير ديننا، ومن أجل ذلك يجب علينا إزالة العقائد". [٢٣٤]

٥- إفساد الرأي العام، ومحاولة السيطرة على الصحافة والإعلام. يقول البروتوكول الخامس: "ولكي نطمئن إلى الرأي العام يجب أن نربكه تماماً فنسمعه من كل جانب، وبشتى الوسائل آراء متناقضة لدرجة يضل فيها غير اليهود الطريق" [٢٣٥]

٦- إشاعة الفتن بين شعوب العالم، وإشاعة الفوضى في كافة المجالات الحياة[٢٣٦].

من خلال ما سبق عرضه يتبين أن الصهاينة اليهود خططوا للغزو الفكري على العالم الإسلامي، ولكن عندما بدأوا بتنفيذ مخططاتهم بدأوا في أوروبا (العالم المسيحي) وذلك لأنهم

---

(230) الخطر اليهودي، ص١٤٧، وبروتوكولات حكماء صهيون، ص٥٣.

(231) أضواء على الثقافة الإسلامية، نادية العمري، مؤسسة الرسالة- بيروت، ط٥، ١٤١٤هـ، ١٩٩٤م، ص٢٠١-٢٠٣.

(232) الخطر اليهودي، ص ٢١٨، وبروتوكولات حكماء صهيون، ص١٣٢.

(233) نفس المصدر السابق، ص١٤١، وبروتوكولات حكماء صهيون، ص٤٦-٤٧.

(234) المصدر نفسه، ص١٨٤.

(235) نفس المصدر السابق، ص ١٤٦.

(236) أضواء على الثقافة الإسلامية، ص ٢٠٣-٢٠٦.

حاولوا في زمن الرسول صلى الله عليه وسلم بكل دهائهم ومكرهم، وبكل جبروتهم، وبكل تخطيطهم وتدبيرهم أن يقضوا على الإسلام، وعلى الدولة التي انبثقت عنه فلم يستطيعوا، وردّ الله تعالى كيدهم في نحورهم، وظل كيدهم ضد الإسلام محصوراً في استحداث فرق باطنية تتظاهر بالإسلام وهي بعيدة كل البعد عنه(٢٣٧).

وكان لليهود دور بارز في التشيع وظهور الفرق الباطنية على يد عبد الله بن سبأ اليهودي، وأثر عنه سعيه لزرع الفتنة.

لقد غلا عبد الله بن سبأ في علي رضي الله عنه، وزعم أنه كان نبياً ثم غلا فيه حتى زعم أنه إله، ودعا إلى ذلك قوماً من غلاة الكوفة ورُفِع خبرُهم إلى علي رضي الله عنه، فأمر بإحراق قوم منهم في حفرتين، ثم إن علياً رضي الله عنه خاف من إحراق الباقين منهم شماتة أهل الشام، وخاف اختلاف أصحابه عليه، ومن ثم أوقف الإمام علي إحراقهم، ونفي عبد الله بن سبأ مع أتباع له إلى ساباط في المدائن.

فلما قتل عليّ زعم أن المقتول لم يكن علياً، وإنما كان شيطاناً تصور للناس في صورة عليّ، وأن علياً صعد إلى السماء كما صعد إليها عيسى بن مريم عليه السلام، وأنه سينزل إلى الدنيا وينتقم من أعدائه. (٢٣٨)

زعم بعض الشيعة أن علياً حيّ لم يمت، ففيه الجزء الإلهي، ولا يجوز أن يستولى عليه، وهو الذي يجئ في السماء، والرعد صوته، والبرق تبسمه، وأنه سينزل إلى الأرض بعد ذلك فيملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً. ومن السبئية كان بدء الغلو في القول وتعدد الفرق الباطنية(٢٣٩). ولكن هذه الفرق لم تخدع المسلمين، ولم تؤثر في جسم الأمة الإسلامية ولا في عقائدها ولا في خط سيرها، وظلت الشريعة الإسلامية مطبقة ما يزيد على اثني عشر قرناً من الزمان.

---

(237) مذاهب فكرية معاصرة، محمد قطب، دار العلم للطباعة والنشر، جدة، ١٩٨٣م، ص ٨٢-٨٥، ١٦٧-١٨٦ (بتصرف)

(238) الفرق بين الفرق، البغدادي، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ص٣٢٣-٣٣٤.

(239) الملل والنحل، الشهرستاني، دار المعرفة، بيروت، لبنان،١/١٧٤.

دور اليهود في إفساد أوروبا:

أما في أوروبا المسيحية فقد كان الوضع مخلخلاً، مليئاً بالثغرات التي استطاع اليهود أن ينفذوا منها، ويفسدوا من خلالها، والثغرة الكبرى كانت تحريف الدين وتشويهه على يد الكنيسة ولم يتقدم اليهود للعمل الجاد في أوروبا إلا حين بدأت أوروبا تتخلى عن كل القيم المستمدة من الدين المشوه والمحرف والذي يحمل شيئاً من آثار الدين السماوي، حيث كانت عندهم بقية من أخلاق وعفة وحياء وكانت الأسرة متينة الرباط، والعرض مصان، والربا محرم إلا من وقع في قضية المرابين اليهود، فهذا كله كان حاجزاً منع اليهود من القيام بنشاطهم المفسد على نطاق واسع عدة قرون، فلما أمعنت الكنيسة في الفساد والإفساد وطغت وحاربت العلم، وحاربت حركات الإصلاح، ووقفت مع الطغاة ضد المظلومين، وأفسدت أخلاق رجال الدين، مما أدى إلى نفور الناس من الدين، والانسلاخ منه، فوجد اليهود الفرصة ليعيثوا في الأرض الفساد، وبدأ نشاطهم الشرير الذي ظل يتصاعد من القرن الثامن عشر على الأقل إلى القرن العشرين، والذي لم يقتصر على الغرب، إنما هم نشروا الفساد في الأرض كلها عن طريق أوروبا بعد إفسادها.

وأهم أعمال اليهود ومخططاتهم في إفساد أوروبا ما يلي:

١-كانوا وراء إشعال الثورة الفرنسية، ووجهوها لخدمة أهدافهم الخاصة، بمساعدة أيدي خفية، وهي أيدي مؤسساتهم ومحافلهم الماسونية المنتشرة في فرنسا، فهي التي حضّرت للثورة ورفعت شعاراتها: الحرية والإخاء والمساواة، وهدفهم من ذلك هو:

أ- تحطيم الدين في أوروبا وتجريد الأمميين من عقائدهم، لأجل السيطرة عليهم، وتسخيرهم لشعب الله المختار.

ب- الانتقام لأنفسهم من الدين، لأنه سبب اضطهادهم، على اعتبار أنهم قتلوا الرب المعبود في ذلك الدين، وقتلوه صلباً، كما يزعم أتباعه.

لذا سعوا بجمعياتهم الماسونية المنتشرة في أنحاء فرنسا، وبخطبائهم وكتّابهم إلى توجيه غضب الجماهير نحو الدين، والنتيجة هي: إعلان أول حكـــومة لا دينية في العالم النصراني تحرره من الدين والأخلاق والتقاليد(٢٤٠).

٢- تبني اليهود أفكار ومبادئ فلسفية لشخصيات يهودية، وغير يهودية تدعو إلى هدم العقيدة، وتحطيم مبادئ الأخلاق الفاضلة، وكان ابرز الأبطال في هذه المعركة، دارون، وماركس، وفرويد، ودوركايم وغيرهم ممن وجد اليهود في نظرياتهم فرصة سانحة لهدم عقائد الأمميين، وإزالة ما بقى من أثر للدين في حياة الناس، كما تقول البروتوكولات "لا تتصوروا أن تصريحاتنا

(240) مذاهب فكرية معاصرة، محمد قطب، ص ٨٢-٨٥، ص١٦٧-١٨٦(بتصرف)

كلمات جوفاء. ولاحظوا هنا أن نجاح داروِن وماركس ونيتشة قد رتبناه من قبل، والأثر غير الأخلاقي لاتجاهات هذه العلوم في الفكر الأممي (غير اليهودي) سيكون واضحاً لنا بالتأكيد"[٢٤١]

ولا بد من عرض سريع لأفكار بعض من كانوا معولاً هائلاً لتحطيم كل القيم في حياة البشرية.

أولهم: دارون: ولد في بريطانيا عام ١٨٠٩م وفي عام ١٨٥٩م أصدر كتابه في "أصل الأنواع" وكان متخصصاً في علم الحياة، وهو ليس يهودياً، فقد ولد لأبوين نصرانيين، ولكن اليهود استغلوا نظريته على نطاق واسع، وعملوا على نشرها في الأرض، واستفادوا منها في تحطيم عقائد الأمميين، فتبنوا آراء دارون الذي أعلن عن نظرية النشوء والارتقاء في الإنسان إذ تطور على مقتضى النظرية من جرثومة للحياة إلى دودة إلى حيوان إلى قرد إلى إنسان.[٢٤٢]

وثانيهم ماركس: وهو أبو الشيوعية، والمادية الجدلية، والتفسير المادي للتاريخ، وهو صاحب القولة الشهيرة "الدين أفيون الشعوب"، وهو يهودي ألماني ولد عام ١٨١٢م، ومات عام١٨٨٣، أخذ النظرية الدارونية وأنشأ على أساسها نظرية اقتصادية وتفسيراً للحياة البشرية، يحصر الإنسان في عالم المادة والتطور المادي، فأفسد على الكثير عقولهم وعقائدهم وألغى الأديان، وهاجم عقيدة الألوهية ولما قيل له ما هو البديل عن عقيدة الألوهية، قال: البديل هو المسرح.

وثالثهم فرويد: وهو يهودي نمساوي، كان يعمل طبيباً، ثم تخصص في معالجة الأمراض العصبية والنفسية، وأنشأ عيادة خاصة للإشراف على علاج مرضاه، ودراسة أحوالهم عن كثب، ثم استنبط من دراسته تصوراً خاصاً للنفس الإنسانية وتركيبها، وتفسيراً لنشاطاتها المختلفة، ولد عام ١٨٥٦م وعمَّر طويلا حتى مات عام ١٩٣٨م، وألف نحو ثلاثين كتاباً في الدراسات النفسية، وكلها تدور حول موضوع واحد مكرر، وهو التفسير الجنسي للسلوك البشري، وهو يفسر كل شيء في سلوك الإنسان بالاسترسال وراء الغريزة الجنسية والانطلاق في حمأة الشهوات والملذات.[٢٤٣]

تبنى اليهود آراء فرويد وروّجوا لها، وذلك لأنه يريد أن يرفع القداسة عن الدين فيقول: "إن الدين نابع من الجنس"[٢٤٤]

---

(241) الخطر اليهودي، بروتوكولات حكماء صهيون، البروتوكول الثاني، ص ١٢٢.

(242) مذاهب فكرية معاصرة، ص٨٦-٩٠ (بتصرف)

(243) نفس المصدر السابق، ص١٠٠-١١٢ (بتصرف).

(244) نفس المصدر، ص ١١٢-١١٣.

ويقول (يونج) أحد تلاميذ فرويد المقربين في كتاب سماه (ذكرياتي) عن فرويد صدر في الستينات "لقد قال لي فرويد: إننا ينبغي أن نحطم كل العقائد الدينية، وقال لي: "ينبغي أن نجعل من الجنس عقيدة". (٢٤٥)

فالدين ذو القداسة يلقى به في دنس الجنس، والجنس المستقذر يرفع إلى مقام الدين، واستغل فرويد علم التحليل النفس الذي أنشأه تحقيقاً لأهدافه الخاصة في الفساد الخلقي.

أما رابعهم فهو دوركايم: وهو يهودي فرنسي ولد عام ١٨٥٨م ومات عام ١٩١٧م، وتخصص في علم الاجتماع، وله فيه كتب من أشهرها "مقدمة في علم الاجتماع"، أدى مهمته في الميدان الذي تخصص فيه، ووجه حملته مع زملائه الآخرين من كبار المفكرين اليهودإلى تحطيم الدين والأخلاق والتقاليد، أخذ عن دارون التفسير الحيواني للإنسان، ومدده ليغطي ميدان العلاقات الاجتماعية، واستخدم مصطلح (العقل الجمعي) في تفسير نشأة الدين؛ رغبة في إلغاء شخصية الفرد إلغاءً كاملاً، وإلغاء إرادته، ليتقبل ما يلقيه إليه العقل الجمعي من أوامر وتوجيهات بلا وعي منه ولا إرادة.

وهكذا قام دوركايم بالتغطية على دور اليهود في الإفساد في الأرض في صورة علم يدرس في كل جامعات الأرض، ويتربى عليه علماء من الأمميين يتعصبون له كأنما هم واضعوه، أو كأنما هو الحق الذي لا باطل من بين يديه. (٢٤٦)

٣- استغل اليهود الثورة الصناعية لإفساد المرأة، وامتهان كرامتها، علماً بان المجتمع الصناعي قد وقع في قبضة اليهود، بسبب قيامهم بتحويل الصناعات الناشئة عن طريق الإقراض بالربا فأصبح في مكنتهم السيطرة على هذا المجتمع، وتشكيله على الصورة التي يريدونها، واستغل اليهود وجود الشباب الفارغ من العمال، بلا أسر في المدينة، حيث ذهب هؤلاء الشباب للعمل في المدينة وتركوا عيالهم ونساءهم، ثم عجزوا عن الإنفاق عليهن، فاضطرت المرأة إلى الهجرة إلى المدينة للعمل هناك بنصف الأجر بعد أن فقدت عائلها الذي تركها وذهب إلى المدينة ومارس البغاء مع غيرها، وساومها الرجل الذي تعمل عنده، إما أن تفرط في عرضها، وإما أن تعود إلى الجوع الذي فرّت منه.

ولم تكن جوعة المعدة فحسب، إنما كان إلى جانبها الحاجة الفطرية الطبيعية إلى الجنس، والحاجة إلى اللباس والزينة، فوجد اليهود صيداً سهلاً يشغلونه في البغاء، والاعتداء على حرمة الأعراض، حتى أصبح البغاء ضرورة اجتماعية، وكتبت الصحافة الأوروبية التي هي تحت

---

(245) نفسه، ص ١١٢.

(246) انظر: مذاهب فكرية معاصرة، محمد قطب، ص١١٤-١١٧.

سيطرة اليهود تزكيه ليصبح رسمياً وتحت إشراف الدولة، ثم طالبت المرأة بالمساواة مع الرجل في الأجر، مما أفسد العلاقة بين الرجل والمرأة، وأصبحت علاقة عداء ومنافسة، فأسعد ذلك اليهود، لأن في ذلك فك روابط الأسرة، ثم طولب لها بحق الانتخاب حتى يكون لها تأثير في اختيار المرشحين للمجالس النيابية، فيدافعوا عن حقوقها المسلوبة مما أدى إلى زيادة الصراع بين الرجل والمرأة.

٤- لعب اليهود بقضية المرأة، وأفسدوا بها الرجل والمرأة كليهما إلى أبعد الحدود، من أول الاختلاط إلى إباحة الجنس إلى تحطيم الأسرة، وتشريد الأطفال، ونجحوا في ذلك مما أدى إلى تغييب الأم عن البيت بخروجها إلى العمل، ومطالبتها بالمساواة مع الرجل، وإلغاء قوامة الرجل في البيت، وأصبح السلطان للمرأة التي تريد أن تثبت شخصيتها وتنازع الرجل، مما أفسد ترابط الأسرة[٢٤٧].

٥- ولم يكتف اليهود بذلك، بل حاربوا الميل الفطري إلى تكوين الأسرة، حيث وضعت المعوقات في طريق الزواج، وكل المرغبات في الإباحة الجنسية، وأداة اليهود الكبرى في ذلك: هي الصداقة بين الرجل والمرأة، فكانت كافية لتحويل الفطرة عن مسارها.. ففي تلك الصداقة يجد الرجل المنحرف متعة الجنس بلا تكاليف، وكذلك المرأة، وإن حدث الزواج بعد ذلك فالنتيجة هي: بيت مفكك، ونسبة طلاق متزايدة، وتشرد الأطفال، والقلق النفسي والعصبي، وحوادث الانتحار الكثيرة، وأصبح الإدمان على الخمر والمخدرات في زيادة مستمرة، وانتشار الجرائم بجميع أنواعها، وهذا كله بسبب انحلال الروابط الإنسانية بين الرجل والمرأة[٢٤٨].

مما سبق يتبين أن أوروبا لما تخلت عن دينها أتاحت لليهود أن ينشروا فيها كل ألوان الفساد الفكري والروحي والخلقي والاجتماعي والاقتصادي والسياسي، وأن يمسخوا الفطرة البشرية مسخاً كاملاً، ومن المؤسف حقاً أن هذا الفساد، وهذا الانحلال وصل إلى العالم الإسلامي نتيجة انحراف الأمة الإسلامية عن الخط السويّ، حيث أهملت رسالتها العالمية، وفرّطت في دينها، مما أتاح الفرصة لأوروبا الصليبية أن تقهر العالم الإسلامي، وأن تدخل أرض الإسلام لتدك حصونها من الداخل، وأتيح لليهود من خلال الحملة الصليبية الغازية أن ينشروا سمومهم في العالم الإسلامي ذاته، وبنفس الوسائل التي نشروا بها سمومهم في أوروبا، بأيديهم مباشرة أو بأيدي الصليبيين الذين يقومون بنفس الدور ضد الإسلام لحسابهم الخاص.[٢٤٩]

(247) مذاهب فكرية معاصرة، ص١١٩-١٣٧، ١٦٤(بتصرف).

(248) نفس المصدر السابق، ص ١٦٧-١٦٨.

(249) انظر: نفس المصدر، ص١٦٨-١٦٩.

ويظهر دور اليهود في مجال الغزو الفكري على العالم الإسلامي عندما فرض اليهود أنفسهم على حركة الاستشراق، لتحقيق أهدافهم في النيل من الإسلام وإضعافه، والتشكيك في قيمه وتحطيم وحدة الأمة الإسلامية.

ولقد كان العمل الاستشراقي مرتبطاً ارتباطاً وثيقاً بمجهودات المنصرين وأهدافهم، ومحققاً لآمال الصهيونية ضد الإسلام، حيث يُكَمِّل كل منهما الآخر في الكيد المتواصل لأمة الإسلام.

فالاستشراق يعمل على تحطيم العقيدة الإسلامية وإضعافها، والتنصير يضع العراقيل لتحجيم الدعوة الإسلامية من الانتشار، وتحطيم علاقة المسلم بدينه حتى غدو على غير ملة الإسلام، وإن لم يتنصّر.

لقد نشطت اليهودية في احتلال الصدارة في المجالين الاستشراقي والتنصيري، والذي يترأس هذين المجالين هما المستشرق والمبشر اليهودي (جولد تسيهر) [٢٥٠] والمبشر المستشرق الأمريكي (صموئيل زويمر)، مؤسس مجلة العالم الإسلامي الأمريكية التبشيرية، وناشر كتاب (الإسلام) وهو مجموعة مقالات قدمت للمؤتمر التبشيري الثاني سنة ١٩١١م بلكنو في الهند، وتقديراً لجهوده التبشيرية أنشأ الأمريكيون وقفاً باسمه على دراسة اللاهوت وإعداد المبشرين ومعهما عشرات من المنصرين والمستشرقين اليهود[٢٥١].

وأهم أعمال اليهود الفكرية في غزو العالم الإسلامي:

أولاً: تشويه صورة الإسلام والتقليل من شأنه:

ويتمثل ذلك في بعض المواقف منها:

١- طعن اليهودي الخبيث (جولد تسيهر) في القرآن الكريم، ووصفه بالنقص والتناقض، وتهجم على رسول الله صلى الله علية وسلم، فقد جاء في بحثه (نمو العقيدة وتطورها): "ومن العسير أن نستخلص من القرآن نفسه مذهباً عقيدياً موحداً متجانساً، وخالياً من التناقضات، ولم يصلنا من المعارف الدينية الأكثر أهمية وخطراً إلا آثارٌ عامة نجد فيها إذا بحثنا في

---

(250)يهودي مجري عرف بعدائه للإسلام، وبخطورة كتاباته عنه، ومن محرري دائة المعارف الإسلامية، كتب عن القرآن والسنة والحديث ومن كتبه "تاريخ مذاهب التفسير الإسلامي" المترجم إلى العربية تحت العنوان السابق، الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي، محمد البهي، ص٥٥٣.

(251) انظر: المنجد في الأعلام، ص٢٨١، والفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي، محمد البهي، دار الفكر بيروت، ط٦، ١٩٧٣م، ص٥٥٣-٥٥٤، والتحدي الصهيوني للدعوة الإسلامية في العصر الحديث، يحيى علي الدجني، ط١، ١٩٩٥م، ص٢٠٧

تفاصيلها أحياناً تعاليم متناقضة، ورسالة النبي الدينية تنعكس في روحه بألوان مختلفة باختلاف الاستعدادات السائدة في نفسه"(٢٥٢)

ويزعم (جو لد تسيهر) أن محمداً صلى الله عليه وسلم لم يأت بجديد من الأفكار، وأن منهج الإسلام جاء مماثلاً لما كان عليه العرب في الجاهلية، وطعن في السنة النبوية زاعماً بأن الحديث في مجموعه من صنع القرون الثلاثة الأولى للهجرة، وليس من قوله صلي الله عليه وسلم، وادعى أن أحكام الشريعة لم تكن معروفة لجمهور المسلمين في العصر الأول من الإسلام، وأن الجهل بها وبتاريخ الرسول صلى الله علية وسلم كان لاحقاً بكبار الأئمة، وقد حشد لذلك بعض الروايات الساقطة المتهافتة. (٢٥٣)

٢- سار على نهج (جو لد تسيهر) تلميذه اليهودي(شاخت) (٢٥٤) الذي أخذ يردد الأباطيل، بهدف الحطّ من قدر الشريعة الإسلامية وقيمتها، حيث وصفها بأنها لا تختلف عن أعراف الجاهلية، وادعى الاثنان أن الإسلام مستمد من اليهودية والنصرانية وأن الفقه الإسلامي مستمد من القانون الروماني، وقد تبعهما في التشكيك والطعن في الدين الإسلامي المستشرق اليهودي الماركسي (بندل جوزي) وهو من محرري موسوعة المعارف الإسلامية، حيث زعم أن محمدا صلى الله عليه وسلم نقل من التوراة بعض الأمور، إضافة للقصص والأحكام المستقاة منها، ورددها في مواقف كثيرة من القرآن، دون أن يذكر المصدر الذي نقل عنه وإنما صاغها بأسلوبه لتلائم أغراضه الخاصة.

٣- انتحل المستشرق اليهودي (مرجليوت)(٢٥٥) الشعر للقضاء على مصدر مهم من تفسير القرآن وفهمه، وادّعى أن الخلافة ليست من الإسلام، وكتب كتاب الإسلام وأصول الحكم، وذلك لهدم الخلافة الإسلامية.

٤- ذهب اليهودي (بروكلمان)(٢٥٦) إلى حجب الحقائق، فلا يشير إلى دور اليهود في تأليب أحزاب الكفر بمكة على حرب المسلمين في المدينة في (معركة الخندق)، ولا على نقض

---

(252) التحدي الصهيوني، يحيى الدجني عن العقيدة والشريعة في الإسلام وتاريخ التطور العقدي والتشريعي في الدين الإسلامي وهي مجموعة أبحاث لجولد تسيهر، ص ٢٠٧.

(253) انظر: أجنحة المكر الثلاثة، الميداني، ص ١٤١-١٤٣، والتحدي الصهيوني، ص ٢٠٨.

(254) يوسف شاخت، ألماني متعصب ضد الإسلام والمسلمين، له كتب كثيرة عن الفقه الإسلامي وأصوله، من محرري دائرة المعارف الإسلامية، ودائرة معارف العلوم الاجتماعية، وأشهر كتبه "أصول الفقه الإسلامي" . الفكر الإسلامي الحديث، ص٥٥٨.

(255) د. س. مرجليوت، إنجليزي متعصب ضد الإسلام، ومن محرري دائرة المعارف الإسلامية، كان عضواً بالمجمع اللغوي المصري، والمجمع العلمي في دمشق، ومن كتبه التطورات المبكرة في الإسلام، صدر سنة ١٩١٣، ومحمد ومطلع الإسلام، سنة ١٩٠٥م، والجامعة الإسلامية صدر ١٩١٢، الفكر الإسلامي الحديث، ص ٥٥٧.

قريظة عهدها مع الرسول صلى الله علية وسلم في أشد ساعات الأزمة ولكنه يقول: "ثم هاجم المسلمون بني قريظة الذين كان سلوكهم غامضاُ على كل حال"[٢٥٧].

٥- يتغاضى المستشرق اليهودي إسرائيل ولفنسون عن حادثة نعيم بن مسعود رضي الله عنه في معركة الخندق كسبب في انعدام الثقة بين المشركين واليهود، ولعله يريد أن يوحي بأن اليهود لم يخدعوا المسلمين[٢٥٨].

٦- قامت دار النشر اليهودية(ماسادا) بطبع وتوزيع نسخة محرفة للقرآن الكريم باللغة الإنجليزية، وذلك على نفقة جامعة تل أبيب، حيث قام البروفيسور اليهودي بن شميث بترجمتها، وفيها أن المسجد الأقصى الذي ورد في سورة الإسراء، يقع في منطقة جعرانة، وهي التي تقع بين الطائف ومكة وهي للثانية أقرب[٢٥٩]. "وفي ذلك تهديد صريح للمسجد الأقصى المبارك، فهم يريدون إقناع الرأي الغربي أن المسجد الأقصى لدى المسلمين المذكور في القرآن الكريم خارج فلسطين، وليس في بيت المقدس، حتى إذا ما نجحوا في هدمه لا يضج العالم من هذا السلوك الإجرامي، كما لو كان هذا الصنيع ليس ضد المسجد الأقصى بعينه". [٢٦٠]

وهذا غيض من فيض مما دسه اليهود على الإسلام لتشويه صورته، والتقليل من شأنه، لتحقيق أهدافهم في السيطرة على العالم الإسلامي فكرياً وسياسياً.

ثانياً: هدم الوحدة الإسلامية

نشط المستشرقون اليهود في العمل على ضرب كل محاولات الالتقاء والوحدة في العالم الإسلامي،لأنها تقف عائقاً عن تنفيذ مخططاتهم، لذا عملوا على إثارة النعرات الطائفية الجاهلية والقومية؛ لتفريق وحدة الأمة الإسلامية وتجزئتها، كي يسهل السيطرة عليها[٢٦١]. جاء في

---

(256) كارل بروكلمان يهودي ألماني الأصل ومن محرري دائرة المعارف الإسلامية، صاحب أكبر موسوعة في تاريخ الآداب العربية في اللغة الألمانية، ومن مؤلفاته الهامة: "تاريخ الشعوب الإسلامية" المترجم من الألمانية إلى الإنجليزية، كان عضواً بالمجمع العلمي العربي في دمشق، وله أخطاء تاريخية وعلمية في مجلة الإسلام التي تصدر في باكستان بالإنجليزية، الفكر الإسلامي الحديث، ص ٥٤٢.

(257) الفكر الإسلامي وسموم التغريب والتبعية،أنور الجندي، دار الفضيلة، تاريخ الإيداع ١٩٩٩م، القاهرة، ص١٣٦-١٣٧.

(258) الفكر الإسلامي وسموم التغريب والتبعية، أنور الجندي، ص ١٣٦.

(259) معجم البلدان، ياقوت بن عبد الله الحموي، بدون طبعة، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ١٤٢/٢.

(260) التحدي الصهيوني، يحيى الدجني عن أرض الإسراء، العدد (١٧٢) شباط،١٩٩٣، ص ١٧.

(261) انظر المصدر نفسه، ص ٢٠٩.

بروتوكولاتهم "لقد بذرنا الخلاف بين كل واحد وغيره في جميع أغراض الأمميين الشخصية والقومية. بنشر التعصبات الدينية والقبلية خلال عشرين قرناً"(٢٦٢) فهم يريدون استنزاف قُوَى الإنسانية، وإهلاكها بالانقسامات وأن تفشوا بينهم الكراهات والمكايدات والحسد كما تفشو المجاعات(٢٦٣).

لقد كان لليهود دور كبير في إسقاط الخلافة الإسلامية وتحطيم الوحدة الإنسانية.

ثالثاً: نشر الفساد الخلقي:

إذا بحثت عن أي حركة هدامة في الوقت الحاضر تجد أن محورها الدعاية اليهودية، ولقد كان الشباب هدفاً محققاً لليهودية العالمية للعمل على أن تهتز أمامه كل المقدسات، وكل القيم الروحية. فعملت اليهودية العالمية على إشاعة الانحلال الخلقي في المجتمعات البشرية ومنها المجتمعات الإسلامية وكان ذلك جزءاً لا يتجزأ من المخططات اليهودية(٢٦٤).

ويعد الفن من أخطر ما تحاول الصهيونية السيطرة به على العالم، فهم أصحاب مقولة: "يجب أن يخلق الجيل الذي لا يخجل من كشف عورته".(٢٦٥)

وكان للتمثيل دوره في جعل الجنس هو المحور الرئيسي لاهتمامات الأجيال المسلمة، فالأفلام الرخيصة التي تدعو إلى الدعارة، تنطلق في السينما والتلفزيون، وأصبحت شرائطها تغزو الأسواق إضافة إلى المسرحيات والمسلسلات والمجلات والكتب الرخيصة التي تقوض دعائم المجتمع، وتدعو إلى اللهو والمجون(٢٦٦).

وتأكيداً لذلك ما يشاهد على مرأى ومسمع الجميع من الفساد والعريّ، وفي فلسطين جندت المرأة اليهودية لإفساد الشباب وفتنتهم، وقتل عزائمهم، واستغلت المجندة الإسرائيلية لا لتقاتل المسلمين فحسب، بل وظّفت أيضاً لإبعاد الشباب عن دينهم بعريّهن وإغرائهن لهم في أماكن العمل وفي الشوارع والطرقات وفي وسائل الإعلام بجميع أشكالها(٢٦٧).

---

(262) الخطر اليهودي، ص ١٤٤.

(263) انظر: شبهات التغريب في غزو الفكر الإسلامي، أنور الجندي، المكتب الإسلامي، دمشق، ١٣٩٨هـ-١٩٧٨م، ص ٢٤.

(264) الفكر الإسلامي، وسموم التغريب، أنور الجندي، ص ١٣٥-١٣٩.

(265) نفس المصدر السابق، ص١٣٥.

(266) شبهات التغريب، أنور الجندي، ص٢٢، وانظر: التحدي الصهيوني، يحيى الدجني، ص٢٠٩-٢١٠.

(267) انظر: مقال للدكتور/ صالح الرقب، بعنوان: (دور اليهود في إفساد البشرية في كافة النواحي وتحطيم أخلاقها)، ص٥، موقع صيد الخاطر : www.saiedk.net

واتخذت الصهيونية المرأة سلاحاً في معركتها ضد الأخلاق والقيم والفضائل وكوسيلة للقضاء على نفوذ الدين، وسيطرته على الرجال. ولسان حالهم يقول لا بد أن نجعل المرأة رسولاً لمبادئنا ونخلّصها من نفوذ الدين. يقول اليهودي د. مور بيرعز: "إن المرأة المسلمة هي أقدر فئات المجتمع الإسلامي على جرّه إلى التحلل والفساد أو إلى حظيرة الدين من جديد"[(٢٦٨)]

رابعاً: غزو الثقافة الإسلامية، وطمس معالم التاريخ الإسلامي:

عمل اليهود على نشر الثقافات والمعارف التي تحمل دسائسهم وضلالتهم الفكرية، لتسوق المسلمين نحو مآربهم وأهدافهم الخبيثة، وقد نفثوا سمومهم في كثير من الموسوعات والمؤلفات، حيث طبع أكثر من ستة آلاف كتاب من الفكر الإسلامي، ملئت بالزيوف والأباطيل، وعلى رأسها (دائرة المعارف الإسلامية) التي كتبت بعدة لغات مختلفة، وتعد مرجعاً هاماً لكثير من المسلمين في دراساتهم وأبحاثهم.

وقد قام بتحرير هذه الموسوعة مجموعة من المستشرقين اليهود والنصارى أمثال (جولد تسيهر)، و(غ . فون جروبناوم) [(٢٦٩)]، وشاخت.

ولو رجع كل دارس إلى دوائر المعارف العالمية، وكتب التاريخ الغربية لتيقن أن اليهود قاموا بجهدٍ كبير في تزييف كثير من الحقائق الدينية والتاريخية، وإثارة الشكوك والشبهات فيها لزلزلة الناس في عقيدتهم، وطمس معالم تاريخهم الإسلامي، ومثال ذلك تصريحات السلطان عبد الحميد بشأن فلسطين والقدس والتي حجبت عن العالم أكثر من خمسين عاماً، لكن لما كشفت هذه التصريحات، غيرت مفهوم التاريخ العربي الإسلامي الحديث كله، هذا التاريخ الذي كان قد حجب منه جانب كبير من مؤامرة استيلاء الصهيونية العالمية على فلسطين، والمخطط الذي سارت فيه حتى حققت مؤامرة هدم الخلافة الإسلامية.

وقد جرت المحاولات العديدة مع السلطان عبد الحميد للحصول على موافقة منه على هجرة اليهود إلى فلسطين وإقامتهم فيها، لكنها باءت بالفشل، وقد سجل هرتزل ذلك في مذكراته من أن السلطان أدلى بتصريح حاسم قال فيه "بلغوا الدكتور هرتزل ألا يبذل بعد اليوم شيئاً من المحاولة في هذا الأمر (أمر دخول فلسطين والتوطن فيها) فإني لست مستعداً لأن أتخلى عن شبرٍ واحد من هذه البلاد، لتذهب إلى الغير، فالبلاد ليست ملكي، بل هي ملك شعبي، روى

(268) انظر: مقال د. صالح الرقب، ص ٦، بعنوان الأساليب الصهيونية، موقع صيد الخاطر.

(269) غ. فون جروبناوم من أصل ألماني، يهودي مستورد إلى أمريكا للتدريس بجامعاتها، وكان أستاذاً بجامعة شيكاغو، من ألد أعداء الإسلام، في جميع كتاباته تخبط واعتداء على القيم الإسلامية والمسلمين، كثير الكتابة، وله معجبون من المستشرقين، ومن كتبه إسلام العصور الوسطى، صدر عام ١٩٤٦، والأعياد المحمدية، صدر عام ١٩٥١، الفكر الإسلامي الحديث، ص ٥٥٤.

ترابها بدمائه، فلتحتفظ اليهود بملايينهم من الذهب"(٢٧٠) وكان للرفض الحاسم من السلطان عبد الحميد أثره البالغ في القضاء عليه، وإنهاء الخلافة العثمانية، ولا شك أن انكشاف هذه الحقائق تُعدّ تصحيحاً لأكبر خطأ في التاريخ الإسلامي العربي المعاصر، الذي صوّر لنا أن الدولة العثمانية استعماراً جاء يستولي على مقدرات المسلمين وثرواتهم. (٢٧١)

مما سبق يتبين أن اليهود وراء كل فساد وفوضى وفتن، ووراء كل حركة هدامة، وتعد الماسونية من الحركات الهدامة التي أنشأها اليهود، لتقويض الأديان وإفساد الأخلاق. ولذا كان لا بد من التعريف بها، والكشف عن حقيقتها، وبيان علاقتها بالغزو الفكري.

المطلب الثاني: علاقة الماسونية بالغزو الفكري:

الماسونية هي منظمة سرية هدامة إرهابية غامضة محكمة التنظيم تهدف إلى ضمان سيطرة اليهود على العالم، وتدعو إلى الإلحاد والإباحية والفساد، وتتستر تحت شعارات خدّاعة، جُلّ أعضائها من الشخصيات المرموقة في العالم، يوثقهم عهد متين بحفظ الأسرار، ويقيمون ما يسمى بالمحافل للتجمع والتخطيط والتكليف بالمهام، تمهيداً لتأسيس جمهورية ديمقراطية عالمية – كما يدّعون- وتتخذ الوصولية والنفعية أساساً لتحقيق أغراضها في تكوين حكومة لا دينية عالمية(٢٧٢).

يقول بعض المؤرخين المحدثين معرفاً بها وكاشفاً عن حقيقتها: "الماسونية آلة صيد بيد اليهود، يصرعون بها كبار الساسة، ويخدعون بها الأمم الغافلة والشعوب الجاهلة... وهي يهودية الأصل والمنبت، تجيد المكر والخداع"(٢٧٣).

نشأة الماسونية:

الماسونية جمعية سرية قديمة جداً، تحمل أهدافاً سرية غاية في الخطورة، إلا أنها في العصور الحديثة أخذت تعلن عن نفسها بمختلف الطرق، ومن باب الكذب والخداع أخذت تتبنى أهدافاً وشعاراتٍ جديدةً لا تمت إلى أهدافها الحقيقية. (٢٧٤)

---

(270) شبهات التغريب،أنور الجندي،ص٢٢-٢٣، وانظر:المخططات التلمودية اليهودية الصهيونية، ص١٠١.

(271) انظر: شبهات التغريب، ص٢٣-٢٤.

(272) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، د. مانع بن حماد الجهني، دار الندوة العالمية، الطبعة الرابعة، ١٤٢٠، ٥١٠/١.

(273) الاتجاهات الفكرية المعاصرة، د. علي جريشة، دار الوفاء للطباعة والنشر، ط١، ١٤٠٧هـ-١٩٨٦م، ط٢، ١٤٠٩هـ-١٩٨٨م، ص ٢٢٦، عن حقيقة الماسونية للزغبي.

(274) أوقفوا هذا السرطان، حقيقة الماسونية وأهدافها، د.سيف الدين البستاني، ص٢٢.

والقول الراجح والأقرب إلى الحقيقة هو أن أصل الماسونية الحديثة هو جمعية القوة الخفية التي أسسها اليهود في عهد والي الرومان على فلسطين هيرودس الثاني اليهودي عام ٤٣ ميلادية لتدمير النصرانية والقضاء عليها، والإبقاء على الاتحاد اليهودي(٢٧٥).

فالأب الشرعي والمؤسس الأول للماسونية هم اليهود، وأن الغرض من تأسيسها هو خدمة المصالح اليهودية، وتحقيق أهداف اليهود من السيطرة على العالم وإقامة ملك إسرائيل، وإعادة بناء هيكل سليمان(٢٧٦).

ومن الأدلة التي تؤكد علاقة الماسونية باليهودية العالمية نشأةً وأهدافاً:

١- الماسونية هي الاسم الجديد للشريعة اليهودية المقنعة ورموزها وتقاليدها يهودية "كابالا"(٢٧٧) وأن ارتباطها مع اليهودية والتوراة المحرفة من الوضوح بحيث تستند إلى آيات التوراة المحرفة حيث ورد ذكر حيرام في الإصحاح السابع "وأرسل الملك سليمان وأخذ حيرام من صُوْر، وهو ابن امرأة أرملة"(٢٧٨). وحيرام هذا تقدسه الماسونية، وتقدس المعبد الذي شيده وهو عريف البنائين في بناء هيكل سليمان في القدس، والذي اتخذ نموذجاً للمحافل الماسونية في العالم،وكفي هذا دليلاً على يهوديتها.

٢- جاء في الصحيفة ٧٤ من العدد الخامس للصحيفة اليهودية(لا فارينا إسرائيليت)عام ١٨٦١م "إن روح الماسونية هي الروح اليهودية في أعمق معتقداتها الأساسية، إنها أفكارها ولغتها وتسير في الغالب على نفس تنظيماتها. (٢٧٩)

(275) الاتحاد اليهودي العام أسسه اليهودي الباريس المحامي (Cremiex) وانتشرت فروعه في أنحاء العالم، ودستور الاتحاد هو: أن أبناء إسرائيل يتولى بعضهم بعضاً، انضم إليه أكثر الطبقات الراقية من اليهود، وانظر: بحث مختصر عن كتاب الماسونية أقدم الجمعيات السرية وأخطرها، ص١٠-٢٠، وانظر: أسرار الماسونية، جواد رفعت آتلخان، ترجمة نور الدين رضا الواعظ وسلمان محمد أمين، الناشر مجلة الأزهر ومؤسسة دار العلوم، سنة ١٤٠٥هـ، ص١٨.

(276) الماسونية: أقدم الجمعيات السرية وأخطرها، ص١٠-٢٠.

(277) (كابالا) كلمة عبرانية، هي مزيج من الفلسفة والتعاليم الروحية والسحر والشعوذة متعارف عند اليهود منذ أقدم العصور، انظر: أسرار الماسونية، ص ١٧١٩.

(278) سفر الملوك الأول، الإصحاح السابع، الفقرة (١٢) .

(279) أسرار الماسونية، ص ٢٩-٣١. وانظر: حركات ومذاهب في ميزان الإسلام، فتحي يكن، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٣٩٠هـ- ١٩٧٠م، ط٢، ١٣٩٧هـ-١٩٧٧م، ص ٥٨،٥٩. وانظر: حاضر العالم الإسلامي، د. صالح الرقب، ص ١٣٨-١٣٩. وانظر: الماسونية أقدم الحركات السرية وأخطرها، ص٢١-٢٢.

٣- "توضع على طاولة رئيس الاجتماع في المحفل الماسوني نسخة من التوراة بصورة دائمة وتجعل القسم على التوراة شرطاً لازماً لقبول الأعضاء الجدد ويعتمد الماسونيون على أقوال وتعاليم من التلمود والتوراة، والتلمود من الكتب المقدسة عند اليهود." (٢٨٠)

دور الماسونية في الغزو الفكري.

يتبين دور الماسونية في الغزو الفكري من خلال معرفة أهدافها ووسائلها ومحاربتها للدين والقيم الروحية والخلقية، وموقفها من المرأة والأسرة.

أولاً:أهداف الماسونية.

١- الاستيلاء على العالم عن طريق بث أفكار الماسونية المسمومة.

٢- محاربة الأديان وتقويض القيم والأخلاق والأعراف، ومناهضة القوميات والتقاليد والنضال ضد الجمعيات والمؤسسات الدينية.

٣- تقويض الحكومات الشرعية وإلغاء أنظمة الحكم الوطنية والسيطرة عليها.

٤- إشاعة الجنس والإباحية والانحلال الخلقي، وترويج الأفكار والفلسفات المادية الإلحادية كالشيوعية وأفكار فرويد ونيتشة وغيرهم.

٥- تسعى الماسونية إلى أن تكون هي سيدة الأحزاب السياسية لا خادمتها.

٦- تأسيس جمهورية ديمقراطية عالمية خفية لا دينية تسيطر على العالم كله(٢٨١).

٧- إقامة المملكة اليهودية في فلسطين، وإعادة بناء هيكل سليمان – معبد الرب- على أنقاض المسجد الأقصى حيث جاء في إحدى الوثائق الماسونية "والهدف المقدس الذي تعمل الماسونية على تحقيقه هو إعادة تشيد هيكل سليمان، وهو أكثر من رمز، بل هو حقيقة مؤكدة ستبرز دون ريب إلى عالم الوجود عندما يستأصل العرب في فلسطين"(٢٨٢)

ثانياً: وسائل الماسونية:

سلكت الماسونية عدة سبل ووسائل لتحقيق أهدافها، وهي تطور وتجدد وسائلها ومنها:

١- إباحة الجنس واستخدام المرأة كوسيلة للسيطرة.

(280) أحجار على رقعة الشطرنج، وليام كار، ترجمة سعيد جزائري، ص٣.

(281) حاضر العالم الإسلامي، ص١٣٨-١٣٩.

(282) الماسونية أقدم الحركات السرية وأخطرها، ص ٥٥، وحاضر العالم الإسلامي، د. صالح الرقب، ص ١٣٨-١٣٩.

٢- إحياء الدعوات الجاهلية، والنعرات الطائفية العنصرية وبث الأفكار المسمومة.

٣- استعمال الرشوة بالمال والجنس مع أصحاب الجاه والمناصب السياسية لإسقاطهم في حبائل الماسونية، ومن ثم استخدامهم لخدمة الماسونية.

٤- تجرد الداخلين من الماسونية من الفضائل والأخلاق والروابط الدينية، والتجرد من الولاء للوطن، فالولاء يجب أن يكون للماسون فقط.

٥- السيطرة على رجال السياسة والحكم والفكر والأدب البارزين في بلدانهم، ثم استخدامهم صاغرين لتنفيذ المخططات الماسونية.

٦- السيطرة على أجهزة الدعاية والصحافة والنشر والإعلام، واستخدامها في تحقيق الأهداف الماسونية وبالفعل استطاعت الماسونية عبر رجالها وخاصة اليهود أن تسيطر على معظم وسائل الأعلام ودور النشر والصحافة في العالم، وأن تسيطر على معظم الجمعيات والمنظمات الدولية، ومنظمات الشباب، فنرى أن حكومات العالم، ومتنفذيها يهتمون بشؤون إسرائيل، ويدافعون عن سياستها ومصالحها، ويساعدون على مدَ نفوذ اليهود إلى معظم الدوائر ذات الصبغة العالمية، مثل سيطرتهم على هيئة الأمم المتحدة، ومعظم المؤسسات والمنظمات التابعة لها.

٧- بث الأخبار المكذوبة والإشاعات والأباطيل، والتركيز عليها لتصبح كأنها حقائق من أجل طمس الحقائق أمام الجماهير.

٨- توفير سبل الإباحية والرذيلة بين الشباب والشابات، وتوهين العلاقات الزوجية والروابط الأسرية.

٩- الدعوة إلى تحديد النسل والعقم الاختياري بين المسلمين.

١٠-السيطرة على المنظمات والمؤسسات الدولية، كمؤسسات منظمة الأمم المتحدة التي أصبح معظمها تحت رئاسة يهودي ماسوني. [٢٨٣]

ثالثاً: محاربة الماسونية للدين:

حاربت الماسونية الأديان كلها ماعدا اليهودية، وقامت بترويج الإلحاد والعقائد الباطلة والفلسفات والأفكار المادية اللادينية وتبنت أفكار وآراء الفلاسفة والمفكرين الملحدين ولهم أقوال كثيرة تدل على بغضهم للأديان كلها باستثناء اليهودية.

---

(283) حاضر العالم الإسلامي، د. صالح الرقب، ص ١٣٨-١٤٠.

١-ما أعلنه الماسوني (لاف أرج) Lafarge في مؤتمر للطلاب انعقد عام ١٨٦٥م في مدينة (لينج) التي تعتبر إحدى المراكز الماسونية قائلاً "وقال: "يجب أن يتغلب الإنسان على الإله، وأن يعلن الحرب عليه وأن يخرق السماوات ويمزقها كالأوراق...إن الإلحاد من عناوين المفاخر، وليعش أولئك الأبطال الذين يناضلون في الصفوف الأولى وهم منهمكون في إصلاح الدنيا" (٢٨٤)

٢- من وثائق المحفل الماسوني الأكبر عام ١٩٢٢م "سوف نقوي حرية الضمير في الأفراد بكل ما أوتينا من طاقة، وسوف نعلنها حرباً شعواء على العدو الحقيقي للبشرية الذي هو (الدين)" (٢٨٥).

٣- وجاء في النشرة الماسونية في الخامس عشر من كانون الأول عام ١٨٦٦م :"يجب على الماسون أن يقيموا أنفسهم فوق كل اعتقاد بالله"(٢٨٦)

رابعاً موقف الماسونية من الأسرة والمرأة:

تبين مما سبق أن غاية الماسونية هي هدم المجتمعات ولا يتم ذلك إلا بتفكيك الأسرة إذ المجتمع يتكون في مجموعة من الأسر، فعمدت الماسونية إلى إحداث تمزق نفس وانحلال أخلاقي في الأسرة، من خلال إفساد علاقة الرجل بالمرأة وخاصة في مجال العلاقات الجنسية، ووجدت أن هذا لا يتم إلا بهدمها للقيم الأخلاقية وإطلاق الغرائز من قيودها، وإشاعة الإباحية ونشر الفجور والميوعة والتخنث.

ورأت الماسونية أن المرأة هذه أقرب الطرق لتقويض الأسرة وهدم المجتمع، فالمرأة هي العنصر الضعيف والفعال معاً، لأنها الحاضن والمربي الأول للأولاد، وهي المدرسة الأولى التي يتربى ويتعلم الأطفال فيها، وفيها يتلقن النشء الحقائق الأولى عن خالقه والكون، وعن نفسه، وعن المجتمع الذي يعيش فيه(٢٨٧).

إن الانطباعات الأولى التي تتركها الأم في نفس طفلها، هي الانطباعات الأساسية التي تشكل الخطوط الرئيسية لمستقبل الطفل والمجتمع الذي يعيش فيه، لذلك قال أحد أركان الماسونية "إن الانطباعات الأولى لا تنسى، وعليه يجب أن تنهى هذه الانطباعات على أساس

---

(284) أسرار الماسونية، ص ٣٣.

(285) نفس المصدر السابق، ص ٣٤.

(286) أوقفوا هذا السرطان، ص ١٠٧.

(287) نفس المصدر السابق، ص ١٢٤

أفكارنا، ولا بد من تربية الأطفال بعيداً عن الدين"[٢٨٨] لذا كان همهم هو إفساد الأجيال بإفساد المرأة، وعلمنة التعليم.

وتحقيقاً لذلك شكل الماسون جمعيات ماسونية مختلطة أطلقوا عليها "ماسونية التبني" وذلك لإخضاع المرأة إلى نفس الأغراض التي تعمل الصهيونية لتحقيقها، حيث وردت مقولة لأصحاب مؤتمر (بولونيا) الماسون عام١٨٩٩م "يجب أن نكسب المرأة، فأي يوم مدت إلينا يدها فزنا بالمرام، وبدد جيش المنتصرين للدين"[٢٨٩]

وفي المجتمع الماسوني عام١٩٠٠م قال الرئيس بوفريه: "لا بد أن نجعل المرأة رسولاً لمبادئنا، ونخلصها من نفوذ الدين"[٢٩٠] وقال دورفويل أحد شيوخ الماسون: "ليس الزنا بإثم في شريعة الطبيعة، ولو بقى البشر على سذاجة طبيعتهم لكانت النساء كلهن مشتركات بينهم"[٢٩١] وقال راغون في كتاب رسوم إدخال النساء إلى الماسونية: "العفة المطلقة مرذولة عند الماسونين والماسونيات لأنها ضد ميل الطبيعة، ومن ثم تبطل كونها فضيلة"[٢٩٢]

ومن الجمعيات النسائية المختلطة: جمعية الصلبان المزدهرة الماسونية، ومركزها في المحفل الماسوني في ميدان الأوبرا في القاهرة، وقد سألت مجلة آخر ساعة إحدى نسائها وهي راقصة عن الجمعية فقالت: "إن الإنسان مخير، وإنه لا وجود لذلك الشيء الذي نسميه الشيطان، وإنها تمضي أوقاتها في قراءة كتب الجمعية"[٢٩٣]

وقد خبرت إحدى النساء نتائج دخول المرأة في هذه الجمعية، وفضحت ما تتعرض له أخلاق المرأة، وبالتالي أوضاع الأسرة من شرور ومآسٍ.

وقد تحقق للسيدة (جانيت) [٢٩٤] ما للماسونية من أثر مدمر على حياة المرأة، وعلى أخلاقها وتربية أبنائها فوجهت نداءها إلى نساء العالم قائلة:

"إن المرأة بواسطة الماسونية قد خسرت هناءها وآدابها وسعادتها الزمنية والأبدية، وبهذه الخسارة خسر الكون نظامه الاجتماعي والعائلي والأدبي والديني والصحي والنسلي،

---

(288) أسرار الماسونية، ص٤٠ .
(289) أوقفوا هذا السرطان، ص١٢٥.
(290) نفس المصدر السابق، ص ١٢٥.
(291) نفس المصدر السابق، ص ١٢٥.
(292) نفس المصدر السابق، ص ١٢٦.
(293) أوقفوا هذا السرطان، ص١٢٨.
(294) هي زوجة جوناس أحد البرازيليين الذي ساعد على نشر تاريخ الماسونية مع عوض الخوري في كتابه تبديد الظلام، انظر: أوقفوا هذا السرطان، ص ١٢٨.

أجل...لقد فرحت المرأة بهذا التساهل، ولكن نتيجة فرحتها كان الشقاء والبكاء..ثم تابعت تقول: "فعليكن أنتن يا نساء العالم أن تستعملن كل ما لديكن من الوسائل في سبيل إقناع الرجال أن الماسونية هي يهودية بحتة، وهي التي زعزعت أركان الكون، وحقرّت الأديان، وهي التي تبث روح التمرد في رؤوس النساء، فانتشرت الخلاعة والفجور"(٢٩٥)

وقد تدخلت الماسونية في شئون تنشئة الأولاد، فعمدت على تربيتهم على الفوضى والتحلل من القيم والأخلاق، وانتزاع الفضيلة في نفوسهم، وتدخلت في تعليمهم، وكان يجري ذلك على حسب البلدان التي طبقت فيها حيث كان كل بلد يتطلب نوعاً من الأساليب والوسائل، فاستخدمت الشيوعية والعلمانية والقومية، والعالمية والإنسانية، فلا يهمهم كمّ الشعارات التي يرفعونها كمبادئ، بقدر ما يهمهم تحقيق أهدافهم ومآربهم، جاء في نشرة (العالم الماسوني) عام١٨٧٩م "نحن الماسون في مقدمة التعليم العلماني"(٢٩٦) ، وكان الماسون يفهمون أن العلمانية تعني الإلحاد والتحلل من القيود الخلقية، تحت شعار الدعوة إلى الحرية وإلى الطبيعة. ومن أراد أن يطلع على حقيقة المدارس العلمانية التي أنشأها الماسون، عرف ما يجرى فيها من تحلل وفساد وجرائم جنسية على أيدي الشبيبة البريئة التي تهدمت في نفوسها المثل العليا، دون أن يحل محلها قيم جديدة أعلى منها، فانطلقت الغرائز، وشاعت الفواحش، حيث جاء في مجلة الشرق الماسونية "إن حياة المدارس العلمانية تجاه التعليم الديني تمويه باطل، وإن أصحابها لا يطلبون سوى استئصال الدين من قلوب الغربيين والشرقيين"(٢٩٧)

مما سبق تتضح الرابطة القوية بين الغزو الفكري والماسونية، حيث وجدت الماسونية كمنظمة تخريبية،وجندي قوي مخلص لتنفيذ وتحقيق ما يهدف إليه قادة ورواد الغزو الفكري.

المطلب الثالث: علاقة التبشير بالغزو الفكري

التبشير هو إحدى وسائل الغزو الفكري الذي يستهدف التأثير في عقول وقلوب المسلمين، وفقاً لما يهدف إليه أعداء الإسلام، من خلال بث الأفكار والثقافات الغربية النصرانية ويطلق عليه النصارى اسم التبشير للعمل على نشر المسيحية بين غير المسيحيين وجذب الناس إليها، واختاروا هذه الكلمة لأنها تلبس هيأة الرحمة وتتظاهر بالعطف على الناس، وتدّعي الإنقاذ ونشر المعرفة(٢٩٨).

---

(295) أوقفوا هذا السرطان، ص١٢٨ .

(296)المصدر السابق، ص١٣١.

(297) نفس المصدر، ص ١٣١-١٣٢.

(298) انظر: دراسات في الثقافة الإسلامية، صالح ذياب هندي، دار الفكر، عمـــان، ط٥، ١٤٠٤هـــــ-١٩٨٤م، ص٢٦.

أولاً: التعريف بالتبشير:

التبشير أو التنصير هو: "حركة دينية سياسية استعمارية بدأت في الظهور إثر فشل الحروب الصليبية بغية نشر النصرانية بين الأمم المختلفة في دول العالم الثالث بعامة، وبين المسلمين بخاصة بهدف إحكام السيطرة على هذه الشعوب"[٢٩٩]. فالتبشير أمر خطير لأنه يتستر تحت مظاهر براقة تخدع الكثيرين، حيث تبدو على رجاله البراءة، كبراءة الحمل الوديع، ويؤكد ذلك ما قاله المبشر الأمريكي تشارلس واطسون حينما نصح المبشرين بالتلون في سبيل تحقيق هدفهم التبشيري: "يجب أن يظلوا (أي المبشرون) برءاء كالحمام، ولكن هذا لا يمنعهم أيضاً أن يكونوا حكماء كالحيات"[٣٠٠].

إن الغزو التبشيري حرب كافرة تشن على الإسلام عقيدة وحضارة، وقد استقطب هذا الغزو كل القوى الاستعمارية ضد المسلمين لإخراجهم من الإسلام، أو جعلهم متذبذبين وهو نسخة مكررة من رسالة المحارب الصليبي الذي قدم إلى العالم الإسلامي في صورة حقد دفين وكراهية للإسلام والمسلمين للاستيلاء على بيت المقدس وانتزاعه من المسلمين. [٣٠١]

ويعد القس الأسباني (ريمون لول) هو أول من تولى مهمة التبشير بعد فشل الحروب العسكرية الصليبية في مهمتها، لقد تعلم العربية بعد جهد طويل ومشقة، وأخذ يجول في بلاد الشام يبشر بالنصرانية، ويناقش علماء المسلمين. [٣٠٢]

وهناك عوامل ساعدت المبشرين لشن هجمتهم الاستعمارية الجديدة وهي:

١. انتشار الجهل والفقر والمرض في معظم بلدان العالم الإسلامي.
٢. النفوذ الغربي في كثير من بلدان المسلمين.
٣. ضعف بعض حكام المسلمين الذين يسكتون عنهم، أو ييسرون لهم السبل رغباً ورهباً من أجل التنافس على كراسي الحكم.
٤. اعتناق كثير من حكام البلدان الإسلامية للتصورات والعقائد المعادية للإسلام من علمانية وقومية وشيوعية، وضعف ولائهم للإسلام، وبالتالي للأمة.
٥. فساد حال كثير من الشعوب الإسلامية بسبب الأفكار الوافدة، وضعف التكوين الديني في نفوسهم[٣٠٣].

---

(299) الموسوعة الميسرة في الأديان والأحزاب والمذاهب المعاصرة، ص ٦٦٥.

(300) التبشير والاستعمار، د. مصطفى الخالدي وعمر فروخ، ص ٥٢، دراسات في الثقافة الإسلامية، ص٢٧.

(301) انظر: دراسات في الثقافة الإسلامية، ص ٢٧، عن معركة التقاليد محمد قطب.

(302) انظر: الغارة على العالم الإسلامي، أ.ل شاتليه، ترجمة محب الدين الخطيب، ط٣، ١٩٨٠م، ص١٢-١٣، والموسوعة الميسرة في الأديان والأحزاب والمذاهب المعاصرة، ص ١٧٣.

٦. يتبين دور المبشرين في الغزو الفكري من خلال معرفة أهدافهم، ومؤتمراتهم، ووسائلهم التي استخدموها، واستغلالهم للمرأة، دون الحاجة إلى بذل النفوس وإزهاق الأرواح بالحروب الطاحنة، لذا سنتعرف على أهداف التبشير ووسائله، وكيف استغلت المرأة لتكون مبشرة بين قومها.

ثانياً أهداف التبشير:

١- إعداد جيل من المسلمين يحمل أفكار الغربيين وثقافتهم ليسهل الاتصال بهذا الجيل ومن ثم يتم التنسيق معه من أجل السيطرة على البلاد الإسلامية، واستعمارها فكرياً وسياسياً.

٢- زعزعة العقيدة الإسلامية والتشكيك فيها، بحيث تخلو الأجيال المسلمة في المجتمعات الإسلامية من الثقافة الإسلامية، وتموت في نفوسهم مشاعر الغيرة والحمية الدينية(٣٠٤).

وبذلك يبتعد المسلم عن دينه ويصبح مسلماً بشهادة الميلاد، وهذا الهدف أشد خطراً، وضرراً على الإسلام والمسلمين ويؤكده قوله تعالى ﴿ **وَلا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا** ﴾(٣٠٥) كما يؤكده اعتراف القس المبشر زويمر بقوله: "إن الهدف من التبشير هو تحويل المسلمين عن التمسك بدينهم". (٣٠٦)

وفي خطاب ألقاه البابا شنودة في الكنيسة المرقصية في الإسكندرية عام١٩٧٣م ذكر فيه "أنه يجب مضاعفة الجهود التبشيرية التي وضعت وبينت على أساس هدف اتفق عليه للمرحلة القادمة وهو زحزحة أكبر قدر من المسلمين عن دينهم والتمسك به، على ألا يكون من الضروري اعتناقهم المسيحية، فإن الهدف هو زعزعة الدين في نفوسهم، وتشكيك الجموع الفقيرة منهم في كتابهم، وصدق محمد"(٣٠٧)

٣- الإيحاء بأن المبادئ والمثل النصرانية أفضل من أي مبادئ أخرى، وأن تقدم الغربيين الذين وصلوا إليه، إنما جاء بفضل تمسكهم بالنصرانية.

٤- تمكين الغرب النصراني من البلاد الإسلامية، وهو مقدمة أساسية للاستعمار، وسبب مباشر لتوهين قوة المسلمين وإضعافها، والتحكم في مقدرات وإمكانات الشعوب حيث

---

(303) انظر: دراسات في الثقافة، ص ٢٨، والموسوعة الميسرة، ص ٧٣.

(304) انظر: دراسات في الثقافة الإسلامية، صالح دياب هندي، ص ٢٦-٢٧.

(305) سورة البقرة، الآية (٢١٧)

(306) دراسات في الثقافة الإسلامية، ص ١٧، عن معركة التقاليد لمحمد قطب.

(307) التنصير مفهومه، أهدافه، سبل مواجهته، علي إبراهيم النملة، الريـاض، ١٩٩٣م – ١٤١٣هـ، ص ١٦.

يقول القس (بيرس بيفر) "لقد أصبح يقال عن المبشرين إنهم عملاء للاستعمار، ولا يزالون يتهمون بأنهم أدوات لتغلغل النفوذ الأجنبي وللتخريب"[308].

٥- ترسيخ فكرة قيام دولة (وطن قومي) لليهود في أي مكان أولاً، ثم فلسطين المحتلة بعدئذٍ، آخذاً في الحسبان أن الإنجيل (العهد الجديد) بعد تحريفه بأيدٍ يهودية يتضمن تعاليم تدعو إلى هذه الفكرة،وأنها أصبحت واجباً مقدساً على النصارى، ومن ناحية أخرى التخلص من الجنس اليهودي من أوروبا ثم أمريكا الشمالية هدفاً فرعياً لهذا الهدف العقدي، الأمر الذي لم يتم رغم استمرار تجمع اليهود في فلسطين

ثالثاً: وسائل التبشير[309]:

تعددت وسائل ومجالات أنشطة المبشرين وهي:

١- المناظرة والمجادلة لعلماء المسلمين. وهذه الوسيلة تستخدم في حالة تعذر إقناع الخصم. وقد اشتهر علماء الهند المسلمون بمناظراتهم وإبطال دعاوى المبشرين. [310]

٢- مجال الخدمات الصحية: وذلك بتأسيس المستشفيات والمستوصفات التبشيرية وتوجيه الأطباء المتنقلين، والمستوصفات المتنقلة، وقد تحملوا في ذلك مشقات الدخول في أصعب الأماكن الإفريقية وغيرها، واستثمروا مؤسساتهم الطبية استثماراً اقتصادياً واسعاً مع قيامهم بمهمة التنصير. يقول القسيس أتاتوليكوس "إن من أهم الوسائل التي استخدمها المبشرون التبشير عن طريق الطب، لأن ذلك في مأمن عن مناوأة الحكومة له. والمسلمون يلجأ ون بأنفسهم إلى مستشفيات المبشرين ومستوصفاتهم"[311]، وكتب في صحيفة الرائد الهندية "ففي الواقع أن المستشفي (هرمل) أنشئ ليندفع إليه الناس طمعاً في إزالة أمراضهم وعللهم فإذا بهم يجدون أنفسهم قد وقعوا في حبائل نصبت لسلب عقيدتهم".[312] ويقول المبشر أراهارتس: "يجب على طبيب إرساليات التبشير ألا ينسى ولا في لحظة واحدة أنه مبشر قبل كل شيء ثم هو طبيب بعد ذلك"[313].

٣ - تأسيس الكنائس والأديرة، وذلك في كل بلد إسلامي يوجد فيه نصارى مهما كان عددهم، حتى لو لم يتجاوزوا أصابع اليدين، لتكون بؤرة للتنصير، ومسوغاً للادعاءات المستقبلية بحقوق تاريخية في بلاد المسلمين.

---

(308) التبشير والاستعمار، ص٢٥٥.

(309) انظر: التنصير مفهومه وأهدافه ووسائله وسبل مواجهته، ص ٣٣-٣٥.

(310) انظر: أجنحة المكر الثلاثة، ص ١٠٢، أخطار التبشير، ص ٢١.

(311) أجنحة المكر الثلاثة، ص ١٠٣.

(312) انظر: أخطار التبشير في ديار المسلمين،ص ١٩.

(313) الغارة على العالم الإسلامي، ص٢٣.

٤- التعليم في الروضات والمدارس والكليات والجامعات.

لذا أكثروا من بناء المدارس في بلدان العالم الإسلامي ورياض الأطفال ودور الحضانة، ففي الأردن وحدها في السبعينات أسس بها تقريباً (١٤٠) مدرسة طائفية وأجنبية ومعظم طلابها من أبناء وبنات المسلمين، والمعلمون فيها معظمهم من غير المسلمين. [٣١٤]

يقول (جون موط) المبشر النصراني: "إن الأثر المفسد في الإسلام يبدأ باكراً جداً، من أجل ذلك يجب أن يحمل الأطفال الصغار إلى المسيح قبيل بلوغهم الرشد، قبل أن تأخذ طبائعهم أشكالها الإسلامية".[٣١٥] ولم يكتف هؤلاء بالمدارس الإرسالية، بل عمدوا إلى فتح المدارس العلمانية، بغية إحكام السيطرة على تربية أبناء المسلمين، وتدمير عقيدتهم يقول زويمر: "مادام المسلمون ينفرون من المدارس المسيحية، فلا بد أن ننشئ لهم المدارس العلمانية ونسهل التحاقهم بها، هذه المدارس التي تساعدنا على القضاء على الروح الإسلامية عند الطلاب"[٣١٦]، إضافةً لذلك كانت بعثات التعليم الصناعي والتدريب المهني، وبعثات التعليم العالي، وأيضاً تقدّم المنح والقروض للطلاب الذين يتم إرسالهم إلى الغرب لتعلم الثقافة الأوربية التي تذوب فيها شخصية المسلم ليصبح نموذجاً غربياً".

٥- مجال الخدمات والعلاقات الاجتماعية: ففي مجال الخدمات كانت دور الأيتام والعجزة والأرامل، والمطلقات وغيرها وفي مجال العلاقات الاجتماعية الصلات الودية والصداقات الشخصية، والزيارات العائلية، والعلاقات الاقتصادية، والثقافية المختلفة، واتخاذ هذه الأمور لإفساد المسلمين.

٦ - المساعدات واستغلال الأزمات والكوارث الفردية:

وذلك بتصيد اللقطاء والمشردين وأصحاب الأزمات المختلفة من أبناء وبنات المسلمين، وكذلك الذين فقدوا أهليهم في الحروب والفتن والمجاعات والكوارث الطبيعية، لذا اهتموا بالمجتمعات الإسلامية النامية والنائية، حيث ينتشر الفقر والمرض والجهل، وتكثر الأمية، فيستغل المبشرون حاجات الناس للغذاء والدواء والكساء والعمل في الدعوة إلى النصرانية، كي يتنازل المسلم عن دينه مقابل الحصول على الرزق[٣١٧].

٧- تأسيس الإذاعات: اتجه التبشير المسيحي إلى استعمال الآذان في الفترة الأخيرة لسببين هامين وهما:

أ- الاتصال بأعداد كبيرة من الناس

---

(314) انظر: أجنحة المكر الثلاثة، ص ١٠٣.

(315) التبشير والاستعمار، ص ٦٨.

(316) الغارة على العالم الإسلامي، ص٥٠.

(317) انظر: أجنحة المكر الثلاثة، ص ١٠٤-١٠٥.

ب- اختراق موجات الإذاعة لكل الحواجز والحدود ووصولها إلى الآذان، وقد بدأ البث الإذاعي للبرامج التنصيرية عام١٩٢٠م في الولايات المتحدة، وبلغت عدد الإذاعات التنصيرية اليوم خمسين إذاعة منها: إذاعات تخصص إرسالها إلى المناطق الإسلامية وعلى رأسها محطة (دبليوار) التي بدأ بثها من طنجة ثم انتقلت إلى (مونت كارلو) عام١٩٦٠م. [(٣١٨)]

٨- تأليف الكتب وتوزيع المطبوعات والمنشورات التنصيرية: حيث استغلوا إمكاناتهم المادية والعلمية، لطبع ملايين الكتب والرسائل والمنشورات، وتوزيعها بين المسلمين، كما قاموا بطبع أشرطة كاسيت وحشوها بما يريدون من أفكار وتوزيعها في أماكن ومجالات أنشطتهم، وقاموا بتأليف كثير من الكتب عن الإسلام وطبعوها بمطابعهم وبثوا فيها سمومهم مثل دائرة المعارف وترجمات القرآن". [(٣١٩)]

٩- تأسيس الجمعيـات والمنظمـات والنوادي ذات النشاط الاجتماعي أو الأدبي أو الثقافي أو الفني أو الرياضي، ومن هذه المنظمات منظمة (نداء الرجاء) بمدينة (شتوتكارت) الألمانية ومنظمة (بعثة الصداقة) ولها فروع كثيرة و(مركز الشبيبة النصراني) بألمانيا الغربية وهذا غير المنظمات السرية التي تعمل في الخفاء. [(٣٢٠)]

١٠- المساعدة على افتتاح أكبر عدد ممكن من دور الخمور في بلدان العالم الإسلامي لنشر معاقرة الخمور بين المسلمين، وقد تبين أن الكنيسة والمؤسسات التبشيرية هي وراء تعطيل أي مشروع لمنع الخمور في السودان، فعندما أعلن مجلس أم درمان تحريم بيع الخمور عارضت الكنيسة ذلك، ودفعت أموالاً طائلة لمنع تنفيذ هذا القرار.

١١- مجال المسابقات بأنواعها، حيث يتم الإعلان عن المسابقات عن طريق المراسلة وتتطلب هذه المسابقات التعرف على موضوعات تهم المبشرين، ويرصد لها جوائز مادية وعينية قيمة بغية شد انتباه الناس إليها، وتحريك ذوي المطامع للمشاركة فيها.

١٢- استغلال الفنادق العالمية الكبرى ذات الفروع في معظم عواصم العالم، ودس ما يمكن عن طريقها من غزو تبشيري صليبي، وسلوك غربي يخدم مصالح الاستعمار الغربي، واستغلوا الأسواق المجمعة أيضاً لترويج أفكارهم. [(٣٢١)]

---

(318) انظر: أجنحة المكر الثلاثة، ص١٠٥، وأخطار التبشير في ديار المسلمين، محمد عبد الرحمن عوض، دار الأنصار، إصدار مجلة الدعوة، المركز الإسلامي للدراسات والبحوث، ١٩٨٠م، ص٢١-٢٢.

(319) انظر: أخطار التبشير في ديار المسلمين، ص٢١.

(320) انظر: أجنحة المكر الثلاثة، ص ١٠٥-١٠٦.

(321) انظر: أجنحة المكر الثلاثة، ص ١٠٦-١٠٨.

ومن المبشرين نفر أُشغلوا بالآداب العربية والعلوم الإسلامية ثم يوازنون بين الآداب العربية والآداب الأجنبية أو بين العلوم الإسلامية والغربية (النصرانية) ليخرجوا دائماً بتفصيل الآداب الغربية على الآداب العربية الإسلامية، ثم إبراز نواحي النشاط الثقافي الغربي وتفضيلها على أمثالها في تاريخ العرب والإسلام، وما غايتهم في ذلك إلا خلق تخاذل روحي وشعور بالنقص في نفوس الشرقيين، وحملهم من هذه الطريق على الرضا بالخضوع للمدنية المادية الغربية. (٣٢٢)

١٤- الاشتراك في المجالات العلمية الرسمية: فمن وسائلهم التغلغل في المجامع العلمية لمحاولة السيطرة عليها أو توجيهها لصالحهم، وذلك بقصد التأثير على المثقفين، والخط الفكري في الدول الإسلامية، وحمل قادة الفكر العربي على أن ينفذوا مخطط الاستعمار والتبشير. (٣٢٣)

١٥- والوسيلة الأخيرة والمهمة هي استغلال المرأة المسلمة وغير المسلمة في التبشير. فهم يعلمون أن المرأة لها دور مؤثر في الحياة كلها، ولها من القدرات ما يمكن استغلالها في تحقيق أهداف المنصرين وغير المنصرين.

لذا يقوم المبشرون بجهود مكثفة تعمل على نقل المرأة من بيئة إسلامية إلى بيئة غربية خالصة، من خلال التبرج والسفور والاختلاط، والاشتغال في الفن كالغناء والمسرح والسينما والثقافة والآداب، وفي الأعمال المهنية والحرفية الأخرى. (٣٢٤)

تقول المبشرات المشتركات في مؤتمر القاهرة عام١٩٠٦م: "لا سبيل إلا بجلب النساء المسلمات إلى المسيح، إن عدد النساء المسلمات عظيم جداً لا يقل عن مائة مليون، فكل نشاطٍ مجدٍ للوصول إليهن يجب أن يكون أوسع مما بذل إلى الآن، نحن لا نقترح إيجاد منظمات جديدة، ولكن نطلب من كل هيئة تبشيرية أن تحمل فرعها النسائي على العمل واضعةً نصب عينيها هدفاً جديداً هو الوصول إلى نساء العالم المسلمات كلهن في هذا الجيل". (٣٢٥)

ومن أهم الأعمال التبشيرية للمرأة:

- تأسيس جمعيات نسائية كجمعية الشابات المسيحيات.
- تأسيس مدارس للبنات على نسق المدارس التي أسسوها للذكور.
- فتح المدارس الداخلية لأن فرص التأثير فيها أكثر.
- تشجيع التعليم المختلط.

---

(322) انظر: التبشير والاستعمار، ص ٢٤-٢٥.

(323) انظر: أخطار التبشير في ديار المسلمين، ص ٢٠.

(324) انظر: أجنحة المكر الثلاثة، ص ٧١-٧٣.

(325) انظر: التبشير والاستعمار، ص ٢٠٤.

- فتح دورات خاصة بالطالبات تشرف عليها طائفة من المبشرات.
- إقامة الأندية النسائية والمخيمات الكشفية النسائية، وإشاعة المجتمعات المختلطة بين المسلمين والمسلمات.

لقد صفق المبشرون ابتهاجاً وسروراً كثيراً عندما فتحت المرأة المسلمة أبوابها، ونزعت جلبابها، لأن ذلك قد أتاح لهم كل الفرص للتغلغل عن طريقها إلى داخل الأسرة المسلمة كي يبثوا ما يريدونه من تعاليم تمليها عليهم مهماتهم التبشيرية، وأن أقصر طريق لذلك هو اجتذاب الفتاة المسلمة إلى مدارسهم، بكل الوسائل الممكنة، لأنها هي التي تتولى عنهم مهمة تحويل المجتمع الإسلامي وسلخه من مقومات دينه".

"وقد ابتكر المبشرون وسيلة لتصيد الفتيات اللاتي يتعرضن لأزمات عاطفية أو عائلية أو اقتصادية، والتأثير عليهن وتبشيرهن، حيث عملوا على إنشاء بيوت للفتيات المطلقات، وللأرامل الصغار، توزع فيها النساء حسب أحوالهن وحاجاتهن فيمكثن في هذه البيوت فترة يكنّ فيها تحت تأثير الإنجيل، ويدربن ليكنّ مبشرات فيما بعد" [٣٢٦]

بمثل هذه الأهداف الخبيثة والوسائل الأخبث يتوجه النصارى بثياب المتوجعين على المرضى والمنكوبين والجهلة في عموم البلدان الإسلامية، يلبسون مسوح الرهبان وقلوبهم قلوب الذئاب. ﴿ **يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ** ﴾ [٣٢٧]

والسؤال هنا؟ هل أحس كل منا بالخطر المحدق بالإسلام؟ وهل فكر في وسيلة لمنع هذه المصيبة؟؟ لذا لا بد من خطوات وسبل لمواجهة حملات التنصير، ولا بد أن تسير هذه الخطوات **في خطين متوازيين**:

الأول: دفع الخطر عن المسلمين واكتساح الفتنة التي تكاد تغرقهم في الفساد.
الثاني: تبصير هؤلاء الضالين من المبشرين بالحقائق المجردة بعيداً عن بريق وسائل الإعلام، وطغيان الثروة المادية[٣٢٨] ويكون ذلك بعدة سبل:

سبل مواجهة التنصير

١- الدعوة إلى الله تعالى على بصيرة، وأساليب الدعوة متعددة ومتنوعة، وهي تتطلب العلم الشرعي أولاً ثم الفقه فيه. لذا يجب إعداد دعاة مؤهلين للدعوة لمواجهة هؤلاء المنصرين والتصدي لهم، ولا بد من إرسال مزيد من الدعاة إلى الغرب ليرشدوهم إلى سواء السبيل مستنيرين بقوله تعالى ﴿ **لِمَ تَعِظُونَ قَوْماً اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَاباً شَدِيداً**

(326) أجنحة المكر الثلاثة، ص ٧١-٧٢.
(327) سورة التوبة، الآية (٣٢)
(328) انظر: أخطار التبشير في ديار المسلمين، ص٢٧.

قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾[٣٢٩] ولا مانع من استخدام الوسائل الحديثة كالانترنت الآن في الدعوة إلى الله .

٢- أن تتصدى الحكومات المسلمة للمنصّرين، فلا تقدم لهم التسهيلات في المجتمعات المسلمة وأن توجد البديل الحق لما يتقدم به المنصّرون من مساعدات وثقافات، وعليهم مسئولية مراقبة البعثات الدبلوماسية الأجنبية، وإشعارها دائماً بأنه يجب أن تقوم بمهامها المناطة بها فقط وعدم الإخلال بهذه المهام بالخروج إلى المجتمع ومحاولة تضليله دينياً وثقافياً واجتماعياً، وأن تقوم البعثات الدبلوماسية المسلمة بمهمة المواجهة بالأساليب المناسبة التي تحد من المد التنصيري في المجتمعات المسلمة.

٣- أن تكثف الهيئات الإغاثية الإسلامية وجمعياتها ولجانها، أعمالها لمواجهة التنصير، والوصول إلى المنكوبين ومساعدتهم قبل أن تصلهم مساعدات المنصرين.

٤- أن يقوم العلماء وطلبة العلم بدورهم في الدخول إلى المجتمعات الإسلامية بتعليمهم مباشرة عن طريق الزيارات والأنشطة العلمية والثقافية الجماعية والفردية، وعن طريق المحاضرات والمؤلفات والرسائل القصيرة، والنشرات الموجزة المهمة والموجهة إلى العامة قصداً، وهم مطالبون بالاستمرار في تنبيه الناس لأخطار التبشير، ودعوة الجميع من المسلمين لمواجهة الحملات التنصيرية، بما عندهم من الإمكانات المادية والبشرية.[٣٣٠]

٥- مساهمة التجار ورجال الأعمال والموسرين بالتصدي للتنصير، سواء كانوا في أماكن عملهم، أو في البلاد التي يتعاملون معها، وهم مطالبون بأن يكونوا قدوة في أعمالهم ومعاملاتهم وتعاملهم مع الآخرين من مسلمين وغير مسلمين. واستقدام الطاقات البشرية الإسلامية للعمل معهم، وإن كان لا بد من غير المسلمين، فعليهم أن ينتبهوا إلى ضرورة المراقبة الدقيقة والمتابعة المستمرة، وعليهم أن يتأكدوا من أن العاملين من غير المسلمين لم يأتوا لأغراض فكرية أو ثقافية أو دينية أخرى تحت ستار العمل. ومن الضروري القيام بالإرشاد لهم بعقد الندوات أو المحاضرات أو كتابة المقالات والنداءات، وعليهم أن يقوموا بالبذل والدعم، وتبني المشروعات الاقتصادية النافعة قبل أن تتلقفها أيدي المبشرين[٣٣١].

٦-أن يسخر شباب الأمة طاقاته وإمكاناته للتصدي للمنصرين عن طريق التطوع، فيكونوا سنداً للعاملين في مجالات الدعوة والإغاثة.

---

(329) سورة الأعراف، الآية (١٦٤)

(330) انظر: التنصير مفهومه وأهدافه ووسائله وسبل مواجهته، د. علي إبراهيم النملة، الرياض، ١٩٩٣-١٤١٣هـ، ص ٩٠-٩٢.

(331) التنصير مفهومه وأهدافه ووسائله وسبل مواجهته، علي النملة، ص ٩٠-٩٢.

٧-أن تسهم المؤسسات العلمية والتعليمية كالجامعات والمعاهد العليا، ومراكز البحوث المنتشرة في أنحاء العالم الإسلامي في مواجهة التنصير، حيث تبين خطر الحملات التنصيرية على الأمة عن طريق الكتاب، أو الندوات والمحاضرات، والمؤتمرات المحلية والإقليمية والدولية، لوضع الخطط والاستراتيجيات لمواجهة التنصير. وعلى هذه المؤسسات ترجمة الكتب النافعة والرسائل الموجزة، ونشرها بين الأقليات المسلمة، وبين المسلمين عموماً ممن لا يتحدثون اللغة العربية، وترجمة بعض ما ينشر من مؤتمرات المنصرين ووقائع لقادتهم، وجهودهم في حملاتهم، حتى تطلع الأمة على ما يراد بها ويحاك لها[٣٣٢].

٨- يناشد المسلمون المنظمات الإسلامية ببذل الجهود في مواجهة التنصير، ومنها:

- رابطة العالم الإسلامي.
- الندوة العالمية للشباب الإسلامي.
- منظمة المؤتمر الإسلامي والمنظمات المنبثقة عنها.
- الجمعيات المحلية الإسلامية الطلابية، والمعنية بالجاليات والأقليات المسلمة في غير بلاد المسلمين.
- الجماعات الإسلامية.

فعلى هؤلاء جميعهم أن يكثفوا أنشطتهم للتصدي لحملات التنصير، باستخدام كل الوسائل والإمكانات المتاحة.

٩- لابد من التعرف على عقائد النصارى واختلافها من كاثوليكية وبروتستانتية وأرثوذكسية، وما بداخلها من انقسامات، ومواقفها من طبيعة المسيح عليه السلام وأمه الصديقة مريم، ومواقفها من عقيدة التثليث وغيرها من معتقداتهم قصداً إلى التنبيه لعدم الوقوع فيها، ورغبة في السيطرة على موضوع التنصير عند الحديث عنه. [٣٣٣]

١٠- المساعدة في قيام مؤسسات طبية خيرية إسلامية، تستثمر جهود الأطباء وتقتطع من وقت فراغهم لتطبيب المسلمين في كل مكان، ويصاحب ذلك جهد دعوي، كلمة طيبة مع جرعة الدواء.

١١- إيجاد مواقع على الانترنت ومنتديات خاصة بدراسة موضوع التنصير ومتابعته، وإعداد الدراسات والتقارير بشأنه وحفظ الوثائق المتعلقة به، وإصدار النشرات الدورية، التي تلاحق كل جديد ويمكن لهذه المواقع أو المنتديات أن تتولى أمر الدعوة إلى قيام

---

(332) التنصير مفهومـــه وأهدافـــه ووسائله وسبل مواجهته، علي النملة، ص٣-٩٧..

(333) نفس المصدر السابق، ص٩٧-٩٨.

مؤتمر إسلامي عالمي يناقش موضوع التنصير، ويكون دورياً سنوياً أو كل أربع سنوات، يناقش موضوع التنصير من جميع جوانبه، وتقدم فيه الدراسات والبحوث والاقتراحات.

١٢- تصميم وعمل برامج حاسوب عن التنصير، وأخطاره على الشريط الممغنط، تتسم هذه البرامج بالسهولة والوضوح والاعتماد على المنهج الشرعي الصحيح المبنى على الكتاب والسنة، ونشر هذه البرامج في مجال الحاسوب عن طريق الشبكات الدولية للحاسوب.

١٣- العناية الخاصة بالمسلمين الجدد، باحتضانهم والتلطف بهم، وتعليمهم وتأليف قلوبهم على الخير، والتواصل معهم بالهدية والكلمة الطيبة.

١٤- محاربة أي منتجات تَمُتُّ للتنصير بصلة أو تكون مبنية على فكرة تنصيرية كلعب الأطفال، والأدوات المنزلية أو الملابس وغيرها، وتشديد المراقبة عليها.

١٥- المساعدة في إنشاء مراكز التوعية الإسلامية، لدعوة النساء غير المسلمات إلى الإسلام وتشرف على هذه المراكز بعض الأخوات المسلمات، وتنشط في أوساط المضيفات والممرضات.

١٦- التحذير والحذر من التيارات العلمانية والحركات الحديثة التي هي في حقيقتها الوجه الفكري والأدبي للتنصير.

١٧- العناية بالأرياف والمناطق النائية كالقرى ومثلها الدول البعيدة عن مراكز العلم. (٣٣٤)

المبحث الثالث

أهداف الغزو الفكري ومخاطره

المطلب الأول: أهداف الغزو الفكري:

إن مَنْ أمعن النظر في أقوال الغزاة من المستعمرين والصهاينة والمبشرين والمستشرقين، وجد أنهم يخافون من هذا المارد الإسلامي العظيم متمثلاً في نظامه وحضارته وقيمه، لذلك شنوا هجمتهم الفكرية الشرسة محاولةً منهم في وقف زحف المد الإسلامي، وتشويهه في نفوس أتباعه.

يقول المستشرق (لورانس براون): "ولكن الخطر الحقيقي كامن في نظام الإسلام، وفي قدرته على التوسع والإخضاع، وفي حيويته: إنه الجدار الوحيد في وجه الاستعمار

(334) خطوات عملية لمواجهة التنصير، موقع صيد الفوائد ومستفاد من شريط التنصير لسلمان العودة، www.saaid.net

الأوربي"[٣٣٥] ويقول رئيس الوزراء الصهيوني السابق بن غوريون: "نحن لا نخشى الاشتراكيات، ولا الثوريات، ولا الديمقراطيات في المنطقة، نحن فقط نخشى الإسلام هذا المارد الذي نام طويلاً، وبدأ يتململ من جديد"[٣٣٦]، ويقول المبشر الصليبي غاردنز: "إن القوة التي تكمن في الإسلام هي التي تخيف أوربا".[٣٣٧]

ولهذا لجأ الغزاة إلى أسلوب الغزو الفكري الذي هو أشد خطراً على المسلمين وأكثر نفعاً للغزاة من أي أسلوب آخر لأنه سيحقق أهدافهم الآتية:

أولاً: ضرب المسلمين من الداخل:

عن طريق شل فاعليته، وعزله عن التأثير في حياة المسلمين، وتحديد إقامته داخل دياره، ثم تحويله إلى دين كهنوتي لا يهتم بحياة الناس الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والتشريعية أي فصل الدين عن الدولة والحكم وحياة الناس عامة. فنجاح الغزو الفكري للعقول والقلوب المسلمة معناه الإجهاز نهائياً، وبطريقة هادئة على كل أثر يمكن أن يصنعه الإسلام في حياة الفرد أو حياة الأمة، وهو أقصى ما يطمح إليه الغزاة وهو صرفهم عن التمسك بالإسلام نظاماً وسلوكاً. [٣٣٨]

ثانياً: منع الإسلام من الانتشار خارج ديار المسلمين:

وحقن الشعوب الأخرى بكراهية الإسلام والمسلمين، بوسائل متنوعة تقوم أولاً وأخيراً على تشويه حقائق الإسلام، وإظهار أتباعه في أسوأ صورة وذلك لأن أعداء الإسلام تأكدوا أن الإسلام بالفعل يمكن أن يشكل خطراً عليهم، لهذا كان لابد من حصره والحد من تياره. [٣٣٩] لذا حاول الغرب تشويه صورة الإسلام من جميع جوانبه، وفي كل ركائزه، حتى يقطعوا الصلة بين المسلمين ودينهم، ويحجبوا غير المسلمين عن الإسلام، فهم يريدون أن يطفئوا نور الله سبحانه وتعالى ولكنهم لن يستطيعوا أن يقيموا سداً منيعاً بين المسلمين ودينهم ﴿ **وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ**﴾ [٣٤٠]

---

(335) التبشير والاستعمار، ص ١٨٤.

(336) عداء اليهود للحركة الإسلامية، زياد أبو غنيمة، دار الفرقان، عمان، ط٣، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م، ص ٤٦.

(337) التبشير والاستعمار، ص ٣٦.

(338) انظر: دراسات في الثقافة الإسلامية ص ٢٥، وحاضر العالم الإسلامي، د. صالح الرقب، ص ٣٣، وسائل مقاومة الغزو الفكري، حسان مرزوق، ص ٥٠-٥١.

(339) انظر: دراسات في الثقافة الإسلامية، ط٥، ص٢٥، وانظر: وسائل مقاومة الغزو الفكري، حسان مرزوق، ص ٥٠ -٥١.

(340) سورة التوبة، الآية (٣٢).

ثالثاً: التشكيك في تاريخ وحضارة الأمة الإسلامية:

فهم يريدون أن يقطعوا صلة هذه الأمة بتاريخها وحضارتها، لذا وجدوا أنه لابد من تشويه التاريخ والتشكيك في مفاخره، والتركيز على نقاط الضعف فيه، بحيث تنمو أجيال لا تعرف منه إلا عصور الظلم والاستبداد، فترات القلق والاضطهاد، ومراحل القهر والقحط. وبذلك يرى الناشئ تاريخ أمته مسلسلاً من العذاب وحلقات من السواد، ومن خلال النظر إلى العالم الإسلامي يلاحظ ظاهرتان:

- تشويه تاريخنا الإسلامي في كل المصادر والمؤلفات التي صدّرها الغزاة لنا وتلاميذهم.
- الإشادة بالتاريخ الأوربي ودفع شأنه، وتجلية انتصاراته.

فمثلاً في الجزائر بدأت دراسة التاريخ عام١٨٣٠م مع بداية الاحتلال الفرنسي، فصورت الاستعمار الفرنسي بأنه سبب في تطويرها وتنميتها وتخليصها من الجهل والتخلف المرتبط بالإسلام والمسلمين. وأيضاً في فلسطين عندما فرضت السلطات الإسرائيلية تغيير كتب المواد الاجتماعية في الأرض المحتلة عقب حرب ١٩٦٧م، لكي تتحول هذه الكتب لما يُرضِي أطماع الصهيونية، ويحقق أهدافهم، كما أنهم منذ عام ١٩٤٨م يدرّسون لطلاب فلسطين كتباً لا تحمل إلا وجهة نظر الصهيونية في التاريخ الإسلامي والعربي، لها كثير من التلفيق والتزوير وقليل من الإنصاف. كما أن مئات من الكتب الدراسية والثقافية في أنحاء العالم، ما زالت مسممة بكثير من الاتجاهات ضد الإسلام والمسلمين تاريخاً وحاضراً. [٣٤١]

رابعاً: التشكيك في حاضر الأمة:

لم يكتف الغرب تشويه التاريخ الإسلامي، بل أراد أن يشوه ويشكك في حاضر الأمة الإسلامية، حتى ينشأ جيل يكره هذا الحاضر، وينفر من تخلفه، ويقشعر من رجعيته، فيبحث له عن مخرج أو حاضر جديد أكثر رقياً وأعلى منزلةً، فيتبنى أفكار أمة أخرى مما يؤدي إلى ضياع حاضر الأمة. [٣٤٢]

خامساً: التشكيك في مستقبل الأمة:

فإذا كان الماضي رجعياً والحاضر عفناً فكيف سيكون المستقبل؟ لابد أنه ظلام وبوار وخراب لذا فهم يريدون منا أن نغض الطرف عن ماضينا، وننصرف عن حاضرنا، ونندمج في غيرنا بحيث نتبنى أفكارهم ليكون مستقبلنا زاهراً وضاءً، فالتخلف الإسلامي لا علاج له إلا بالمستقبل الغربي. ويترتب على ذلك تبديد لمستقبل الأمة، وصرفها عن منهجها القويم.

---

(341) انظر: وسائل مقاومة الغزو الفكري، ص ٥١-٥٤.

(342) انظر: نفس المصدر السابق، ص ٥٥-٥٦، والغزو الفكري في التصور الإسلامي، ص ٥٦.

سادساً: تذويب شخصية الأمة:

وتأتي مرحلة التذويب بعد التشويه والتشكيك، بحيث تفقد الأمة الإسلامية هويتها وتتنكر لأصالتها ويصبح النموذج العربي هو النموذج الثقافي الواجب الاقتداء به. من خلال الآتي:

أ- إحلال عناصر ثقافية جديدة:

ومن أهداف الغزو الفكري زراعة ثقافة جديدة توجه العقول، وتحكم السياسة، وتصنع القرارات، وتحرك الشخصيات، وتوجه الضمائر، وتلعب بالقيادات. فالغزاة عجزوا عن تغيير ديانة المسلمين، لكن لا مانع من أن يفهم المسلمون دينهم فهماً خاطئاً، فيتعاملون معه على أنه عقيدة أو شعائر تعبدية تربطهم بالسماء، فيحملون أسماء إسلامية، ويؤدون العبادات كاملة أومنقوصة، أما المعاملات ونظم الحياة المختلفة وتنظيمات المجتمع فلتتحول إلى نظم غربية تحمل قسماتها وتتبنى فلسفتها وتصوراتها لمختلف جوانب الحياة. (٣٤٣)

ب- إضعاف روح الإخاء الإسلامي بين المسلمين في مختلف أقطارهم:

عن طريق إحياء القوميات التي كانت قبل الإسلام والتي ظهرت بعده وإثارة الخلافات والنعرات بين شعوبهم، وسيأتي الحديث عنه لاحقاً عند تناول وسائل الغزو الفكري.

ج- تفريغ القلوب المسلمة من القيم الأساسية والأخلاق:

ودفع هذه القلوب عارية أمام عاصفة هوجاء تحمل معها السموم عن طريق الصحافة والمسرح والفيلم والأزياء والملابس، وبذلك تتفوق عندهم المثل الغربية على مثل الإسلام العليا.

د- تصوير تراث الأمة الإسلامية بصورة التخلف:

وعدم قدرته على إمداد الحضارة الإسلامية بشيء مفيد، وأنه لم يكن له فضل على الحضارات التي جاءت بعده، لتشكيك المسلمين بقيمة تراثهم الحضاري فمثلاً عملوا على إحياء الجوانب الضعيفة في التراث الإسلامي خاصة فيما يتعلق بالخلافات السياسية التي وقعت بين المسلمين أنفسهم وركزوا عليها، وخرجوا بتصوير دعوات الحركات المعادية للإسلام بصورة جميلة مضيئة، ووصفها بأنها تحمل فكراً عالياً وفلسفة عميقة. (٣٤٤)

المطلب الثاني: أخطار الغزو الفكري:

بينت الباحثة فيما سبق أن الغزو الفكري أشد فتكاً بالمسلمين من الغزو المادي المسلح لأنه يستهدف أشرف ما في الإنسان: عقيدته وفكره، وقلبه وعقله، ذلك لأن الأمم تقاس بمقوماتها العقدية والفكرية، وقيمها الخلقية(٣٤٥). وبالتالي فإن الغزو الفكري يشكل أخطاراً

(343) انظر: وسائل مقاومة الغزو الفكري، حسان مرزوق، ص ٥٨-٦٦.

(344) انظر: الغزو الفكري في التصور الإسلامي، ص ٥٧-٥٨.

(345) انظر: نفس المصدر السابق، ص ٢٦.

متعددة يجب التنبيه إليها حتى يكون المسلمون على يقظة من أمرهم وفي مأمن من هذه الأخطار ويعدوا السبل لمواجهة هذه الأخطار، والتصدي لها وهي:

١- الغزو الفكري يفقد المعرضين للغزو الاستعداد مما يوقعهم في أحابيله بسهولة لأنه يسير في هدوء وروية ويحتاج إلى مدة أطول.

٢- يتجنب جميع أسباب المقاومة التي يمكن أن يبديها المعرضون للغزو.

٣- يجد له أتباعاً وأنصاراً يتعاونون معه بسهولة، إما عن طريق انخداعهم بأساليبه أي ظنهم بأن خيانتهم لدينهم ووطنهم لن تنكشف للناس.

٤- قليل التكلفة مع أن نتائجه وآثاره تبقى في عقول وقلوب الناس فترة طويلة. (٣٤٦)

٥- يمضي بين الناس في صمت ونعومة وخفاء في الأهداف مما يجعل الناس يتقلبون كل جديد ولو خالف قيمهم وعقائدهم، وأفكارهم، دون معارضة، ودون نفور، فيستجيبون إلى وسائله بأسرع ما يمكن لأنها لا تقوم على الدم والتضحيات أو استخدام القوة كالغزو العسكري. (٣٤٧)

٦- يختفي دعاته ولا ينكشف أمرهم للناس لأنهم يعملون من خلال عملائهم من أبناء البلاد المغزوة علناً وفي وضح النهار وتحت سمع وبصر القانون، بل برعايته وحمايته. (٣٤٨)

المبحث الرابع

وسائل الغزو الفكري

استخدم الغزاة وسائل كثيرة ومتعددة لترويج أفكارهم ولا بد من عرض هذه الوسائل بشيء من التفصيل.

المطلب الأول: التبشير:

وقد سبق أن تناولته الباحثة في المبحث الثاني عندما تحدثت عن علاقة التبشير بالغزو الفكري وأكدت على أن التبشير حركة دينية سياسية استعمارية وهو من أقوى وسائل الغزو الفكري حيث يستهدف نشر النصرانية في المجتمعات الإسلامية والوثنية والإلحادية، بهدف إحكام السيطرة على هذه الشعوب ويستغل زعماء التبشير انتشار الجهل والفقر والمرض للتغلغل بين الشعوب متوسلين بوسائل الإعلام بأنواعها والتعليم والطب، والأنشطة الاجتماعية الإنسانية، والإغاثية الموجهة لمنكوبي الفتن والحروب، وساعدهم تساهل حكام بعض الدول الإسلامية، ويعتمد في تحقيق أهدافه على تشويه صورة الإسلام وكتابه، ورسوله صلى الله

---

(346) انظر: دراسات في الثقافة الإسلامية، ص ٢٥.

(347) انظر: الغزو الفكري في التصور الإسلامي، ص ٢٦.

(348) انظر: دراسات في الثقافة الإسلامية، ص ٢٥.

عليه وسلم، مسخرين إمكاناتهم الضخمة لتحقيق مآربهم، حيث انطلقت أعداد كبيرة من المبشرين الداعين إلى النصرانية بين المسلمين، وقاموا بعملهم ذلك على أسس مدروسة، وبوسائل كبيرة عظيمة يجند لها مئات الآلاف من الرجال والنساء، وتعدلها أضخم الميزانيات، وتسهل لها السبل، وتذلل لها العقبات. (٣٤٩)

ويعد زويمر من أكبر أعمدة التنصير في العصر الحديث، وقد وضع كتاباً تحت عنوان (العالم الإسلامي اليوم) ومن أقواله: "ولكن مهمة التبشير التي ندبتكم لها الدول النصرانية في البلاد الإسلامية ليست في إدخال المسلمين في النصرانية، فإن في هذا هدايةً لهم وتكريماً، وإنما مهمتكم هي أن تخرجوا المسلم من الإسلام ليصبح مخلوقاً لا صلة له بالله، وبالتالي لا صلة له بالأخلاق التي تعتمد عليها الأمم في حياتها"(٣٥٠). وقد نجح التبشير في مواقع كثيرة، لأن إمكاناتهم هائلة، ولكونهم يعملون ويخططون ويتربصون، لا بد من مواجهتهم بنفس أساليبهم، بل لا بد أن يكون عمل المسلمين أزيد من عملهم لإنقاذ المسلمين من براثنهم، وقد سبق ذكر السبل المقترحة لمواجهة المنصرين، فالمواجهة تحتاج إلى مخطط دقيق، ينفذ بحكمة وبصيرة. (٣٥١)

المطلب الثاني: الاستشراق:

ويقصد بالاستشراق ما كتبه الغربيون عن الإسلام وقضاياه المختلفة، فهو وليد التبشير، حيث يلبس هيأة البحث والعلم، ولكنه في الحقيقة حلقة الوصل بين التبشير والاستعمار لهذا أقبل الغرب في أوربا على الاستشراق ليتسنى لهم تجهيز الدعاة المبشرين وإرسالهم للعالم الإسلامي، فالتقت هنا مصلحة المبشرين مع أهداف الاستعمار، فمكن لهم واعتمد عليهم في بسط نفوذه وأقنع المبشرون زعماء الاستعمار بأن النصرانية ستكون قاعدة الاستعمار الغربي في الشرق، وبذلك سهل الاستعمار لهؤلاء مهمتهم، وبسط عليهم حمايته، وزودهم بالمال والسلطان، وهذا هو السبب في أن الاستشراق قام في أول مرة على أكتاف المبشرين والرهبان ثم اتصل بالاستعمار(٣٥٢).

وللاستشراق دوافع تلتقي مع أهداف الغزو الفكري، فهو إذن المحرض النفسي لاتخاذ الوسائل التي توصل إلى تحقيق الأهداف، وهي أمنية الغزاة وهي خمسة دوافع:

دوافـــع الاستشــــراق:

---

(349) انظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، ص ٦٧٧.

(350) الغارة على العالم الإسلامي، ص٣٠.

(351) انظر: الغزو الفكري في التصور الإسلامي، ص٨٢-٨٣.

(352) الفكر الإسلامي الحديث، محمد البهي، ص ٥٣٣، وانظر: دراسات في الثقافة الإسلامية، ص ٢٩.

أولاً: الدافع الديني:

وهدفه إخراج المسلمين عن دينهم إما بتنصيرهم أو بإبقائهم بلا دين مطلقاً، لذا عمدوا إلى تحريف هذا الدين، وحمل الناس على كراهيته، وتشويه تاريخ وحضارة المسلمين، وتزيين ما في المسيحية من تعاليم وأحكام، واستدراج المسلمين للأخذ بالحضارات المادية الحديثة وما فيها من مغريات مدعين أن أحكام الشريعة الإسلامية لا تتلاءم مع التطور الحضاري(٣٥٣) ومن الأمثلة على التحريف المتعمد للإسلام: ما نشرته مجلة (Atlantic Monthly) دراسة (لبرناردوليس) بعنوان جذور السخط الإسلامي، مزينة برسم مريب لرجل مسلم منكب على تلاوة القرآن، وخلفه حية تسعى للانقضاض عليه، وجلدها مرقط بالعلم الأمريكي(٣٥٤)، حتى تثير الحقد ضد كل ما هو إسلامي، سواء كان إنساناً أو قرآناً أو مكاناً وسمى دعاة الاستشراق القرآن: توراة المسلمين، ويوم الجمعة سبت المسلمين، ويقابلون بين الإسلام والثورة الأمريكية أو الفرنسية، وكأن محمداً صلى الله عليه وسلم ليس نبياً مثل عيسى أو موسى أو إبراهيم، بل هو مجرد ثائر، ومن هنا يجردونه من صفة النبوة ليتحول إلى إنسان يصيب ويخطئ، وتتحول الشريعة الإسلامية كلها بما فيها القرآن إلى نصوص بشرية خالية من خفة القداسة، وفي أحيان أخرى يصفونه بأنه منشق على الكنيسة، وبأن هناك منشقين عليه. (٣٥٥)

ثانياً: الدافع الاستعماري

وهدفه دراسة البلاد الإسلامية في كل شئونها من عقيدة وعبادات أخلاق وثروات ولغات، وتاريخ، وغير ذلك مما يتعلق بها من جغرافيا وسكان، ليتعرفوا إلى مواطن القوة فيها فيضعفوها، وإلى مواطن الضعف فيغتنموها، والغاية من ذلك هو تهيئة الشعوب المسلمة نفسياً لقبول السيطرة على بلدان العالم الإسلامي والشعوب الإسلامية طمعاً باستغلال الأرض واستعباد الناس(٣٥٦).

ثالثاً: الدافع السياسي:

وهدفه الاتصال برجال السياسة والصحافة والفكر في البلاد الإسلامية، من قبل الملحقين الثقافيين الذين يتقنون اللغة العربية، والذين يلحقون بكل سفارة من سفارات الدول الغربية وذلك بقصد التعرف على الأفكار والاتجاهات السياسية السائدة في البلاد الإسلامية،

---

(353) انظر: أجنحة المكر الثلاثة، ص ١٢٦-١٢٧.

(354) الاستشراق بين سندان الدفاع ومطرقة الاتهام، د. عبد الرحمن عباد، الإسراء، دار الفتوى والبحوث الإسلامية، القدس، العدد ٥١، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م، ص ٤٩، عن تعقيبات على الاستشراق إدوارد سعيد، ترجمة صبحي حديدي، دار الفارس، عمان، ص٧.

(355) المرجع السابق، ص ٤٩.

(356) انظر: أجنحة المكر الثلاثة، ص ١٢٧-١٢٨.

وبث الفتن وإثارتها بين هذه الدول تحت ستار إبداء النصيحة، وإسداء المعونة لها، لتحقيق غايات سياسية، ولتسيير دول العالم الإسلامي كما يريد أصحاب هذه الدراسات. [٣٥٧]

رابعاً: الدافع الاقتصادي:

وهدفه غزو البلاد اقتصادياً وذلك بالاستيلاء على الأسواق التجارية والمؤسسات المالية المختلفة، والاستيلاء على الثروات الأرضية واستغلال المواد الطبيعية والحصول عليها بأبخس الأثمان، وإماتة الصناعات المحلية القديمة، لتكون بلاد المسلمين بلاد استهلاك لما تصدره المصانع الآلية الغربية.[٣٥٨]

لذا وجهت المؤسسات الاقتصادية الغربية من يهتمون بالدراسات الاستشراقية ليكونوا وسطاءهم ورسلهم ومستشاريهم، والمترجمين لهم، في مهماتهم ومطالبهم الاقتصادية، فاتجه فريق من الغربيين لهذه الدراسات، طمعاً بأن يجدوا أعمالاً لهم لدى المؤسسات الاقتصادية.

وظهر فريق من الباحثين العلميّين اهتم بالدراسات الاستشراقية ليقوم بنشر كتب التراث الإسلامي، والاستفادة من نشرها في تحصيل الثروات التي يحصل عليها الناشرون عادة. [٣٥٩]

أما قبل الاستعمار الغربي للعالم الإسلامي في القرنين التاسع عشر والعشرين، كانت المؤسسات والشركات الكبرى، والملوك يدفعون المال الوفير للباحثين من أجل معرفة البلاد الإسلامية وكتابة تقارير عنها، مما يسهل تحرك الغرب فيما بعد. [٣٦٠]

خامساً: الدافع العلمي النزيه

كان حب العلم دافعاً لبعض المستشرقين ولذا كان الاطّلاع على حضارات الأمم وأديانها وثقافاتها ولغاتها، ويتمثل هذا الدافع في نفر قليل من المستشرقين الذين لم يتعمدوا الدس والتحريف، فجاءت أبحاثهم أقرب إلى الحق، وأمثال هؤلاء:

١- (توماس أرنولد) الذي أنصف الإسلام في كتابه (الدعوة إلى الإسلام) وهو من أدق وأوثق المراجع في تاريخ التسامح الديني في الإسلام.

٢- المستشرق الفنان (دينيه) الذي عاش في الجزائر، وأعجب بالإسلام، وأعلن إسلامه، وتسمى باسم ناصر الدين دينيه حيث ألف مع عالم جزائري كتاباً اسم (أشعة خاصة بنور الإسلام) مات في فرنسا لكنه دفن في الجزائر، ومنهم أيضاً المستشرق عبد

---

(357) انظر: أجنحة المكر الثلاثة، ص ١٢٩، ودراسات في الثقافة الإسلامية، ط٢، ص ٣٢.

(358) انظر: الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار، ص ٥٣٣-٥٣٤.

(359) انظر: أجنحة المكر الثلاثة، ص ١٢٨.

(360) انظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والأحزاب والمذاهب المعاصرة، ص ٦٩٢.

الكريم (جبرمانوس) وهو عالم مجرى اعتنق الإسلام عام ١٩٣٠م، ألف أكثر من مائة وخمسين كتاباً من الإسلام وغيرهم. [٣٦١]

وسائل الاستشراق:

ويمكن تلخيص وسائل المستشرقين على النحو التالي:

١- نشر الأباطيل حول الشريعة الإسلامية قرآناً وحديثاً وفقهاً، كزعمهم أن القرآن لم ينزل من عند الله وإنما افتراه محمد صلى الله عليه وسلم، وأنه ليس سوى اقتباس من الشرائع والديانات السابقة كاليهودية والنصرانية، والتشكيك في صحة الحديث النبوي والتقليل من قدرة الفقه الإسلامي على مسايرة روح العصر. [٣٦٢]

٢- تجسيم مظاهر الضعف في ديار المسلمين وحملها على الإسلام من أجل إعطاء أسوأ صورة عنه أمام أتباعه وغيرهم في الناس والإيحاء لهم أن الإسلام هو التخلف والعجز عن ممارسة أي دور حضاري.

٣- تصوير الإسلام على أنه دين العنف والدماء بغية تعطيل فريضة الجهاد بين المسلمين.

٤- تصوير مزايا الإسلام على أنها عيوب كتصوير الطلاق، وتعدد الزوجات على أنه ضرب من الهمجية والفوضى الجنسية التي يبيحها الدين لأتباعه.

٥- اتهام الإسلام بشل قوى الإبداع والعبقرية بين أتباعه، حيث ادعى المستشرق الفرنسي كيمون في كتابه "باثولوجيا الإسلام" "أن الديانة المحمدية[٣٦٣] جذام تفشى بين الناس وأخذ يفتك بهم فتكاً ذريعاً، بل هي مرض سريع وشلل عام وجنون ذهولي يبعث الإنسان على الخجل والكسل"[٣٦٤]، ويقول: "وما قبر محمد إلا عمود كهرباء يبعث الجنون في صرع العامة، والذهول العقلي وتكرار لفظة (الله الله) إلى ما لا نهاية، والتعود على عادات تنقلب إلى رعوسهم، ويلجئهم إلى الإتيان بمظاهر طباع أصيلة ككراهية لحم الخنزير والنبيذ والموسيقى"[٣٦٥]

٦- التشكيك في قدرة اللغة العربية على مسايرة التطور العلمي وتشكيكهم في الأدب العربي تحقيقاً لمخططات استعمارهم الأدبي والثقافي.

---

(361) انظر: أجنحة المكر الثلاثة، ص ١٣٠-١٣١، ودراسات في الثقافة الإسلامية، ط٢، ص ٣٢، وانظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب، ص٦٩٢.

(362) انظر: دراسات في الثقافة الإسلامية، ط٢، ص٣٣.

(363) يسمونها محمدية للإيهام أنها من صنع النبي صلى الله عليه وسلم وليست ربانية، دراسات في الثقافة الإسلامية، ص ٣٣.

(364) دراسات في الثقافة الإسلامية عن الغزو الفكري، ط٢، ص٣٣، عبد الصبور مرزوق، ص ٣٣.

(365) المصدر السابق، ص٣٣.

٧- تحريك ودعم إرساليات التبشير، وإلقاء المحاضرات وإنشاء الجمعيات العلمية وتأليف الكتب وإصدار المجلات في مواضيع إسلامية مختلفة يبدو فيها التحريف واضحاً[٣٦٦].

٨- إنشاء الموسوعات العلمية الإسلامية والشرقية، واتخاذها وسيلة لدس الأفكار الاستشرافية السامة، وإقناع أجيال الشعوب المسلمة بها، كموسوعة دار المعارف الإسلامية، والموسوعة الفرنسية (لاروس) والموسوعة البريطانية وغيرها[٣٦٧].

٩- تأسيس الجامعات العلمية في بلدان العالم الإسلامي لتخريج أجيال منسلخة عن دينها، ومستعدة لتقبل المذاهب الفكرية المعاصرة الوافدة.

١٠- عقد المؤتمرات الاستشراقية لتبادل الرأي فيما يحقق أهداف الاستشراق.

١١- نشر المقالات في المجلات والصحف المحلية للبلاد الإسلامية، لبث أفكارهم عن طريقها، والترويج لأفكارهم، واستطاعوا أن يستأجروا عدداً من هذه المجلات والصحف لنشر مقالاتهم، واستطاعوا أيضاً أن يستأجروا كتّاباً وأساتذة جامعيين وغير جامعيين، وأدباء وشعراء يحملون أفكارهم من أبناء الشعوب المسلمة، وينشرونها بأقلامهم وألسنتهم ليكونوا أكثر تأثيراً في الأجيال الناشئة.

١٢- وجّه المستشرقون عنايتهم لإفساد المرأة المسلمة عن طريق إطلاق دعوات تحريرها فأثاروا الشبهات حول أحكام الإسلام الخاصة بالمرأة، وافتراء أنواعٍ كثيرة من الأكاذيب حول مكانة المرأة المسلمة وحقوقها وأحكامها سيتم الحديث عنها بالتفصيل فيما بعد. [٣٦٨]

المطلب الثالث: التغريب:

"ويقصد به اقتفاء سيرة الأوربيين وسلوك طريقهم ومشاركتهم في جميع مناهجهم ومقاييسهم وأذواقهم وأحكامهم، حتى تصبح الحياة كلها صورة من حياتهم"[٣٦٩] أو هو "تيار فكري كبير ذو أبعاد سياسية واجتماعية وثقافية وفنية، يوحى إلى صبغ حياة الأمم بعامة، والمسلمين بخاصة، بالأسلوب الغربي، وذلك بهدف إلغاء شخصيتهم المستقلة وخصائصهم المتفردة وجعلهم أسرى التبعية الكاملة للحضارة الغربية"[٣٧٠].

---

(366) نفس المصدر، ص ٣٣

(367) أجنحة المكر الثلاثة، ص ١٣٢-١٣٣

(368) انظر: أجنحة المكر الثلاثة، ص ١٣٢-١٣٣.

(369) دراسات في الثقافة الإسلامية، ط٢، ص ٣٣.

(370) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة، ص ٦٨٩.

ومن رواد هذا الاتجاه: الذين تخرجوا على أيدي الثقافة الغربية سواء في المراكز الثقافية الغربية أو في المراكز الثقافية التابعة للغرب في الشرق الإسلامي: طه حسين، رفاعة الطهطاوي، وقاسم أمين وغيرهم.

ويُسخِّر الغربيون الإستشراق والتبشير في خدمة دعوة التغريب، فالاستشراق هو المصنع الذي يثير الشبهات، ويضخم الأخطاء، ويشيع الأضاليل حول الإسلام، والمبشرون من جهة أخرى هم جنود هذه الدعوة وأدواتها المنفّذة[٣٧١].

ويعتبر التغريب من أخطر النتائج التي أعقبت الغزو الصليبي الجديد لبلاد المسلمين، وما أعقبه من تبعية ثقافية للغرب، وإعجاب بمدنيته، مما أشاع روح الانهزام الفكري وضياع روح الاعتزاز بالشخصية الإسلامية، لا سيما عند المثقفين الذين أصبحوا من أوائل الدعاة إلى التبعية الثقافية الغربية، والمروجين لها، بل ومن الفارضين لها بما لهم من سلطة ونفوذ في البلاد الإسلامية.

وبالمقارنة بين حياة المسلمين في القرون الأولى وحياتهم الآن، نلاحظ مظاهر التبعية للغرب في طرائق معايشهم ومناهج حياتهم، حتى أصبح من الأمور المميزة كحياة المسلمين في هذا الزمان وأهم مظاهر هذه التبعية للغرب ما يأتي:

١- المأكل والمشرب حيث تم هجر آداب الإسلام التي تنظم طريقة الأكل والشرب ولكنها هجرت، واستعير بدلاً منها مفاهيم الغرب، فانتشرت في شوارعنا ثقافة محلات تقديم الوجبات السريعة (والسندوتشات) والجلوس في أماكن للطعام على أنغام الموسيقى الصاخبة، والأغاني الهابطة.

٢- إطلاق الأسمـــاء الأجنبية للمحلات التجارية، حتى أن السائر في الطرق يهوله هذا الكم الهائــل من الإعــلانات التـــي تحمل أسماء أجنبية، إما أن تكون مكتوبة باللغة العربية أو باللغة الإنجليزية مثل (الألفي موتورز) مثلاً، وهو يطلق على محل للسيارات بدلاً من أن يقال (الألفي للسيارات)، ومؤسسة تعليمية تسمى نفسها (مودرن أكاديمي) بدلاً من الأكاديمية الحديثة، ومحل للصرافة باسم (كونتيننتال للصرافة) ومطعم (بالميرا) وغيرها كثير من الأسماء التي تشعر المتجول في الطرقات بأنه في بيئة غربية غير التي يعيش فيها.

٣- التقليد الأعمى لسلوكيات الغرب وعاداتهم شبراً بشبر وذراعاً بذراع، تجد الفتاة ترتدي الملابس على الموضة الغربية، فتمشي في الطريق شبه عارية، وكذلك الشاب في لبسه ومشيته وقصة شعره، وظهرت ظاهرة سيئة وهي مصاحبة الأولاد للبنات، وتشاهد ذلك بكثرة في مصر، سوريا، ولبنان، وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما قال:

---

(371) انظر: دراسات في الثقافة الإسلامية، ط٢، ص ٣٢، ط ٥، ١٩٨٢، ص٣٠.

"لتتبعن سنن من كان قبلكم، شبراً بشبر، وذراعاً بذراع، حتى لو سلكوا جحر ضب لسلكتموه. قلنا يا رسول الله: اليهود والنصارى؟، قال: فمن؟".(٣٧٢)

قال ابن حجر العسقلاني في شرح هذا الحديث (ضب) دويبة معروفة. "والذي يظهر أن التخصيص إنما وقع لجحر الضب لشدة ضيقة ورداءته، ومع ذلك فإنهم لاقتفائهم أثارهم واتباعهم طرائقهم لو دخلوا في مثل هذا الصغير لتبعوهم". (٣٧٣)

٤- وفي أسلوب الحوار نجدهم يحاولون إقحام بعض الكلمات الإنجليزية أثناء الحديث، حتى يبدو المتكلم وكأنه مثقفاً، فلا يخلو الحديث من كلمات مثل (Ok) أو (Hi) أو (Bye) أو (Hello) أو صباح الخير وغيرها، وفي ذلك هجران للغتنا وتقليل شأنها، والبعد عن تحية الإسلام التي تشعر المسلم بالأمن والطمأنينة، خاصة مع وجود البدائل لكل تلك الكلمات والعبارات في ديننا وفي ثقافتنا.

٥- وفي أوقات الفراغ التي يحاولون قتلها فتجد معظم المسلمين أمام شاشات التلفاز يشاهدون المسلسلات أو الأفلام التي تبث القيم الغربية المنافية للإسلام أو يتابعون المباريات التي أصبحت تشغل أوقات واهتمامات كثير من الشباب والتي غالباً ما تتعارض أوقات إذاعتها مع مواقيت الصلاة، فتضيع الصلاة في سبيل إتمام المشاهدة والمتابعة.

٦- وفي المجال الاقتصادي في التفكير والسلوك فقد هيمن النمط الغربي للسلوك على كثير من أفراد الأمة المسلمة، فتجد الكثيرين يغرقون في الديون طويلة الأجل من أجل شراء بيت كبير أو سيارة فارهة، أو غير ذلك من الكماليات ولا يهتمون بما إذا كانت هذه المجاملات تحرم لارتباطها بالربا أم لا، فإذا طلب من احدهم صدقة للفقير أشاح بوجهه بعيداً عنك مبدياً تأففه وتبرمه. (٣٧٤)

وتعد مصر من أكثر الدول الإسلامية تأثراً بالغرب، حيث كانت بيئة صالحة لدعوة التغريب، ووجد فيها كتّاب وأدباء دعوا دعوة سافرة إلى تقليد الحضارة الغربية، واتخاذها مثلاً يُحتذى ويُتبَع.

ومن أبرز هؤلاء الكتاب والأدباء -دعاة التغريب- (طه حسين) الذي تلقى علومه على يد مجموعة من المستشرقين، أخذ طه حسين يدعو إلى اعتبار مصر جزءاً من الغرب،

---

(372) صحيح مسلم، كتاب العلم، باب اتباع سنن اليهود والنصارى، رقم الحديث (٢٦٦٩)، ٢٠٥٤/٤.

(373) فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، دار أبي حيان،القاهرة، ط١، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م، ٣٣٩/٨.

(374) انظر: التغريب في ديار المسلمين، محمد حسن يوسف، www.saaid.net

فيقول: "نريد أن نتصل بأوروبا اتصالاً يزداد قوة من يوم إلى يوم، حتى نصبح جزءً منها لفظاً ومعنى، وحقيقة وشكلاً"[٣٧٥]. لم لا يقول ذلك وهو قد تربى على أيديهم ومن صناعتهم؟!.

ويعتبر الشيخ محمد عبده أيضاً من مناصري هذا الاتجاه، والداعين إليه، لقد قام الرجل باعتماد أسلوب جديد يعتمد على توضيح الإسلام والدفاع عن الثقافة الإسلامية، والتأكيد على أنه دين التطور والتجديد، وأنه لا يتعارض مع المدنية الحديثة، ولذلك هاجم التقليد ودعا إلى الاجتهاد، وتطوير الإسلام، وإعادة النظر في وضع المرأة في المجتمع، والحجاب، وطالب بالحدّ من تعدد الزوجات، والحدّ من حرية الطلاق، والمناداة بالوطنية[٣٧٦]، ومنهم:

رفاعة الطهطاوي، الذي ابتعث إلى باريس، وأقام فيها خمس سنوات من ١٨٢٦م-١٨٣١م.

وكذلك ابتعث خير الدين التونسي إليها وأقام فيها أربع سنوات من ١٨٥٢-١٨٥٦م، وقد عاد كل منهما محملاً بأفكار تدعو إلى تنظيم المجتمع على أساس علماني عقلاني وفق الطراز الغربي[٣٧٧].

ويعد محمد حسين هيكل رئيس تحرير جريدة السياسة في الفترة الأولى من حياته من أبرز المستغربين وقد أنكر الإسراء بالروح والجسد معاً، ثم عدل عن ذلك وكتب معبراً عن توجهه الجديد في مقدمة كتابه في منزل الوحي.

وكان الشيخ أمين الخولي وهو مدرس بالجامعة المصرية، يروج لأفكار طه حسين في الدعوة إلى دراسة القرآن الكريم دراسة فنية، بغض النظر عن مكانته الدينية[٣٧٨]. وغير هؤلاء كثير ممن تربوا على موائد الغرب، ثم جاءوا للبلاد الإسلامية من أجل طبع العالم الإسلامي بطابع الغرب الحضاري، وتشجيع القول بإيجاد فكر إسلامي متطور يبرر الأنماط الغربية، ومحوا الطابع المتميز للشخصية الإسلامية بغية إيجاد علائق مستقرة بين الغرب والعالم الإسلامي خدمة لمصالحه.

واستطاعت حركة التغريب أن تتغلغل في كل العالم الإسلامي، على أمل بسط بصمات الحضارة الغربية المادية الحديثة على البلدان الإسلامية بالغرب فكراً وسلوكاً.

---

(375) دراسات في الثقافة الإسلامية، ط٥، ص ٣٠، ط٥، عن طه حسين، مستقبل الثقافة في مصر، ٣٤/١.

(376) انظر: حاضر العالم الإسلامي والغزو الفكري، د. صالح، ص ٢٤.

(377) انظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب، ص ٦٩٩.

(378) نفس المصدر السابق، ص ٧٠٢-٧٠٦.

لذا من واجب قادة الفكر الإسلامي كشف مخططات التغريب والوقوف بقوة أمام سمومه ومفترياته التي مازالت تبثها شخصيات مسلمة، وصحافة ذات باعٍ طويل في محاولات التغريب، وأجهزة وثيقة الصلة بالصهيونية العالمية والماسونية الدولية.

فليستيقظ الدعاة إلى الله سبحانه، ويقوموا بدورهم لمقاومة هذا الاتجاه، ليعيدوا لبلادهم الهوية الثقافية الإسلامية[٣٧٩].

المطلب الرابع: إحياء الدعوات الهدامة:

تعتبر الدعوات الهدامة من أبرز وسائل الغزو الفكري المعادي للمسلمين، حيث ترددت على ألسنة المبشرين والمستشرقين تأكيداً عليها لخطورتها، ومن هذه الدعوات:

---

(379) المصدر السابق، ص٧٠٣-٧٠٦.

أولاً: إحياء النزعات القومية:

المعروف أن الإسلام قضى على العصبيات القبلية وأضعف شأنها، وتوحد المسلمون تجمعهم كلمة التقوى، فلم يعجب الأعداء من الغرب انصهار المسلمين في إطار الوحدة المتجانسة بفعل العقيدة الإسلامية، والثقافة والعلم، لذا اصطنعوا عصبيات جديدة متطورة تتناسب ومستوى العصر، بهدف تفريق الأمة الإسلامية، وكان سبيلهم إلى ذلك إذكاء النعرات الإقليمية والمحلية عن طريق القوميات(٣٨٠).

والقومية تعني الانتماء إلى عنصر أو جنس معين، والتعصب له على اعتبار أنه أفضل العناصر والأجناس، وصاحب السيادة عليها(٣٨١).

وهي فكرة خبيثة خادعة لكثير من الناس، لأن ظاهرها يخالف باطنها، وظاهر القومية هو تأكيد استقلال الشعوب، وتمييز شخصياتها، وباطنها هو تمزيق وحدة الشعوب المسلمة، وتحويلها إلى دويلات متنافرة، وهذا يشكل خطراً على المسلمين لما تسببه النعرات والنزعات الإقليمية بين المسلمين من إحساس بالعزلة، وإشعال للخلافات والفتن(٣٨٢).

ومثال ذلك: موقف دولة الخلافة الإسلامية (تركيا) التي كانت قبل النعرة القومية تمثل العالم الإسلامي وتظفر بولاء شعوبه، فلما ولي أمرها دعاة القومية الطورانية لم ينظروا إلى العالم الإسلامي باعتباره أمة كبرى هم جزء منها، وإنما نظروا إليه باعتباره مجموعة من القوميات يجب أن يسودها القومية الطورانية، ومنها كانت نزعة التتريك التي أدت إلى صدام حاد مع طبائع القوميات الأخرى.

ومثال ذلك أراده الغزاة لمصر التي حاولوا ردها إلى الإقليمية الفرعونية بحجة أن هذا يعني التأصيل وربط البلد بتاريخها الحضاري العريق، والحقيقة أنه ليس لهم هدف سوى عزلها عن بقية شقيقاتها، وكيف لا يحدث ذلك ودعاة القومية الفرعونية في مصر معظمهم من النصارى وبقيتهم ممّن تربوا على أيدي الغربيين.

وهكذا يريدون من الشام أن ترتد إلى الفينيقية، والعراق إلى الآشورية، ويرتد شمال المغرب إلى البربرية، وإيران إلى القورشية أو الفارسية(٣٨٣).

---

(380) دراسات في الثقافة الإسلامية، صالح هندي، ط٢، ص ٣٤.

(381) دراسات في الثقافة الإسلامية، صالح هندي، ط٥، ص ٣١.

(382) نفس المصدر السابق، ص ٣١.

(383) دراسات في الثقافة الإسلامية، صالح هندي، ط٢، ص ٣٤-٣٥.

والقومية هي تنفيذ لفكرة يهودية، ويؤكد ذلك ما نص عليه البروتوكول الخامس: "لقد بذرنا الخلاف في جميع أغراض الأمميين (غير اليهود) الشخصية، والقومية، بنشر العصبيات الدينية والقبلية خلال عشرين قرناً"[٣٨٤] وهي نتاج ماسوني يستهدف فرض العلمانية، وفصل الدين عن الدولة.

مما سبق يتبين أن أهداف النزعة القومية هي:

١- إضعاف أثر رابطة العقيدة في نفوس المسلمين، وإبعاد التشريع الإسلامي عن واقع الحياة، وإثارة النعرات العرقية والعصبية في المجتمعات الإسلامية، والعمل على تفريق وحدة المسلمين، وبالتالي تفريق وحدتهم، ومن ثمّ انقسامهم إلى دويلات متفرقة، متناصرة كما هو الحال في الدول العربية والإسلامية اليوم[٣٨٥].

٢- تحقيق سيادة النفوذ الأجنبي القائمة على سياسة "فرّق تسد" تمهيداً للسيطرة على بلاد المسلمين من جديد، وهذا ما حدث فعلاً في العراق والكويت، حيث انتهت النزاعات والحروب بينهما إلى السيطرة من قِبل الدول الأجنبية.

٣- أن يكون ولاء المسلم لوطنه قبل عقيدته، وتجعله يقدم الكافر إذا كان من بني جنسه على المسلم إذا كان من جنس آخر، ثم يسميه أجنبياً، ويعامله معاملة الأجانب[٣٨٦].

وهذا ما يحدث فعلاً الآن في دول الخليج بالذات، حيث يعامل المسلم (غير المواطن) على أنه أجنبي، فلا يُعطى من الحقوق والامتيازات التي يُعطاها المسلم من نفس البلد (المواطن) مما يسبب الأسى والبغض والتفرقة والتمييز، وهذا هو ما يهدف إليه الغرب.

فأين هؤلاء المسلمون من قوله تعالى:﴿ **وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ** ﴾[٣٨٧]

ثانياً- كتابة العربية بالحرف اللاتيني

تستهدف هذه الدعوة الهدامة القضاء على اللغة العربية عن طريق كتابتها بالحروف اللاتينية، وقد تزعمها (لويس ماسينون) أحد المبشرين الفرنسيين من أجل قطع صلة العرب

---

(384) الخطر اليهودي، ص ١٤٤.

(385) دراسات في الثقافة الإسلامية، صالح هندي، ط٥، ص ٣٢، وانظر: القومية في ميزان الإسلام، عبد الله علوان، ، دار السلام، ط١، ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م، ص ٣٦.

(386) نفس المصدر السابق، ص ٣٢.

(387) سورة آل عمران، الآية (١٠٣)

والمسلمين بالقرآن الكريم، والتراث الإسلامي، وما فيه من ذخائر لغوية وأدبية وفكرية، وقد انتشرت هذه الدعوة في المغرب وسوريا ومصر ولبنان بشكل خاص، وأبرز دعاتها من المبشرين والمستشرقين، ومن تتلمذ على أيديهم[٣٨٨].

ففي لبنان مثلاً جرت محاولات لهذا الغرض، حيث حاول (سعيد عقل) الذي ألّف ديواناً من الشعر، وكتبه باللغة اللاتينية، و (أنيس فريحة) الذي وضع كتاباً أسماه (ياره شو) صدر عام ١٩٦١م، وذلك استمراراً للمحاولة التغريبية في إحلال اللهجة اللبنانية محل اللغة العربية والهدف هو قطع الحاضر عن الماضي، وتحطيم وحدة اللغة بين العرب والوحدة الفكرية[٣٨٩].

ثالثاً: إحلال العامية محل الفصحى:

والهدف من هذه الدعوة هو التشكيك في لغة العرب، والتقليل من قدرتها على تلبية حاجات العصر، وأصحاب هذه الدعوة هم أحد فريقين:

- إما شعوبيون مسيرون بالرغبة في القضاء على أهم دعامة من دعائم الوحدة العربية والثقافة العربية.
- وإما غافلون عن الأضرار الخطيرة التي تنتج عن تحقيق ما يريدون.

وقد استمات أصحاب هذه الدعوة من المستشرقين وتلاميذهم على الترديد بكل قوة أن لغة القرآن العربية الفصحى لا تساير حاجات العصر، وجنّد لذلك (سلامة موسى) الذي طالب بإحلال اللغة العامية محل اللغة العربية، حتى تصبح لغة الجرائد والمؤلفات[٣٩٠].

وقد عنيت الحكومات الاستعمارية بهذا الموضوع عناية فائقة، ونشطوا لترويج هذه الفكرة، وقد كان لهذه الدعوة دويّ في مصر في القرن التاسع عشر أفزع كثيراً من المحبين للإسلام، حيث ألف أحد قضاة محكمة الاستئناف الأهلية في مصر من الإنجليز (ولمور) كتاباً أسماه لغة القاهرة، وضع فيه قواعد، واقترح اتخاذها لغة العلم والأدب، كما اقترح كتابتها باللاتينية.

ويعد المستشرق وليم ولكوكس أخطر من اضطلع بكبر الدعوة إلى إقصاء العربية الفصحى عن ميدان الكتابة والأدب، وإحلال العامية الشائعة محلها، والمستشرق (وليم ولكوكس) عمل مهندساً للري في مصر، إبان الاحتلال البريطاني، فقد وفد إلى مصر سنة

---

(388) دراسات في الثقافة، ط٥، ص ٣٤-٣٥.

(389) دراسات في الثقافة الإسلامية، ط٢، ص ٣٥، وانظر: أجنحة المكر الثلاثة، ص ٣١٣.

(390) دراسات في الثقافة الإسلامية، صالح هندي، ط٢، ص ٣٦.

١٨٨٣م مع أوائل عهد الاحتلال، وتولى الإشراف على تحرير مجلة الأزهر سنة ١٨٩٣م، وقد ألقى محاضرة بعنوان "لماذا لم توجد قوة الاختراع لدى المصريين" وقد تضمنت هذه المحاضرة الدعوة الملحّة إلى الكتابة بالعامية، وهجر العربية الفصحى، ونشر هذه المحاضرة بالعربية في مجلة الأزهر، إذ كانت هذه المجلة تحت إشرافه، باعتباره ممثلاً لقوة الاحتلال الأجنبية.

وغرض المستشرقين من الدعوة إلى العامية هو القضاء على العربية الفصحى، ليحرم المسلم من الصلة بالقرآن الكريم، وتراثهم العظيم الديني والعلمي والأدبي، تنفيذاً للخطة الماكرة التي تهدف إلى طعن الإسلام في الصميم(٣٩١).

وقد أشاد سلامة موسى بالمستشرق "وليم ولكوكسي" وأيده، فثارت لذلك ثائرة الناس من جديد، وعادوا لمهاجمة الفكرة والتنديد بما يكمن وراءها من الدوافع السياسية(٣٩٢).

وممن كان أداة لتنفيذ خطة العدو الماكر عميد الأدب العربي (طه حسين) حيث دعا إلى تطوير اللغة العربية من خلال تبديل الخط العربي أو إصلاحه، وتهذيب قواعد النحو والصرف، ولا يخفى ما في ذلك من مكر يقوم على أسلوب التدرج في التحويل، لتحقيق الهدف الذي دعا إليه غزاة الفكر الغربي من المستشرقين وغيرهم(٣٩٣).

رابعاً: الدعوة إلى تحرير المرأة وتبرجها:

تستهدف هذه الدعوة تخريج جيل من الفتيات المسلمات لا يعرفن من دينهن وتاريخهن شيئاً، ويتعلقن بالحياة الغربية تعلقاً كاملاً، يتيح لهن أن ينطلقن في آداب الإسلام وضوابط الشرع باسم التحرير والمساواة والتعليم.

فظاهر هذه الحركة هو الحرص على تحرير المرأة ومساواتها بالرجل، ولكن حقيقة هذه الدعوة هي تحرير المرأة من الآداب والأحكام الشرعية الخاصة بها مثل الحجاب، وآداب الخروج من البيت، ومنع تعدد الزوجات، والمساواة في الميراث وغيرها، ونشرت هذه الحركة دعوتها من خلال الجمعيات والاتحادات النسائية في العالم العربي، سيأتي الحديث عنهم لاحقاً(٣٩٤).

---

(391) أنظر: أجنحة المكر الثلاثة، ص ٣٥٩-٣٦٣، و دراسات في الثقافة الإسلامية، ط٢، ص ٣٦.

(392) دراسات في الثقافة الإسلامية، صالح هندي، ط٢، ص ٣٦.

(393) أجنحة المكر الثلاثة، ص ٣٥٩-٣٦٣.

(394) انظر: دراسات في الثقافة الإسلامية، ط٥، ص ٣٥، وانظر: الموسوعة الميسرة في الأديان المـذاهب والأحزاب المعاصرة، ص ٤٥٣.

ويعتبر رفاعة الطهطاوي أول رائد لحركة تحرير المرأة، وإن كان ينطلق من مرجعية إسلامية نادى بها من خلالها بحقوق المرأة الشرعية إلا أنه كان متأثراً للغاية بطبيعة الحياة الفرنسية التي بدأ يدعو إليها بكل ما فيها من اختلاط وسفور.

ويأتي بعده قاسم أمين الذي نادى بتحرير المرأة في كتابيه: تحرير المرأة عام ١٨٩٩م، والمرأة الجديدة سنة ١٩٠٠، ويعتبر هذان الكتابان من أهم الكتب التي تدعو إلى السفور والخروج على أحكام الدين، وفي كتاب المرأة الجديدة دعوة صريحة لمحاكاة المرأة الأوروبية في جميع أشكال حياتها زاعماً أن ذلك يحقق التقدم والتحضر للمرأة الشرقية.

وقد تدخل كل من سعد زغلول ومحمد عبده في دعم كتابات قاسم أمين، وكان سعد زغلول أول من نزع الحجاب، وذلك عندما تذمر من منفاه ١٩٢١م ونزع حجاب زوجته صفية زغلول، ثم تبعتها هدى شعراوي، وسيزا نبراوي، ونبوية موسى، فخلعن الحجاب ووطئنه بالأقدام بعد عودتهن من روما في مؤتمر دولي لتحرير المرأة عام ١٩٢٣هـ، وسمي بفعلهن ميدان التحرير[٣٩٥].

ومن الذين أخذوا بهذه الدعوة الخديوي إسماعيل الذي وعد ملوك أوروبا إن أيدوه في انفصاله عن الدولة العثمانية، أن يبدل أحكام القرآن فيما يتصل بالحياة السياسية والاجتماعية ويفصل السياسة عن الدين، ويطلق الحرية للنساء ليسرن في أثر المرأة الغربية، وينقل إلى مصر معالم المدنية الأوروبية[٣٩٦]. وكان الدعم الغربي لدعوى تحرير المرأة المسلمة ثلاثة أنواع:

١- **الدعم الفكري**: وقد تجلّى في الكتابات الغربية التي تهجمت على وضع المرأة في الإسلام، ودافعت عن حقوقها المسلوبة، وأبرز من كتب في هذا المجال هو (الكونت داركور) الفرنسي الذي كتب عام ١٨٩٤ كتاباً تناول فيه نساء مصر، وهاجم الحجاب الإسلامي، وهاجم المثقفين على سكوتهم، كما تجلى هذا الدعم في الناحية الإعلامية وخاصة المكتوبة منها، فانبرت الصحف الغربية تدافع عما يسمى بـــ "قضية تحرير المرأة المسلمة"، وتفتح صفحاتها لدعم المرأة العربية المتفرنجة[٣٩٧].

---

(395) دراسات في الثقافة الإسلامية، ط٢، ط٥، ص ٣٥-٣٦، وانظر: الجذور العلمانية لحركة تحرير المرأة العربية، د. نهى خاطرجي، ص ٣٦-٣٧ www.saaid.net.

(396) دراسات في الثقافة الإسلامية، ط٢، ص ٣٧، ط٥، ص ٣٦.

(397) الجذور العلمانية لحركة التحرير المرأة العربية، نهى قاطرجي، www.saaid.net .

ومن نماذج هذا الدعم ما قامت به الصحف البريطانية من ترحيب بـــ "درية شفيق" زعيمة حزب النيل وتصويرها بصورة الداعية الكبرى إلى تحرر المرأة المصرية من أغلال الإسلام وتقاليده.

٢- **الدعم المعنوي**: ويظهر ذلك في تشجيع الدوافع الغربية لحركة ما يسمى بتحرير المرأة العربية، ومدحها الدائم لنشاط الجمعيات النسائية في الشرق، وكان البعض يأتي مباشرة إلى مصر للتهنئة بنشاط الحركة النسائية والبعض الآخر كان يكتفي بإرسال بطاقات تهنئة(٣٩٨)، ومن نماذج هذا النوع من الدعم:

أ- الدعم المعنوي الذي تلقته هدى شعراوي لدى حضورها المؤتمر الدولي الأول للمرأة في روما سنة ١٩٢٣م مباشرة بعد عودتها من المؤتمر، وكان من أهم أهدافه تعديل قوانين الطلاق، ومنع تعدد الزوجات، والمطالبة بالحقوق الاجتماعية والسياسية للمرأة، ومنها المساواة في الميراث.

ب- حضور الدكتورة (ريد) رئيسة الاتحاد النسائي الدولي إلى مصر لتدرس عن كثب برقية تأييد للمؤتمر النسائي عام ١٩٤٤م.

ج- إرسال حرم الرئيس روزفلت رئيس الولايات المتحدة برقية جمعية (سان جيمس) الإنجليزية إلى زعيمة حزب بنت النيل، تهنؤها على نجاحها الجديد في القيام بمظاهرات للمطالبة بحقوق المرأة.

٣- **الدعم المادي**: أرسلت بعض الدول الغربية الأموال إلى الجمعيات النسائية العربية، وقد فضحت كثير من هذه الممارسات على العلن، ومنها فضيحة أخذ "حزب النيل" الأموال من الدول الغربية(٣٩٩).

خامساً: الادعاء بأن الحضارة الإسلامية أصلها يوناني:

وقد تبنّى هذه الدعوة المبشرون والمستشرقون، والمضللون من الشرقيين، وتهدف هذه الدعوة الهدّامة إلى النيل من الحضارة الإسلامية والتشكيك في أصالتها، لذا ادّعوا أن الحضارة الإسلامية ليست أصيلة، وإنما هي مقتبسة من الحضارات السابقة لها كالحضارة اليونانية والرومانية والفارسية وغيرها، وقد تبنوا فرضياتهم الخاطئة على ما اعترف المسلمون به من أن حضارتهم استفادت من هذه الحضارات بعض الشيء، وفي الجزئيات وليس في الكليات.

---

(398) الجذور العلمانية لحركة التحرير المرأة العربية، نهى قاطرجي، www.saaid.net.

(399) نفس المصدر، www.saaid.net

فاستغل الأعداء هذا الاعتراف ليشككوا في أصالة الحضارة الإسلامية، فخرجوا بتعميم باطل مفاده: أن الحضارة الإسلامية مقتبسة من الحضارة اليونانية وغيرها من الحضارات السابقة.

إن الحضارة الإسلامية فتحت جسوراً ثقافية مع الفكر الذي سبقها، واستفادت من هذه الحضارات، لكن بعد الترجمة والتمحيص والفحص، فأخذت الشيء القليل الذي تم تحويره وإذابته في جسمها الإسلامي، وهذا لا يعتريها في شيء، ولا ينفي عنها أصالتها، فرغم أنها احتكت بالحضارات الأخرى لكنها ظلت إسلامية خالصة، محافظة على أصولها ومبادئها، فظل أصلها ثابتاً وفرعها في السماء، تؤتي أكلها كل حين بأمر ربها، ولا يخفى على أحد أن الإسلام أزال من العقول والنفوس كل آثار الأمم والأديان والمذاهب السابقة، وأقام منهجاً وحضارة أصيلة اعترف بها الأعداء قبل الأصدقاء(٤٠٠).

سادساً: تأسيس أو دعم الأفكار والنظريات والحركات المعادية للإسلام:

ومن هذه الأفكار (العلمانية) ولا بد من وقفة للتعرف على العلمانية وبيان أثرها على المجتمعات الإسلامية والعربية مما ساعد وبشكل كبير على إفساد العقول والقلوب وإبعادها عن الدين والأخلاق والعلم الحقيقي الذي يقوم على التطبيق، ويقوم على البراهين والأدلة القطعية.

تعريف العلمانية: كلمة العلمانية هي ترجمة لكلمة سيكولاريزم Secularism الإنجليزية، وهي مشتقة من كلمة سيكولوم Saeculum وتعني العالم أو الدنيا، وترجمتها الصحيحة اللادينية أو الدنيوية. وهي دعوة إلى إقامة الحياة على أسس من الواقع المعاصر والأخلاق الطبيعية، ومراعاة المصلحة بعيداً عن الدين، وهي تعنى في جانبها السياسي بالذات اللادينية في الحكم، وهي اصطلاح لا صلة له بكلمة العلم Science (٤٠١)فالعلمانية اصطلاح خادع استخدم بدلاً من عبارة اللادينية، وقد نسبت إلى العِلم من أجل التمويه على المسلمين، وهي تعبير عن الحركة المناهضة للدين، والعلماني SECULAR هو ما يتعلق بالحياة الدنيوية وليست له قداسة مقابل الشئون الدينية(٤٠٢).

---

(400) دراسات في الثقافة الإسلامية، ط٢، ص ٣٧، ودراسات في الثقافة الإسلامية، ط٥، ص ٣٦.

(401) انظر: الاتجاهات الفكرية المعاصرة، د. علي جريشة، دار الوفاء المنصورة، ط١، سنة ١٩٨٦، ط٢، سنة ١٩٨٨م، ص ٧٦، والموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، ص ٦٧٩، والعلمانية بقلم عبد الوهاب المسيري www.islamonline.

(402) دراسات في الثقافة الإسلامية، ص ٣٦.

وخلاصتها فصل الدين عن الدولة والمجتمع أو عن الحياة، ولا تعني كما يظن البعض إنكار الدين، فذلك هو الإلحاد والكفر، ولكنها تعني تضييق دائرته وحصر سلطانه داخل جدران الكنيسة أو المسجد.

فلا يتعدّاها إلى المجتمع أو الدولة، أي حصر نطاق الدين في أماكن العبادة، وقصر معناه على الجانب التعبدي فقط، ولا يتجاوز العلاقة الخاصة بين الإنسان وربه، وقد اختيرت كلمة علمانية لأنها أقل إثارة من كلمة لادينية[٤٠٣].

والصواب أن لا صلة للعلمانية بالدين ولا بالعلم ولا بالأخلاق.

فأما بالنسبة للدين فالعلمانية كما ظهر من التعريف تريد إبعاد الدين عن مجالات الحياة، وتفصله عن الدولة والمجتمع، ويسعى العلمانيون لقيام الدولة وحياة المجتمع على أسس دنيوية لا صلة لها بالأنظمة والتشريعات الدينية، فهي منهج حياة يبعد الدين عن أن يكون مصدراً للتشريعات والأنظمة والأحكام التي تنظم شئون الدولة والمجتمع، وهي ترفض الاحتكام لشرع الله.

أما بالنسبة للعلم فالعلم هو ما قامت عليه البراهين والأدلة القطعية، لكن العلمانية تعتمد على الظنون والافتراضات والاحتمالات، ولا علاقة لها بالعلم اليقيني، فقد تُقبل وقد ترفض.

أما بالنسبة للأخلاق فالعلمانية قد تسمح بالأخلاق والفضائل وترحب بها، لكنها ترفض وبشدة أن تربط الأخلاق بالدين، فلا ترى أن الدين ينبوع الأخلاق والفضائل، بل تقيمها على أساس فلسفي ومصلحي.

لذلك فهي تسمح بكثير من الرذائل تحت عنوان الحرية الشخصية والتمدن والحضارة الجديدة، وتعتبر أن أحكام الإسلام في هذا الشأن متزمتة جامدة لا تناسب روح العصر والمدنية، بل وتشرع العلمانية من القوانين التي تحمي الرذيلة ودعاتها[٤٠٤].

انتشرت هذه الدعوة أو هذه الفكرة في أوروبا، ثم انتقلت إلى أقطار العالم الإسلامي بحكم النفوذ الأجنبي الغربي والتغلغل الشيوعي.

المبحث الخامس

رواد الغـــزو الفكـــري

(403) انظر: الاتجاهات الفكرية المعاصرة، ص ٧٣، والموسوعة الميسرة في الأديان، ص ٦٧٩.

(404) انظر: حاضر العالم الإسلامي والغزو الفكري، د. صالح الرقب، ط١، ص ٧١-٧٣.

تذكر الباحثة في هذا المبحث رواد الغزو الفكري من أبناء الأمة العربية الذين كانوا مخلصين في ولائهم وتبعيتهم لقاعدة الغزو الفكري.

تم إرسال طلاب في بعثات إلى البلاد الأوروبية، واستقدم أيضاً أساتذة وخبراء غربيون للتدريس في المعاهد العلمية في البلاد الإسلامية، فتأثر أعضاء البعثات مما شاهدوه في المجتمع الأوروبي، وتأثر أبناء المسلمين مما سمعوه من أساتذة وخبراء الغرب، ويظهر ذلك من خلال كتابات هؤلاء المتأثرين.

وتعتبر مصر من أهم مراكز التأثير في العالم الإسلامي كله، لما لها من موقع متميز لوجود الأزهر الشريف بها، ولكونها أكبر دول العالم العربي عدداً في السكان يسهل عن طريقه انتقال الأفكار والمواقف.

وقد تنبه الغربيون لذلك، فحرصوا على أن تكون مصر مسرحاً لقضايا خطيرة، ومنبتاً لكثير من المواقف والأفكار ومخرجة للقيادات التي أثرت في عالمنا الإسلامي والعربي أعظم تأثير.

وقضايا المرأة هي أحد القضايا الخطيرة التي كانت مصر منطلقاً لها، حيث خرج منها مجموعة كبيرة من روّاد الغزو الفكري الذين كان لهم أسوأ الأثر على المرأة المسلمة، وأشهرهم: رفاعة الطهطاوي، مرقص فهمي، قاسم أمين، سعد زغلول، هدى شعراوي، سيزا نبراوي، درية شفيق، أمينة السعيد، نوال السعداوي، وغيرهم ممن كانوا سبباً في سفور المرأة وتبرجها، وانحرافها عن المنهج القويم[٤٠٥].

وتكتفي الباحثة بذكر بعضاً منهم تفصيلاً، وآخرين على سبيل الإجمال.

المطلب الأول - رواد الغزو الفكري في مصر:

أولاً: رفاعة الطهطاوي:

شيخ مصري من أركان التحديث في بلده، ولد في طهطا، أرسلته الحكومة المصرية ليكون إماماً للبعثة التي أوفدها محمد علي إلى باريس عام ١٨٢٦م، وهو تلميذ الشيخ حسن العطار، وخريج الأزهر، أقام في باريس من خمس إلى ست سنوات حتى سنة ١٨٣١م، وكان قد رافق البعثة المصرية كواعظ وإمام لها، وشهد الثورة الفرنسية عام ١٨٣٠م، وتعلم الفرنسية، ودرس الجغرافيا والتاريخ، أنشأ بعد عودته من باريس مدرسة الألسن، وتولى

(405)حجاب المسلمة بين انتحال المبطلين وتأويل الجاهلين، د. محمد فؤاد البرازي، ص ٣٩٧ – ٤٠٥. (بتصرف)

تحرير الوقائع المصرية ١٨٤٢م، كما ترأس مجلة روضة المدارس عام ١٨٧٠م، ومن كتبه (قلائد المفاخر في غرائب عادات الأوائل والأواخر)، و(تعريب القانون المدني الفرنساوي).

وحين عاد إلى مصر حمل معه ثقافة الثورة الفرنسية وعادات الفرنسيين خصوصاً فيما يتعلق بالمرأة، وبدأ رفاعة الطهطاوي يضع البذور الأولى لكثير من الدعوات الدخيلة على البيئة المصرية المسلمة، تلك الدعوات التي حمل جراثيمها معه من فرنسا، مثل الدعوة إلى فكرة (الوطنية القومية) بمفهومها المادي المحدود المنابذ للرابطة الإسلامية بين المسلمين، مهما تباعدت أوطانهم، وكتب رفاعة الطهطاوي ثلاثة كتب كانت هي بذور الدعوة الأولى لما يسمى بتحرير المرأة(٤٠٦).

وهذه الكتب هي:

١- تخليص الإبريز في تلخيص باريز.

٢- مناهج الألباب المصرية في مباهج الآداب العصرية.

٣- المرشد الأمين للبنات والبنين.

إن دعوة رفاعة الطهطاوي تحمل في طياتها أموراً إيجابية وأخرى سلبية، لكن السلبية طغت على الإيجابية فأعمتها. فكونه ترجم الفكر الغربي هذا عمل نافع ودور إيجابي، ولكن مجموعة آرائه لم تكن الفكرة الإسلامية فيها واضحة، بل شابها لون من الإقليمية والانبهار بالفكر الغربي، فهو لم يستطع أن يتعمق في الفكر الغربي، ولم يتبين له انحرافه وفساده، فقد خدع إذ ظن أنه هو الفكر الإسلامي المترجم للفرنسية، لذلك وقع في أخطاء كثيرة منها:

- تنازلاته بالنسبة للهجة العامية على حساب الفصحى.
- ترجماته المطلقة للفكر الغربي، دون أن تحاط بقيود من التعريف والتحذير، ومعرفة الوجهة، والتفريق بينه وبين الفكر الإسلامي.
- ترجم كتاباً عن مصر الفرعونية، وحاول أن يؤلف عن مصر قبل الفتح الإسلامي، وعرفت له كتابات وقصائد، وامتلأت بمشاعر الفخر بأمجاد قدماء المصريين، وما فعل

(406) الإعلام، خير الدين الزركلي، ط٥، دار العلم للملايين، بيروت، سنة ١٩٨٠، ٢٩/٣. وانظر: إعادة النظر في كتابات العصريين في ضوء الإسلام، أنور الجندي، دار الاعتصام، القاهرة، بدون طبعة وبدون تاريخ، تم إيداعه بدار الكتب سنة ١٩٨٥، ص١١٠، وانظر: عودة الحجاب، محمد أحمد إسماعيل المقدم، دار طيبة للنشر، السعودية، الرياض، ط١٢، سنة ١٤٢٠هـ -١٩٩٩م، ط١، ١٤٠٤هـ، ١٩٨٣م، ص ٢٥-٢٦.

ذلك إلا إرضاءً لمحمد علي الذي كان على خلاف مع الدولة العثمانية، وإرضاءً لأساتذته من مستشرقي فرنسا(٤٠٧).

- استوحى رفاعة من واقع الحياة الفرنسية أفكاراً عن المرأة هي أبعد ما تكون عن شرائع الإسلام وآدابه، وبدأ يدعو إليها بكل قوة وتضمنت الآتي:

أ- ادعى أن السفور والاختلاط بين الجنسين ليس داعياً إلى الفساد، أو دليلاً على التساهل في العرض، حيث يقول في كتابه تخليص الإبريز في تلخيص باريز: "ولا تظن بهم أنهم لعدم غيرتهم على نسائهم لا عرض لهم في ذلك... لأنهم وإن فقدوا الغيرة لكنهم إذا علموا عليهن شيئاً كانوا شر الناس عليهن وعلى أنفسهن، وعلى من خانهم في نسائهم، غاية الأمر أنهم يخطئون في تسليم القيادة للنساء وإن كانت المحصنات لا يخشى عليهن"(٤٠٨).

ب- ادعى أن الرقص على الطريقة الأوروبية ليس من الفسق في شيء بل هو أناقة، وفتوة، وأنه لا يخرج عن قوانين الحياء.

ج- دعا المرأة إلى التعلم حتى تتمكن من تعاطي الأشغال والأعمال التي يتعاطاها الرجال(٤٠٩).

ولكونه أول من أثار قضية تحرير المرأة في مصر في القرن التاسع عشر الميلادي، فقد سنّ بذلك لمن جاء بعده أسوأ السنن، وبذر الأفكار الدخيلة في التربية الإسلامية التي تنتهي إلى نبذ الدين والخروج على حدوده، وتسفيه علمائه.

وكانت دعوة رفاعة جديدة لم يجد لها معارضاً، وأن محمد علي حاكم البلاد قد بارك دعوته، وبارك أول كتبه، وهو تخليص الإبريز الذي أبرز فيه تقدم الغرب وحسن لمواطنيه الانتفاع بتقدمه، وقد قرأ محمد علي الكتاب قبل نشره -بناءً على تزكية شيخه حسن العطار- فأمر بطبعه، وأصدر أمره بقراءته في قصوره، وتوزيعه على الدواوين، والمواظبة على تلاوته والانتفاع به في المدارس العصرية، بل إنه أمر به بعد ذلك بترجمته إلى التركية(٤١٠).

---

(407) إعادة النظر، أنور الجندي، ص ١١٠-١١١.

(408) انظر: عودة الحجاب، ص ٢٥، وحجاب المسلمة، ص ٤٠٧ عن تخليص الإبريز، ص ٣٠٤.

(409) انظر: عودة الحجاب، ص ٢٦، عن الإسلام والحضارة الغربية، محمد محمد حسين: ص ٣٦.

(410) انظر: نفس المصدر السابق،ص ٢٦-٢٧، عن: المؤامرة على المرأة المسلمة، السيد أحمد فـرج، ص ١٠.

وكتاب المرشد الأمين ألفه رفاعة بناءً على طلب الخديوي إسماعيل، وذلك عام ١٨٧٢، قبل افتتاح أول مدرسة ترعاها الحكومة بعام واحد، وقبل موت رفاعة بأعوام قليلة، ولما كان الخديوي إسماعيل يقود -في بداية تلك المرحلة- حركة التحديث وفق الطريقة الغربية في كل الميادين السياسية والفكرية والاجتماعية فقد حاول بعد ذلك أن يقنع أهل الرأي بتأليف كتاب في الحقوق والعقوبات يطبقه في المحاكم، مرتب على نحو ترتيب القوانين الأوروبية ولكن رفض أهل الرأي من مشايخ الأزهر هذه الدعوة فطلب الخديوي من الشيخ رفاعة إقناعهم بقبول ذلك، ولكنه اعتذر عن ذلك بقوله: "إنني يا مولاي قد شخت، ولم يطعن أحد في ديني، فلا تعرضني لتكفير مشايخ الأزهر إياي في آخر حياتي، وأقلني من هذا الأمر، فأقاله"، ويعد رفاعة الطهطاوي أستاذاً للطفي السيد، وطه حسين، وسلامة موسى، وتوفي بالقاهرة[٤١١].

ثانياً: الأميرة (نازلي فاضل):

وهي ابنة الأمير مصطفى فاضل باشا أخ (الخديوي إسماعيل) وولي عهده وكلاهما نجل (إبراهيم باشا الكبير)، اهتم والدها بتربيتها تربية غربية، فدرست على أيدي مجموعة من الأساتذة الأوروبيين، ولما رافقت والدها إلى الأساتذة تزوجت من (خليل باشا) وزير خارجية السلطان الذي عيّن بعد ذلك سفيراً للدولة العثمانية في بعض العواصم الأوروبية.

وكانت (نازلي) تتقن الإنجليزية والفرنسية والألمانية والتركية إلى جانب العربية، فأفسحت لها الصالونات الأوروبية في مجالسها، والتقت من خلالها بكبار رجال السياسة ولكنها عادت بعد وفاة زوجها إلى مصر في عهد الخديوي توفيق، وقد نقلت معها فكرة الصالونات المختلطة[٤١٢].

فوثقت علاقتها مع (اللورد كرومر) وفتحت ناديها (لسعد زغلول) و(قاسم أمين) وغيرهما لتنظيم جهودهم ضد الآداب والتقاليد الإسلامية، حيث كانت هي الوحيدة التي تختلط بالرجال وتجالسهم في صالونها الذي افتتحته آنذاك ليكون مركزاً تبث منه الدعوة إلى (التغريب) عامة وإلى تحرير المرأة على وجه الخصوص، ولما كانت أول امرأة تجالس الرجال سافرة، لذلك أطلق عليها لقب (زعيمة حزب السفور) وقد اتخذت من المعتمد البريطاني أداة لحماية رواد هذه الدعوة، وتعبئتهم لتوجيه حركة التحرير[٤١٣].

---

(411) نفسه، ص ٢٨/٢٧.

(412) انظر: حجاب المسلمة، ص ٤٨-٤١٠، وانظر: عودة الحجاب، ص ٢٩.

(413) انظر: الحركات النسائية في الشرق وصلتها بالاستعمار والصهيونية العالمية، محمد فهمي عبد الوهاب، دار الاعتصام، ودار العلوم للطباعة، القاهرة، سنة الإيداع بدار الكتب ١٩٧٩، ص ١٢-١٣.

وأما سلوك هذه الأميرة الشخصي فقد كان متفلتاً من ضوابط الدين وعادات المجتمع، وكان لها شغف بالضباط الإنجليز، وكانت تحيي الليالي الموسيقية، وتكثر من شرب الخمر، واستمرت على دعوتها وجمع أصحاب النفوذ من حولها حتى ماتت يوم ١٩١٤/١/٢٨م(٤١٤).

ثالثاً: مرقص فهمي:

وهو محامٍ نصراني متعصب كان موالياً لكرومر، ومعتمداً في حمايته على النفوذ البريطاني، مما سهل له الطريق لطعن الإسلام في عقر داره، لهذا أصدر كتاباً سنة ١٨٩٤م، بعد الاحتلال الإنجليزي لمصر بحوالي اثنتي عشرة سنة، وهو بعنوان (المرأة في الشرق) دعا فيه إلى الاختلاط والقضاء على الحجاب، وتقييد الطلاق وتقييد تعدد الزوجات، وإباحة الزواج بين المسلمات والأقباط.

وما أن ظهر هذا الكتاب حتى أحدث ضجة عنيفة، خاصة وأن أحكام الإسلام صار يتحدث عنها صليبي حاقد، في ربائب الاستعمار، وصديق اللورد كرومر، فلجأ الاستعمار إلى صالون "نازلي فاضل" لتفعل شيئاً يشد من أزر "مرقص فهمي" خاصة وقد ظهر من خلال هذه الضجة كتاب ألفه (اللورد داركير) حمل فيه على نساء مصر والإسلام، وهاجم الحجاب الإسلامي، وقرار المرأة المسلمة في البيت، واقتصار وظيفتها على تربية النشء ورعاية الزوج.

كما هاجم فيه المثقفين من أبناء مصر على سكوتهم، وكان من أثره أن انتهز قاسم أمين فرصة اختلافه مع الأميرة نازلي فاضل، فتصدى للرد عليه مبيناً فضائل الإسلام على المرأة المصرية، وطعن الأميرة فوصلها الأمر بسرعة، ثم تم إقناع قاسم أمين بضرورة إصلاح خطأه بكتاب ينشره وحدث ذلك فعلاً(٤١٥).

رابعاً: قاسم بن محمد أمين:

كاتب مصري، اشتهر بدعوته إلى تحرير المرأة، ودفاعه عن حريتها وتطورها، تركي الأصل، وقيل أنه كردي، لأن أباه ولي السليمانية من أعمال العراق، ومكث بها مدة، وكان أبوه قد أُخِذَ رهينة في الأستانة على إثر خلاف، ثم جاء إلى مصر في عهد إسماعيل باشا، وانتظم في الجيش المصري ورقي إلى مرتبة أميرالاي، وتزوج بكريمة لأحمد بك خطاب،

---

(414) حجاب المسلمة، ص ٤١١ عن مذكرات محمد فريد، نقلاً عن كتاب: سعد زغلول، ودوره في السياسة المصرية، عبد الخالق شاهين، ص ٣٠.

(415) الحركات النسائية، محمد فهمي عبد الوهاب، ص ١٣-١٥، وانظر: عـودة الحجـاب، ص ٢٨-٢٩، وحجاب المسلمة، ص ٤١٢-٤١٣.

شفيق إبراهيم باشا خطاب، فولدت له أولاداً كان أكبرهم (قاسم) فولد بمصر في بلدة (طرة) في أول ديسمبر عام ١٨٦٣م، انتقل إلى الإسكندرية فنشأ بها وتعلم بها وانتقل إلى القاهرة، نال إجازة الحقوق سنة ١٨٨١م، ثم عمل بمكتب صديق والده التركي مصطفى فهمي، ثم رحل إلى فرنسا ليتم تعليمه[٤١٦]. وهناك انبهر بالحياة الأوروبية حتى أنه خرج بقوله: "لعل أكبر الأسباب في انحطاط الأمة المصرية، تأخرها في الفنون الجميلة: التمثيل والتصوير والموسيقى، هذه الفنون ترمي جميعها إلى غاية واحدة وهي تربية النفس على حب الجمال والكمال، فإهمالها هو نقص في تهذيب الحواس والشعور"[٤١٧].

تعرف إلى فتاة تسمى (سلافا) التي كانت تصاحبه إلى التجمعات الفرنسية والحفلات، وأخذ يقرأ عن حِكَم (لاروشفوكو) [٤١٨] وشعر (لامارتين) [٤١٩] وفلسفة (فولتير) [٤٢٠] وأعمال (روسو) [٤٢١] و(سبنسر) [٤٢٢]، واضطرب وضع قاسم في هذا الوسط الغربي، والتقى في فرنسا بالأفغاني ومحمد عبدو، وانضم إلى جمعية (العروة الوثقى) واتخذه محمد عبده مترجماً

(416) انظر: الإعلام للزركلي، ٣/ ٣٦، وانظر: عودة الحجاب، ص ٣٣-٣٥.

(417) قاسم أمين، د. ماهر حسن فهمي، مؤسسة المصرية، ص ٤٠، من كلمات لقاسم أمين، ص ٢٤، وانظر: عودة الحجاب، ص ٣٤.

(418) لاروشفوكو (١٦١٣-١٦٨٠) (LaRocheFoucauld): سياسي وأديب فرنسي من أنصار كوندة المتحمسين، ومن أعضاء النادي الأدبي للسيدتين سابله، ودولافييت، اشتهر بديوانه حِكِم وأمثال، عبّر فيه عن قرفه واشمئزازه من مجتمع فاسد، تسيطر فيه الأنانية على تصرفات الإنسان، وغالباً ما تكون أنبل المشاعر مظاهر خادعة تمليها تلك الأنانية، المنجد في الأعلام، ص ٤٨٧.

(419) لامارتين (Lamartine) (١٧٩٠-١٨٦٩) من مشاهير الشعراء الفرنسيين وزعيم الحركة الرومنطقية،زار الشرق وشغف به، من مؤلفاته الشعرية (التأملات) (جوسلين) والنثرية(رحلة إلى الشرق)،المنجد في الأعلام، ص ٤٨٩.

(420) فولتير (Voltaire) (١٦٩٤-١٧٧٨) ولد في باريس، مؤلف فرنسي من نوابغ زمانه، أقام بروسيا وسويسرا، تزعم حركة الفلسفة المادية، وقاوم رجال السلطة الدينية، والمدنية، ونقدهم بقلمه اللاذع، كتب في الشعر والتاريخ، والمسرح والمراسلة والفلسفة، وأجاد في أكثرها من مؤلفاته المحاورات الفلسفية، كنديد- زئير (محمد) (شارل ١٢)، المنجد في الأعلام، ص ٤٢١.

(421) روسو -جان جاك (Rousseau) (١٧١٢-١٧٧٨) كاتب فرنسي وفيلسوف اجتماعي، ولد في جنيف، نادى بطيبة الإنسان، والعود إلى الطبيعة، له (العقد الاجتماعي) (أميل) (اعترافات) تأثرت بمبادئه الثورة الفرنسية، المنجد في الأعلام، ص ٢٦٩.

(422) سبنسر- هربرت (Spencer) (١٨٢٠-١٩٠٣) فيلسوف وعالم اجتماعي إنجليزي، ولد في دربي، صاحب مذهب قائم على التطور الطبيعي، أي مذهب النشوء والارتقاء، المنجد في الأعلام، ص ٢٩٥.

له، وبعد أن أتم دراسته طلب إليه أستاذه "الرنود" أن يعمل معه بضعة شهور يكتسب فيها خبرات عملية فوافق[٤٢٣].

وعاد قاسم أمين إلى مصر بعد إتمام دراسته في فرنسا سنة ١٨٨٥م، فعمل وكيلاً للنائب العمومي بالمحكمة المختلطة، فمستشاراً لمحكمة الاستئناف، توفي بالقاهرة[٤٢٤].

ومن كتبه: كتاب بعنوان: (المصريون) الذي كتبه قاسم أمين رداً على كتاب (داركير)، ودافع فيه عن المصريين والإسلام، وألف رداً بالفرنسية، حاول فيه تفنيد اتهاماته لمصر والمصريين، وبين فضائل الإسلام على المرأة المصرية، ورفع من شأن الحجاب، وعدّه دليلاً على كمال المرأة، وحاول شرح الحكمة الإيجابية في قوانين الشرع الإسلامي، إلا أن دفاعه هذا بدا تبريراً، وشرحه قد اتسم بالخنوع والذلة[٤٢٥] فيقول وكأنه يناشد داركير أن يعتبر الإسلام في مرتبة النصرانية والمجوسية: "إن الإسلام دين خلقي لا يقل عن المجوسية ولا عن المسيحية، وإن روح القرآن لا تختلف عن الروح الإنجيلية[٤٢٦]" ويقول أيضاً: "ولهذا كان أمامها أي مصر طريقان: العودة إلى تقاليد الإسلام أو محاكاة أوروبا"[٤٢٧] .

استنكر قاسم في كتابه (المصريون) خطة بعض السيدات المصريات اللاتي يتشبهن بالأوربيات، فوشى به أحد خصومه إلى الأميرة نازلي، متهماً قاسماً بأنه يقصد بهذا التعريض ذم المصريات اللاتي يقلدن الإفرنجيات ويسرن سيرتهن، فغضبت الأميرة مما فعله قاسم أمين، وقالت للشيخ (محمد عبده) قولاً شديداً بعد أن هددت وتوعدت، ونشرت ست مقالات في جريدة (المقطم) وهي لسان حال الإنجليز في مصر في ذلك الوقت تعقبت فيها آراء قاسم أمين في كتابه (المصريون) وفندت أخطاءه في دفاعه عن الحجاب، واستنكاره الاختلاط بين الجنسين[٤٢٨].

لكن سرعان ما ألغيت هذه الجملة بسبب إقناع قاسم أمين بضرورة تصحيح خطأه، وتقدم قاسم أمين إلى الأميرة واعتذر لها فقبلت اعتذاره، ثم أخذ يتردد على صالونها وارتفع مقامها لديه واتفق معه سعد زغلول، ومحمد عبده على أن ينشر كتاباً يصحح فيه خطأه، ويؤيد

(423) قاسم أمين، ماهر حسن فهمي، ص٤٠-٥١، وانظر: عودة الحجاب، ص ٣٤-٣٥

(424) الإعلام، الزركلي، د.ت. ص ٣٩/٣.

(425) عودة الحجاب، ص ٣٥.

(426) الأعمال الكاملة، قاسم أمين، تحقيق: د. محمد عمارة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٧٦م، ٢١٧/١، وانظر: عودة الحجاب، ص٣٥.

(427) عودة الحجاب، ٣٦/١-٣٧.

(428) عودة الحجاب، ص ٣٥-٣، وانظر: الحركات النسائية وصلتها بالاستعمار، ص ١٤-١٥. وانظر: قاسم أمين، د. ماهر حسن فهمي، ص ٣٦.

فيه الدوق داركير، ويواصل مناصرته لكتاب (المرأة في الشرق) للقبطي مرقص فهمي، فألف قاسم أمين الكتاب الثاني بعنوان (تحرير المرأة) دعا فيه إلى نفس ما دعا إليه ذلك الصليبي، إلا أنه لم يتعرض لمسألة زواج المسلمات من الأقباط، وقد ألغى فيه أفكاره الدفاعية التي أوردها في كتابه السابق(٤٢٩)، حيث زعم في كتابه أن: "الدين هو السبب الوحيد في انحطاط المسلمين وتأخرهم عن غيرهم، وأن حجاب المرأة بوضعه السائد ليس من الإسلام، وأن الدعوة إلى السفور ليس فيها خروج على الدين أو مخالفة لقواعده(٤٣٠).

وقد تناول في كتابه هذا أربع مسائل، وهي الحجاب، واشتغال المرأة بالشئون العامة، وتعدد الزوجات، والطلاق، ويذهب في كل مسألة من هذه المسائل إلى ما يطابق مذهب الغربيين، زاعماً أن ذلك هو مذهب الإسلام فيقول: "سيقول قوم إن ما أنشره اليوم بدعة، فأقول: نعم أتيت ببدعة، ولكنها ليست في الإسلام، بل في العوائد وطرق المعاملة، التي يحمد طلب الكمال فيها"(٤٣١).

وذهب بعض الباحثين من أن الشيخ محمد عبده شارك في كتابة فصولاً كاملة بنصوصها في كتاب "تحرير المرأة" ومن هؤلاء الدكتور (محمد محمد حسين) في كتابه الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر(٤٣٢)، وداوود بركات رئيس تحرير الأهرام(٤٣٣)، ود.محمد عمارة في كتابه جامع الأعمال الكاملة لقاسم أمين ومحققها(٤٣٤).

وقد لقي هذا الكتاب ردود فعل كثيرة، كان أكثرها مقالات صحفية، وقد اتهمه المعارضون بالهذيان، وهاجمه علماء الدين هجوماً عنيفاً، وحكم الفقهاء بأنه افترى، ومرق من الدين، واتهمه آخرون بالجناية على الدين، والمبالغة في تقليد الغربيين، وأنه ينفذ أمنية من أماني الأمم الصليبية التي تريد بها هدم الإسلام، وتقويض الآداب والأخلاق، وتحريض النساء على الفساد(٤٣٥).

وتابع قاسم أمين في الكشف عن وجهه الحقيقي في كتابه الثالث (المرأة الجديدة) وكشف في جرأة عن أهدافه الخبيثة في هذا الكتاب الذي بدأ فيه أثر الغزو الفكري الغربي

(429) الحركات النسائية في الشرق وصلتها بالاستعمار، ص ١٥، وانظر: عودة الحجاب، ص ٣٧-٤٠.

(430) الأعمال الكاملة، قاسم أمين، ٧٢/٢، وانظر: عودة الحجاب، ص٤٠.

(431) عودة الحجاب، ص ٤٠، عن تحرير المرأة، محمد زكي الدين، بالقاهرة، ١٣٤٧هـ، ص ٥.

(432) ارجع إلى المجلد الأول، ص ٢٨١-٢٨٢، عودة الحجاب، ص ٤٤.

(433) عودة الحجاب، ص ٤٤-٤٥، عن الأهرام، مايو، ١٩٢٨م.

(434) عودة الحجاب، ص ٤٥-٤٦، عن دراسة في فكر قاسم أمين، ص١٤٤.

(435) قاسم أمين، د. ماهر حسن فهمي، ص ١٧٢-١٨٠.

واضحاً، فالتزم فيه مناهج البحث الأوروبية الحديثة التي ترفض كل المسلّمات والعقائد السابقة، سواء منها ما جاء عن طريق الدين أو ما جاء من غيره، ولا تقبل إلا ما يقوم عليه دليل من التجربة أو الواقع(المنهج العلمي) كما يزعمون.

ويدعو في هذا الكتاب إلى:

- ترك حرية النساء للنساء، أي لا يقبل بزعمه حق قوامة الرجال على النساء، ولو أدى الأمر إلى إلغاء نظام الزواج، حتى تكون العلاقات بين الرجل والمرأة حرة لا تخضع لنظام ولا يحددها قانون.
- أراد من المرأة المصرية أن تتحول إلى المرأة الأوروبية الجديدة وتتخذها مثلاً أعلى[٤٣٦].

ولقد لقي في هذا الكتاب معارضة شديدة، حتى أن الخديوي (عباس حلمي) في ذلك الوقت استنكره كسابقه لمنافاته للإسلام وأبى قبول كتاب المرأة الجديدة عندما ذهب قاسم أمين لتقديمه إليه، ثم أصدر أمراً بمنعه من دخول القصر في أي مناسبة، مع أنه مستشار في الدولة[٤٣٧].

ويقال أن قاسم أمين عدل عن رأيه عام ١٩٠٦م، بعد أن تبين له أنه ضل الطريق، وأنه كان مخطئاً في توقيت الدعوة إلى تحرير المرأة، ولكن عباراته لم تكن صريحة في توبته عن ضلاله بالكلية، ولكنه ادعى أن خطأه كان فقط في التوقيت لها، ومما يضعف احتمال رجوعه عن مذهبه ما قالته هدى شعراوي في حفل تكريم ذكرى رحيله بأنه آخر كلمات نطق بها قاسم أمين وتوفي بعدها في نفس اليوم حيث قال وهو يحي الطلبة الرومانيين: "كم أكون سعيداً في اليوم الذي أرى فيه سيداتنا يزينّ مجالسنا كما تزين باقات الزهور مقامات الجلوس"[٤٣٨]، وقال أيضاً: "ولي شوق عظيم أن أشاهد ذلك اليوم الذي أرى فيه حظ فتياتنا المسلمات المصريات كحظ هاته الفتيات السائحات من التربية والتعليم، وذلك اليوم الذي نرى فيه المسلمات جالسات جنباً إلى جنب مع الشبيبة المصرية في اجتماع أدبي، كاجتماع اليوم، فيشاركننا في لذة الأدبيات والعلوم التي هن منها محرومات، وبقي أن نحقق الآمال حتى يرتقين فيرتقي بهن الشعب المصري"[٤٣٩].

---

(436) عودة الحجاب، ص ٦٢-٦٣.

(437) المصدر السابق، ص ٦٢.

(438) الحركات النسائية في الشرق، ص ١٩، وانظر: عودة الحجاب، ص ٧٤/٣.

(439) نفس المصدر السابق، ص ١٩، ٧٤.

توفي قاسم أمين ليلة الثالث والعشرين من أبريل سنة ١٩٠٨، فطلب الإنجليز إلى شعبهم بإقامة حفل تأبين له، فأقاموا هذا الحفل، وأشادوا فيه بدعوته إلى السفور ومقابل ذلك دعا الحزب الوطني بإقامة احتفال كبير للدعوة إلى الحجاب ولإبراز أصابع الإنجليز في فتنة السفور(٤٤٠).

خامساً: روّاد آخرون:

وإن توفي قاسم أمين، فإن دعوته ظلت بعده، حيث وجد على الساحة السياسية من يستأنف الدور، ويحمل نفس اللواء، وحزب الأمة وزعاماته أمثال (أحمد زغلول) عضو محكمة دنشواني، و(الهلباوي) جلادها وسفاحها، ولطفي السيد الذي حمل على عاتقه الدعوة إلى خروج النساء باسم التحرير، والذي اشتهر بأستاذ الجيل وهو الذي يتحدى المسلمين، ويدخل على الفتيات طالبات الجامعة مختلطات بالطلاب، سافرات الوجوه ولأول مرة في تاريخ الجامعة المصرية.

ومن الزعماء السياسيين سعد زغلول باشا المنفذ العملي لدعوة قاسم أمين، فهو الذي أعان قاسم أمين على إظهار كتابه تحرير المرأة أو شجعه على احتمال ما لقيه من معارضيه، وأرغم زوجته صفية زغلول على نزع الحجاب وبعد عودته من المنفى استقبله الناس رجالاً ونساءً فلما دخل على النساء المحجبات استقبلته هدى شعراوي بحجابها، فمد يده فنزع الحجاب عن وجهها وهو يضحك فصفقت هدى وصفقت النساء المحجبات لهذا الهتك المشين ونزعن الحجاب، وهو بذلك حقق آمال قاسم أمين الذي كان يرى أن آراءه في المرأة لن تأخذ شكلها العملي إلا على يد سعد زغلول(٤٤١).

وتعد هدى شعراوي أول مصرية مسلمة تتمرد علانية على أحكام الشريعة الإسلامية فتخلع الحجاب، وتنشط في تكوين الاتحاد النسائي المصري، الذي يدعو إلى منع تعدد الزوجات، وتقييد الطلاق وإلغاء بيت الطاعة، وسارت (سيزا نبراوي) جنباً إلى جنب مع هدى شعراوي، وكانت تقوم بدور السكرتيرة الخاصة لها، ومستشاراً لها، وكانت رفيقة لها في أسفارها ومؤتمراتها، ومشاركة لها في جميع نشاطها، وساعدتها في تأسيس الاتحاد النسائي المصري.

---

(440) نفسه، ص ١٩.

(441) انظر: عودة الحجاب، ص ٧٩-٨١، وانظر: حجاب المسلمة، ص ٤٦٦، الحركات النسائية في الشرق، ص٢١-٢٢.

وفي نفس الدرب سارت أمينة السعيد التي تأثرت بالمستغرب (طه حسين) أشد التأثر وراحت تهاجم المحجبات، وتزدري بالحجاب حيث وصفت المرأة المحجبة بأنها ثعلب ترتدي ثياب الناسكين، وتتطاول على قانون الأحوال الشخصية، وكانت تريد إصدار تشريع جديد يمنع تعدد الزوجات ومساواة المرأة بالرجل في الميراث، وأخذت تحرض النساء على النشوز، والفتيات علىالانحلال، حتى هلكت وهي تعاني من سرطان في فمها الذي كثيراً ما عابت به عديداً من الفضائل، وتطاولت على أهل العلم ورواد الفكر.

ومن رواد الغزو الفكري نوال السعداوي التي زعمت أن الحجاب استعباد للمرأة، وإذلال لها، وطالبت بانتساب الإنسان لأمه لا لأبيه لأن الأبوة على زعمها مشكوك فيها دائماً، واعترضت نوال السعداوي على جعل الطلاق في يد الرجل، وزعمت أنها فكرة نشأت في التاريخ البدائي القديم لأسباب صحية ووقائية.

ومنهم درية شفيق: التي أنشأت حزب (بنت النيل) والذي كان من أهدافه:

- منح المرأة حق الاقتراع وحق دخول البرلمان.
- إلغاء تعدد الزوجات، وإدخال قوانين الطلاق الأوروبية في مصر.

وهناك مثيلات لمن تقدم ذكرهن: سهير القلماوي، وفاطمة السعيد، وسعاد صبري، ومي شاهين، وسميحة ظاهر، وغيرهن ممّن تأثرن بعادات الغرب وأخلاقهم،وظهرت فيهن بصماتهم الفكرية عن طريق المحاضرت والندوات والمقالات، والمجلات(٤٤٢).

المطلب الثاني: رواد الغزو الفكري في البلاد الإسلامية والعربية الأخرى

تبين مما سبق أن المرأة المسلمة في مصر استُهدفت، ونجح دعاة السفور في التأثير على المرأة المصرية المسلمة، فخلعت حجابها، وهتكت عرضها، ولكن لم يبق الحال على ذلك في مصر فقط، بل انتقلت عدوى السفور من مصر إلى البلاد الإسلامية بفعل هؤلاء الذين تربّوا على الحقد على الإسلام، والإفساد للمجتمعات الإسلامية عامة وإفساد المرأة المسلمة خاصة، فكان لتلك الدعوة إلى السفور أصداء واسعة وصلت إلى العراق والشام والجزيرة العربية وغيرها من الدول الإسلامية والعربية، لذا كان لابد من عرض سريع لبعض من قاد هذه المهمة لإخراج المرأة من طهرها وعفافها.

أولاً: معروف الرصافي:

(442) انظر: حجاب المسلمة، ص ٤٠٤-٤٠٥، ٤٦٦، ٥٠١-٥٠٥، وانظر: عـودة الحجـاب، ص ١١٢-١٣٠.

ولد في العراق ونشأ بها، وولع بالشعر، ونظم الكثير من القصائد، في مختلف أغراضه، تناول في شعره قضية المرأة، وأكثر من الحديث عنها، حتى أفرد لها في ديوانه باباً خاصاً أطلق عليه النسائيات، كان صدىً لدعوة قاسم أمين لما سماه (تحرير المرأة) حيث نظم قصيدة أطلق عليها (المرأة في الشرق) أرجع فيها تأخر الشرقيين واضطراب أحوالهم وتدهور أوضاعهم إلى سلب حرية المرأة، وجلوسها في بيتها، وتمسكها بحجابها بحيث غدت هذه العادات أغلالاً تقيّد المرأة [٤٤٣] حيث قال:

ألا ما لأهل الشرق في بُرحاء ... يعيشون في ظلٍ به وشقاء
لقد حكّموا العادات حتى غَدَت لهم ... بمنزلة الأقياد للأسراء
لقد غمطوا حق النساء فشددوا ... عليهن في حبسٍ وطول ثواء
وقد ألزموهنّ الحجابَ وأنكروا ... عليهن إلا خرجةً بغطاء
أضاقوا عليهنّ الفضاء كأنهم ... يغارون من نور به وهواء
وقد زعموا أن لَسْنَ يصلحن في الدُّنا ... لغير قرارٍ في البيوت وباء[٤٤٤]

وحين رأى الرصافي أن الرجال يقومون بدور المرأة على المسرح لعدم بروزها للرجال، تألّم لهذا الحال، وعدّها من باب التضييق على المرأة والحجر عليها لإلزامها بالحجاب فقال:

وما العار أن تبدو الفتاة بمسرحٍ ... تمثّل حالي عزةٍ وإباء
ولكن عاراً أن تزيّا رجالكم ... على مسرح التمثيل زيّ نساء[٤٤٥]

وفي قصيدة (نساؤنا) يشبه المرأة بالحمامة، ويعتبر حجب وجهها كنتف ريشها، ومن كانت كذلك فهل يطيب لها التغريد بعد حرمانها من أعز ما تملك!!

أفي الشرع إعدام الحمامة ريشها
وإسكاتها فوق الغصون عن السجع[٤٤٦]

وفي قصيدة أخرى بعنوان (حرية الزواج عندنا) يلوم فيها من تمسّك بالحجاب بدعوى الصون والعفاف، واعتبر أن الحجاب الحقيقي للمرأة حياؤها لا نقابها، فقال:

شرف المليحة أن تكون أديبـــة

---

(443) انظر: حجاب المسلمة، ص٥٣٤-٥٣٥.

(444) انظر: ديوان الرصافي، دار مكتبة الحياة، محمود حلمـــي، بيـــروت، ط٦، ١٨٧٥هـــ-١٩٤٥م، ص ٣٤٢.

(445) المصدر السابق، ص ٣٤٢.

(446) ديوان الرصافي، ص ٣٤٦.

وحجابهـــــا فـــي الناس أن تتهذبا

والـــوجه إن كـــان الحياء نقابه

أغنـــــى فتـــــاة الحـــي أن تتنقبا

ولم يكتف بهذا بل أنشأ قصيدة بعنوان: (التربية والأمهات) اتهم فيها المجتمع المسلم بقبر البنات قبل الممات، ورمى طباع المسلمين باللوم لحجبهم النساء وأثنى على الأعراب الذين تبرز نساؤهم حاسرات بحكم البداوة التي يعيشون فيها.

وفي معظم ما قال من قصائد يعتبر المرأة مظلومة، مهضومة الحقوق في كل شيء حتى في الميراث والأدهى من ذلك أنه في قصيدة له كشف عن عقيدته التي لا ترى الدين قائماً على وحي نزل على الأنبياء، ولكنها من اختلاق قوم دهاة، يريدون بذكائهم ودهائهم الكذب على الناس، وغروهم وخدعوهم بدعوى النبوة، وزعم أن ما يتوهم به كان بوحي من الله، وهو ينكر أيضاً عروج الأرواح إلى السماء، فهو إن صرّح بذلك فعلاً فلا بد أن يوضع مع زمرة الكافرين الملحدين والعياذ بالله(٤٤٧).

ثانياً: جميل صدقي الزهاوي:

وهو كردي الأصل، ولد عام ١٨٦٣م، أبوه مفتي العراق (الشيخ محمد فيضي الزهاوي) ولقب بالزهاوي نسبة إلى بلدة في إيران تسمى: (زهاو)، أما والدته فهي كردية الأصل أيضاً تعلم كثيراً من علوم الأولين فلم تشبع عقله، فنهل كثيراً من علوم الغربيين التي ترجمت إلى التركية والعربية، غير أن الفلسفة قد استأثرت اهتمامه، فأحبها وتوسع فيها. بدأ في نظم الشعر بالفارسية، ثم بالعربية، ونشرت له الصحف والمجلات في مصر وبيروت والشام وبغداد مقالات كثيرة، وقصائد كثيرة، تناول في بعضها السلطان عبد الحميد، وخص المرأة بعدد آخر فيها، عُيّن أستاذاً للفلسفة الإسلامية بالجامعة الملكية، وأستاذاً للآداب العربية وتقلّب في مناصب عديدة، ثم انتخب نائباً في البرلمان العثماني.

وبعد إعلان الحرب العالمية الثانية، واحتلال الإنجليز بغداد، عُين عضواً في اللجنة التي تدير أمور المعارف، ثم رئيساً للجنة تعريب القوانين التركية، ثم ألغيت اللجنة، وجاء الملك فيصل الأول وتوّج ملكاً على العراق، فعينه في مجلس الشيوخ...وبعد اكتمال شبابه أنشب المرض فيه أظفاره، فأصيب بالأمراض العصبية التي برّحت به آلامها، وشلت أصابع قدمه اليسرى ولازمته حتى آخر حياته(٤٤٨).

مرّ بأطوار مختلفة في مراحل حياته حتى قال عن نفسه: "كنت في صباي أُدعَى بالمجنون لحركاتي غير المألوفة.وفي شبابي بالطائش لخفتي وإيغالي في اللهو، وفي كهولتي

---

(447) نفس المصدر السابق، ص ٢٣٦.

(448) حجاب المسلمة، ص ٥٢١-٥٢٢.

بالجريء لمقاومتي الاستبداد، وفي شيخوختي بالزنديق لمجاهرتي بآرائي الحرة الفلسفية المخالفة لآراء الجمهور".[٤٤٩] لم يقتصر في كتاباته على الفلسفة والعلوم الطبيعية التي تفيض إلحاداً وكفراً إنما تناول قضية المرأة في شعره ونثره، وأكثر من الحديث عنها دفاعاً عن حقوقها المهضومة كما يزعم، وانتقد الأحكام الإسلامية الخاصة بها فقال: "ليست المرأة مهضومة من جهة واحدة، بل مهضومة من جهات عديدة.

ولو كان رمحاً واحــداً لاتقيته

ولكنـــــه رمـــح وثـــانٍ وثالـــــث

فهي مهضومة لأن عقدة الطلاق بيده يحلها وحده، وهي مهضومة لأنها لا ترث من أبويها إلا نصف ما يرث أخوها الرجل! وهي مهضومة لأنها وهي في الحياة مقبورة في حجاب كثيف يمنعها من شمّ الهواء، ويمنعها من الاختلاط ببني نوعها، والاستئناس بهم، والتعلم منهم في مدرسة الحياة الكبرى!!، وليست المرأة مهضومة في الدنيا فقط، بل هي مهضومة كذلك في الأخرى[٤٥٠].

فهذا كفر صريح وجرأة على الله سبحانه وتعالى عما يقولون علواً كبيراً فهو يتهم الله سبحانه وتعالى بالظلم، ويقول أن الحجاب سبب من أسباب الجهل، ويعزو عدم اكتشاف المسلمين اليوم لأمر جديد إلى حجاب النساء، ويدعو إلى كسر سلاسل العادات ورفع الحجاب، وختم مقاله بقوله: "وليس ذلك بثقيل إذا أتوه من باب الحكمة، فأشاعوا مضاره، ودفعوه تدريجياً، وإلا دارت عليهم الدائرة، وانحطّ المجتمع فلم يقدر أن يزاحم الغربيين المشمرين للسعي في طريق الارتقاء، ثم أنشد:

أخَّر المسلمين عن أمم الأرض حجابُ تشقى به المسلمات[٤٥١]

نتيجة لذلك احتج الناس على ما جاء في كلامه من كفر صريح، وشاع لعنه على ألسنة الناس، فعزله الوالي (ناظم باشا) من وظيفته في مدرسة الحقوق ببغداد، ومكث في داره أسبوعاً خوفاً من اغتيال الناس له، لكنه لم يقف عند هذا الحد، بل نظم قصيدة قال فيها:

أسفري فالحجاب يا بنة فهر هو داء في الاجتماع وخيم

واعتبر حجب النساء غياً فقال في قصيدته (ابنة يعرب)

القوم يا ابنة يعـــرب من جهلهم وأدوك وأداً

حجبوك عن أبناء نوعك حاسبين الغيّ رشـــــداً

---

(449) حجاب المسلمة، ص ٥٢٢، عن (ترجمة حياتي)، الزهاوي، نشرها عبد الحميد الرشودي في (الزهاوي دراسات ونصوص)

(450) نفس المصدر السابق، ص ٥٢٢-٥٢٣.

(451) حجاب المسلمة عن مقال للزهاوي، بعنوان (المرأة والدفاع عنها) ص٥٢٧-٥٢٨.

وفي قصيدة أخرى، أعلن فيها حربه على الحجاب، وتحريضه على السفور الذي اعتبره عنوان الطهر والعفاف فقال:

مزقي يا ابنة العراق الحجابا	وأسفري فالحياة تبغى انقلابا
مزقيه واحرقيه بلا ريث	فقد كان حارساً كذاباً
زعموا أن في السفور سقوطاً	في المهاوي وأن فيه خراباً
كذبوا فالسفور عنوان طهر	ليس يلقى معرّة وارتياباً(٤٥٢)

فلما اطلع العلماء على هذا الشعر الذي وصف فيه الحجاب الحارس الكذاب، وصموه بالزندقة، ونعتوه بالإلحاد وقال عنه شيخ الإسلام مصطفى صبري: وإلحاد جميل معروف أكثر من معروف، أي أن إلحاد الزهاوي معروف أكثر من معروف الرصافي، هذا بالإضافة إلى أنه كان أيضاً ينكر البعث وينكر وجود الخالق عز وجل، حيث نظم ديواناً كاملاً أطلق عليه (نزغات الشيطان) مما يؤكد ويدلل على كفره وإلحاده حيث قال فيه ما لا يصح أن يقال:

توقفت لا أدري تجاه الحقائق ءَأَنِّي خَلَقْتُ الله أم هُوَ خالقي

وصدق فيه قول الله تعالى: ﴿ **أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ**﴾(٤٥٣)

فكيف تعتبر الأمة الزهاوي أديباً من أدبائها، أو واحداً من شعرائها، وتعتمد بعض قصائده في مناهجها، وتبرزه شاعراً من أبرز مجدّديها، وهو الذي انسلخ عن عقيدة هذه الأمة، وتمرد على قيمها، واتخذ من أعدائها مثلاً أعلى لها.

فهل يكون هذا وأمثاله حريصاً على المرأة المسلمة ورسالتها، وهو يعزو تأخر المسلمين إلى حجابها؟ !!! (٤٥٤).

ثالثاً: نزار قباني:

وهو عربي سوري شاعر، وهو من عصابة المجان الكارهين لما أنزل الله، المحرّضين على الفساد والفاحشة، ومن أقواله: "لو كنت حاكماً لألغيت مؤسسة الزواج وختمت أبوابها بالشمع الأحمر"(٤٥٥)، ويقول مستهزئاً "العري أكثر حشمة من التستر"(٤٥٦).

---

(452) حجاب المسلمة، عن (الزهاوي، دراسات ونصوص) الرشودي، ص٥٢٨.

(453) سورة الرعد، الآية (١٦).

(454) حجاب المسلمة، ص ٥٢٩.

(455) الصحافة والأقلام المسمومة، أنور الجندي، دار الاعتصام، ط١، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م. ص١٦٧-١٦٨.

(456) نفس المصدر السابق، ص١٤٦.

وهو القائل: "مع حبيبتي لا أخرج من الغرفة ومع زوجتي لا أدخل الغرفة أساساً"(٤٥٧)، وقد حمل لواء الرفض لكل ما يمت إلى الإسلام والعروبة بصلة، ويعدّه المتحررون من أعمدة الدعوة إلى تحرير المرأة، قال الأستاذ أنور الجندي: "أما شعر (نزار قباني) الذي أوسعت له الصحافة العربية الصفحات فيكفيني في التعريف به ما كتبه محمد سالم غيث في كتابه (الحب والجنس في شعر نزار قباني) يقول: "لقد خلع (نزار) ثياب الرجل كثيراً، ولبس ثياب المرأة، وتقمص شخصيتها وتحدث بلسانها، فهل صحيح أنه يفعل ذلك دفاعاً عن المرأة التي حكم عليها هذا الشرق الغبي بالإعدام" (٤٥٨)حتى إنه يقدم كتاب يوميات امرأة لامبرالية إلى طالبات الجامعة الأمريكية ويقول: "إنه كتابكن، كتاب كل امرأة حكم عليها هذا الشرق الغبي الجاهل بالإعدام، ونفذ حكمه فيها قبل أن تفتح فمها، ولأن هذا الشرق غبي وجاهل ومعقد، يضطر رجل مثلي أن يلبس ثياب امرأة ويستعير كحلها وأساورها ليكتب عنها، أليس من مفارقات القدر أن أصرخ أنا بلسان النساء ولا تستطيع النساء أن يصرخن بأصواتهن الطبيعية"(٤٥٩)ويكمل الجندي قائلاً: "هذه هي المفاهيم التي يقدمها نزار قباني في شعره الذي تحتفل به الصحافة العربية"، ولعل من أبرز سيئات نزار قباني قصيدته: "افتح صندوق أمي" تلك التي أعلن فيها الرفض لكل ما هو عربي وإسلامي، وقد سمى سيف الدولة "مغروراً" وهو الذي قضى حياته مجاهداً في سبيل الله حتى جمع من غبار ثيابه في معاركه مع الروم ما جعل منه وسادة أوصى بوضعها تحت خده بعد موته(٤٦٠).

رابعاً: ماري إلياس زيادة

وهي سورية الأصل، أديبة، متحررة سافرة، اشتهرت (بالآنسة مي) وكان لها محفل في دارها يشبه محافل الباريسيات يختلط فيه الرجال مع النساء، يجتمع في محفلها الذي أسسته سنة ١٩١٣ أهل الأدب والسياسة والفن، ورجال الأعمال، والصحافيون، وكان المحفل يضم رجالاً ونساءً من الأوروبيين والمصريين والعرب المقيمين بمصر، خاصة النصارى منهم، وكان يؤمه الشيخ مصطفى عبد الرازق من شيوخ الأزهر المفتونين بالغرب، وكان يضم أيضاً طائفة من العلمانيين، والليبراليين والماسونيين أمثال يعقوب صروف، وشبلي شميلي، وأنطوان فرح، وإدريس راغب وغيرهم، وكانت (مي) مغالية في تحررها، وقد أثّر محفلها على طبقة محصورة من الرجال والنساء الأوروبيين والمصريين، وبحمد الله لم يؤثر على أغلبية نساء

---

(457) نفس المصدر السابق، ص ١٦٧-١٦٨.

(458) نفس المصدر ، ص ١٤٦.

(459) نفسه، ص ١٦٧-١٦٨.

(460) نفسه، ص١٦٨.

المجتمع المصري، وإن كان هذا المحفل أحد العوامل المساعدة في سير الحركة النسائية المصرية نحو التحرر[٤٦١].

خامساً: جورجي زيدان

وهو لبناني نصراني، له روايات الإسلام التي خدعت كثيراً من الشباب والشابات، حيث اتبع في تأليفها الأسلوب القصصي الذي كان يغريهم بالقراءة، ثم يدس لهم سموماً كثيرة من شأنها أن تغير نظرتهم كمسلمين إلى زعماء الإسلام وأبطاله، وتجعلهم يحسون نحوهم بانتقاص شديد، يزيل من هيبتهم، ويقلل من مكانتهم ويصورهم على أنهم كانوا يتصارعون على منصب أو جاه أو مال، وهذه هي الأهداف الخطيرة التي يستهدفها الكاتب أساساً، وإن أخفاها وراء مظاهر براقة من التصوير الفني والعاطفي، غايته من ذلك تحقير الأمة العربية وإبداء مساوئها وتشويه التاريخ الإسلامي، اعتمدت عليه المخابرات الأجنبية، وكان عضواً في الجمعيات الماسونية في الشرق العربي، ورافق الحملة النيلية إلى السودان سنة ١٨٨٤م، بصفة مترجم في قلم الاستخبارات، ثم عاد إلى بيروت فدرس فيها اللغتين العبرانية والسريانية، ورحل إلى لندن سنة ١٨٩٠، ثم رجع إلى مصر، فأنشأ مجلة الهلال، وكانت أغلب دراساته تاريخية، وقد خدم فيها الاستشراق والتغريب، أظهر الكراهية من السلطان عبد الحميد، والجامعة الإسلامية، ألف كتاب تاريخ الماسونية الذي ما زال أكبر مراجع الماسونيين، وقد كانت مهمة مجلة الهلال نقل مفاهيم الفلسفة الماسونية الملحدة الإباحية إلى أفق الفكر الإسلامي بذكاء ومكر شديدين[٤٦٢].

ألف جورجي زيدان عدداً من القصص تحت اسم روايات الإسلام دسّ فيها كثيراً من الدسائس والمؤامرات والأهواء وحاول إفساد مفهوم الشخصية الإسلامية والبطولة الإسلامية، فأساء فيها إلى أعلام من الصحابة والخلفاء الراشدين، وأبطال المسلمين أمثال صلاح الدين الأيوبي، هارون الرشيد، السلطان عبد الحميد، المأمون وغيرهم، وقد أقام تصوره على أساس خطير:

أولاً: تصويره للخلفاء والصحابة والتابعين بصورة الوصوليين الذين يريدون الوصول إلى الحكم بأي وسيلة، ولو كان على حساب الدين والخلق القويم، مع تجريحهم واتهام بعضهم بالحقد وتدبير المؤامرات.

ثانياً: تزييف النصوص التي نقلها عن المؤرخين القدامى، وحوّلها عن هدفها تحويلاً أراد به السخرية والاستخفاف بالمسلمين، وبنى عليها قصصاً غرامية باطلة.

---

(461) الصحافة والأقلام المسمومة، أنور الجندي، ص ١٢٥، (عن رجال عرفتهم) عباس محمود العقاد، فصل (رجال حول مي)، والمؤامرة على المرأة المسلمة، د. السيد أحمد فرج، ص ٢١.

(462) انظر: إعادة النظر في كتابات العصريين في ضوء الإسلام، أنور الجندي، ص ١٦٩.

ثالثاً: حشد القصص الغرامية داخل روايات تاريخ الإسلام بهدف إثارة غريزة الشباب وتحريك شهوة المراهقين مع الاستشهاد بالأبيات الشعرية المكشوفة الساقطة التي تحرك الغرائز الدنيّة.

رابعاً: تحريفه لمعظم الأحداث التاريخية في رواياته، فبنيت على أساس فاسد، حيث مزج فيها الحق بالباطل، وقدمه في أسلوب براق جذاب، اعتمد فيه على فن القصة والرواية، فلم يكن حريصاً على تحري الحقائق التاريخية بقدر حرصه على الحبكة القصصية، وابتداع الحوادث المثيرة وقد عمل جاهداً على طمس التاريخ الإسلامي وتشويه معالمه. (٤٦٣)

خامساً: أعطى نفسه الحرية المطلقة في تفسير أحداث التاريخ في معظم رواياته استناداً إلى موقف الأديب من التاريخ وكانت تفسيراته متعسفة متكلفة في محاولة لإثارة مشاعر السخط في نفوس المسلمين(٤٦٤).

ومن الأمثلة على ذلك:

١- في رواية (عذراء قريش) أقام منطقه على تجريح الصحابة، واتهام بعضهم بالحقد وتدبير المؤامرات، واتهم السيدة عائشة بالميل إلى سفك الدماء والنزوع إلى الشر، ووصف الخليفة عثمان بأنه رجل إمّعة، وذليل ومستسلم لابن عمه، وافترى على عليّ بن أبي طالب وفسر الفتنة تفسيراً مغرضاً، واتهم علياً بالتهاون في المطالبة بدم عثمان.

٢- في روايات (شارل وعبد الرحمن) زعم أن القواد وأمراء الجند المسلمين كانوا مشغولين بحب فتيات النصارى، وقد فتنوا بجمالهن وإن هذا الحب قد صرفهم عن أمر الفتح، فتركوا جنودهم في ساحة القتال، وادعى أنهم كانوا يهتمون بالغنائم، أكثر من اهتمامهم بما عداها وجرى على تصوير حروب الإسلام على أنها حروب غنائم.

٣- في رواية (فتاة القيروان) حاول التشكيك في أنساب الكثيرين من حكام المسلمين، واعتمد في قصصه الغرامية على الخيال، إذ لا يوجد ذكر لكل هذه المواقف في جميع كتب التاريخ، ونسب الفضل لليهود في إزالة الدولة الأخشيدية، وإقامة دولة الفاطميين مقامها.

٤- في رواية (صلاح الدين) تلفيق وتزوير وإفساد للمجتمع حيث يبين فيها أن صلاح الدين نقض العهد، ونسب له قصصاً غرامية كاذبة، بهدف السخرية والاستخفاف بالمسلمين.

---

(463) إعادة النظر في كتابات العصريين في ضوء الإسلام، أنور الجندي، ص١٧٤-١٧٥.

(464) نفس المصدر، ص ١٧٤-١٧٥.

٥- في رواية شجرة الدر حاول أن يصور نساء السلطان الصالح نجم الدين أيوب بصورة النساء اللاتي يتاجرن بأعراضهن في سبيل الحصول على ما يتطلعن إليه، وليس معه أي دليل من التاريخ، وهذه الدعاوى التي أوردها حول شجرة الدر تختلف عن الحقائق الواردة في كتب التاريخ الأصيلة[٤٦٥].

(465) انظر: إعادة النظر، ص ١٧٦-١٧٨.

الفصل الثاني

أساليب الغزو الفكري للمرأة المسلمة

المبحث الأول: نظرة الغرب إلى المرأة المسلمة

المبحث الثاني: الجمعيات والاتحادات النسائية

المبحث الثالث: المؤتمرات الدولية والإقليمية والندوات

المبحث الرابع: وسائل الإعلام

المبحث الخامس: التعليم والمطبوعات

المبحث السادس: إثارة الشبهات حول قضايا المرأة

المبحث الأول

نظرة الغرب إلى المرأة المسلمة

سبق أن تحدثت الباحثة عن مكانة المرأة في الإسلام، وبينت كيف ارتفعت المرأة المسلمة إلى قمة العز والكرامة، وأن الإسلام يزيد المرأة تشريفا وتكريماً وإحساناً، حتى أن النبي صلى الله عليه وسلم جعل التوصية بإكرامهن من أركان خطابه الجامع يوم الحج الأكبر، بينما المرأة الغربية ما زالت تقاسي صنوفاً من الذل والهوان، والظلم والحرمان، فهي مازالت محرومة من الميراث في كثير من البلدان، ومطالبة بكفالة نفسها متى بلغت سناً معيناً، لا حماية لعرضها إلا في سن القصور، ولا عقوبة على من يغرر بها بعد ذلك أو يعتدي عليها، ليس لها أية حقوق إذا طلقت، فضلاً عن مسئوليتها في الإنفاق على أولادها مناصفةً مع مطلقها.

وعلى الرغم من دعوى تحرير المرأة في الغرب ومساواتها بالرجل، فإنها تحيا في كثير من الأحيان حياة البؤس والشقاء، تعمل في المصانع والمؤسسات لكسب رزقها، وفي المراقص والحانات متاجرة بعرضها، وفي ميادين القتال تشارك في المعارك وتستغل في الترفيه عن الجنود، وترتب على ذلك تفكك الأسرة، وزيادة الجرائم، وإدمان المخدرات، واغتصاب الأعراض، وشذوذ الجنس الذي سرى مسرى العرف العام، مما جعل بعض الدول الغربية تطالب بتطبيق بعض النظم الإسلامية كحل مشكلات المجتمع الغربي في الحياة الاجتماعية، فإيطاليا- مهد الكاثوليكية- تبيح الطلاق خضوعاً للواقع ومجاراةً لاحتياجات الإنسانية[٤٦٦].

المطلب الأول: نظرة المنصفين من الغرب إلى المرأة المسلمة:

وكثير من عقلاء الغرب وقفوا موقف الإنصاف والتقدير من تعاليم الإسلام وتقاليده، فوضعوا الأمور في نصابها، وأعلنوا لبني قومهم ما في الإسلام من سمو وحكمة، وما في تعاليمه من تكريم وإعلاء لشأن المرأة.

وكثير من إحصاءات وتقارير الهيئات الدولية جاءت مؤكدة لعظمة الإسلام، ومعلنة أن تقاليده في الأسرة كانت خير علاج للمشاكل المعقدة التي عجز المجتمع الغربي عن حلها، مثل تفشي الزنا في مختلف الأوساط، واطّراد الزيادة في الأولاد غير الشرعيين، حتى بلغت نسبتهم في بعض البلاد الأمريكية مثل (بناما) خمسة وسبعين في المائة (٧٥%) من جملة المواليد، أي أن ثلاثة عن طريق الحرام من كل أربعة مواليد، وارفع نسبة لهؤلاء الأطفال غير الشرعيين موجودة في أمريكا اللاتينية.

---

(466) انظر: أهداف الأسرة المسلمة والتيارات المضادة، ص ١٥-١٦، ٣٧.

وجاء في النشرة الإحصائية لهيئة الأمم المتحدة لعام ١٩٥٩م ما نــصه: "إن البلــدان الإسلامية محفوظة من هذا الوباء- وباء انتشار الفاحشة وكثرة أبناء الزنا- لأنها تتبــع نظــام تعدد الزوجات، وتثبت هذه النشرة أيضاً أن نسبة هؤلاء الأطفال أقل من واحد في المائة فــي جمهورية مصر العربية مع أنها أكثر البلاد الإسلامية تأثراً بالحضارة الغربية"[٤٦٧].

والعالم الفرنسي المشهور(جوستاف ليبون) يشيد بمزايا تعدد الزوجــات ويقــول إنــه أشرف من تعدد الزوجات الريائي عند الأوروبيين، ويعترف بسمو مكانة المرأة فــي الإســلام فيقول: "إن الإسلام قد أثر تأثيرا حسناً في رفع مقام المرأة أكثر بكثير من قوانيننــا الأوربيــة، وخير طريقة لنقدر التأثير الذي أحدثه الإسلام في تحسين حال المرأة في الــشرق، أن نبحــث عما كان عليه حالها قبل القرآن". [٤٦٨]

ويقول الفيلسوف الايرلندي (برناردشو) في المستقبل العاجل: "عنــدما يريــد الرجــال المفكرون أن يلجأوا إلى دين يحمي الفضيلة ويقي المجتمع، ويكون سبباً للحياة الــسعيدة فــي البشر، سيجدون الإسلام هو الدين الوحيد الذي يضمن لهم ذلك مع التقدم والنجاح، إن الإسلام هو الدين الذي تجد فيه حسنات الأديان كلها، ولا تجد في الأديان حسناته"[٤٦٩].

وتتمنى الكاتبة(مس إني رود) أن تكون بلادها مثل بلاد المسلمين فتقــول: "ألا ليــت بلادنا كبلاد المسلمين فيها الحشمة والوقار، وفيها الخادم والرقيــق ينعمــان بأرغــد العــيش، ويعاملان كما يعامل أولاد البيت، ولا تمس الأعراض بسوء. إنه لعار على بلاد الإفــرنج أن تجعل بناتها مثلاً للرذائل، بكثرة مخالطة الرجال وما بالنا لا نسعى وراء ما يجعل البنت تعمل بما يوافق فطرتها الطبيعية من القيام في البيت، وترك أعمال الرجال سلامة لشرفها"[٤٧٠].

المطلب الثاني: نظرة الحاقدين من الغرب للمرأة المسلمة:

ورغم قول المنصفين من الغرب في المرأة المسلمة ومدح تعاليم الإسلام الذي كــرم المــرأة، إلا أن هناك تعصباً وحقداً دفيناً من بعض الكتَاب الغربيين جعلهم يقفون من الإسلام موقــف التحــدي والعداء، خاصة فيما يتعلق بنظامه الاجتماعي، وما يتصل بذلك من أوضاع الأسرة المسلمة[٤٧١].

لقد بلغ الحقد بالدوق (داركور الفرنسي) أنه بعد زيارته لمصر عام ١٨٩٤م انتقد نظام الأسرة المسلمة، وصور المرأة المسلمة بعيدة عن الواقع حيث قال: "لا يمكن أن يجــد النــاس

(467) الإسلام يتحدى، وحيد الدين خان، دار البحوث العلمية، ط٣، ١٩٧٩، ص ١٦٩-١٧١.

(468) أهداف الأسرة والتيارات المضادة، ص٣٧-٣٨، عن الإسلام والحضارة العربية، محمد كرد.

(469) نفس المصدر السابق عن مجلة الوعي، عدد يونية ١٩٦٩، من مقال"عالمية الإسلام" لأنور الجندي.

(470) نفس المصدر السابق، ص٣٨-٣٩ .

(471) انظر: أهداف الأسرة والتيارات المضادة، ص٣٩-٤٠.

طريقة أشنع ولا أفظع لتعذيب المجرمين من الحكم عليهم بان يعيشوا عيشة النساء المصريات"[٤٧٢]. فوجه الحاقدون من أعداء الإسلام سهامهم ضد الأسرة المسلمة التي مازالت تحتفظ بكيانها رغم الضربات التي وجهت للمسلمين، والمآسي والنكبات التي حلت بهم لأن معنى ذلك في نظرهم هو أن النواة الأصلية للمجتمع الإسلامي مازالت بعيدة عن سهامهم، آمنة من غزوهم الأمر الذي أقلق بالهم وأقضّ مضاجعهم وحملهم على تعبئة الجهود للنيل منها والقضاء عليها، فوقفوا موقف المتربص من الأسرة المسلمة، فبدأوا بالهجوم على المرأة المسلمة بآرائهم وأقوالهم المغرضة[٤٧٣] ومنها:

١- زعم الغرب أن المرأة المسلمة تأتي في مرتبة أدنى من تلك التي يتمتع بها الرجل الشرقي، وأنها لا تتمتع بالحقوق والامتيازات التي يتمتع بها الرجل كالتعليم والعمل والميراث والملكية والسفر. [٤٧٤]

فهذه الصحفية (باربرا كروست) التي تعمل في صحيفة نيويورك تايمز الأمريكية تقول: "المرأة المسلمة محرومة من التعليم والملكية والميراث والعمل وأضافت تقول إن المرأة المسلمة تطلق دون سابق إنذار من قبل زوجها الذي يأخذ منها أطفالها ويحرمها من حقها في السفر، ويتركها كالماشية ليتزوجها أحد أقاربه"

فهذه الأقوال تؤكد على أنهم يخلطون بين العادات والتقاليد وواقع المجتمعات الإسلامية التي لا يلتزم فيها الرجال بتعاليم الإسلام وأنظمته من ناحية، والقيم الدينية من ناحية أخرى ويلقون اللوم على الإسلام الذي صان الحقوق كاملة فالعيب فيمن يحمل اسم الإسلام ولا يطبقه، وليس العيب في الإسلام، وبالتأكيد سرعان ما تتغير هذه النظرة لدى الشعوب الغربية عند رؤيتهم مثالاً حياً لامرأة مسلمة تتمتع بكافة الحقوق والامتيازات التي يُظَن أنها محرومة منها. [٤٧٥]

٢- زعم بعض الرَحالة الغربيين أن الحريم هو ذلك الجزء المنعزل من البيت، حيث لا يسمح للرجال الأغراب بالدخول وقد ذكر بعض الرحالة بأن النساء المحجبات هن بالضرورة

(472) أهداف الأسرة والتيارات المعادية، ص٣٩-٤٠.

(473) انظر: نفس المصدر السابق، ص٥٢.

(474) انظر: المرأة الفلسطينية إلى أين، يوم دراسي، دائرة العمل النسائي، حزب الخلاص الوطني الإسلامي، ١٩٩٧م-١٤١٧هـ، الكلمة بعنوان المرأة الفلسطينية في منظور الغرب، آسيا عبد الهادي، ص٩.

(475) المصدر السابق، ص٩.

أشد اضطهادا وسلبية وجهلاً من السافرات" ومنهم من قــال أن "نــساء الــشرق أشــبه بالسجينات قياساً بما تتمتع به النساء في أوروبا من تحرر كامل"[٤٧٦].

ويرون أن السبب الأوحد لاضطهاد النساء المسلمات هو دينهن، وأن النــساء المــسلمات يعانين من الاضطهاد ما لا يعانيه غيرهن من النساء.

ويرد عليهم ويدحض قولهم ما رواه أحد المراسلين لــصحيفة الغارديــان البريطانيــة عندما قام بتحقيق عن حالة تلميذتين في [أولترنفشام] ارتدتا غطاء الــرأس، فطلــب مقابلــة والدهما لاقتناعه أن الإسلام دين يهيمن فيه الرجال، وأن النساء كائنات سلبية لا حول لهــا ولا قوة، غير أن إحدى الفتاتين قالت له: إن والدها مشغول، وعرضت عليه أن تساعده هي بنفسها ويقول هذا المراسل "ومن ثم فقد ساعدتني فاطمة طوال أربعين دقيقة كاملة مع أنها لم تتجاوز الخامسة عشرة من عمرها، فإن طلاقتها وثقتها بنفسها لو وجدتا لدى شخص في ضِعْف ســنها لكانتا لافتتين للانتباه، فهي سيدة نفسها وتعرف ما تريد"[٤٧٧]

٣- جاء في تقرير قدمه أحد الباحثين الغربيين إلى مؤتمر بعنوان (الإسلام كــأداة لاســتعباد المرأة) ما نصه:

"إن مخلفات الدين الإسلامي التي تنطوي على السلوك الإقطاعي تجاه المرأة لا تــزال باقية في بعض الجهات، وتتمثل بصورة رئيسية في عدم تعيين اشتراك النــساء فــي الحيــاة الاجتماعية والسياسية، وفــي تعدد الزوجات، ومهر العروس، وهي تقاليد تتناقض مع مذهبنا"، ثم يتابع في تقريره فيقــول: "ولهذا من الضروري أن نخوض كفاحاً مجرداً من كل رحمــة أو تسامح ضد جميع هذه المخلفات، ليس فقط عن طريق توقيع العقوبات الصارمة وفقاً للقــانون، بل والقيام في كل مناسبة بخلق رأي عام ساخط يندد بأولئك الذين يتمــسكون بهــذه العــادات والتقاليد الضارة"[٤٧٨]

يتضح من مزاعمه الباطلة على المرأة المسلمة أن الإسلام يستعبد المــرأة ويظلمهــا وأنها متخلفة باتباعها تعاليم الدين الإسلامي، التي صورها أنها مخلفات الدين. فأمنية الغــرب هي إخراج المرأة من بيتها وعفتها وإبعادها عن رسالتها الفطرية، ومــن ثــم هــدم الأســرة المسلمة، فبهدمها يهدمون الإسلام، وليس غرضهم هو الشفقة والرحمة للمرأة المسلمة. يقــول طلعت باشا حرب: "إن رفع الحجاب أمنية تتمناها أوروبا من قديم الزمان لغاية" فــي الــنفس

---

(476) مقال بعنوان: تصورات الرحالة الغربيين عن النساء في الشرق الأوسط، بقلم: جودي مــابروا مــن موقع إسلام أون لاين، ص١/ ٢، www.islam-online.com.

(477) نفس المصدر السابق، ص٣.

(478) أهداف الأسرة في الإسلام والتيارات المضادة، ص٥٣.

يدركها من وقف على مقاصد أوروبا بالعالم الإسلامي"(٤٧٩) ويقول أيضاً: "إن إرادة الوصول إلى تغيير حال المرأة المسلمة شيء كامن في نفوس الفرنج، لذلك كانوا يطالبون به كل من حادثهم من أدباء الشرق وعلمائه، حتى أنك ترى الواحد منهم متى ناظرته مشفقاً على المرأة المسلمة إشفاقاً غريباً، ويرثى لحالها، ويصور عنه من الأقوال ما يدل على جهله بحالةِ المرأة وحقوقها في الإسلام"(٤٨٠)

٤- زعم الغرب أن حجاب المرأة وعدم اختلاطها بالرجال يعود إلى عدم ثقة الرجل بالمرأة وخوفه منها، الأمر الذي جعلهم يرون أن المرأة مظلومة قد ظلمها الرجل عندما فرض عليها الحجاب وحرمها من إنسانيتها ويعتبرون محافظة المرأة على حشمتها مثلاً للرجعية والتخلف. ولكن الغرب يتناسى قصداً أن الرجل ليس هو الذي فرض الحجاب على المرأةِ، فترفع المرأة قضيتها ضده، لتتخلص من الظلم الذي أوقعه عليها،وإنما الله سبحانه أمرها به صوناً لعفتها وكرامتها وأن التبرج والسفور والاختلاط بالرجال هو الذي يكون دافعاً لغيرة الرجل عليها فتنعدم الثقة بينها وبينه.(٤٨١)

٥- يدعى الغرب أن سفور المرأة واختلاطها وخروجها يكسر شهوة الرجل نحو المرأة، وشهوة المرأة نحو الرجل، ويخفف من النتائج المترتبة على مخالفة ما يدعو إليه الإسلام من وجوب الحجاب ومنع الاختلاط، واختصار كل من الجنسين على عالمه الخاص ووظائفه الخاصة دون جور أو حيف أو هضم حق.

فهم يحاجوننا بتلك الحجة الداحضة في نظر الإسلام، وكانوا يباهون بتحضرهم وتقدمهم وإدراكهم لوجوب التطور ومسايرة الأمم المتحضرة(٤٨٢).

٦- ينتقد العديد من الكتبة والصحفيين الغربيين الفصل بين الذكور والإناث في عدد من الجامعات الفلسطينية، حيث تقول جيرالدين بروكس الأمريكية في كتابها (العالم المخفي للمرأة المسلمة) الذي صدر في عام ١٩٩٣م "الانتقال من جامعة بيروت العربية إلى بوابة الجامعة الإسلامية بغزة كالسفر إلى الوراء، وفي الحقيقة إنّ حَرم الجامعة الإسلامية هو الذي يعطي نظرة دقيقة للمستقبل، بينما يزيد نفوذ الجامعات الإسلامية"(٤٨٣).

---

(479) أهداف الأسرة، ص ١٠، عن تربية المرأة والحجاب، محمد طلعت حرب، ص ٣-٥.

(480) المصدر السابق، ص١٠.

(481) انظر: المرأة بين التغرير والتحرير، مقال: د. نهى قاطرنجي، www.khayma.com

(482) انظر: المرأة بين نظرتين، صالح محمد جمال، رابطة العالم الإسلامي ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م، ص٧١.

(483) ورقة عمل (المرأة الفلسطينية في منظور الغرب)، آسيا عبد الهادي، مقدم لمؤتمر لحزب الخلاص، دائرة العمل النسائي، ص١١

وتشير بروكس إلى أن النساء في إيران يتمتعن بوضع أكثر مرونة إزاء التعليم المختلط وتقول: "الزهراء إبنة الخميني علَّمت الفلسفة للذكور والإناث في جامعة طهران" وتقارن بروكس بين الجامعة الإسلامية وجامعة بيرزيت وتصف بيرزيت على أنها الأكثر تحرراً وعلمانيةً حيث لا يتمتع الإسلاميون بنفوذ قوى، غير أنه بدأ يلاحظ ... "[٤٨٤].

ولم يعجب هذه الكاتبة الفصل بين الذكور والإناث فتقول: "كنت آمل أن أجد شيئاً مختلفاً في جامعة غزة، ربما بروز المساواة بين الرجل والمرأة في الإسلام، فقد اعتُبِرَ الفلسطينيون دائماً أكثر الشعوب تقدمية فيما يتعلق بقضايا المرأة، واعتقدت أن الإسلام المتشدد من الممكن أن ينتج شيئاً أكثر متعة، إن فكرة الفصل بين الطلبة والطالبات في الدراسة الجامعية لم يكن على الإطلاق جزءاً من الثقافة الفلسطينية، وإنما استورد من السعودية".[٤٨٥]

يتضح أن بروكس تدعو إلى التعليم المختلط، تحقيقاً لرغبة الأعداء من الغرب، واليهود لجر المجتمع الإسلامي إلى التحلل والفساد. ويقال في الرد عليها إن فكرة الاختلاط ليس له علاقة بأي ثقافة إسلامية بل هي مستوردة من الغرب حيث تنتشر الإباحية، وحالات الحمل في المدارس والجامعات.

يقول د.مور بيرغز وهو يهودي في كتابه العالم العربي اليوم: "إن المرأة المسلمة هي أقدر فئات المجتمع الإسلامي على جره إلى التحلل والفساد أو إلى حظيرة الدين من جديد"[٤٨٦]

ويقول القس الأمريكي زويمر "فنحن عرفنا أن الثغرة تقع في قلوب نساء الإسلاميين فالنساء هن اللواتي يصنعن أولاً المسلمين"[٤٨٧]. ولهذا أخذ المبشرون يأتون بالنساء المبشرات ليتصلن بالنساء المسلمات وهم يصيحون: "لقد سنحت لنا فرصة جديدة"[٤٨٨].

ومن أقوال الغربيين عن المرأة: "كأس وغانيه تفعلان في تحطيم الأمة المحمدية أكثر مما يفعله ألف مدفع، فأغرقوها في حب المادة والشهوات"[٤٨٩].

هذه الأقوال مجتمعة للغربيين تؤكد أن المرأة المسلمة مستهدفة في دينها وقيمها ومغرر بها لتقبل بعض أنماط من السلوك والأوضاع الغربية المتناقضة مع الفطرة السوية

---

(484) المرجع السابق، ص١١ .

(485) نفس المرجع السابق، ص ١١ .

(486) جاهلية القرن العشرين، محمد قطب، ص ٢٧٧.

(487) التبشير والاستعمار، ص٢٠٣ .

(488) نفس المصدر السابق، ص٢٠٣.

(489) المرأة والمكايد الغربية، د. صالح الرقب، موقع صيد الخاطر، وانظر: المؤامرة على المرأة، طالب علم، موقع صيد الخاطر، ص٣.

والمناقضة لقيم الإسلام، والمخالفة لشريعة الله، لذا فهي في نظر الغرب توصف بالتطرف والجمود والرجعية إذا التزمت بدينها مظهراً ومخبراً، فهي متطرفة في زيها الواسع الفضفاض، ومتطرفة في رفضها الاختلاط والتبرج والسفور ومتعصبة في دفاعها عن قضايا المسلمين، ومتزمتة في حرصها على تلقين أولادها مفاهيم الإسلام بينما يكون النموذج الغربي هو الاعتدال المقبول الذي يجب على نسائنا الالتزام به، ولذا فعلى المرأة المسلمة أن تحذر من هذه الخداعات والأوهام، ولتعلم جيداً أن هذا هو الاستعمار الفكري بعينه، يريد أن يصنع في بلاد المسلمين أجيالاً بعيدة عن هَدْي الإسلام وأخلاقه الفاضلة لتضع المرأة حبلها على غاربها، حتى تثبت وجودها وتبرز كالرجل ومما يدعو للأسف أن الغزو الفكري قد نجح في إدخال المرأة كسلاح رهيب في معركته ضد الإسلام، لذا جاءت أجيال توجه ولاءها للغرب والشرق، ولا تحمل من الإسلام إلا اسمه، ولا تصرف همها إلا في الشهوات[٤٩٠].

يقول القس زويمر: "جاء النشء الإسلامي طبقاً لما أراده له الاستعمار، لا يهتم بعظائم الأمور، ويحب الراحة ولا يصرف همه في دنيا إلا في الشهوات"[٤٩١]

ولتعلم المرأة المسلمة أنها تتحمل جزءاً كبيراً في إيجاد جيل مؤمن بعقيدته قوي في أخلاقه، كما أنها تتحمل المسئولية في إخراج جيل بعيد عن هدى الله والأخلاق الفاضلة، طبقاً لما يريده الغرب الكافر منها.

(490) انظر: مركز المرأة في الحياة الإسلامية، د. يوسف القرضاوي، دار الفرقان للنشر والتوزيع، ١٤١٧هـ -١٩٩٦، ص٥٦.

(491) الداعية زينب الغزالي، إعداد ابن الهاشمي، تصدير: محمد الغزالي، دار الاعتصام، القاهرة، ١٤٠٩هـ، ص ٥٨-٥٩.

المبحث الثاني

الجمعيات والاتحادات النسائية

من أساليب الغزو الفكري للمرأة المسلمة، إنشاء التنظيمات والجمعيات والاتحادات النسائية والتي انتشرت في طول بلاد المسلمين وعرضها، وذلك بمساعدة الاحتلال الأجنبي الذي أيدهم، ودعمهم مادياً وسياسياً في جميع الدول التي احتلها عسكرياً أو لم يحتلها ولكن دخلها بالغزو الفكري والثقافي، فمن هذه الجمعيات ما هي تنصيرية، هدفها إخراج المرأة من دينها أو تنصيرها، وتم الإشارة إليها في الفصل الأول عند الحديث عن علاقة التبشير بالغزو الفكري، ومنها ما هي علمانية، ومنها ما هي شيوعية أو يسارية.

المطلب الأول: نشأة الاتحادات النسائية العربية:

بدأت هذه الاتحادات والجمعيات نشاطها في مصر،عندما سافرت هدى شعراوي إلى روما لحضور المؤتمر الدولي الخاص بالمرأة، والذي عقد عام ١٩٢٣م، وبعد عودتها من المؤتمر، تزعمت الحركة النسائية في مصر، ودعت إلى تحرير المرأة، ثم أسست الاتحاد النسائي العربي الأول سنة ١٩٢٤م في مصر، وعقد المؤتمر الأول لهذا الاتحاد، حيث دُعي إليه كبار نساء البلد، ولأهمية هذا المؤتمر لدى الدوائر الأجنبية حضرته د. ريد رئيسة الاتحاد النسائي الدولي، وأرسلت زوجة (روزفلت) رئيس الولايات المتحدة برقية للمؤتمر تشجع أعضاءه على خطى شقيقاتها في العالم، ومن أهم القرارات التي صدرت عن هذا المؤتمر: المطالبة بحذف نون النسوة وتاء التأنيث الساكنة من المَجْمع اللغوي، ثم قامت بعد ذلك (درية شفيق) بإنشاء حزب النيل، الذي تلقى الدعم أيضاً من الخارج، ثم توالت الأحزاب بعد ذلك في مصر، حتى أن (هدى شعراوي) أسست وحدها أكثر من خمس وعشرين جمعية نسائية.

وفي النصف الثاني من القرن التاسع عشر خفّت الحركات النسائية في البداية، ثم عادت للظهور في نهاية الستينات والسبعينات الميلادية، لتشمل أكثر البلاد الإسلامية، وانتشرت مئات الجمعيات النسائية الداعية لتحرير المرأة في جميع المدن والقرى، لتمارس نشاطها المدعوم من هيئات دولية وإقليمية[٤٩٢].

---

(492) انظر: المؤامرة على المرأة المسلمة، طالب علم موقع صيد الخاطر، ص٣٥-٣٦، وانظر: حقوق المرأة في ظل المتغيرات المعاصرة، مكتبة صيد الفوائد، ص ١٠.

ثم أنشئت فروع عن الاتحاد النسائي تشمل جميع الدول العربية والإسلامية، وهذه الاتحادات النسائية تضم في عضويتها كثيراً من الجمعيات النسائية، أي أن الجمعيات النسائية كلها منظمة من خلال الاتحاد النسائي العام في الدولة.

وتأسس أول اتحاد نسائي في القدس سنة ١٩٢٩م، وأول اتحاد نسائي في رام الله سنة ١٩٣٩م وفي بيت لحم سنة ١٩٤٧ وفي نابلس ١٩٥٥، وفي غزة سنة ١٩٦٤، وتأسس أول اتحاد نسائي في الإمارات سنة ١٩٧٥، وفي الكويت أول اتحاد نسائي تأسس سنة ١٩٩٤.

وقد تبين أن أخطبوط الاتحاد النسائي الدولي أو العالمي الذي تترأسه (ريد) زحف إلى البلاد العربية حتى أصبح يوجد في كل بلدعربي اتحاد نسائي، وفي كل المناطق فروع لهذا الاتحاد اليساري الأصل والنشأة، والذي يهدف إلى تغريب المرأة المسلمة.

وعندما يعقد مؤتمر عالمي خاص بالمرأة يرسل إليه وفد من الاتحاد النسائي لكل دولة، وهذا الوفد يضم ممثلات عن الجمعيات النسائية في الدول المشاركة في المؤتمر، فمثلاً: في مؤتمر المكسيك العالمي أرسلت فاطمة بنت المبارك زعيمة أكبر حركة نسائية في دول الخليج ومؤسسة الاتحاد النسائي العام لدولة الإمارات سنة ١٩٧٥م وفداً من الاتحاد النسائي، وهذا الوفد ضمّ خمس جمعيات نسائية هي:

١. جمعية النهضة النسائية في دبي، وقد تأسست عام ١٩٧٣م.

٢. جمعية نهضة المرأة الظبيانية في أبو ظبي، وقد تأسست عام ١٩٧٣م.

٣. جمعية الاتحاد النسائية في الشارقة، وقد تأسست عام ١٩٧٣م.

٤. جمعية النهضة النسائية في أم القيوين، وقد تأسست عام ١٩٧٣.

٥. جمعية نهضة المرأة النسائية رأس الخيمة، تأسست سنة ١٩٧٤.

وهكذا يكون وفد كل دولة عند حضور المؤتمرات النسائية العالمية[٤٩٣].

وهذه الجمعيات والاتحادات النسائية في كل البلاد العربية والإسلامية ظاهرها نشر الوعي الثقافي، والإصلاح، وتقديم المساعدات، وتعليم المرأة بعض المهن، كالشَّك، والتطريز والخياطة، والضرب على الآلة الطابعة واستخدام الحاسوب وغير ذلك، ولكن باطنها سم زعاف، فتعلّم المرأة الأفكار والقيم الغربية، التي تنقلها من فكرها الإسلامي المستمد من الكتاب والسنة إلى الفكر العلماني المستمد من الغرب الكافر[٤٩٤]، ولأن المجال لا يتسع

(493) انظر: موقع الأمير زايد www.uaezayed.com

(494) انظر: أساليب العلمانيين في تغريب المرأة المسلمة، د. بشر بن فهد البشر، ص ٥٦.

للتفصيل عن كل المؤسسات والجمعيات في البلاد الإسلامية والعربية ستكتفي الباحثة بالحديث عن الجمعيات والاتحادات الفلسطينية.

المطلب الثاني: الجمعيات والاتحادات النسائية الفلسطينية:

يتمثل النشاط الأهلي للنساء في قطاع غزة والضفة في أنماط متعددة من أقدمها وأكثرها شيوعاً، الجمعيات الأهلية النسائية: وهي الجمعيات التي ترتبط عادة بوجوه البر والإحسان والخدمات الاجتماعية، والدعوة إلى إصلاح العادات والتقاليد، ومعالجة المشكلات النسائية، ومن خلال ذلك تبث أفكارها الغربية على التصور الإسلامي، ومبادئها العلمانية.

وهناك جمعيات واتحادات نسائية مرتبطة بأحزاب في السلطة أو خارجها، فإن كانت هذه الأحزاب خارج السلطة، فإنها ترتبط بالحركة الوطنية، وتربط نظرتها للمرأة بموقفها الأيديولوجي، أما تلك المنظمات التابعة لأحزاب السلطة فهي تتحرك في إطار الحزب[٤٩٥].

لقد بدأت التنظيمات النسائية في فلسطين بعدد من الجمعيات الأهلية التي تقدم خدمات متنوعة للجمهور النسائي، بالإضافة إلى الاتحاد العام للمرأة الفلسطينية، الذي نشأ عام ١٩٦٤م، كأحد القواعد الشعبية لمنظمة التحرير الفلسطينية، ونشأ بمبادرة النساء أنفسهن، ويتفرع عنه لجان اتحاد المرأة للعمل الاجتماعي، حيث انتشرت اللجان في جميع أنحاء الضفة الغربية وقطاع غزة، تحت شعار (نحو حركة نسائية موحدة) وهو يضم اتحادات الجمعيات الخيرية في الضفة والقطاع، وقد بلغ عدد العضوات في اتحاد لجان العمل النسائي في أحد المؤتمرات (٢٥٠٠ سيدة) موزعات على أربعين لجنة تنتشر في القرى والمخيمات والأحياء الشعبية، وكذلك ظهر عدد من الجمعيات النسوية الجماهيرية المرتبطة عضوياً بالأحزاب السياسية وفي إبان الانتفاضة ظهر عدد من المراكز النسوية المتخصصة، وتتوزع تلك الجمعيات في المدن وبدرجة أقل في القرى، ويديرها عادة مجالس إدارة منتخبة من جمعيات عمومية، تشمل أعضاء وعضوات الجمعية، ورسمياً هذه الجمعيات مسجلة، ولها صفة قانونية حسب قانون الجمعيات، وتتبع لوزارة الشئون الاجتماعية منذ عام ١٩٩٤م[٤٩٦].

---

(495)ورقة عمل حول دور المرأة الفلسطينية في الهيئات والمنظمات غير الحكومية، الهيئة الفلسطينية لحماية حقوق اللاجئين. www.pnic.gov.ps

(496) انظر: المرأة والسياسة، د. إصلاح جاد، موقع مركز المعلومات الوطني الفلسطيني www.pnic.gov.ps/arabic/map

قائمة بأسماء بعض الجمعيات والاتحادات النسائية في الضفة والقطاع(٤٩٧):

١. جمعية الاتحاد النسائي في القدس تأسست سنة ١٩٢٩م، وكانت أول نواة لتجمع نسائي في فلسطين، والعمل على رفع شأن المرأة الفلسطينية ولها فروع في بيت لحم وبيت ساحور، ورام الله، ونابلس، والبيرة،وطولكرم، وغزة، وخانيونس ورفح.

٢. جمعية الهلال الأحمر، القدس، لتنظيم وحماية الأسرة: أنشئت سنة ١٩٦٤م ثم أصبح لها فروع في جنين وعرابة ونابلس وغزة.

٣. جمعية السيدات العربية: القدس تأسست سنة ١٩٢٩م في وادي الجوز، ولها فروع في بيت لحم، وبيت صفافا، وجفنا، وبيرزيت، وحلحول، والعروب، والخليل.

٤. جمعية النهضة النسائية في رام الله وهي أول جمعية نسائية في الضفة أنشئت عام ١٩٢٥م.

٥. الاتحاد العام للمرأة الفلسطينية تأسس عام ١٩٦٥م في غزة.

٦. جمعية اتحاد الكنائس تأسست عام ١٩٥٢م في غزة.

٧. اتحاد لجان المرأة الفلسطينية ١٩٨١م، واتحاد نضال المرأة ١٩٨٤م في خانيونس.

٨. اتحاد لجان المرأة العاملة تأسس سنة ١٩٨١م واتحاد لجان كفاح المرأة تأسس سنة ١٩٨٧م في غزة.

٩. مركز شئون الأسرة وقد تأسس سنة ١٩٩١م، وطاقم شئون الأسرة تأسس سنة ١٩٩٢م.

١٠. مؤسسة البيت الصامد تأسس سنة ١٩٨٩م.

١١. مؤسسة مشرقيات سنة ١٩٩٨م.

١٢. جمعية سنابل النسائية للعمل النسائي تأسست سنة ٢٠٠٢م في دير البلح.

١٣. جمعية أميرة لتعليم وتطوير المرأة الفلسطينية تأسست سنة ١٩٩٧م في خانيونس.

أنشطة الجمعيات النسائية العلمانية واليسارية:

---

(497) انظر: كتاب اتحاد الجمعيات الخيرية نشاطات وخدمات الجمعيات الخيرية في محافظة القدس لعام ١٩٨٥م، إشراف يوسف البكري، دائرة الأبحاث والدراسات، وانظر: المنظمات غير الحكومية، موقع مركز المعلومات الوطني الفلسطيني.

لقد قامت هذه الجمعيات بعدة أنشطة تهدف إلى إفساد المرأة المسلمة وتغريبها عن قضاياها، وإبعادها عن رسالتها الفطرية ومن ذلك:

١. الدعوة إلى السفور والتبرج والاختلاط، اقتداءً بهدى شعراوي، لجعل المرأة صورة مشابهة للمرأة الغربية، حيث تتلقى هذه الجمعيات الدعم المادي من المؤسسات الأجنبية مثل (اليونيسيف)، ومؤسسة (تمكين) وغيرها من المؤسسات التي سبق ذكرها، وهذه المؤسسات لا تدعم إلا المشاريع التي تنفذ برامجها التي تدعو إلى الاختلاط كالمخيمات المختلطة مثلاً، والسفور، وترفض الدعم عن أي مؤسسة إسلامية.

وكتاب (اتحاد الجمعيات الخيرية) في محافظة القدس يعرض صوراً كثيرة لبعض أنشطة الاتحاد والجمعيات الخيرية التي تبدو فيها المرأة سافرة، تجلس بجانب الرجل دون حياء، مكشوفة الذراعين والساقين.

٢. فتح باب المشاركة للمرأة المسلمة في المؤتمرات العالمية النسائية والإقليمية التي تحطم الحواجز الأخلاقية، وتعارض القيم الدينية، وتنشر الإباحية باسم الحرية، حيث يتم تشكيل لجنة تحضيرية للمؤتمرات العالمية من كل دولة لتشارك فيها.

٣. عقد المؤتمرات والندوات وورشات العمل تنفيذاً للقرارات والوثائق التي تصدرها الأمم المتحدة في مؤتمراتها، وأهم هذه المؤتمرات مؤتمر عقد في المغرب بمناسبة مرور مائة عام على قضية تحرير المرأة، حيث نوقش فيه أكثر من مائتي بند، على مدار ستين جلسة، وكان المؤتمر يدور حول أن الدين ومبادئ الإسلام التي تتمسك بها المجتمعات الدينية تقيد حرية المرأة، ودعوا إلى التمسك بقوانين الأمم المتحدة.

ومؤتمر القمة النسائية الأول الذي عقد في القاهرة سنة ٢٠٠١م، ولا تزال المؤتمرات تقام سنوياً، وتحت رعاية زوجات ورؤساء حكومات الدول العربية وبتخطيط من الجمعيات ولجان الاتحادات النسائية، وذلك لأهمية المؤتمرات ولضمان تنفيذ قراراتها[٤٩٨].

٤. المطالبة بتغيير قانون الأحوال الشخصية، وسن قوانين جديدة لا تعيق تقدم المرأة كما في الأحكام الشرعية في نظرهم، فظهر للوجود مشروع (البرلمان الصوري) بعد (اتفاقية أوسلو) ثم تلاها مشروع (قانون العقوبات) التي تسعى الآن بعض المؤسسات لتنفيذه على الواقع.

---

(498) انظر: المؤامرة على المرأة المسلمة، ص٣٧-٣٨.

وقد كان لهذه المنظمات والجمعيات غير الحكومية دورها في كل ما أنجز من مواثيق دولية، كما كان لها دور أيضاً في السعي لتغيير القوانين المحلية، فاتفاقية القضاء على صور التمييز ضد المرأة التي صادق عليها لبنان وقعت نتيجة جهود هذه الجمعيات، كما أن قانون الزواج المدني الاختياري الذي وقّع عليه عشرة نواب منذ فترة عُرِضَ أيضاً بجهود هذه الهيئات والجمعيات النسائية.

وترتكز الجمعيات على تغيير القوانين المحلية حتى لو كان هذا التغيير لا يتفق مع القيم والأخلاق والأعراف السائدة في المجتمعات.

تقول السيدة الغربية (لورمغيزل): "لا يكفي تعديل النصوص القانونية لرفع التمييز ضد المرأة، لا بد من استحداث نصوص تحظر التمييز تحت طائلة عقوبات رادعة فتساهم في تغيير الذهنيات، بما للقانون من تأثير جازم في هذا الأمر، كما لا بدّ من تدابير أخرى تربوية وسياسية واجتماعية واقتصادية وغير ذلك تجعل من النصوص القانونية ليس مساواة شكلية، بل واقعاً معاشاً تفيد منه، ليس قلة معينة من النساء، بل النساء جميعهن ولا سيما النساء الأشد حاجة"(٤٩٩).

٥. تقديم الخدمات الصحية والاجتماعية والإنتاجية لفئات مختلفة مثل ذوي الاحتياجات الخاصة من الأيتام والأرامل والفقراء، وأبناء الشهداء والمعتقلين، بهدف جذب المرأة، وكسب أعضاء جدد للجمعية، حتى أصبح التردد على هذه الجمعيات من أجل كسب منفعة مادية، ومن خلال تقديم هذه الخدمات، تقدم لهم النشرات، وتعرض عليهم أنشطة الجمعية، ويُعلَن عن ندوات خاصة، تبث فيها أفكارهم تبدأ بالوعي الصحي والغذائي والتربوي ثم يكون الوعي القانوني والنسوي لتنظيم كوادر قيادية نسائية(٥٠٠).

٦. إنشاء النوادي المختلطة، وتنظيم الرحلات والمخيمات المختلطة بين الذكور والإناث، مثل: نادي الشباب والرياضة والذي أسس سنة ١٩٩٥م وهو يقدم الدعم للنشاطات التي يختلط بها الذكور والإناث.

٧. إنشاء مراكز للدراسات والأبحاث، حيث تطرح في هذه الدراسات والأبحاث القضايا الاجتماعية، كالزواج المبكر والطلاق، ومشكلات عمل المرأة وسبل حلها مثل مركز الدراسات النسوية في غزة، ومركز شئون المرأة سنة ١٩٩١م في غزة، ومركز

---

(499) المرأة في الاتفاقات الدولية، د. نهى قاطرجي، www.saaid.net/daeyat/nohakatergi/3.htm.

(500) انظر: المرأة المسلمة والسياسة، إصلاح جاد، موقع مركز المعلومات الوطني.

بيسان للبحوث والإنماء في رام الله، ومركز القدس للنساء، ومركز المــرأة للإرشــاد، القانوني والاجتماعي في غزة، وأهم أهداف هذه المراكز:

- تقديم رؤية بديلة عن دور المرأة في المجتمع الفلسطيني وتوضيح دورها الفاعل والمبــدع في عملية التنمية والتغير الاجتماعي، وغالباً ما تكون هذه الرؤية ذات صبغة غربية بعيدة عن التصور الإسلامي.
- تمكين النساء من اقتحام ميادين عمل الرجال التي حرمت منها تاريخيــاً بحجــة نقــص المهارة والتوجه الاجتماعي السائد.
- مطالبة صانعي القرار في المجتمع الفلسطيني تحقيق المساواة في الحقــوق بــين المــرأة والرجل(٥٠١).

---

(501) انظر: طاقم شئون المرأة، الصفحة الإلكترونية www.palwac.org، وانظر: مركز شــئون المــرأة، www.wacgaza.org، وانظر: موقع الدليل، www.aldalil.com

المبحث الثالث

المؤتمرات الدولية والإقليمية والندوات

لقد أصبح موضوع المرأة محوراً أساسياً ومهماً من محـــاور التجمعـــات والفعاليـــات الاجتماعية في العالم، ولدى كثير من المنظمات والجمعيات الحكومية وغير الحكوميـــة أيـــضاً والتي ترفع شعار الحرية والمساواة وحقوق الإنسان.

وقد بذلت الحركات النسائية من الشرق والغرب أقصى جهدها من خـــلال جمعياتهـــا ومؤسساتها، وجمعيات حقوق الإنسان، من نقل أفكارها وتصوراتها من حيز الكلام والتنظيـــر إلى حيز التطبيق العملي، وذلك بإقامة مؤتمرات وندوات من خلال هيئة الأمم المتحدة، بعضها خاص بالمرأة، وبعضها الآخر تكون فيه المرأة جزءاً مهماً من قضاياها. [٥٠٢]

المطلب الأول: المؤسسات والهيئات العالمية المعنية بالمرأة:

وهناك مؤسسات وهيئات تابعة للأمم المتحدة معنية بالمرأة، تشارك في التجهيز والإعـــداد لهذه المؤتمرات والندوات منها:

١- لجنة مركز المرأة التابعة للأمم المتحدة: وهى هيئة رسمية دولية تتألف من خمـــس وأربعين دولة، تجتمع سنوياً بهدف عمل مسودات وتوصيات وتقارير خاصة بمكانة المرأة، وتقويم تلك الأعمال[٥٠٣]

٢- صندوق الأمم المتحدة للسكان: وبدأ هذا الصندوق أعماله في عام ١٩٦٦م، لتحقيق الأغراض الآتية:

أ- إيجاد برامج الصحة الإنجابية، بما في ذلك تنظيم الأسرة، والصحة الجنـــسية، أي الدعوة إلى الحرية الجنسية المأمونة طبياً.

ب- حل المشاكل المقترنة بسرعة النمو السكاني.

ج- مساعدة البلدان النامية، بناء على طلبها، في حل مشاكلها السكانية.

د- العمل على تحسين الصحة الإنجابية.

ه- تحقيق المساواة بين الجنسين، وتمكين المرأة، والسعي إلى تثبيـــت[٥٠٤] تعـــداد سكان العالم. ويشرف هذا الصندوق على الإعداد للمؤتمرات العالمية السكانية.

---

(1) انظر: قضايا المرأة في المؤتمرات الدولية، رسالة دكتوراه د. فؤاد بن عبد الكريم بن عبد العزيز العبد الكريم، مكتبة صـــيد الفوائـــد، وموقع الدرر السنية، www.dorar، ص ٢٠-٢١.

(2) المصدر السابق، عن نشرة صادرة عن إدارة شؤون الإعلام بالأمم المتحدة، ص٢٠-٢١.

٣- جامعة الأمم المتحدة.

٤- معهد الأمم المتحدة لبحوث التنمية الاجتماعية.

٥- اللجنة المعنية بالقضاء على التمييز ضد المرأة.

٦- صندوق الأمم المتحدة الإنمائي للمرأة، وبرنامج الأمم المتحدة الإنمائي.

٧- المعهد الدولي للبحث والتدريب من أجل النمو ضد المرأة.

٨- منظمة الأمم المتحدة للمستوطنات للطفولة.

٩- مفوضية الأمم المتحدة لشؤون اللاجئين.

١٠- منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة وتعرف باسم (منظمة اليونسكو) ولها دور فاعل ومميز في هذه المؤتمرات، وتم إنشاء لجنة استشارية معنية بالمرأة في هذه المنظمة[٥٠٥].

وهناك منظمات ومؤسسات متخصصة شاركت في هذه المؤتمرات ومنها:

- منظمة العمل الدولية.
- منظمة الصحة العالمية.
- البنك الدولي.
- صندوق النقد الدولي.
- الصندوق الدولي للتنمية الزراعية.
- لجنة الصليب الأحمر الدولية.

وغيرها من اللجان والهيئات والمنظمات الدولية المختلفة[٥٠٦].

المطلب الثاني: نشاطات الأمم المتحدة فيما يتعلق بقضايا المرأة:

١- في عام ١٣٦٥هـ - ١٩٤٦م بدأت هيئة الأمم المتحدة تهتم بالمرأة فأنشأت لجنة مركز المرأة، وكان قد أكد دستور هيئة الأمم المتحدة وميثاقها قبل عام من هذا التاريخ في سان فرانسيسكو على بدء عدم التفرقة بين الناس بسبب الجنس، فجعل للرجال والنساء حقوقاً متساوية، كما ورد في نصوص موادها الأولى والثامنة.

ويلاحظ أن الأمم المتحدة في اتفاقياتها وصكوكها ومؤتمراتها تركز على قضية المساواة بين المرأة والرجل (بالمفهوم الغربي) القائم على مفهوم التماثلية التامة لا (التكاملية)

---

(504) انظر: موقع الصندوق http:www.unfpa.org، وانظر: قضايا المرأة في المؤتمرات الدولية بتصرف، ص١٢٩-١٣٠.

(505) انظر: قضايا المرأة في المؤتمرات الدولية، ص ١٣٠.

(506) نفس المصدر السابق، ص ١٣٢.

بين الرجل والمرأة دون اعتبار لأي فروق بينهما سواء كانت فروقاً جسدية أو نفسية أو عقلية. وقضية المساواة مسلم بها عندهم ولا مجال للنقاش فيها، واستغلت الأمم المتحدة هذه القضية في تمرير كثير من قضايا المرأة من جميع النواحي الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية...الخ، كما أكدت الأمم المتحدة ضمن بنود ميثاقها رقم (ل) و (م) على حقوق المرأة السياسية والاجتماعية، وحقها في الزواج والاتفاق على الرضا بالزواج والتوصية بذلك، بالإضافة إلى حماية النساء والأطفال في حالات الطوارئ والمنازعات المسلحة.

٢- في عام ١٣٦٧هـ – ١٩٤٨م صدر (الإعلان العالمي لحقوق الإنسان) وهو يشمل كافة حقوق الإنسان المدنية، والسياسية، والاقتصادية، والاجتماعية، والثقافية التي يجب أن يتمتع بها كل فرد رجلاً كان أو امرأة. [٥٠٧]

٣- وفي عام ١٣٧١هـ – ١٩٥١م اعتمد المؤتمر العام لمنظمة العمل الدولية (اتفاقية المساواة في الأجور بين العمال والعاملات).

٤- وفي عام (١٣٧٢هـ ١٩٥٢م) أقرت الجمعية العامة للأمم المتحدة (الاتفاقية الخاصة بالحقوق السياسية للمرأة) وذلك بناء على توصية اللجنة الخاصة بمركز المرأة.

٥- وفي عام (١٣٨٦هـ – ١٩٦٦م) أصدرت الأمم المتحدة (العهد الدولي الخاص بالحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية) المتفق عليه، الذي يتكون من إحدى وثلاثين مادة موزعة على خمسة أجزاء. وكذلك في نفس هذا العام صدر عن الجمعية العامة للأمم المتحدة (العهد الدولي الخاص بالحقوق المدنية والسياسية.

٦- وفي عام (١٣٨٧هـ -١٩٦٧م) صدر (الإعلان الخاص بالقضاء على التمييز ضد المرأة)، وقد أقرته الأمم المتحدة، وأوصت الأمم المتحدة الحكومات والمنظمات غير الحكومية ببذل أقصى جهدها لتنفيذ المبادئ الواردة في هذا الإعلان، والذي ينص على حق المرأة الدستوري في التصويت، والمساواة مع الرجل أمام القانون، وعلى حقوقها في الزواج والتعليم وميادين الحياة الاقتصادية والاجتماعية مع الرجل سواءً بسواء.

٧- وفي عام (١٣٨٨هـ – ١٩٦٨م) عقد في طهران مؤتمر دولي لحقوق الإنسان تحت إشراف الأمم المتحدة وسمي (إعلان طهران ١٩٨٦م).

ثم بعد ذلك بدأت الأمم المتحدة في عقد مؤتمراتها الخاصة بالمرأة ستذكرها الباحثة، بالتفصيل فيما يلي[٥٠٨].

---

(1) قضايا المرأة في المؤتمرات الدولية ص ١٣٢–١٣٤ بتصرف، عن كتاب حقوق الإنسان محمود بسيوني، ٩٣/١

(508) قضايا المرأة في المؤتمرات الدولية، ص١٣٤، عن كتاب حقوق الإنسان، محمود بسيوني، ٩٣/١.

المطلب الثالث: المؤتمرات الخاصة بالمرأة:

<u>المؤتمر الأول</u>: (مؤتمر مكسيكو لعقد الأمم المتحدة للمرأة: المساواة والتنمية والسلم)

عقد عام ١٣٩٥هـ – ١٩٧٥م، حضره أكثر من ألف شخص يمثلون مائة وثلاثاً وثلاثين دولة وهو أول مؤتمر عالمي خاص بالمرأة، واعتبر ذلك العام [العام العالمي للمرأة]، واعتمد في ذلك المؤتمر أول خطة عالمية متعلقة بوضع المرأة على المستوى الحكومي وغير الحكومي، في المجالات السياسية، والاجتماعية، والتدريب والعمل على حماية الأسرة، وتم اعتماد خطة العمل العالمية لهذا المؤتمر، وهي مدة تسع سنوات من سنة ١٩٧٦م إلى سنة ١٩٨٥م. (٥٠٩)

<u>المؤتمر الثاني</u>: (مؤتمر القضاء على كافة أشكال التمييز ضد المرأة):

تم عقده عام ١٩٧٩م من قبل الجمعية العامة للأمم المتحدة، وخرج المؤتمرون باتفاقية تتضمن ثلاثين مادة، وردت في ستة أجزاء، للقضاء على جميع أشكال التمييز ضد المرأة، وهذه الاتفاقية جاءت لأول مرة بصيغة ملزمة قانونياً للدول التي توافق عليها، إما بتصديقها أو بالانضمام إليها، وقد بلغ عدد الدول التي انضمت إلى هذه الاتفاقية مائة وثلاثاً وثلاثين دولة إلى ما قبل مؤتمر بكين عام ١٩٩٥م وكان من أبرز مواد هذه الاتفاقية:

١- الاعتراف بتساوي الرجل والمرأة في الميادين السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية، والثقافية، والمدنية، أو في أي ميدان آخر، بغض النظر عن حالتها الزوجية.

٢- تعديل الأنماط الاجتماعية، والثقافية، للقضاء على العادات القائمة على فكرة تفوق أحد الجنسين، أو على أدوار نمطية للرجل والمرأة.

٣- القضاء على أي مفهوم سائد عن دور الرجل والمرأة على جميع مستويات التعليم وفي جميع أشكاله عن طريق تشجيع التعليم المختلط وغيره من أنواع التعليم.

٤- تمنح الدول (الأطراف) المرأة في الشؤون الدينية أهلية قانونية مماثلة لأهلية الرجل، ونفس فرص ممارسة تلك الأهلية.

٥- أن يكون للمرأة نفس الحقوق في أن تقرر بحرية وبشعور من المسؤولية عدد أطفالها، والفترة بين إنجاب طفل وآخر، ونفس الحقوق والمسؤوليات فيما يتعلق بالولاية والقوامة والوصاية على الأطفال وتبنيهم (٥١٠)

---

(509) نفس المصدر السابق، ص١٣٤- ١٣٥.

(1) نفس المصدر السابق بتصرف ص ١٣٥، ١٧٤-١٧٥ عن منشورات الأمم المتحدة، وانظر مؤتمر بكين... خطوة باتجاه مجتمع التحلل العالمي، ماجد بن جعفر الغامدي موقع صيد الفوائد، ١٤٢٦/٦/٣م

المؤتمر الثالث: (المؤتمر العالمي لعقد الأمم المتحدة، للمرأة: للمساواة والتنمية والصحة)

وهو المؤتمر الثاني الخاص بالمرأة، عقدتـه الأمـم المتحـدة عـام ١٩٨٠م وذلـك لاستعراض وتقويم ما تم تنفيذه من توصيات المؤتمر العالمي الأول للسنة الدولية للمرأة والذي عقد عام ١٩٧٥م في المكسيك، ولتعديل البرامج المتعلقة بالنصف الثامن من العقـد الأممـي للمرأة مع التركيز على الموضع الفرعي للمؤتمر: العمالة والصحة والتعليم.

المؤتمر الرابع:(المؤتمر العالمي لاستعراض وتقييم منجزات عقد الأمم المتحدة للمرأة، الذي عرف باسم (المساواة والتنمية والسلم):

عقد في نيروبي بكينيا وهو المؤتمر الثالث الخاص بـالمرأة، والـذي عـرف باسـم (استراتيجيات نيروبي المرتقبة للنهوض بالمرأة وذلك من عام ١٩٨٦م حتـى عـام ٢٠٠٠م)، وقد شارك فيه مائه وخمس وسبعون دولة، وبين هذا المؤتمر الحاجة إلى التغلب على العقبات من أجل إنجاز وتحقيق أهداف وغايات المؤتمر في مدة الأربع عشر عاماً الماضية.

المؤتمر الخامس: (المؤتمر العالمي الرابع المعنى بالمرأة)

عقدته الأمم المتحدة عام ١٤١٦هـ– ١٩٩٥م في (بكين) بالصين، وقد دعت فيه إلـى مضاعفة الجهود والإجراءات الرامية إلى تحقيق أهداف استراتيجيات نيروبي للنهوض بالمرأة نهاية القرن الحالي.

ويعتبر هذا المؤتمر متميزاً عن المؤتمرات الأخرى التي تبنتها الأمم المتحـدة، حيـث دعت فيه بصراحة وبوضوح إلى العديد من الأمور التي فيها مخالفة الشريعة الإسلامية، بـل مخالفة للفطرة التي فطر الله الناس عليها. (٥١١)

ومن هذه الأمور:

١- الدعوة إلى الحرية والمساواة بمفهومها المخالف للإسلام، والقضاء التام على أي فـوارق بين الرجل والمرأة، ومعنى ذلك فرض فكرة حق الإنسان في تغيير هويته الجنسية مـن ذكر إلى أنثى أو العكس.

٢- الدعوة إلى فتح باب العلاقات الجنسية المحرمة شرعاً، ومن ذلك: السماح بحرية الجنس، والتنفير من الزواج المبكر، والعمل على نشر وسائل منع الحمل، والحد من خـصوصية الرجال، وتحديد النسل، والسماح بالإجهاض المأمون، والتركيز على التعليم المختلط بين الجنسين في سن مبكر، وتسخير الإعلام لتحقيق هـذه الأهـداف، والاعتـراف رسـمياً بالشواذ والمخنثين والمطالبة بإدراج حقوقهم ضمن حقوق الإنسان.

---

(511) قضايا المرأة في المؤتمرات الدولية، ص١٣٥-١٧٦ (بتصرف)، وانظر: مؤتمر بكين... الغامدي، صيد الفوائد.

٣- التركيز على الخدمات الصحية التناسلية والجنسية،وكيفية معالجة الأمراض الجنسية وبخاصة (الإيدز) ومنع الحمل، والحصول على أطفال بالتبني أو تأجير الأرحام.

٤- إعلان الإباحية، وسلب قوامة الإسلام على العباد، وسلب ولاية الآباء على الأبناء، وقوامة الرجال على النساء. (٥١٢)

وهناك مؤتمرات أخرى لم تكن خاصة بالمرأة، أقامتها الأمم المتحدة خاصة بالسكان، إلا أنها ناقشت من ضمن وثائقها قضايا متعلقة بالمرأة وهي:

١- المؤتمر العالمي الأول للسكان أقيم في (بوخارست – رومانيا)، عام (١٣٩٤هـ– ١٩٧٤م)، وقد اعتمدت في هذا المؤتمر خطة عمل عالمية.

٢- المؤتمر الدولي المعني بالسكان في (مكسيوسيتي بالمكسيك) عام ١٤١٤هـ- ١٩٨٤م.

٣- المؤتمر الدولي للسكان والتنمية في القاهرة بمصر عام ٢٠٠٢م وقد نوقشت في هذه المؤتمرات قضايا شبيهة تماماً بالقضايا التي سبق ذكرها في مؤتمر بكين، فقد أكد على قضية المساواة بين الجنسين وهو يبيح الممارسات الجنسية بين الأولاد، إناثاً وذكوراً في بيت الأسرة وتحت سمع آبائهم وأمهاتهم وبصرهم! وعرّف فيه الزواج على أنه عقد بين شخصين، لا بين رجل وامرأة؟!

وأما التنمية فِإن عنوان المؤتمر أشار إلى ذلك، فضلاً عن قضايا تنمية المرأة التي نوقشت في ثنايا المؤتمر. ومؤتمر السكان والتنمية هذا يعد من المؤتمرات التي أثارت وثيقته ضجة واسعة في العالم الإسلامي وغير الإسلامي، بسبب مخالفتها للشرائع السماوية والفطرة السليمة. (٥١٣)

كما أقيمت مؤتمرات أخرى للأمم المتحدة تم فيها مناقشة بعض قضايا المرأة ومن هذه المؤتمرات.

- المؤتمر العالمي لتوفير التعليم للجميع، والمنعقد في (جومتيان- تايلاند) عام ١٤١٠هـ- ١٩٩٠م.

- مؤتمر القمة العالمي من أجل الطفل، والمنعقد في (ريو دي جانيرو- البرازيل) عام ١٤١٢هـ- ١٩٩٢م.

---

(512) نفس المصدر السابق، ص١٣٥-١٧٦-١٧٧ (بتصرف)، وانظر: مؤتمر بكين... ماجد بن جعفر الغامدي، صيد الفوائد.

(513) قضايا المرأة في المؤتمرات الدولية، ص١٣٦-١٧٧، وانظر: خطورة مبادئ مؤتمر السكان والتنمية على المسلمين، لفضيلة الأستاذ محمد راتب النابلسي، موقع إسلام أون لاين.

- المؤتمر العالمي لحقوق الإنسان في (فينا- النمسا)، أو ما يسمى إعلان وبرنامج عمل فينا عام ١٤١٣هـ- ١٩٩٣م. وطالب هذا المؤتمر الأمم المتحدة بالتصديق العالمي من قِبل جميع الدول على اتفاقية القضاء على جميع أشكال التمييز ضد المرأة بحلول عام ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م.

- مؤتمر القمة العالمي للتنمية الاجتماعية، الذي أقيم في (كوبنهاجن- الدنمارك) عام ١٤١٥هـ- ١٩٩٦م.

- مؤتمر الأمم المتحدة للمرأة عام (١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م) المساواة والتنمية والسلام في القرن الحادي والعشرين الذي انعقد في (نيويورك- الولايات المتحدة).

وكان أهم هدف لهذا المؤتمر هو: الوصول إلى صيغة نهائية ملزمة للدول بخصوص القضايا المطروحة على أجندة هذا المؤتمر، التي صدرت بحقها توصيات ومقررات في المؤتمرات الدولية السابقة، تحت إشراف الأمم المتحدة. [٥١٤]

ولأهمية هذه المؤتمرات فقد أقيمت عدة مؤتمرات إقليمية لمتابعة توصيات مؤتمر بكين والتمهيد للمؤتمر الجديد المسمى (المؤتمر التنسيقي الدولي للنظر في نتائج وتطبيق قرارات المؤتمرات الأممية للمرأة):

ومن هذه المؤتمرات الإقليمية:

١- اجتماع في نيويورك في شهر مارس عام ٢٠٠٠م تحت شعار [بكين+ ٥] إشارة إلى السنوات الخمس التي مضت على مؤتمر بكين، وتم في هذا المؤتمر إدخال تعديلات على وثيقة مؤتمر بكين.

٢- المؤتمر النسائي الإفريقي السادس في نوفمبر ١٩٩٩م في أديس أبابا نظمه المركز الإفريقي التابع للجنة الأمم المتحدة الاقتصادية.

٣- مؤتمر شبيه لما سبق- في (عمان بالأردن) وفي (بيروت) وذلك أواخر عام ١٩٩٩م نظمته اللجنة الاجتماعية والاقتصادية لغرب أسيا، التابعة للأمم المتحدة. وكثيرة هي الندوات التي عقدت لنفس الغرض في كل البلاد العربية والإسلامية حيث تستغل المناسبات والذكريات لتحريض المرأة، وتشويه صورة الإسلام في نظرها، ويطالبنها بالثورة على الرجل، مستدلين ببعض التجارب الناتجة عن سوء فهمٍ وتطبيقٍ لحقوق المرأة على الرجل، وحقوق الرجل على المرأة. [٥١٥]

---

(514) قضايا المرأة في المؤتمرات الدولية، ص ١٣٦-١٣٧.

(515) قضايا المرأة في المؤتمرات الدولية، ص ١٣٧-١٣٨.

وهكذا يلاحظ من خلال هذا العدد الكبير من المؤتمرات والندوات، الاهتمام الزائد بقضايا المرأة، لذا لا بد من عرض الأخطار والآثار السلبية الناتجة عن هذه المؤتمرات من أجل إفساد المرأة عامةً والمرأة المسلمة خاصةً، مع بيان أهم جوانب الخطورة في هذه المؤتمرات على الحياة الاجتماعية خاصةً.

المطلب الرابع: الآثار السلبية والأخطار الناتجة عن المؤتمرات العالمية والإقليمية:

أولاً: أهم السلبيات التي دعت إليها المؤتمرات العالمية والإقليمية:

١- الجانب الأخلاقي والاجتماعي:

أ- الدعوة إلى حرية العلاقة الجنسية المحرمة، واعتبار ذلك من حقوق المرأةالأساسية

ب- توفير خدمات الصحة الجنسية والإنجابية للمرأة تشجيعاً للعلاقات الجنسية الآثمة.

ج- نشر وسائل منع الحمل ذات النوعية الجيدة، ومنع حالات الحمل غير المرغوب فيه، والدعوة إلى منع حالات الحمل المبكر.

د- إهمال دور الأسرة في البناء الاجتماعي وتهميشه.

ه- الدعوة إلى تحديد النسل.

و- الاعتراف بالشذوذ الجنسي، والحقوق المزعومة للشواذ.

ز- السماح بأنواع الاقتران خارج دائرة الزواج الشرعي.

ح- التنفير من الزواج المبكر، وسن قوانين تمنع حدوث ذلك.

ط- إنهاء تبعية المرأة والبنت من الناحية الاجتماعية لوليها أباً كان أو أماً.

ي- سلب قوامة الرجال على النساء.

ك- سلب ولاية الآباء على الأبناء. (٥١٦)

٢- الجانب التعليمي:

أ- تشجيع التعليم المختلط.

ب- الدعوة إلى المساواة في مناهج التعليم.

ج- الدعوة إلى التثقيف والتربية الجنسية.

٣- الجانب الصحي:

أ- الأمراض الجنسية ويتعلق بها ما يلي:

- الدعوة إلى أن يكون السلوك الجنسي المأمون والوقاية من الأمراض المنقولة بالاتصال الجنسي، جزءاً لا يتجزأ من خدمات الصحة الجنسية والإنجابية مع ضمان السرية والخصوصية للمراهقين والمراهقات في هذا الجانب.

---

(1) قضايا المرأة في المؤتمرات الدولية، ص١٦٥-١٦٦

- تيسير انتشار وتوزيع الواقيات الذكرية (الرفالات) بين الذكور على نطاق واسع وبأسعار زهيدة.
- القضاء على التمييز ضد الأشخاص المصابين بالإيدز.
- ضمان عدم تعرض المصابات بالإيدز للنبذ والتمييز، بما في ذلك أثناء السفر.
- تقديم ما يلزم من الرعاية للرجال والنساء المصابين بالإيدز، والتعاطف معهم.
- الاعتراف بشرعية هذه العلاقة الجنسية المحرمة، التي تسبب هذه الأمراض الجنسية.

ب - الإجهاض ويتعلق به ما يلي:

- الدعوة إلى أن يكون الإجهاض غير مخالف للقانون، وأن يكون مأموناً طبياً.
- الدعوة إلى إلغاء القوانين التي تنص على اتخاذ إجراءات عقابية ضد المرأة التي تجري إجهاضاً غير قانوني.
- الدعوة إلى أن يكون الإجهاض حقاً من حقوق المرأة، وتيسير حصولها على الحق، عندما تريد إنهاء حملها.
- الدعوة إلى إنشاء مستشفيات خاصة للإجهاض.
- الدعوة إلى قتل الأجنة داخل الأرحام، بحجة أن هذا الحمل غير مرغوب فيه.

ج- خطر ختان المرأة ومن ذلك:

- حث الحكومات على حظر بتر أجزاء من الأعضاء التناسلية للإناث.
- أن يكون التنفير الفعال من الممارسات الضارة مثل بتر أجزاء من الأعضاء التناسلية للأنثى، وبيان أن هذا يشكل انتهاكاً لحقوق المرأة، ومن العنف والتمييز الواقع عليها.
- أن يكون جزءاً لا يتجزأ من برامج الرعاية الصحية الأولية.
- سن قوانين لمواجهة مرتكبي ممارسات العنف ضد المرأة ومنها ختان الإناث. (٥١٧)

د - الجانب الاقتصادي:

- التقليل من عمل المرأة داخل المنزل، فهو سبب فقر المرأة، لأنه بدون مقابل.

---

(1) قضايا المرأة في المؤتمرات الدولية، ص١٦٦- ١٦٨

- الدعوة إلى مساواة المرأة بالرجل فيما يتعلق بالعمل.
- دعوة الحكومات للقيام بإصلاحات تشريعية وإدارية، لتمكين المرأة من الحصول على كامل حقها من الموارد الاقتصادية، كحقها في الميراث بالتساوي مع الرجل.
- تيسر حصول المرأة على القروض الربوية.

ه- **الجانب السياسي:**

- الدعوة لاتخاذ الإجراءات من أجل مشاركة المرأة في الأنشطة السياسية.
- ضمان حق المرأة في التصويت والانتخاب.
- تشجيع الأحزاب السياسية على تعيين مرشحات من النساء من أجل انتخابهن على قدم المساواة مع الرجل.
- الدعوة لإصدار تعليمات حكومية خاصة، لتحقيق تمثيل منصف للمرأة في مختلف فروع الحكومة.
- الدعوة لتمثيل المرأة تمثيلاً منصفاً على جميع المستويات العليا في الوفود الحكومية والدولية التي تعالج المسائل السياسية والقانونية ونزع السلاح وغيرها من المسائل المماثلة.

وحق المرأة أن تكون رئيسة دولة أو رئيسة وزراء أو وزيرة. (٥١٨)

ثانياً: أهم جوانب الخطورة في هذه المؤتمرات وهي تتمثل في التالي:

١- إن القاسم المشترك بينهما هو المرأة ومساواتها التامة بالرجل، في كافة مجالات الحياة المختلفة، وكذلك الجنس والحرية المطلقة.

٢- إنها تستظل بمظلة الأمم المتحدة، وتستثمر شعارات العولمة وأدبياتها.

٣- إنها توظف سلطان الدول الكبرى سياسياً واقتصادياً وحضارياً، لفرض تنفيذ توصياتها، والالتزام بما وُقّع عليه.

٤- إنها سلسلة متصلة ومتواصلة من المؤتمرات الأممية العالمية، والاجتماعات الإقليمية.

٥- ممارسة الإرهاب بفرض العقوبات الدولية على الدول التي لا تلتزم، وممارسة الإغراء في قبولها وتطبيقها بمنح معونات أو قروض أو ما شابه.

٦- إن الهدف النهائي لهذه المؤتمرات هو عولمة الحياة الاجتماعية بالمفهوم الغربي الإباحي. (٥١٩)

---

(1) قضايا المرأة في المؤتمرات الدولية، ص ١٦٨-١٦٩

(2) نفس المصدر السابق، ص ١٦٨-١٦٩، وانظر مؤتمر بكين... خطوة باتجاه مجتمع التحلل، ماجد بن جعفر الغامدي ١٤٢٦/٦/٣م موقع صيد الفوائد.

المبحـــث الرابـــع

وســـائل الإعـــلام

الإعلام هو أكبر مؤثر في صنع الآراء وتكييف العقول، وتوجيه الرأي العام، خاصة إذا كانت هذه العقول فارغة، لم تُملأ ولم تحصّن بما أنزله الله على رسوله صلى الله عليه وسلم.

ولقد كان لليهود والصليبيين دور كبير في توجيه الإعلام لمحاربة المرأة المسلمة وذلك لتمكنهم من السيطرة على معظم وسائل ودُور الإعلام في العالم.

ولنتعرف على دور وسائل الإعلام في إفساد المرأة المسلمة وتغريبها نذكر ما يلي:

المطلب الأول: الصحف والمجلات:

لقد كانت الصحافة من أخطر وسائل التوجيه والتثقيف، فهي الزاد اليومي الذي يصل إلى أيدي الناس جميعاً، وهي نوع من الإعلام ذي الجرعات المنتظمة، وهي بأبوابها المختلفة قادرة على تقديم مناهج تقنع القراء وتحملهم على تقبلها، عن طريق الصورة والخبر، والكاريكاتير والتعليق، وكانت الصحافة العربية من بداية إنشائها واقعة تحت تأثير الفكر الغربي[٥٢٠]. وكشف عن ذلك (هاملتون جب) بقولهم "إن معظم الصحافة العربية اليومية واقعة تحت تأثير الآراء والوسائل الغربية، فالصحافة العربية لا دينية في اتجاهها"[٥٢١].

لذا أولت الصحافة (اليومية والأسبوعية) اهتماماً كبيراً بالمرأة، وظهرت صحف كثيرة متخصصة بقضايا المرأة، منها: (حواء)، (الشرقية) وهي تحمل مفاهيم مضللة عن حرية المرأة وعملها، كما تنشر مجموعة من المفاهيم الخاطئة، وتركز على كل ما يتصل بالسفور والتبرج والأزياء والزينة والإغراء، وتشن حملات ظالمة، على كل قيم الإسلام وآدابه.

وركزت الصحافة على إفساد المرأة المسلمة على عدة محاور[٥٢٢]:

١. في مجال الدعوة إلى حريتها الزائفة والتهليل والتصفيق لكل عمل خاص بالرجال اقتحمته المرأة مثل أن تعمل سائقة تاكسي، وكناسة في الشارع، وحارسة وعاملة

---

(520) انظر: أساليب العلمانيين في تغريب المرأة، د. بشر بن فهد البشر، ص ٣٥، وانظر: المؤامرة على المرأة المسلمة، ص ٢٤، وانظر: فتياتنا بين التغريب والعفاف، د. ناصر العمر، ص ١٨، موقع المسلم www.almoslem.net.

(521) المؤامرة على المرأة المسلمة، ص ٢٥.

(522) انظر: الصحافة والأقلام المسمومة ، أنور الجندي، ص ٣١-٣٩.

مصنع... إلخ، فالصحافة تستغل عواطف المرأة وتدفعها إلى مجموعة من الأفكار والمفاهيم التي تتعارض مع الشرع.

٢. الدعوة إلى السفور والتبرج والخروج عن الفطرة بالدعوة إلى الموضة، كما عرفتها المرأة الغربية، حيث تدفع بيوت الأزياء كل يوم صنفاً جديداً أكثر تبرجاً وإبرازاً لمحاسن المرأة ومفاتنها، وقد ثبت أنه وقف وراء بيوت الأزياء، ووسائل الزينة والإغراء والدعاية مجموعة من اليهود وسماسرة الجنس.

٣. دمج الرجولة في الأنوثة، وتحويل الأنوثة إلى رجولة والعكس، وذلك فيما يطلق عليه الجنس الثالث وذلك بالدعوة إلى إغراء الشباب بإطلاق الشعر وتسريحه بطريقة تشبه النساء، وفي نفس الوقت دعوة المرأة إلى قص الشعر وبموضات مختلفة.

٤. إغراء المرأة باتخاذ حبوب منع الحمل والذي يؤدي إلى انتشار الصلات الجنسية الشاذة والمحرمة والعزوف عن الزواج الشرعي، مما يؤدي إلى زعزعة الحياة الاجتماعية في البلدان الإسلامية.

٥. إيجاد مجموعة من الفتيات يتاجرن بأعراضهن كالممثلات والراقصات وعارضات الأزياء وفتيات المسارح والحانات وغيرهن.. ومما يؤسف له أن كثيراً من مديري تلك المسارح والحانات يشترطون في الفتيات اللائي يستخدمونهن ألا يرفضن بيع أعراضهن إذا طُلِبَ منهن ذلك، وقد يتمادون إلى حد أن يشترطوا عليهن ذلك كتابة في عقود استخدامهن[٥٢٣].

٦. الحرص على تقديم وتمجيد النماذج الفاسدة من الممثلات والراقصات والمغنيات وجعلهن مثلاً عالياً للنساء المسلمات.

٧. نشر عشرات الحوادث والقصص العاطفية اللاواقعية وذلك لتسهيل العلاقات المحرمة شرعاً بين الرجال والنساء بل يزعم كثير من كتاب القصة وأصحاب المقالات القصصية في الصحافة بأن الشرف والفضيلة والعرض والحياء مسائل تافهة لا يتمسك بها إلا السذج والبسطاء.

٨. تصوير دعاة تحرير المرأة بأنهم أنصارها الحريصون على إعطائها حقوقها التي حرمت منها.

٩. فساد نظرة الصحافة إلى الأمور المتعلقة بعمل المرأة.

---

(523) انظر: الصحافة والأقلام المسمومة، أنور الجندي، ص٣٧-٤٥ (بتصرف).

والأمثلة على استخدام هذه المحاور كثيرة منها:

(أ) فتاة غلاف المجلة:

والتي أصبحت أمراً لازماً لا تفرِّط فيها أي من تلك المجلات، وهي لا تتكرر، إذ توضع صورة امرأة على الغلاف ويؤتى في كل أسبوع أو في كل شهر بفتاة جميلة، ويركز على فتاة سافرة كاشفة مفاتنها وزينتها بطريقة تثير الغرائز وتفسد الأذواق، وهذا إذلال للمرأة وظلم واستعباد، إذ تعامل كجسم ليس له روح مقابل دريهمات معدودات(٥٢٤).

(ب) إظهار الصور الماجنة الخليعة:

بحجة الجمال والرشاقة أو بحجة تخفيف الوزن، أو إظهار ملكات الجمال، مع ما فيها من مواضيع الحب والغرام، وهذا يهدف إلى تهوين أمر الفواحش وقلب المناهج الراسخة، وإحلال مفاهيم جديدة مستغربة بعيدة عما تعرفه هذه الأمة الإسلامية ومما يدل على ذلك:

- في مجلة (سيدتي السعودية في عدد ٥١٠) قالت: "من عيوب الزوج العربي: الغيرة!!"
- في مجلة (كل الناس عدد ٥٨) وهي سعودية قالت إحدى الكاتبات: "ماذا لو قالت المرأة هذا الرجل صديقي"
- في مجلة (الحسناء عدد ٨١) ذكرت إحدى الكاتبات: "الفضيلة والكرامة تعترضان مسيرة النجاح"
- في مجلة (سلوى عدد١٥٣٢) تحت عنوان لقاء مع راقصة شابة تقول هذه الراقصة: "في حياتنا اهتمامات لا داعي لها، وعلينا أن نستغني عنها، ثم تقول ... "سوف نستفيد كثيراً لو أنشأنا مدرسة للرقص الشرقي تتخرج منه راقصة مثقفة لجلب السياح"
- في مجلة (فرح عدد ٤٣) عبارة تقول: "الزواج المبكر إرهاق للمرأة وصداع للرجل"

ولا يمكن نسيان مجلة (روز اليوسف) التي تعتبر من أوائل مصادر التغريب النسائي في العالم العربي وهي من أخبث المجلات العربية وبمجرد تصفح أحد الأعداد تجد العجب العجاب !!.

كذلك مجلات (اليقظة، والنهضة، صباح الخير، هي، الرجل، فرح) وغيرها من المجلات التافهة(٥٢٥).

---

(524) انظر: الصحافة والأقلام المسمومة، ص ٣٩-٥٥ (بتصرف).

(525) انظر: أساليب العلمانيين في تغريب المرأة المسلمة، ص٣٥-٣٨، والمؤامرة على المرأة المسلمة، ص٢٥-٢٦، والصحافة والأقلام المسمومة، ص ٤٨.

(ج) صفحة المشكلات:

حيث تقوم الصحف والمجلات بفتح الباب لمن لديه مشكلة عاطفية اجتماعية جنسية بإرسالها للمجلة لتعرض على مختصين –بزعمهم- ويكون الحل دائماً بعيداً عن التصور الإســـلامي، يدعو المرأة إلى الاستمرار في البعد عن الله، ويسهل عليها كثيراً من تعدي الحدود الشرعية[٥٢٦].

وينصح يوسف ادريس الكاتب في صحيفة (الجمهورية ٢١-٥-١٩٦٦) فتاة تشكو من حبها المصحوب بالحرمان إلى أن تخفف من حرمانها كوسيلة للتخلص من شدة عاطفتها، أي أن يدعوها إلى اقتراف المنكر، وهو يسخر منها لأنها رفضت قبلة صديقها وفتاها، ويقول لو أنها قبّلت لاستراحت وبقي عليها مقاومة الحياء[٥٢٧].

(د) الاستطلاعـــات:

وباب الاستطلاعات في بعض المجلات، وخاصة مجلة العربي، يعتبر من أخطر الأبواب حيث يحرص الصحفي على إظهار المرأة المتبرجة في البلدان التي يستطلعها ويثني عليها وعلى تحررها وعلى جهودها في التحرر من الفضيلة، ويتهجم على المرأة المحجبة ويستهزئ بها ويقلل من شأنها، ففي استطلاع عن مدينة الطائف بالسعودية تحت عنوان (المرأة تعمل رغم القيود) يقول الصحفي: "على أن الحديث عن الفتاة موضوع لا يزال يحاط بالقيود والتحفظ تشبثاً بالتقاليد القديمة، وهي ظاهرة لمسناها في كل مكان زرناه في السعودية وليس في الطائف فحسب"[٥٢٨].

وتحرص بعض الصحف والمجلات على عمل مقارنة بين صورتين للمرأة، فتمدح المتحررة وتنتقص المحجبة، ففي مجلة المصور العدد (١٦٩١) ١٣٧٦/٨/٦هـ: تعليق على صورة لامرأتين إحداهما محجبة والأخرى سافرة، التعليق "التقاليد تتصارع أمامك.. فتاتان في فصل مدرسي في الجامعة الشعبية بالخرطوم إحداهما مؤمنة بالسفور والأخرى أسيرة الحجاب"[٥٢٩].

وهناك أبحاث منشورة عن حقيقة الدور الذي تقوم به هذه المجلات الهدامة، ففي دراسة عن مجلة (سيدتي) تقول: "إنها يقصر طرحها على شرائح اجتماعية بعينها، وكثيراً ما

---

(526) المؤامرة على المرأة المسلمة، ص ٢٦.

(527) الصحافة والأقلام المسمومة، ص ٤٨-٤٩.

(528) المؤامرة على المرأة المسلمة، ص ٢٧.

(529) نفس المصدر السابق، ص ٢٧.

تحمل الطابع الأوروبي المبهر في طياتها، وتقدم الحسناوات والشقراوات كنماذج تحتذى، وإذا ما حاولت معالجة مشكلات المرأة العربية تعمد في أغلب الأحيان إلى استعارة النموذج الغربي"[٥٣٠].

ويباع في بلاد المسلمين عدد هائل من هذه المجلات حيث يقول الداعية السعودي د. ناصر العمر: "يدخل إلى أسواقنا أكثر من أربعين صحيفة أسبوعياً أو شهرياً في غلافها فتاة لا تتكرر أبداً، وبلغ عدد الصحف الوافدة إلى أسواقنا شهرياً ما يزيد عن خمسة ملايين نسخة شهرياً، بل إن إحدى المجلات النسائية وهي مجلة يقصد بها تغريب المرأة توزع شهرياً أربعمائة وأربعين ألف نسخة"[٥٣١]

المطلب الثاني: الإعلام المرئي والمسموع (التلفزيون والإذاعة)

يعتبر الجهاز المرئي من أخطر الوسائل الإعلامية المرئية لما له من تأثير على المشاهدين، باختلاف أعمارهم من الذكور والإناث، وذلك لقدرته على جذب الانتباه، وتركيزه على دقائق الصور والحركة والكلمة واللقطات الحية، وفي تقرير لليونسكو وهي منظمة تابعة للأمم المتحدة وخاضعة للتوجيه اليهودي- ثبت أن "الإنسان يحصل على تسعين في المائة من معلوماته عن طريق النظر"[٥٣٢] الجهاز المرئي يحرص على إظهار المرأة بصورة العاطفية من خلال الأغاني والأفلام والمسرحيات والرقص واللقاءات المحرمة، ومشاهد الإثارة الجنسية.

ومما يدل على تأثيره الشديد ما يلي:

١. ما جاء في تقرير اليونسكو: "إن إدخال وسائل إعلام جديدة وبخاصة الجهاز المرئي في المجتمعات التقليدية أدى إلى زعزعة عادات ترجع إلى مئات السنين وممارسات حضارية كرسها الزمن"[٥٣٣].

٢. ما قالته فتاة سورية من دمشق في سن الثامنة عشرة من عمرها: "إني أفكر بالانتحار كل دقيقة بل في كل ثانية، لأنه لا تمضي ساعة واحدة دون أن أشعر بالعاطفة الجنسية

---

(530) أساليب العلمانيين في تغريب المرأة المسلمة، ص ٤٠.

(531) فتياتنا بين التغريب والعفاف، د. ناصر العمر، ص ١٨-١٩، يقصد مجلة سيدتي السعودية، موقع المسلم.

(532) المؤامرة على المرأة المسلمة، ص ٢٨.

(533) فتياتنا بين التغريب والعفاف، ص ٢٠، أساليب العلمانيين في تغريب المرأة المسلمة، ص ٤٣.

الجامحة تخترق أحشائي كما يخترق الرصاص جسم الإنسان ويقتله، وكلما شاهدت فيلماً عاطفياً أو قرأت قصة غرامية تثور عاطفتي وغرائزي"[٥٣٤]

٣. وفي تحقيق صحفي لجريدة الأنباء السعودية حول ظاهرة الرسائل الغرامية أجرته في ٢٩-٣-١٣٨٨هـ لمعرفة أسباب هذه الظاهرة، وحين سئل بعض الممارسين لهذه الظاهرة عن أسبابها فقال: "وأظن أن من أهم أسباب قبول البنات بتكوين علاقات عاطفية مع الشباب هو تأثرهم بالمسلسلات العربية التي غالباً ما تتحدث عن عذاب الحب..."[٥٣٥].

وقال آخر: "بصراحة التلفزيون جعلنا نتقن (لغة العيون) في مخاطبة البنات وهي لغة صامتة لا يفهمها إلا المحبون "[٥٣٦].

وتبين من خلال إحدى الدراسات التي أجريت على خمسمائة فيلم طويل أن موضوع الحب والجريمة والجنس يشكّل ٧٢% منها.

ويقول الباحث الأمريكي (د. هوب أمرلور): "إن الأفلام التجارية التي تنتشر في العالم تثير الرغبة الجنسية في موضوعاتها، كما أن المراهقات من الفتيات يتعلمن الآداب الجنسية الضارة"[٥٣٧]

ويعلق الكاتب متعجباً[٥٣٨]: "من الذي يقول ضارة؟ فإذا كانت ضارة في عقل هذا الأمريكي فكيف بميزان الشرع الإسلامي" ثم يتابع الأمريكي فيقول: "وقد ثبت للباحثين أن فنون التقبيل والحب والمغازلة والإثارة الجنسية والتدخين يتعلمها الشباب من خلال السينما والجهاز المرئي"[٥٣٩].

وكما كان للتلفزيون دور على المشاهد كان للإذاعة دور كبير في التأثير السلبي على المستمع عن طريق بث برامج عاطفية وجنسية موجهة للشباب الذكور والإناث، لتبادل الرسائل الغرامية بحجة التعارف والصداقة، وبث البرامج الغنائية وأخرى لاختيارها وإرسالها للأصدقاء.

---

(534) المؤامرة على المرأة المسلمة، ص ٢٨.

(535) المصدر السابق، ص ٢٨.

(536) المصدر السابق ص ٢٨.

(537) فتياتنا بين التغريب والعفاف، ص ٢٠.

(538) الدكتور ناصر العمر.

(539) فتياتنا بين التغريب والعفاف، ص ٢٠-٢١.

وسبق أن ذُكر قول أحد قادة الغرب وهو الجنرال الفرنسي غورو: "كأس وغانية تفعلان في تحطيم الأمة المحمدية أكثر مما يفعله ألف مدفع "[٥٤٠] حيث استغل أعداء الإسلام الغناء ليتسللوا من خلاله إلى مقدسات الدين والأخلاق، ولم يُكتَف بالغناء المسموع، إنما صار الآن ما يسمى (فيديو كليب) الغناء المصور، حيث يأتي الشاب (الحبيب) مع (حبيبته) في صورة مخزية (رقص – تبادل القبلات – عري- خلوة ... إلخ) وغيرها من المناظر التي تقشعر لها الأبدان، ويخجل من وصفها أهل الحياء.

وللأسف أصبح كثير من المسلمين مقلدين، فلا تخلو أفراحهم من المجون، ومن مشاهد خليعة أمام مسمع ومرأى جميع الحاضرين دون خجل وحياء[٥٤١].

المطلب الثالث: السينما والفيديو

وهي من الوسائل التي لا تقل خطورة عن الإذاعة والجهاز المرئي حيث تكمن خطورة هذه الوسائل في:

١. تعدد مصادر نقل الأفلام، مما يجعلها تستورد أنماطاً من السلوك والأخلاقيات لكافة شعوب العالم.

٢. سهولة الحصول على أجهزة عرض منها خاصة الفيديو وشبكة المعلومات الدولية فأصبح من السهل أن يحصل أي شاب أو شابة على شريط فيديو أو قرص مدمج، حيث تباع بأسعار زهيدة.

٣. سهولة تداول الأفلام بين الشباب والفتيات.

٤. يغلب على أفلامهم الخلاعة الجنسية والعلاقات الآثمة والمناظر البذيئة[٥٤٢].

٥. سهولة المشاهدة والمتابعة بلا رقيب من الأهل أو المربين.

فالسينما تقدم أخطر النماذج السيئة للشباب في تلك الصور الخليعة الماجنة، وفي ممارسة الحب والجنس والخمر والعربدة، فلا يرون في القبلة ما يخدش الحياء أو يجافي الأخلاق، ولا يرون في الرقص إلا تحضراً ورقياً، ولا يرون في الخمر منافاة للشرع، والعريّ في عرف السينما مقبول، تصح به الأجسام، وما هو إلا رغبة من رجل التقت برغبة

(540) المؤامرة على المرأة، ص ٣.

(541) انظر: ظاهرة المعاكسات للأخت منار، موقع صيد الفوائد.

(542) المؤامرة على المرأة المسلمة، ص ٢٧.

المرأة، انبعاثاً من الغرائز، ومن ينكر شيئاً من ذلك، فهو رجعي متخلف، حتى خافهم كثير من الناس فسكتوا راضين أو راضخين[٥٤٣].

ومن النماذج التي تبثها السينما بيننا: أن ترى الرجل يقدّم زوجته لمراقصة رجل آخر، ليترك له الرجل الآخر زوجته، يفرّط في زوجته بقدر ما يطمع في الأخرى، والمرأة أيضاً تحب التغيير، وإلا لامتنعت عن الاستجابة لهذه الفوضى.

وتتكرر هذه الأمثلة أمام الشباب والشابات، فتزيد الفساد عمقاً وتأثيراً، بحيث تسوقهم إلى امتثالها في سلوكهم ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا، لتحقيق ما انغرس في نفوسهم.

وقد تحتال البنت على أهلها في زيارة شاب يستهويها، كما تلقن الشباب الطرق التي يحتـــال بها على فتاته لينال منها مأربه، وهذه الأمثلة وغيرها كثيرة، جعلت المرأة بعيدة كل البعد عـــن حيائها وأخلاقها وثقافتها ودينها، وأصبحت هذه النماذج هي حياتها وأخلاقها وثقافتها ودينها[٥٤٤].

المطلب الرابع: القنوات الفضائية:

ولا يخفى على الجميع أن القنوات الفضائية أصبحت تخترق كل البيوت، وهي التي جمعت شرور ووسائل الإعلام جميعاً، نقلت جميع القنوات الفضائية العالمية إلى العالم الإسلامي بما فيها القنوات الإباحية، وقد تركت أثراً كبيراً على المسلمين في الحياة الاجتماعية، والخلقية، والثقافية، وإن كان التأثير على الحياة الاجتماعية خاصة فيما يتعلق بالمرأة أعظم وأشدّ، خاصة بعض القنوات المتخصصة، وقد قتلت هذه القنوات الغيرة لدى الرجال بما تعرضه على مدار الساعة من مناظر وصور، ومن خطورة هذه القنوات أنها قامت عن طريق برامجها بشد النساء والرجال تجاه الممثلين، والمغنين، واللاعبين، وغيرهم من الذين يسمونهم (نجوماً)، مما أدى إلى ظهور جيل مقلد تقليداً أعمى لهؤلاء المفسدين في الأرض[٥٤٥].

المطلب الخامس: شبكة المعلومات الدولية (الإنترنت)

وهي شبكة لا تحتاج إلى الدخول فيها سوى حاسب آلي فيه ما يسمى بالمودم وبرامج خاصة، واشتراك بالشركة المزودة بالخدمة، وهذه الشبكة فيها نفع وخير كثير لمن أحسن استخدامها، حيث توجد فيها شبكة معلوماتية ضخمة ومن خلالها يتم الاتصال، وتبادل

---

(543) انظر: المرأة بين التبرج والتحجب، محمد السباعي، ص١٠٦-١٠٧.

(544) انظر: المصدر السابق، ص١٠٧-١٢٩.

(545) انظر: المؤامرة على المرأة المسلمة، ص٢٠.

المعلومات بين كثير من الجهات والأشخاص والمؤسسات، ويشمل الاتصال بالكتابة وسماع الأصوات، ورؤية الصور الثابتة والمتحركة، كما يمكن عبرها المراسلة بالبريد الإلكتروني لأي شخص أو مكان في العالم، وتصل الرسالة في ثوانٍ معدودة بتكلفة رخيصة جداً، تغنيك عن البريد العادي، ويمكن الدعوة إلى الله عبر هذه الشبكة ونشر العقيدة الصحيحة، ومناقشة الكفار من النصارى وغيرهم، ودحض شبهاتهم، وهناك فوائد أخرى كالبحوث العلمية، ومواقع الأخبار والصحف، والتجارة الإلكترونية وعقد المؤتمرات بالصوت والصورة وغيرها من الفوائد الأخرى.

ولكن في المقابل هذه الشبكة العالمية لها جانب سلبي مظلم يتمثل في كثير من المساوئ والأضرار.

فعلى هذه الشبكة تظهر المواقع الإباحية والجنسية التي تنشر الرذيلة، وتهدم الفضيلة حيث قدر وجود مليوني موقع جنسي تعمل خلال هذه الشبكة، إضافة إلى مواقع المخدرات والقمار والسرقة والكذب والمراسلات المحرمة بين الشباب والفتيات، ومواقع العنف والعنصرية وغيرها من المساوئ والمفاسد الكثيرة، وهي في تطور وازدياد مستمر ففي كل يوم ينطلق في مسار الشبكة ما لا يقل عن مائة موقع إباحي جديد.

وللأسف الشديد جاءت آخر الإحصاءات بأن ٩٥% من مستخدمي الإنترنت في العالم العربي يستخدمونه من أجل الترفيه والتسلية، وليس بحثاً عن الفائدة والمعلومات، وانتشرت بكثرة مقاهي الإنترنت في مجتمعاتنا الإسلامية، والتي يخصص لها قسماً لدخول النساء، تشجيعاً منها لفتياتنا على الانحراف وتضييع الوقت، والبحث عن المنكرات(٥٤٦).

المطلب السادس: الدعاية

امتلأت الصحافة والإعلام (بأنواعه) بهذا البلاء (الدعاية) بسبب سوء التعامل معها، وقد تم إعداد دراسة حول برامج الإعلانات في التلفزيون كما يراها المشاهد والمعلنون، تَوصَّلَ فيها صاحب الدراسة إلى ما يلي:

- ٩٨,٦ % من الأطفال الذين يشاهدون الإعلانات بصفة منتظمة، ويطمئن الآباء لهذه التوجهات لدى أبنائهم.
- ٩٦% قالوا أن هناك إعلانات يحبونها، ولذلك يحفظون نص الدعاية المعلن فيها.

---

(546) حوار هادئ مع أختي المسلمة حول الفضائيات والإنترنت، مريم السالم، موقع صيد الفوائد، تاريخ: ١٤٢٤/٨/١٢هـ، ص ٢.

لذا تعتبر الدعاية من أخطر البرامج المقدمة، لأنها قصيرة ومسلية، وتحمل رسالتها بسرعة إلى الأوتار العقلية فتوقظها[٥٤٧].

علاقة الإعلانات بقضية المرأة:

أجريت دراسة (رسالة ماجستير) بعنوان "صورة المرأة في إعلانات التلفزيون" اعتمد الباحث فيها على مضمون ٣٥٦ إعلاناً تلفزيونياً بلغ إجمالي تكرارها ٣٤٠٩ مرات أي تسع مرات خلال ٩٠ يوماً فقط، ثم توصل الباحث إلى النتائج الآتية:

(١) استخدمت صورة المرأة وصوتها في ٣٠٠ إعلان من ٣٥٦ إعلاناً وطبعاً هذه نسبة هائلة جداً.

(٢) ٤٢% من الإعلانات التي ظهرت فيها المرأة لا تخص المرأة فلا تعجب إذا رأيت دعاية لإطارات سيارات بجوارها امرأة أي ليس بالضرورة أدوات تجميل أو أزياء.

(٣) ٧٦% من الإعلانات اعتمدت على مواصفات خاصة في المرأة كالجمال والزينة والجاذبية.

(٤) ٥١% من الإعلانات تعتمد على حركة جسد المرأة.

(٥) ١٢% من الإعلانات استخدمت فيها ألفاظ جنسية[٥٤٨].

---

(547) انظر: فتياتنا بين التغريب والعفاف، د. ناصر العمر، ص ٢١.

(548) انظر: نفس المصدر السابق، ص ٢٢-٢٣.

المبحــث الخامــس

التعليــم والمطبوعات

المطلب الأول: التعليم

إن التعليم أساس حياة الأمم، بسببه تنهض الأمة وتتقدم، وبسببه تذل وتتأخر وقد أدرك أعداء الإسلام خطورة التعليم، فاتخذوا منه أسلوباً لاستعباد الأمم والأفراد، وإبعادهم عن دينهم وأخلاقهم وعقيدتهم.

وقد عبّر عن ذلك المعتمد البريطاني في مصر اللورد كرومر بقوله: "إن المصري الذي خضع للتأثير الغربي فإنه يحمل الاسم الإسلامي، لكنه في الحقيقة ملحد وارتيابي، والفجوة بينه وبين عالم أزهري، لا تقل عن الفجوة بين عالم أزهري وبين أوربي"(٥٤٩).

فهو يصور الجيل المصري الجديد الذي نشأ في أحضان التعليم الجديد، وآمن بسيادة الغرب وفضل حضارته ومبادئه تصويراً صادقاً دقيقاً، فهو يفقد إسلاميته، ويتجرد عن عقيدة دينه الأساسية.

ولقد اهتم الأعداء بتعليم المرأة بالذات، لأنها أقصر طريق يؤدي إلى حض المرأة والأسرة والمجتمع الإسلامي، والمرأة تسهل عليهم نقل الأفكار والفساد، لأن فسادها يترتب عليه فساد الأجيال الناشئة والأسرة والمجتمع(٥٥٠).

وكانت محاور جهودهم في وسيلتين أساسيتين وهما:

١- فتح المدارس والجامعات الأجنبية.

٢- وضع المناهج.

أولاً: فتح المدارس والجامعات الأجنبية:

لقد اهتم الأعداء بفتح المدارس العلمانية والتبشيرية لغزو العقلية الإسلامية بأفكارهم وثقافاتهم الاجتماعية والخلقية، وبث سمومهم تحت ستار العلم.

لهذا قام المُنَصِرون بالذات بإنشاء المدارس والكليات والجامعات الأجنبية المختلطة وهم على يقين أن هذه المدارس سيكون لها أثر كبير في تخريج جيلٍ لا صلة له بالدين ولا بالأخلاق، خاصةً عندما يتعلم اللغات الأوربية والتقاليد والأخلاق اللادينية، وأن هذا الجيل في المستقبل سيكون معولاً هداماً لمجتمعه. قال المبشر (جون كاتلس) "يجب أن نشجع إنشاء

---

(549) الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية، أبو الحسن علي الحسيني الندوي، دار الأنصار، القاهرة، ط٣، ١٣٩٧هـ-١٩٧٧م، ص ١٠٦.

(550) انظر: نفس المصدر السابق، ص ١٠٦-١٠٧، وانظر: المؤامرة على المرأة المسلمة، ص ١٩.

المدارس على النمط الغربي العلماني، لأن كثيراً من المسلمين قد زعزع اعتقادهم بالإسلام والقرآن حينما درسوا الكتب المدرسية الغربية وتعلموا اللغات الأجنبية" (٥٥١). وأول مدرسة فتحت في بيروت عام ١٨٣٠م وهي التي قال عنها المستشرق "إن مدرسة البنات في بيروت هي بؤبؤ عيني، لقد شعرت أن مستقبل سوريا إنما هو بتعليم بناتها ونسائها" (٥٥٢). ثم فتح المبشرون مدارس كثيرة للبنات في مصر والسودان، وسوريا ولبنان والهند وأفغانستان، وتركيا، ففي سوريا وحدها مائة وأربع وستون مدرسة. (٥٥٣). ومما يدعو للأسى والحزن أن المسلمين يرسلون أبناءهم وبناتهم للتعلم في تلك المدارس بحجة أنها أقوى، والتعليم فيها أجدى، خاصة أنها تركز على اللغات الأجنبية وكأنهم يتجاهلون أن أصحاب هذه المدارس غير مسلمين، لا بل أعداء للإسلام.

كما اهتم المُنَصِرون بفتح المدارس الخاصة ذات الأقسام الداخلية، لأنه يجتمع بها الكثير من بنات المسلمين، ولأنها توثق الصلة بين الطالبات، ولأنها تنتزع الطالبات من نفوذ أوليائهن، وتحرجهن من حياتهن الإسلامية، حتى يعشن الحياة العصرية الغربية (٥٥٤).

وقد صرّحت المبشرة (أنّاميلغان) عن هدف هذه المدارس ومهمتها في بلاد العرب والمسلمين فقالت "إن المدارس أقوى قوة لجعل الناشئين تحت تأثير التعليم المسيحي، وهذا التأثير يستمر حتى يشمل أولئك الذين سيصبحون يوماً ما قادة أوطانهم" (٥٥٥). ويفرح المبشرون إذا اجتمع في مدارسهم الداخلية بنات من أسر معروفة، لأن نفوذهن يكون في بيوتهن أعظم، تقول إنّا ميليغان: "في صفوف كلية البنات في القاهرة بنات آباؤهن بَاشاوات وبكوات، وليس ثمة مكان آخر يمكن أن يجتمع فيه مثل هذا العدد من البنات المسلمات تحت النفوذ المسيحي، وليس ثمة طريق إلى حصن الإسلام أقصر مسافة من هذه المدرسة" (٥٥٦).

---

(551) المؤامرة على المرأة المسلمة، ص٢٠، وانظر: الحلول المستوردة وكيف جنت على أمتنا د. يوسف القرضاوي مكتبة وهبة، القاهرة، ط٣، ١٣٩٧هـ- ١٩٧٧م، ص٢٣.

(552) التبشير والاستعمار، ص٨٦-٨٧.

(553) المؤامرة على المرأة المسلمة، ص١٩-٢٠، وانظر: الخنجر المسموم الذي طعن به المسلمون، أنور الجندي، دار الاعتصام، ص٢٧-٢٨.

(554) انظر: التبشير والاستعمار، ص٨٧

(555) الحلول المستوردة وكيف جنت مع أمتنا، ص٢١.

(556) التبشير والاستعمار، ص٨٧.

لذا طلب المبشرون الأمريكيون منذ عام ١٨٧٠م مبلغ ثلاثين ألف دولار لمدرسة دينية للبنات في بيروت وعللوا طلبهم هذا بقيمة المرأة في الحياة البيتية وأن تلك المدرسة ستساعد على تنصير سورية في المستقبل [٥٥٧].

وإن من أشهر المؤسسات التعليمية في الشرق العربي:

١- جامعة القديس يوسف في لبنان وهي جامعة بابوية كاثوليكية، وتعرف الآن بالجامعة اليسوعية.

٢- الجامعة الأمريكية في بيروت التي كانت تسمى من قبل "الكلية السورية الإنجيلية" ثم كلية بيروت، وقد أنشئت عام ١٨٦٥م وهي جامعة بروتستانتية.

٣- الكلية الأمريكية بالقاهرة التي أصبحت فيما بعد (الجامعة الأمريكية) وكان القصد من إنشائها أن تكون قريبة من المركز الإسلامي الكبير وهو الجامع الأزهر[٥٥٨]. حيث قال اللورد (لويد) المندوب السامي في مصر بعد (كرومر): "إن التعليم الوطني في مصر عندما قدم الإنجليز كان في قبضة الجامعة الأزهرية الشديدة التمسك بالدين والتي كانت أساليبها الجافة تقف حاجزاً في طريق أي إصلاح تعليمي، وكان الطلبة الذين يتخرجون من هذه الجامعة يحملون معهم قدراً عظيماً من غرور التعصب الديني" ثم تابع يقول "فلو أمكن تطوير الأزهر لكانت هذه خطوة جليلة الخطر فليس من اليسير أن يتصور لنا أي تقدم طالما ظل الأزهر متمسكاً بأساليبه هذه ولكن إذا بدا أن مثل هذه الحظوة غير متيسر تحقيقها فعندئذٍ يصبح الأمل محصوراً في إيجاد التعليم اللاديني الذي ينافس الأزهر حتى يتاح له الانتشار والنجاح" [٥٥٩].

٤- كلية روبرت في "استنبول" التي أصبحت تسمى "الجامعة الأمريكية".

٥- الكلية الفرنسية في "لاهور" وأسست في لاهور باعتبار أن هذا البلد يكاد يكون البلد الخالص في تكوينه في شبه القارة الهندية.

٦- الجامعة الأمريكية في كراتشي، وكمبالا، وكلية (ماكريري) في يوغندا.

٧- كليات البنات الأمريكية في القاهرة وأسيوط والأقصر وبيروت وسوريا.

٨- المعاهد مثل المعهد الشرقي ومعهد دار السلام والمعهد الفرنسي [٥٦٠].

---

(557) التبشير والاستعمار، ص٨٧.

(558) الحلول المستوردة وكيف جنت على أمتنا، ص٢٢.

(559) الخنجر المسموم، أنور الجندي، ص٣٠.

(560) انظر: الحلول المستوردة وكيف جنت على أمتنا، ص٢١، وانظر: المؤامرة على المرأة المسلمة، ص٢١.

والهجمة موجهة الآن للتعليم في الدول العربية بصورة عامة: ويظهر هذا في المشروع الأمريكي الجديد وهو (مشروع مبادرة الشراكة بين الولايات المتحدة الأمريكية والشرق الأوسط بناء الأمل للسنين القادمة). وقد جاء هذا في الخطاب الذي ألقاه وزير الخارجية الأمريكي كولن باول في مؤسسة التراث بواشنطن يوم الخميس الموافق ٢٠٠٢/١٢/١٢م والذي أعلن فيه أن الحكومة ستخصص لهذا المشروع دعماً مالياً بمقدار (تسعة وعشرين مليون دولار) لكي تنطلق المبادرة بقوة، وسيتبعه دعم إضافي بمقدار (ألف مليون دولار) كمساعدة اقتصادية للعالم العربي كل عام، وتركز المبادرة على حرب الإرهاب في الشرق الأوسط، والاهتمام بالإصلاح التعليمي حسب الرؤية الأمريكية، وتحديث التعليم، وتغيير المناهج وتغيير نمط المدارس، والتركيز على تعليم الفتيات، وتوفير منح دراسية لإبقاء الفتيات في المدارس، وتوسيع التعليم لهن وتدريب المعلمين، وتعليم اللغة الإنجليزية [٥٦١].

ووُضِعَت خطة تعليمية ويعمل على متابعة ذلك مساعد وزير الخارجية لشئون الشرق الأدنى (وليام بيرنز) ونائبته (اليزابيث تشيني) ابنة نائب الرئيس (ديك تشيني).

ومن أهم النقاط التي وردت في هذه الخطة:

١- إنشاء مدارس أمريكية في مختلف البلدان العربية لكل مراحل التعليم الأساسي (الابتدائي والإعدادي والثانوي) تؤهل طلابها للالتحاق بالجامعات الأمريكية.

٢- في المراحل الأولى يتم الاعتماد على الخبراء والأكاديميين الأمريكيين، لإدارة تلك المدارس مع تطعيمها بأكبر عدد ممكن من خبراء التعليم في الدول العربية.

٣- عقد دورات تأهيلية للتدريس في هذه المدارس لعدد كبير من المدرسين والمدرسات والموظفين من أبناء هذه الدول للمشاركة في تحمل مسئوليات هذه المدارس.

٤- تخفيض رسوم الالتحاق لهذه المدارس حتى يتم الإقبال عليها، مع تخفيض أسعار المناهج الأمريكية التي ستدرس في المدارس الأمريكية.

٥- لن تقتصر المناهج التعليمية على المحتوى فقط، وإنما جزء كبير منها سيتم تكريسه لتشجيع المشاركة السياسية والديمقراطية، وأسلوب اتخاذ القرارات السليمة، وإدارة الانتخابات والمشاركة فيها.

٦- سيتم إنشاء نوادي في هذه المدارس يطلق عليها (نوادي الحرية الأمريكية)، تكون محضناً لممارسة التطبيقات الديمقراطية، وأسلوب الحياة الأمثل بعيداً عن العنف

---

(561) انظر: مناهجنا بين التطوير والتغريب، إعداد القسم التربوي بموقع المسلم، مشرف الموقع: د. ناصر بن سليمان العمر www. Almoslim. Com، ص٥٩-٦٠

والإرهاب، كما أنها ستعطي فرصة لنشر ثقافات تتعلق بقيود الآخرين، وتشجع البنات على ممارسة السياسة واتخاذ قراراتها بعيداً عن التعصب الديني. (٥٦٢)

أهداف مشروع الخطة التعليمية:

١- يضمن إيجاد فرص عمل لخريجي هذه المدارس والجامعات الأمريكية برواتب مغرية مما يؤدي إلى زيادة الإقبال عليها وهذا يحقق غرضهم في ربط أبناء الدول العربية بأنماط الثقافات الأمريكية.

٢- تولية خريجي هذه المدارس مناصب سياسية في بلادهم، وبذلك ستضمن الولايات المتحدة الأمريكية ولاءهم، وسيكون هؤلاء دعامات أساسية لتأييد السياسات الأمريكية وتلافي خطر الإرهاب ونتائجه.

٣- سيحقق هذا المشروع فائدة كبيرة لتوسع الاقتصاد الأمريكي.

بدأ طرح هذا المشروع أول عام ٢٠٠٣م، وتستمر خطوات التنفيذ والإعداد والإنشاء حتى عام ٢٠٠٥م، والدراسات الفعلية تبدأ من عام ٢٠٠٥م. (٥٦٣)

ثانياً: وضع المناهج

اهتم أعداء الإسلام بوضع المناهج التي تخدم مصالحهم الاستعمارية، لذا فإن مناهج التعليم في معظم بلاد العالم الإسلامي تربى الجيل على التنكر للدين والإباحية، وإن المناهج الدينية في المدارس كافة أقرب إلى الانقباض وقد اهتموا كثيراً بمناهج المرأة، فجعلوها كمناهج الرجال، ومراحل التعليم للمرأة كمراحل الرجال، وهي خطوة في سبيل المساواة بينهما، وهي تدفع المرأة إلى المناداة بتحرير المرأة، وتطوير حياتها الاجتماعية لتكون صورة طبق الأصل عن المرأة الغربية(٥٦٤). ويباهى الدكتور طه حسين أحد تلامذة المستشرقين الذي تولى يوماً منصب وزير التربية والتعليم بسلوك المنهج الأوربي في التعليم فيقول: "التعليم عندنا على أي نحو قد أقمنا صروحه ووضعنا مناهجه وبرامجه منذ القرن الماضي على النحو الأوربي الخالص وما في ذلك شك ولا نزاع، نحن نكوّن أبناءنا في مدارسنا الأولية والثانوية والعالية تكويناً أوربياً لا تشوبه شائبة" (٥٦٥).

---

(562) انظر: مناهجنا بين التطوير والتغريب، ص٦٠.

(563) انظر: المصدر السابق، ص٦٠-٦١

(564) انظر: المؤامرة على المرأة المسلمة، ص٢١، انظر: أساليب العلمانيين في تغريب المرأة، ص٤٤-٤٥.

(565) حاضر العالم الإسلامي د. صالح الرقب، عن مستقبل الثقافة في مصر لطه حسين، ص٣٨.

وكان الغزو الفكري عن طريق المنهاج ذو وجوه متعددة منها:

١- تشويه مضامين المواد أو الموضوعات بالتحريف والتغيير، أو الزيادة والنقص وبث الأفكار العلمانية في ثنايا المواد الدراسية في مختلف مراحل التعليم.

٢- اختيار المسائل التي كثر الخلاف فيها، وكانت مثار جدل ونزاع بين المسلمين، كمسائل علم الكلام، وأفكار بعض غلاة الصوفية، وحشو المناهج بالأفكار والفلسفات المعادية للعقيدة الإسلامية دون نقد أو تمحيص.

٣- منع تدريس نصوص معينة لأنها واضحة صريحة في كشف باطلهم، وحذفها من المناهج واختيار أوجه النقص والضعف أو الانحراف من تاريخ المسلمين وتجميعها من مختلف العصور، وجعلها هي المثل لتاريخ الأمة الإسلامية، مع طمس صور الأمجاد العظيمة أو تجاهلها والإعراض عنها، ومن ذلك التركيز على التاريخ السياسي، وإهمال التاريخ الاجتماعي العلمي، والحضاري الإسلامي بوجه عام.

٤- تصيد الآراء الشاذة أو المذاهب المنحرفة التي أخذت لها بعض الفرق المنتسبة إلى الإسلام واعتبارها مفاهيم إسلامية، وحشد الأدلة المزعومة لتأكيدها.

٥- اختيار الموضوعات والمسائل التي يصعب فهمها على التلاميذ ولا تتناسب مع المستوى الدراسي الذي يوضع له المنهاج. (٥٦٦)

٦- اختيار الموضوعات التي غدت من الآثار التاريخية، وليس لها في الواقع العلمي أي تطبيق.

٧- انتقاء النصوص، والتي يصعب جداً فهمها وحفظها من الطلاب، فتكريس الطالب الجهد على المادة العلمية، ليجتاز الاختبار في المقرر، ثم بعد ذلك يتم نسيانها، فحفظها من أجل الامتحان فقط.

٨- توجيــه الاهتمــام الكبيــر وبشكل مركز لمناهج المواد العلمية التي لا تتضمن تأسيساً أو شرحاً أو دعماً للعقائد والأخلاق والشرائع والنظم الإسلامية، أو أمجاد المسلمين، حتى تطغى دراسة هذه المواد على غيرها من المواد، فتستهلك الأوقات اللازمة لها، وتصرف الطــالب عنها، وذلك لأن الموادّ الأخرى قد اقتضت كل اهتماماته ومعظم طاقات دراسته. (٥٦٧).

---

(566) انظر: غزو في الصميم، عبد الرحمن حبنكة الميداني، دار القلم– دمشق، ط٤، ١٤١٧هـ–١٩٩٦م، ص٥٧-٥٨، وانظر: العلمانية وثمارها الخبيثة، محمد شاكر الشريف، دار الوطن، الرياض، ط١، ١٤١١هـ، ص٢٢-٢٣.

(567) غزو في الصميم الميداني، ص٥٨.

٩- تقليص الفترة الزمنية المتاحة للمادة الدينية، وإسناد تدريسها إلى غير المتخصصين وجعلها مادة هامشية حيث يكون وقتها آخر اليوم الدراسي، وهي في نفس الوقت لا تؤثر في تقدير الطالب.

١٠- إبعاد الأساتذة الملتزمين بدينهم عن التدريس، ومنعهم من الاختلاط بالطلاب، وذلك عن طريق تحويلهم إلى وظائف إدارية، أو عن طريق إحالتهم إلى المعاش.

١١- إدخال التمثيل والرقص والتصوير والفنون الخليعة ضمن مناهج التعليم.

١٢- فرض اللغة الأجنبية وجعل حصصها وساعاتها مساوية لحصص اللغة العربية.

١٣- إدخال المفاهيم الغربية في مناهج التعليم، والتي تخدم الغزاة مثل [حقوق الإنسان، والمجتمع المدني وقضايا المرأة، وحقوق الأقليات، والحريات العامة والديمقراطية] (٥٦٨).

١٤- فتح تخصصات وإقرار مناهج لا تناسب فطرة المرأة ورسالتها في الحياة.

١٥- الازدراء بالتعليم الديني، والسخرية والاستهزاء من دارسيه ومعلميه من خلال الكلمة السيئة، والمسرحية، والفيلم والتمثيلية السخيفة.

١٦- الدعوة إلى الاختلاط في التعليم، حيث قام المتأثرون بالثقافة الغربية من العلمانيين وغيرهم بالتقليل من خطورة الاختلاط وآثاره المدمرة للقيم والأخلاق، وزعموا أنه من ضرورات التقدم والتمدن، وتعميق الصداقة البريئة والروح الجامعية بين الجنسين.

١٧- إيجاد التنافس في الدراسة بين المناهج العلمانية والدينية، وذلك عند توظيف الطالب الذي يتخرج من المدارس أو الجامعات الأمريكية أما الطالب الذي يتخرج من الكليات الشرعية يُحْرَم من الوظيفة، أو تقتصر وظيفته على الوعظ والمأذونية وإمامة الناس في الصلاة، مما يشجع بعد ذلك على ارتياد المدارس والكليات والجامعات العلمانية.(٥٦٩).

١٨- التمييز في إعداد الكتب الدراسية: فتوجه العناية الفائقة للكتب غير الإسلامية أو التي ليس فيها تقرير للعقيدة الإسلامية أو النظام والتشريع الإسلامي، وذلك بإجادة تأليف هذه الكتب وإتقان طباعتها وصياغتها بأسلوب عصري، وتزويدها بالصور والخرائط والجداول والوسائل التعليمية المؤثرة الجذّابة، وإهمال كتب التربية الإسلامية، أو الكتب التي تشتمل على موضوعات أو معلومات أو أفكار تخدم الدين، أو التاريخ والحضارة

---

(568) انظر: العلمانية وثمارها الخبيثة، ص٢٢-٢٣، حاضر العالم الإسلامي، د. صالح الرقب، ص٨١-٨٢ مناهجنا بين التطوير والتغريب، ص٦١.

(569) غزو في الصميم الميداني، ص ٦١-٦٢.

الإسلامية. وبسبب ذلك تنصرف نفوس الطلاب إلى الكتب العصرية المعتنى بها، وتتعلق قلوبهم بها، وتزهد بالكتب الأخرى التي أُهْملت ولم يُعْتَن بها. (٥٧٠)

ولم يكتف الأعداء بذلك، فوجَّهوا هجمة لمناهج الدول العربية والإسلامية كالسعودية ومصر وفلسطين واليمن، يطالبون بتغييرها بما يخدم المخططات الاستعمارية حيث قدّم النائب (حيم دافس) من الحزب الديمقراطي من ولاية فلوريدا في مجلس النواب الأمريكي بمشروع قرار في (يونية عام ٢٠٠٢م) حول المناهج السعودية، طالب فيه الحكومة الأمريكية بالتدخل المباشر لتغيير مناهج التعليم السعودية، لأن التعليم السعودي يقوم على الإسلام، والدراسات الإسلامية تشكل جزءاً رئيساً في الكتب المقررة، والكتب العلمية تشير إلى الإسلام، ولأن المناهج السعودية لا تعترف بأي حق لليهود في فلسطين (أرض إسرائيل)، ولأنها ترفض إلغاء الجهاد، ولأنها تركز على فصل النساء عن الرجال، وتركز على حجاب المرأة، وأن النساء المتبرجات اللاتي يكشفن أجسامهن للرجال الغرباء عليهن ذنب كبير، ولأسباب أخرى يرفضونها في المناهج السعودية (٥٧١).

أما بالنسبة للمناهج في مصر: فقد عقدت ندوة في جامعة تل أبيب بعنوان (دراسة تأثير القرآن الكريم في عرقلة التطبيع مع إسرائيل) وشارك فيها مصطفى خليل رئيس وزراء مصر في عهد السادات، وبطرس غالي، وقد طالب رئيس وزراء دولة العدو (بيجن) بإغلاق دور القرآن الكريم في مصر وتأميم المساجد، وقد تم تنفيذ الكثير من ذلك عملياً وحذفت بعض آيات القرآن الكريم من المناهج التي يدرسها الطلاب (٥٧٢).

ونشر (موقع الأسبوعية ٣) يوم الاثنين الموافق ١٤٢٣/٤/١٦هـ تقريراً عن المنحة الأمريكية في مجال التعليم في مصر، ووافق عليها مجلس الشورى ولجنة التعليم بمجلس الشعب، بموجب الاتفاقية توافق الوكالة الأمريكية للتنمية الدولية على منح مصر ثلاثة وعشرين مليوناً وأربعة آلاف دولار أمريكي، وتهدف الاتفاقية إلى تحسين كفاءة ونوعية التعليم الأساسي مع التركيز على الفتيات.

كما أن المنحة تشمل برامج أخرى وموضوعات تمس الحياة والعادات حيث جاء في الاتفاقية: أنّ البرامج تؤدي إلى تنمية تعليم الفتيات، وتقديم نماذج إيجابية للفتيات والفتيان، وعادات صحية وبيئية، وتنمية المهارات الحياتية، والتوعية بالموضوعات الصحية الحرجة.

---

(570) المصدر السابق، ص ٦١-٦٢.

(571) انظر: مناهجنا بين التطوير والتغريب، ص٦٢-٦٣.

(572) المصدر السابق، ص٦٤.

ولـــم تحدد الاتفاقية نوعية هذه الموضوعات، هل هي تدريس الجنس وما تدعو إليه أمريكا من ممارسات جنسية بعيدة عن الزواج، وبالمفهوم الغربي الذي يبيح الشذوذ والحرية الجنسية؟ [٥٧٣]!!!

أما المناهج في فلسطين: فقد أفادت دراسة لمنظمة أمريكية غير حكومية نشرت يوم الأربعاء ٢٠٠١/١١/٢١م أن البرامج الجديدة التي اعتمدتها السلطة الفلسطينية في الضفة الغربية وقطاع غزة لا تدرّس مبادئ السلام والمصالحة مع إسرائيل، حتى أنها ترفض وجودها، وهذا لا يتفق مع المبادئ التي حددتها (منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة يونسكو). وأعربت الدراسة عن الأسف لأن اللغة العبرية لا تعتبر من اللغات المستخدمة في البلاد، كما أعربت عن أسفها، بأن توصف إسرائيل (بالمغتصبة) و(المحتلة) منذ قيامها سنة ١٩٤٨م، وأنها لا تظهر على أي خارطة، وأكدت الدراسة على أن الكتب الدراسية تقدس الشهيد والجهاد مع أنها لا تعرب مباشرة عن دعمها للإرهاب [٥٧٤].

فمناهجنا إذن لا تناسب أهواءهم وأهدافهم الاستعمارية، مع أن المنهج الدراسي في أي بلد لابد أن يقوم على أسس ومنطلقات عقدية وفكرية واجتماعية يؤمن بها ذلك البلد، لذا فلا بد أن يكون المنهج صادقاً في تمثيلها وتحقيقها، لأنه من أهم الوسائل التي تحدد شخصية المجتمع، وتحدد شخصية كل فرد ينتمي إليه، وأي تدخل في مناهج أي دولة يعتبر تعدياً على حدودها وسيادتها [٥٧٥].

المطلب الثاني: الكتـــب والمطبوعـــات

من أخطر أساليب الغزو الفكري التأليف والكتابة في موضوع المرأة، لذا نجد كثرة في الأبحاث والدراسات التي تكتب عن المرأة، وكذلك تأليف الكتب وكتابة القصص، وطبع النشرات التي تتضمن التوصيات والمقترحات، والحلول في زعمهم لقضايا المرأة ومشاكلها، ولكنها في الحقيقة ملئت بالشبهات التي يحاولون بها نقض المفاهيم الدينية، وترويج النظريات الفاسدة، والدعوة للسفور والتبرج والاختلاط، بأنهم يستغلون الأحداث ويحولونها إلى ظاهرة عامة في المجتمعات الإسلامية، وينقلونها إلى مجال القصة التافهة التي تثير الغرائز، فيركزّون على المرأة تركيزاً شديداً، ومن ذلك أكاذيبهم وأضاليلهم حيث يصفون المرأة القائمة على تربية أسرتها وأولادها بأنها المرأة التي سجنها المجتمع، وجعل وظيفتها في الحياة إنجاب الأطفال وتربيتهم وهذا يستدعى مهاجمة المجتمع الذي يظلمها، ويطالب الكتَّاب بحقها في

---

(573) انظر: مناهجنا بين التطوير والتغريب، ص٦٤-٦٥.

(574) المصدر السابق، ص٦٤-٦٥.

(575) نفس المصدر السابق، ٢٠.

الحرية والمساواة والحب والخروج...إلخ، وما الحرية التي يطلبونها للمرأة إلا دعوة للفساد والإباحية(٥٧٦).

تكتفي الباحثة في هذا المبحث بذكر بعض النماذج مما ورد في كتبهم ودراساتهم وقصصهم ونشراتهم، فمنها:

١- جاء في أحد الكتب التي تصدرها مؤسسة (فرنكلين الأمريكية) التي تنشرها في بعض الدول الإسلامية، دعوة إلى الاختلاط وتشجيع الانحلال فتقول: "إن خروج الفتيات في صحبة الفتيان من الأمور الطبيعية التي يستطيع معظم الآباء تقبلها في الوقت المناسب على أي حال باعتبارها جانباً من جوانب النمو الجسمي للمراهق.. ثم يقول الكاتب: "وفي كل علاقة بين فتى وفتاة يشعر كل منهما في بعض الأحيان بدافعٍ يحفزه على التعبير عن حبه وتقديره للآخر بلمسة أو ضغطة على اليد أو قبلة، والكشف عن المشاعر بهذه الطريقة والاستجابة لها أمر طبيعي!!، فالشوق إلى القبلـــة، أو بعض الغـــزل الرقيـــق، أو الإنصات إلى قصة فيها تلميحات جنسية هذه ليست أموراً شائنة" (٥٧٧).

٢- إحدى الكاتبات في رسالتها للدكتوراه والتي عنوانها (التنمية الاقتصادية وأثرها في وضع المرأة في السعودية) تقول وهي تعد المبادئ الإسلامية التي هي ضد مصلحة المرأة فتذكر منها:

- إن شهادة المرأة نصف شهادة الرجل.
- قوامة الرجل على المرأة .
- التضييق على المرأة في مجال اتخاذ القرار مثل عدم السفر إلا بموافقة الزوج.
- وأخيراً الحجاب.

ثم تشن هجوماً على هيئات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالسعودية، وتثنى على مخططات أرامكو وهي شركة أمريكية لدعم المرأة السعودية من خلال ابتعاثها، وتوظيفها، وتهيئة الاختلاط فيها، ثم تُعرِّج باللوم على الرئاسة العامة لتعليم البنات لموقفها من الابتعاث إلى الخارج، ثم بعد ذلك تنتهي في دراستها أو في رسالتها للدكتوراة إلى التوصيات التالية:

أ. ضرورة الإقلال من الصعوبات التي تواجه قضية إنصاف المرأة.

ب. الإقلال من عمليات الفصل بين الجنسين يعني التعليم المختلط.

ج. إنشاء أقسام للنساء في كل مؤسسة حكومية، وإنشاء مصانع للصناعات الخفيفة.

---

(576) انظر: أساليب العلمانيين في تغريب المرأة المسلمة، ص٤٦، وانظر: الصحافة والأقلام المسمومة، أنور الجندي، ص ٨٠

(577) انظر: الاتجاهات الفكرية المعاصرة، ص١٠٩، وانظر: حاضر العالم الإسلامي، د. صالح الرقب، ص ٨٣.

د. نادت بفتح مجالات دراسة مهنية للمرأة، وفتح دور للحضانة [٥٧٨].

٣- قدّمت امرأتان من الخليج (دراسة استقصائية بشأن البحوث المعدة عن المرأة في منطقة الخليج) هذه الدراسة قدّمت لمؤتمر عقد في تونس عام ١٩٨٢م، بإشراف اليونسكو، حضر المؤتمر كما تقول مقدمة الكتاب سبع عشرة عالمة اجتماعية من اثني عشر بلد عربي، ونشرت اليونسكو سبع دراسات مما قدم للمؤتمر بعنوان (الدراسات الاجتماعية عن المرأة في العالم العربي)، وقد خرجت هذه الدراسة بوضع الحلول المقترحة للعقبات الرئيسية التي تواجه المرأة في المجتمع، ومنها:

١- ذكرتا اقتراحاً بتخطيط السياسات التعليمية من أجل تشجيع المزيد من النساء للانضمام للميادين العلمية والمهنية بدلاً من تركيزها على الميادين الإنسانية والعلوم الاجتماعية.

٢- أيضاً ذكرتا أنّ دراسةً أعدها الاتحاد الوطني لطلبة البحرين تطالب بالتعليم المختلط حتى يمكن التغلب على الحواجزِ النفسية بين الجنسين.

٣- ثم تنقلان عن باحثين آخرين قولهما بضرورة أن تعتبر المرأة في الخليج تحررها بمثابة تحرير وطني، وعليها أن تناضل من أجل هذا التحرير الوطني [٥٧٩].

٤- في كتاب (الخطيئة والتكفير) للدكتور عبد الله الغذامي–وهو ناقد أدبي سعودي، حداثي علماني-يعرض قصة لزوجة خانت زوجها ويشبه ذلك بقصة آدم وحواء، ويضع المرأة هي الأساس الذي يختاره فيقول: "وبرزت لي المرأة في هذه الخطوة كأقوى الأضواء إشعاعاً حيث وجدتها تحتل مكاناً خطيراً في هذه النصوص..." ثم يقول "وفي مواجهتها يقف الرجل بين مقبل ومدبر، وبين راج وخائف" ثم يقول: "وهي صورة لا يملك القارئ وهو يتأملها إلا أن يتذكر تاريخ البشر الأزلي في قضية الوجود الأولى كما رسمها القرآن ممثلة في حادثة أبينا آدم عليه السلام مع حواء" [٥٨٠]. وتصور العلاقة بين آدم وحواء على أنها علاقة صراع ومعترك، ويقدم لنا صورة أخرى فيقول "فحواء كانت هي اللحظة الحساسة في تاريخ البشر منذ تواجه معها آدم على مشهد التفاحة وهي تقدمها ليأكل منها، وهو يضعف أمامها ناسياً تحذير الله سبحانه وتعالى من الفاكهة المحرمة، وأخيراً ينسى نفسه فيأكل الحرام، ويأثم، وعندئذٍ يحكم الله بالهبوط إلى المنفى (الأرض)" [٥٨١].

---

(578) انظر: المرأة وكيد الأعداء، د. عبد الله بن وكيل الشيخ، دار الوطن للنشر، الرياض، ص٣٧، وانظر: أساليب العلمانيين في تغريب المرأة المسلمة، ص ٤٦-٤٧، وانظر: المؤامرة على المرأة، ص ٤٧.

(579) انظر: أساليب العلمانيين في تغريب المرأة المسلمة، ص ٤٨-٤٩، وانظر: المؤامرة على المرأة، ص ٤٧.

(580) الحداثة في منظور إيماني، د. عدنان على رضا النحوي، دار النحوي، الرياض، ط٤، ١٤١٤هـ، ١٩٩٣م، ص ١٥٩.

(581) نفس المصدر السابق، ص ١٦٠.

إن قصة آدم وحواء، والشيطان والشجرة من علم الغيب، وهو ليس له إلا مصدر واحد هو المنهاج الرباني، ولولا أن الله أعلمنا عن ذلك لما عرفنا شيئاً. وكتب التفسير لم تذكر التفاحة ولا شجرتها، ولا الفاكهة التي تصورها الكاتب، وما جاء عن طريق الوحي هو أن الله سبحانه وتعالى نهى آدم وحواء معاً من الأكل من شجرة لم تُبَين ما هي، وما رواه د. الغذامي في قصة آدم واقترانه بحواء وتعلقه بها، وبها خطئ آدم فخطئت ذريته، ليست لها ذكر في القرآن ولا في السنة، ولكنها روايات تعددت عن أهل الكتاب الذين يعتقدون أن المرأة هي سبب خطيئة آدم لذلك يحتقرونها، مع أن حواء ليس هي السبب وإنما الشيطان هو الذي أغواهما معاً فأكلا من الشجرة التي نهاهما الله عنها وكذلك التفاحة ليس لها ذكر، إنما ذكر القرآن شجرة فقط، ولكن د. عبد الله الغذامي يصر على أنْ يصور دور المرأة هو دور الإغراء الذي توهم الدكتور أن القرآن الكريم رسمه لحواء، ويبين أن العلاقة بين الرجل والمرأة هي علاقة صراع، والمرأة هي أساس هذا الصراع، مع أن القرآن الكريم رسم العلاقة بين الرجل والمرأة علاقة بناء الحياة، وعلاقة التعاون والبذل، في أندى عاطفة وأجمل مودة، وأكرم رحمة، جعلها آية من آيات الله، وهي سكن للرجل، وطمأنينة ونعمة [٥٨٢].

(582) انظر: نفس المصدر، ص ١٦١-١٦٢

المبحث السادس

إثارة الشبهات حول قضايا المرأة

وهذه الوسيلة من أخبث الوسائل، إذ حرص الغزاة على إثارة قضايا المرأة، في الإذاعة والتلفزيون، وفي المؤتمرات، فيركزون على قضايا تحرير المرأة والمساواة مع الرجل، خاصة في الأوقات الحساسة التي تواجهها الأمة مع إثارة الشبهات، والشكوك حول كثير من قضايا المرأة.

فحاول أدعياء أنصار المرأة من العلمانيين وأتباع الغزو الفكري أن يشوّهوا صورة المرأة المسلمة وإظهارها مسلوبة الحقوق، ليس لها في الإسلام مكانة أو منزلة، وفرّق الإسلام بينها وبين أخيها الرجل في الحقوق، وجعل العلاقة بينهما تقوم على الظلم والاستبداد، لا السكن والمودة، الأمر الذي يستدعي من وجهة نظرهم قراءة الدين قراءة معاصرة، تقوم على مراعاة الحقوق التي أعطتها الاتفاقات الدولية للمرأة، ومحاولة تأويل النصوص الشرعية الثابتة كي تتوافق مع هذه الاتفاقات [٥٨٣].

ولما كان الحجاب مصدر عز وفخار للمرأة المسلمة، ودليل على حيائها نجد أنهم عملوا على إبعادها عنه، زاعمين أنه من عادات الجاهلية، وأنه تخلف ورجعية، ولا يناسب القرن العشرين حيث قال قاسم أمين: "إن الحجاب بوصفه السائد ليس من الإسلام، وأن الدعوة إلى السفور ليس فيها خروج على الدين أو مخالفة لقواعده"[٥٨٤].

وقد استحوذ موضوع الحجاب على صحف ومجلات الكويت في الخمسينات، ومن المقالات الداعية إلى السفور: "إن المرأة الكويتية يجب أن تزود بالعلم، ونريد للفتاة الكويتية أن تثور ضد التقاليد وفي مقدمتها العباءة السوداء"، ثم يتابع ويقول "والحجاب في نظري هو السد الكبير الذي يفصل المرأة عن المجتمع"[٥٨٥].

ومن داعيات السفور من قالت: "إن الفتاة الكويتية قد فقدت الأمل في إقناع ذويها بفوائد السفور، ومضار الحجاب، وكذلك فهي حتماً ستثور على هذه التقاليد الرجعية"[٥٨٦].

وصاروا يتهجمون على الحجاب فقالوا: "الحجاب تقليد من التقاليد البالية العتيقة، وأنه لا يصلح إلا في مجتمع قَبلي جاهلي، وأنه رمز مذلة المرأة"[٥٨٧].

---

(583) انظر: المؤامرة على المرأة المسلمة، ص ٤٠، وانظر: شبهات حول حقوق المرأة في الإسلام، د. نهى قاطرجي، موقع صيد الفوائد .www. Said . net

(584) عودة الحجاب، ص٤٠.

(585) المؤامرة على المرأة المسلمة، ص ١٣.

(586) المصدر السابق، ص١٣.

(587) المؤامرة على المرأة المسلمة، ص ٢٩.

وغيرها من الأقاويل التي تدعو إلى خلع الحجاب والتبرج والسفور.

ولم يكتفوا بالسفور والتبرج بل دفعوا المرأة إلى الاختلاط في الدراسة والعمل ومزاحمة الرجال متجاهلين أضرار الاختلاط، لأنه كلما تلاقى الرجل والمرأة، كلما ثارت الغرائز، وكلما انبعثت الشهوات الكامنة في خفايا النفوس كلما وقعت الفواحش، ولكنهم يزينون الاختلاط للمرأة والرجل مدّعين أن له فوائد كثيرة، فهو يهذب الأخلاق، ويحسّن المعاشرة، ويلطف الحديث(٥٨٨).

ولا زال الأعداء يطالبون بالمزيد، فهم يسعون إلى دفع المرأة إلى العمل حتى تستقل عن الرجل استقلالاً تاماً، ثم تلغي قوامة الرجل فتعمل المرأة، وتتحرر من الرجل، ولقد دفعوها إلى العمل بصرف النظر عن حاجتها إليه أم لا، وأخرجوها من بيتها بدون ضمانات أخلاقية، زاعمين أن المرأة نصف المجتمع، ونصف الاقتصاد وبتعطيل هذا النصف لا يمكن أن يتقدم هذا المجتمع(٥٨٩).

وخرجت المرأة تطالب بالمساواة في الميراث، وتتساءل: لماذا جعلت شهادة المرأة نصف شهادة الرجل، ثم اتهمت الإسلام أنه ظلمها وأجحف في حقها.

ولم يكتف الأعداء بذلك، بل حَرّضوا المرأة لأن تتمرد على زوجها لأن الله سبحانه وتعالى جعله قيّماً عليها، فصوروا لها أن البيت سجن مؤبد، والزوج سجّان قاهر، والقوامة سيف مصلت، والأمومة تكاثر رعويّ، حتى أوجد ذلك في نفوس النساء أنفة واشمئزازاً، وبحثاً عن الانطلاق بلا قيود، وأخذت تصرخ مطالبة أن تكون العصمة بيدها، وقالت: "إن المرأة لن تحصل على المساواة إلا إذا حصلت على حق الطلاق كالرجل تماماً" وطالبت بتقييد الطلاق، ومنع التعدد وتقييد الزواج بواحدة، واعترضوا على الزواج المبكر وطالبوا بوضع سن قانوني للزواج(٥٩٠).

واستمروا في طرح قضايا وموضوعات المرأة، وما زالت تعقد المؤتمرات والندوات، وتسخّر وسائل الإعلام بأشكالها المتعددة، لإثارة الشبهات والشكوك حول قضايا المرأة، لذا سيتم تناول هذه القضايا والشبهات التي دارت حول المرأة في الفصل التالي وسيتم تفنيدها والرد عليها بالتفصيل.

---

(588) المصدر السابق، ص ٣٠-٣١.

(589) انظر: المؤامرة على المرأة، ص ٣٤.

(590) انظر: المؤامرة وكيد الأعداء، د. عبد الله بن وكيل الشيخ، ص ٢٤.

الفصـــــل الثـــالـــث

تفنيـــد الدعـــاوى والشبهـــات المثـــارة
حـــول قضايا المرأة المسلمـــة

المبحث الأول: الحجـــــاب والاختــلاط والخلوة

المبحث الثاني: الميـــــراث والـــدّية والشهـــادة

المبحث الثالث: المســـــــاواة

المبحث الرابع: القـــوامة والطـــلاق والخلـــــع

المبحث الخامس: تعدد الزوجات والزواج المبكر

المبحث السادس: خروج المرأة من البيت وعملها وسفرها بدون قيد

الفصل الثالث

مقـــــدمـــــة:

الحق شمس ساطعة قوية، يحاول أعداؤه أن ينفثوا حوله السموم، ليطفئـوا بهـا هـذا النور: ولكن الله سبحانه وتعالى يحق الحق ولو أبى أهل الباطل، فهم وسفاهاتهم ومـؤامراتهم على المرأة خاصة كالغيمة التي يمكنها أن تحجب النور للحظات لكن سرعان ما تنقشع.

وللإسلام حراس يذودون عنه، ويسدون الثغرات التي يحاول المضللون أن ينفذوا منها ليهدّوا بنيانه العظيم.

من هنا جاءت الردود حول شبهات أثيرت حول المرأة، والتي أحيطت من قِبل أعـداء الحق بأوهام وأباطيل ادّعوها، يخدعون بها المرأة لتضل الطريق وتنحرف عن دينها، ولكـن الله لهم بالمرصاد، وإن أهل الحق من المؤمنين لعلى ثقة بربهم ودينهم الذي لا يأتيه الباطـل. لذا نقول لهؤلاء المضلّلين: الحق باقٍ، مهما حاولتم تضليل العقول عنه، أما الباطل فهـو إلـى زوال.

لذا سيتم الرد والجواب على ألسنة دعاة الحق ، والله نسأل أن يرزقنا اتباع الحـق وأن يرينا الباطل باطلاً ويرزقنا اجتنابه.

المبحث الأول

الحجاب والاختلاط والخلوة

المطلب الأول: الحجـــــــاب

الشبهة الأولى:

يدعي بعض دعاة التبرج والسفور بأن الحجاب تزمت في الدين، والدين يسر لا تزمت فيه ولا تشدد، وإباحة السفور مصلحة يقتضيها مشقة التزام الحجاب في عصرنا[٥٩١].

المناقشة:

١. إن تعاليم الـــدين الإسلامي وتكاليفـــه الشـــرعية جميعهـــا يســـر ولا عسر فيها، قال تعالى: ﴿ **يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ** ﴾[٥٩٢]وقال: ﴿ **وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ**﴾[٥٩٣] وقال: ﴿ **لا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا** ﴾ [٥٩٤] فهذه الآيات صريحة في التزام مبدأ التخفيف والتيسير، وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إن هذا الدين يسر، ولن يشاد الدين أحد إلا غالبه، فسددوا وقاربوا وأبشروا".[٥٩٥]

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا بعث أحداً من أصحابه في بعض أمره قال: "يسروا ولا تعسروا وبشـــروا ولا تنفروا"[٥٩٦].

فالشارع لا يقصد أبداً إعنات المكلفين أو تكليفهم بما لا يطيقون، فكل ما ثبت أنه تكليف من الله للعباد فهو داخل في مقدورهم وطاقتهم[٥٩٧].

٢. أما دعوى أن إباحة السفور (مصلحة) معتبرة نظراً لمشقة الالتزام بالحجاب خاصة في البلاد التي شاع فيها التبرج والانحلال، وحتى لا يرمى الإسلام بالتشدد والمسلمون بالتطرف، فهي باطلة لأن المصلحة الشرعية لها ضوابط يجب على كل مسلم ملتزم مراعاتها وهي:

---

(591) عودة الحجاب، محمد أحمد إسماعيل، ٣٩١/٣.

(592) سورة البقرة، الآية (١٨٥).

(593) سورة الحج، الآية (٧٨).

(594) سورة البقرة، الآية (٢٣٣).

(595) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب الدين يسر، رقم الحديث (٣٨)، ٢٩/١.

(596) صحيح البخاري، كتاب العلم، باب ما كان النبي يتخولهم بالموعظة والعلم كي لا ينفروا، رقم الحديث (٦٨)، ٣٨/١.

(597) انظر: عودة الحجاب، ٣٩٣/٣.

أ- أن تكون هذه المصلحة متدرجة في مقاصد الشرع، وهي حفظ الدين والنفس والعقل والنسـل والمال، فكل ما يحفظ هذه الأصول فهو مصلحة، وكل ما يفوّت هذه الأصول أو بعضها فهو مفسدة، ولاشك أن الحجاب مما يحفظ هذه الكليات، وأن التبرج والسفور يؤدي إلى الفساد.

ب- أن لا تعارض هذه المصلحة الكتاب والسنة، فلا تعارض القرآن الكريم، لأنه لو عارضت المصلحة كتاب الله لاستلزم ذلك أن يعارض المدلول دليله، وهو باطل، وكذلك السنة، فإن المصلحة إذا عارضتها اعتبرت رأياً مذموماً. ولا يخفى مناقضة هذه المصلحة المزعومة الكتاب والسنة.

ج- أن لا تعارض هذه المصلحة القياس الصحيح في حالة عدم وجود النص.

د- أن لا تفوّت هذه المصلحة مصلحة أهم منها أو مساوية لها[٥٩٨].

٣. أما قاعدة "المشقة تجلب التيسير" معناها أن المشقة التي قد يجدها المكلف في تنفيذ الحكم الشرعي سبب شرعي صحيح للتخفيف فيه بوجه ما.

وهذا لا يتناقض مع ضوابط المصلحة السابقة، فلا بد للتخفيف أن لا يكون مخالفاً لكتاب الله وسنته، ولا يخالف قياساً صحيحاً ولا مصلحة راجحة.

ومن المصالح ما نص على حكمه الكتاب والسنة كالعبادات والعقود والمعاملات وهذا القسم لم يقتصر الشارع فيه على العزائم فقط، بل ما من حكم من أحكام العبادات إلا وقد شرع إلى جانبه سبل التيسير فيه.

فالصلاة مثلاً شرعت أركانها وأحكامها الأساسية، وشرع إلى جانبها أحكام ميسرة لأدائها عند لحوق المشقةِ كالجَمْع والقَصر في الصلاة، وكالصوم شرع إلى جانب أحكامه الأساسية رخصة الفطر بالسفر والمرض، والطهارة من النجاسات في الصلاة، شرع معها رخصة العفو عما يشق الاحتراز منه.

والحجاب أوجبه الله على المرأة، ثم نهى عن النظر إلى الأجنبية وأرخص في كشف الوجه والنظر إليه عند الخِطبة، والعلاج، والتقاضي، والتعليم، والمعاملة، والإشهاد.

---

(598) عودة الحجاب، ٣٩٣/٣، وإثارة الشبهات والشكوك حول قضايا المرأة، موقع صيد الفوائد، www.saaid.net عن موقع المنبر.

ولا يجوز الاستزادة في التخفيف على ما ورد به النص كأن يقال: إن مشقة الالتزام بالحجاب في بعض المجتمعات تقتضي أن يباح للمرأة التبرج بدعوى عموم البلوى(٥٩٩).

الشبهة الثانية:

قالوا: "إن الحجاب كان من عادات العرب في الجاهلية، لأن العرب طبعوا على حماية الشرف ووأد البنات خوفاً من العار، فألزموا النساء بالحجاب تعصباً لعاداتهم القبلية التي جاء الإسلام يذمّها ويبطلها، حتى إنه أبطل الحجاب، فالالتزام بالحجاب رجعية، وتخلف عن ركب الحضارة والتقدم(٦٠٠).

المناقشة

١. إن الحجاب الذي فرضه الإسلام على المرأة لم يعرفه العرب قبل الإسلام، بل ذم الله تبرج نساء الجاهلية، فوجه نساء المسلمات إلى عدم التبرج حتى لا يتشبهن بنساء الجاهلية الأولى، فقال جل شأنه: ﴿ **وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى**﴾ (٦٠١).

كما أن الأحاديث الشريفة التي ذمت تغيير خلق الله، أوضحت أن وصل الشعر والتنمص كان شائعاً في نساء اليهود قبل الإسلام، ومن المعروف أنه مما تستخدمه المتبرجات.

صحيح أن الإسلام أبطل عادات ذميمة للعرب، ولكن بالمقابل كانت لهم عادات جميلة أقرها الإسلام كإكرام الضيف والجد والشجاعة وغير ذلك، وكان من ضمن عاداتهم الذميمة خروج النساء متبرجات كاشفات الوجوه والأعناق باديات الزينة، ففرض الله الحجاب على المرأة بعد الإسلام ليرتقي بها ويصون كرامتها، ويمنع عنها أذى الفساق والمغرضين(٦٠٢).

٢. إذا كانت النساء المسلمات راضيات بلباسهن الذي لا يجعلهن في زمرة الرجعيات والمتخلفات فما الذي يضير دعاة التقدم والتحرر في ذلك؟؟! وإذا كن يلبسن الحجاب ولا يتأففن منه فما الذي حشر هؤلاء في قضية فردية شخصية كهذه؟ (٦٠٣).

---

(599) انظر: عودة الحجاب، ٣٩٦/٣٩٥/٣، وإثارة الشبهات والشكوك حول قضايا المرأة www.saaid.net.

(600) انظر: المتبرجات، فاطمة بنت عبد الله، مكتبة السنة، القاهرة، ط٣، ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م، ص ١١٨، إثارة الشبهات www.saaid.net.

(601) سورة الأحزاب، الآية (٣٣).

(602) انظر: المتبرجات، ص ١١٨-١٢٠.

(603) انظر: الراقصون على جراحنا، يمان السباعي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م، ص ١٣.

ومن العجب أن تسمع منهم الدعوة إلى الحرية الشخصية وتقديسها، فلا يجوز أن يمسها أحد، ثم تجدهم يتحكمون في حرية غيرهم في ارتداء ما شاءوا من الثياب؟ [٦٠٤].

ومنذ متى كان التقدم والتطور مرتبطين بلباس الإنسان؟! إن الحضارة والتقدم والتطور كان نتيجة أبحاث توصل إليها الإنسان بعقله وإعمال فكره، ولم تكن بثوبه ومظهره. لقد دفع المفسدون المرأة المسلمة إلى الحضيض عندما زعموا أنّ ما هم عليه من تأخر وجمود كان بسبب التزامها بالحجاب، حتى خلعت ثيابها شيئاً فشيئاً أمام تشجيعهم وتمجيدهم بدءاً من كشف وجهها، وانتهاءً بظهورها شبه عارية في الملاهي، والنوادي، والمراقص، وشواطئ البحار، والمتنزهات، والمطاعم، والشوارع، وفي كل مكان[٦٠٥].

الشبهة الثالثة:

يقول بعضهم: "إن الحجاب يسهل عملية إخفاء الشخصية، فقد يتستر وراءه بعض النساء اللواتي يقترفن الفواحش، وهذا يعني أن الحجاب لم يردع الفاسدة عن فسادها بل ساعدها على إخفاء ما تعمله"[٦٠٦].

المناقشة

١. شرع الإسلام للمرأة أن تستر وجهها لأن ذلك أزكى لها وأطهر، والعاقل الذي يدرك من سلوك المرأة التي تبالغ في ستر نفسها، أن هذا دليل الاستعفاف والصيانة، أما التي تتبرج وتظهر زينتها فهذا دليل وقاحتها، وقلة حيائها، وهوانها على نفسها، ومن ثم فهي الأَوْلى أن يُساء الظن بها، وبسلوكها، حين تعرض زينتها كالسلعة، فتجرّ على نفسها وصمة خبث النية، وفساد الطوية، وطمع الذئاب البشرية[٦٠٧].

٢. إن المسلمة النقية الملتزمة بالحجاب هي التي جاء ذكرها في كتاب الله: ﴿ **إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيراً وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً**﴾[٦٠٨]

---

(604) انظر: المتبرجات، ص ١٢٠-١٢١.

(605) انظر: المصدر السابق، ص ١٢١.

(606) انظر: عودة الحجاب، ٤١٢/٣، وانظر: موسوعة المرأة المسلمة، ص ٤٦.

(607) انظر: نفس المرجع السابق، ٤١٢/٣-٤١٣.

(608) سورة الأحزاب، الآية (٣٥)

فالإسلام كما يأمر المرأة بالحجاب يأمرها أن تكون ذات خلق ودين، إنه يربي من تحت الحجاب قبل أن يسدل عليها الجلباب، ويقول لها ﴿ **وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ** ﴾(٦٠٩). حتى تصل إلى قمة الستر والاحتجاب، ولا يمكن لامرأة تضع الحجاب على رأسها أن تحجب عن الناس أخلاقها وتعاملها، واللاتي يحاولن أن يتسترن على أعمالهن يسئن للحجاب، ولا أحد ينكر ذلك ولكن لا يمكن أن نأمرهن بنزع الحجاب، وليس معنى ذلك أن الحجاب سيء بسوء أصحابه، وحسن بطيب أصحابه، بل من الواجب علينا النصح لسائر المسلمات بالالتزام الصحيح بالحجاب، فربما كانت هذه جاهلة بأهمية الحجاب وحقيقته.

وإذا كان التخوف من سوء استغلال الحجاب مخطرة محتملة، إلا أن المخطرة في التبرج والسفور بنشر الفاحشة، وفتح ذرائعها أكيدة، وهذا ما يلاحظه ويقطع به كل عاقل(٦١٠).

لو أن رجلاً انتحل شخصية قائد عسكري كبير، وارتدى زيّه، وتحايل بذلك، واستغل هذا الثوب فيما لا يباح له كيف تكون عقوبته؟! وهل يصلح سلوكه أن يكون مبرراً للمطالبة بإلغاء الزي المميز للعسكريين مثلاً خشية أن يسيء أحد استعماله؟!.

ولو خان الجندي بلاده هل نطالب بتسريح الجيش كله وإلغاء شيء يسمى القوات المسلحة؟ الجواب لا، فإذا كان الجواب لا، فلماذا يقف أعداء الله من الحجاب هذا الموقف المعادي؟! ولماذا يثيرون حوله الشائعات الباطلة المغرضة.

فوضع الحجاب إذن من بعض الجاهلين به والمسيئين له لا يعني أن تتخلى عنه النساء!! فما ذنب الحجاب إذا حاولت فاسقة مستهترة أن تتجلبب بجلباب الحياء، وتتوارى عن الأعين بارتداء شعار العفاف ورمز الصيانة، وتستر عن الناس آفاتها وفجورها(٦١١).

الشبهة الرابعة:

يقول بعض دعاة السفور: "إنّ عفة الفتاة حقيقة كامنة في ذاتها وليس في غطاءٍ يلقى ويسدل على جسمها، وكم من فتاة متحجبة عن الرجال في ظاهرها وهي فاجرة في باطن سلوكها، وكم من فتاة حاسرة الرأس كاشفة المفاتن لا يعرف السوء سبيلاً إلى نفسها ولا إلى سلوكها"(٦١٢).

---

(609) سورة الأعراف، الآية (٢٦)

(610) انظر: موسوعة المرأة المسلمة، ص ٤٦-٤٧، وانظر: عودة الحجاب، ٤١٥/٣.

(611) انظر: موسوعة المرأة المسلمة، ص ٤٧، وانظر: عودة الحجاب، ٤١٥/٣، ٤٨٤، وانظر: إلى كل أب غيور يؤمن بالله، عبد الله علوان، ط٧، دار السلام، ١٩٨٦م، ص ٤٤،٤٥، ط١، ١٩٧٥م.

(612)إلى كل فتاة تؤمن بالله، د. محمد سعيد رمضان البوطي، ط٢، ١٩٩٠م، ص ٩٧.

المناقشة

إن هذا صحيح فما كان للثياب أن تنسج لصاحبها عفة مفقودة، ولا أن تمنحه استقامة معدومة، ورُبّ فاجرة سترت فجورها بمظهر سترها.

ولكن لماذا يزعمون أن الله سبحانه وتعالى شرع الحجاب لجسم المرأة ليخلق الطهارة في نفسها أو العفة في أخلاقها؟!، ومن هذا الذي زعم أن الحجاب إنما شرعه الله ليكون إعلاناً بأن كل من لم تلتزمه فهي فاجرة؟

إن الله فرض الحجاب على المرأة المسلمة محافظة على عفة الرجال الذين قد تقع أبصارهم عليها وليس حفاظاً على عفتها من الأعين التي تراها فقط، ولئن كانت تشترك معهم هي الأخرى في هذه الفتنة، إلا أنّ فائدتهم من ذلك أعظم وأخطر، وإلا فهل يقول عاقل تحت سلطان هذه الحجة المقلوبة: "إن للفتاة أن تبرز عارية أمام الرجال كلهم ما دامت ليست في شك من قوة أخلاقها وصدق استقامتها؟! فالحل الإلهي هو حجاب المرأة وسترها حتى لا تقع أبصار الرجال على مغريات النساء وفتنتهن[٦١٣].

الشبهة الخامسة:

زعم آخرون أن حجاب النساء نظام وضعه الإسلام، فلم يكن له وجود في الجزيرة العربية، ولا في غيرها قبل دعوة الإسلام وهذه الشبهة مناقضة لشبهة سابقة حيث ادّعى أصحابها أن الحجاب كان عادة من عادات العرب في الجاهلية[٦١٤].

المناقشة

١. إن القارئ لكتب العهد القديم وكتب الأناجيل يتيقن أن حجاب المرأة كان مفروضاً في جميع الأديان السماوية السابقة من عهد إبراهيم عليه السلام، إلى ما بعد ظهور المسيحية، وتكررت الإشارة إلى البرقع في غير كتاب من كتب العهد القديم، وكتب العهد الجديد[٦١٥].

فقد جاء في سفر التكوين قصة طويلة عن امرأة تسمى (رفقة) أنها رفعت عينيها فرأت إسحاق، فنزلت عن الجمل وقالت للعبد: مَنْ هذا الرجل الماشي في الحقل للقائنا، فقال العبد: هو سيدي، فأخذت البرقع وتغطت به"[٦١٦].

---

(613)المصدر السابق، ٣/٤٨٤-٤٨٥.

(614) انظر: شبهات حول المرأة، صيد الفوائد عن يا فتاة الإسلام، اقرأي حتى لا تخدعي، صالح البليهي، ص ١٢٤.

(615) انظر: حجاب المسلمة بين انتحال المبطلين وتأويل الجاهليين، ص ٦٦.

(616) سفر التكوين الإصحاح الرابع والعشرون، ٦٣-٦٦.

وفي الإصحاح الثامن والثلاثين من سفر التكوين أيضاً أن "ثامار مضت وقعدت في بيت أبيها، ولما طال الزمان خلعت عنها ثياب ترملها وتغطت ببرقع وتلففت"(٦١٧).

وجاء في رسالة بولس الأولى إلى أهل (كورنثوس) "إن النقاب شرف للمرأة، وكانت المرأة عندهم تضع البرقع على وجهها حين تلتقي بالغرباء وتخلعه حين تنزوي في الدار بلباس الحداد"(٦١٨).

فكتب العهد القديم والجديد التي عند اليهود والنصارى نصّت على حجاب المرأة، وذكرت البراقع والمصائب، وحرّمت على النساء كل ما يتنافى مع الحشمة والعفاف أو يدعو إلى الإثارة والفتنة.

٢. كان الرومان يسنون القوانين التي تحرم على المرأة الظهور بالزينة في الطرقات قبل الميلاد بمائتي سنة، ومنها قانون عرف باسم "قانون أوبيا" يحرم عليها المغالاة بالزينة حتى في البيوت(٦١٩).

٣. وأما في الجاهلية فنجد أن الأخبار الواردة في تستّر المرأة العربية كثيرة، وانتهاك سترها كان سبباً في اليوم الثاني من أيام حروب الفجار الأولى، إذ إن شباباً من قريش وبني كنانة رأوا امرأة جميلة وسيمة من بني عامر في سوق عكاظ، وسألوها أن تسفر عن وجهها فأبت، فامتهنها أحدهم فاستغاثت بقومها. وقد ذُكِرَ أن المرأة كانت تلقي خمارها لحسنها وهي على عفة.

٤. لم يكن الخمار مقصوراً على العرب وإنما كان شائعاً لدى الأمم القديمة في بابل وآشور وفارس والروم والهند(٦٢٠).

الشبهة السادسة:

قالوا: إن الطاقة الجنسية في الإنسان طاقة كبيرة وخطيرة، وخطورتها تكمن في كبتها، وزيادة الضغط يولّد الانفجار، وحجاب المرأة يغطي جمالها، وبالتالي، فإن الشباب يظلون في كبت جنسي يكاد أن ينفجر أو ينفجر أحياناً على شكل حوادث الاغتصاب وغيرها، والعلاج لهذه

---

(617) سفر التكوين، الإصحاح الثامن والثلاثون، ١١-١٤.

(618) الرسالة الأولى.

(619) انظر: حجاب المسلمة، ص ٥١-٧١.

(620) شبهات حول المرأة، عن المرأة بين الجاهلية والإسلام، محمد الناصر وخولاردش، ١٦٩-١٧١، موقع صيد الفوائد.

المشكلة إنما يكمن في تحرير المرأة من هذا الحجاب لكي ينفس الشباب الكبت الذي فيهم، وبالتالي يحدث التشبع لهذه الحاجة، فيقلّ طبقاً لذلك خطورة الانفجار بسبب الكبت والاختناق(٦٢١).

المناقشة

١. لو كان هذا الكلام صحيحاً لكانت أمريكا والدول الأوروبية وما شاكلها هي أقل الدول في العالم في حوادث الاغتصاب والتحرّش الجنسي في النساء وغيرها من الجرائم، وذلك لأن أمريكا والدول الأوروبية قد أعطت هذا الجانب عناية كبيرة بحجة الحرية الشخصية، فماذا كانت النتائج التي ترتبت على الانفلات والإباحية؟ هل قلّت حوادث الاغتصاب؟ هل حدث التشبع الذي يتحدثون عنه؟ وهل حُميت المرأة من هذه الخطورة؟.

جاء في كتاب "الجريمة في أمريكا" إنه تتم جريمة اغتصاب بالقوة كل ستة دقائق في أمريكا، ويعني بالقوة أي تحت تأثير السلاح. وقد بلغ عدد حالات الاغتصاب في أمريكا عام ١٩٧٨م إلى مائة وسبعة وأربعين ألف وثلاثمائة وتسع وثمانين حالة، لتصل عام ١٩٨٧م إلى مائتين وواحد وعشرين ألف وسبعمائة وأربع وستين حالة، فهذه الإحصائيات تكذّب هذه الدعوى"(٦٢٢).

٢. إن الغريزة الجنسية موجودة في الرجال والنساء، وهي سرّ أودعه الله في الرجل والمرأة لحِكَم كثيرة، منها: استمرار النسل، ولا يمكن لأحد أن ينكر وجود هذه الغريزة، فكيف يطلب من الرجال أن يتصرفوا تصرفاً طبيعياً أمام مناظر التكشف والتعرّي دونما اعتبار لوجود تلك الغريزة!!! (٦٢٣).

٣. إن الذي يدّعي أنه يمكن معالجة الكبت الجنسي بإشاعة مناظر التبرّج والتعرف ليحدث التشبع فإنه بذلك يصل إلى نتيجتين:

الأولى: أن هؤلاء الرجال الذي لا تثيرهم الشهوات والعورات البادية من فئة المتخصصين فانقطعت شهوتهم فما عادوا يشعرون بشيء من ذلك الأمر.

---

(621) شبهات حول المرأة، أولاً الحجاب عن أختي غير المحجبة، ما المانع من الحجاب، عبد الحميد البلالي، ص ٨-١٠ (بتصرف) موقع صيد الفوائد.

(622) موقع صيد الفوائد، شبهات حول المرأة، أولاً الحجاب عن أختي غير المحجبة، ما المانع من الحجاب، عبد الحميد البلالي، ص ٧.

(623) نفس المصدر السابق، ص ١٢.

الثانية: أن هؤلاء الرجال الذين لا تثيرهم العورات الظاهرة من الذين أصابهم مرض البرود الجنسي فهل الذين يدّعون صدق تلك الشبهة يريدون مِن رجال أمتنا أن يكونوا ضمن إحدى هاتين الطائفتين من الرجال[٦٢٤].

الشبهة السابعة:

قالوا: إن حجاب المرأة يعطل نصف المجتمع إذ أن الإسلام يأمرها أن تبقى في بيتها.

المناقشة

١. إن الأصل في المرأة أن تبقى في بيتها، قال الله تعالى ﴿ **وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى**﴾ [٦٢٥]، ولا يعني هذا الأمر إهانة المرأة وتعطيل طاقاتها، بل هو التوظيف الأمثل لطاقاتها.

٢. ليس في حجاب المرأة ما يمنعها أو يعيقها عن العمل المسموح به لها، ولا يحول بينها وبين اكتساب المعارف والعلوم، بل إنها تستطيع أن تقوم بكل ذلك مع المحافظة على حجابها وتجنبها الاختلاط المشين.

وأمثلة حية كثيرة من طالبات الجامعات اللاتي ارتدين الثوب الساتر، وابتعدن عن مخالطة الطلاب كنّ المتفوقات، وحُزْن على تقدير واحترام من جميع المدرسين والطلاب.

٣. إن خروج المرأة ومزاحمتها الرجل في أعماله وتركها الأعمال التي لا يمكن أن يقوم بها غيرها هو الذي يعطل نصف المجتمع، بل هو السبب في انهيار المجتمعات، وفشو الفساد وانتشار الجرائم، وانفكاك الأسر، لأن مهمة رعاية النشء وتربيتهم والاهتمام بهم وهي من أشرف المهام وأعظمها وأخطرها أضحت بلا عائل ولا رقيب[٦٢٦].

الشبهة الثامنة:

قال أعداء الحجاب أن التبرج أمر عادي لا يلفت النظر، وبالتربية السليمة يتعود الناس عليه. فادعوا أن التبرج الذي تبدو به المرأة كاسية عارية لا يثير انتباه الرجل بينما ينتبه الرجال عندما يرون المرأة المتحجبة حجاباً كاملاً يستر جسدها كله، فيريدون التعرف على شخصيتها، ومتابعتها لأن كل ممنوع مرغوب.

---

(624) نفس المصدر السابق، ص ١٢-١٣.

(625) سورة الأحزاب، الآية (٣٣).

(626) انظر: موقع صيد الفوائد، شبهات حول المرأة عن أختي غير المحجبة، ص ٦٤، ويا فتاة الإسلام، ص ٣٩-٤٠.

المناقشة

١. ما دام التبرج أمراً عادياً لا يلفت الأنظار ولا يستهوي القلوب فلماذا تبرجت، ولمن تبرجت؟ ولماذا تحمّلت ثمن أدوات التجميل وأجرة الكوافير، ومتابعة الموضات.

٢. وكيف يكون التبرج أمراً عادياً ونرى أن الأزواج -مثلاً – تزداد رغبتهم في زوجاتهم كلما تزينّ وتجملن، كما تزداد الشهوة إلى الطعام كلما كان منسقاً متنوعاً جميلاً في ترتيبه ولو لم يكن لذيذ الطعم(٦٢٧).

تقول السيدة: نعمت صدقي: "لقد غفل الناس وخادعوا أنفسهم، فزعموا أن التبرج قد أصبح أمراً عادياً مألوفاً لا يؤثر في الأخلاق، ولا يثير دفائن الشهوات، ثم تقول:

إن الرجولة هي الرجولة والأنوثة هي الأنوثة وإن الجاذبية بين الرجل والمرأة هي الجاذبية الفطرية، لا تتغير مدى الدهر، وهي شيء يجري في عروقها، وينبه في كل من الجنسين ميوله وغرائزه الطبيعية، فإن الدم يحمل الإفرازات الهرمونية من الغدد الصماء المختلفة، فتؤثر على المخ والأعصاب وغيرها من الأعضاء، بل إن كل جزء من كل جسم يتميز عما يشبهه في الجنس الآخر، ولذلك تظهر صفات الأنوثة في المرأة في تركيب جسمها كله وفي شكلها وفي أخلاقها وأفكارها وميولها، كما تظهر مميزات الذكورة في الرجل في بدنه وهيئته وصوته وأعماله وميوله.

وهذه قواعد فطرية طبيعية لم تتغير من يوم خلق الله الإنسان، ولن تتغير حتى تقوم الساعة(٦٢٨).

فالإسلام يهدف إلى إقامة مجتمع نظيف لا تهاج فيه الشهوات في كل لحظة ولا تستثار فعمليات (الاستثارة) المستمرة تنتهي إلى سعار شهواني، لا ينطفئ ولا يرتوي، والفطرة الخائنة، والحركة المثيرة والزينة المتبرجة، والجسم العاري، كلها لا تصنع شيئاً إلا أن تهيج ذلك السعار الحيواني المجنون.

وما نراه في بلاد الغرب من الاختلاط والإباحية والتفلت لم ينته بتهذب الدوافع الجسدية، وترويضها إنما انتهى إلى سعار مجنون لا يرتوي ولا يهدأ إلا ريثما يعود إلى الظمأ والاندفاع.

وانتشرت الأمراض النفسية، والعقد التي كان مفهوماً أنها لا تنشأ إلا من الحرمان،شوهدت وشوهد معها الشذوذ الجنسي بكل أنواعه،كثمرة مباشرة(للاختلاط)الذي لا يقيده قيد،ولا يقف عنده حد.

---

(627) انظر: المتبرجات، ص ١١٣.

(628) انظر: التبرج، نعمت صدقي، دار الاعتصام، ١٩٧٥م، ص ٢٣-٢٤.

إذن الميل الفطري بين الرجل والمرأة ميل عميق، وإثارته في كل حين تزيد من عرامته، فالنظرة تثير والحركة تثير، والضحكة تثير، والدعابة تثير، والطريق المأمون هو تقليل هذه المثيرات وذلك هو المنهج الذي يختاره الإسلام، مع تهذيب الطبع، وتشغيل الطاقة البشرية بهموم أخرى في الحياة، غير تلبية دافع اللحم والدم.

أما أن العيون تتابع المتحجبة الساترة لوجهها ولا تتابع المتبرجة، فإن المتحجبة تشبه كتاباً مغلفاً لا تعلم محتوياته وعدد صفحاته، وما يحمله من أفكار، فطالما كان الأمر كذلك فإنه مهما نظرنا إلى غلاف الكتاب ودققنا النظر فإننا لا نفهم محتوياته، ولن نعرفها، بل ولن نتأثر بها، وبما تحمله من أفكار، وهكذا المتحجبة غلافها حجابها، ومحتوياتها مجهولة بداخله، وإن الأنظار التي ترتفع إلى نورها لترتد حسيرة خاسئة، لم تظفر بشَروى فقير ولا بأقل القليل.

أما تلك المتبرجة فتشبه كتاباً مفتوحاً تتصفحه الأيدي، وتتداوله الأعين سطراً سطراً وصفحة صفحة، وتتأثر بمحتوياته العقول، فلا يترك حتى يكون قد فَقَدَ رونق أوراقه، فتثنت بل تمزق بعضها، إنه يصبح كتاباً قديماً لا يستحق أن يوضع في واجهة مكتبة بيت متواضعة، فما بالنا بواجهة مكتبة عظيمة؟!.

إن هذه المتبرجة كتاب منحرف لا يحمل علماً فاضلاً ولا فكراً مستقيماً، وإنه وإن كان يعطي تأثيراً معيناً لدى ضعاف النفوس، فإن هذا الكتاب، وأمثاله مصيرهم معروف لدى كل إنسان عاقل مهذب مستقيم شريف(٦٢٩).

الشبهة التاسعة:

زعموا أن السفور حق للمرأة، سلبها إياه المجتمع، أو سلبها إياه الرجل الأناني المتحجر المتزمت، ويرون أن الحجاب ظلم لها وسلب لحقها(٦٣٠).

المناقشة

١. لم يكن الرجل هو الذي فرض الحجاب على المرأة فترفع قضيتها ضده ولتتخلص من الظلم الذي أوقعه عليها، كما كان وَضع القضية في أوروبا بين المرأة والرجل، إنما الذي فرض الحجاب على المرأة هو ربها وخالقها الذي لا تملك –إن كانت مؤمنة- أن تجادله سبحانه فيما أمر به أو يكون لها الخيرة في الأمر، حيث قال سبحانه: ﴿ **وَمَا كَانَ**

(629) انظر: المتبرجات، ص ١١٤-١١٧.

(630) انظر: شبهات حول المرأة موقع صيد الفوائد، عن قضية تحرير المرأة لمحمد قطب، ص ٢١.

لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً مُبِيناً ﴾[٦٣١]

٢. إن الحجاب في ذاته لا يشكل قضية، فقد فرض الحجاب في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ونفذ في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، واستمر بعد ذلك ثلاثة عشر قرناً متوالية وما من مسلم يؤمن بالله ورسوله يقول: إن المرأة كانت في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم مظلومة. فإذا وقع الظلم عليها بعد ذلك حين تخلّف المسلمون عن عقيدتهم الصحيحة ومقتضياتها فلم يكن الحجاب – بداهة- هو منبع الظلم ولا سببه ولا قرينه، لأنه كان قائماً في خير القرون على الإطلاق، وكان قرين النظافة الخلقية والروحية، وقرين الرفعة الإنسانية التي لا مثيل لها في تاريخ البشرية[٦٣٢].

الشبهة العاشرة:

ادعت بعض النساء أن طهارة القلب وسلامة النية، وأن الصوم والصلاة والصدقة والخلق الحسن يغنيان عن الحجاب، إذا التزمت بهم المرأة، فلا داعي للحجاب، فهو مظهر من المظاهر الجوفاء وليس له أهمية ولا ضرورة، ومنهن من زعمت أن حب الله ورسوله كفيلان برضاء الله عنها دون عمل[٦٣٣].

المناقشة

١. إن التي تخرج عن تعاليم الإسلام ثم تدّعي طهارة القلب وسلامة النية كافيان لرضا الله عنه بغير حجاب ولا صوم ولا صلاة أو غير ذلك من الأمور الشرعية التي لا يصح الإسلام إلا بتطبيقها، تعتبر جاهلة، فكأن الله تعالى يوزع رحمته على الناس بمشيئتهم لا بمشيئته، أو أن الله العدل الذي حرّم الظلم على نفسه، وجعله محرماً بين الناس، قد تخلى عن صفاته والعياذ بالله فأعطى المقصر والمسيء كالمحسن العامل ﴿ **ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ**﴾ [٦٣٤]. فما فائدة الجزاء والحساب ؟ ولم خُلقت الجنة والنار[٦٣٥]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿ **فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ**

(631) سورة الأحزاب، الآية (٣٦).

(632) شبهات حول المرأة، موقع صيد الفوائد عن قضية تحرير المرأة، محمد قطب، ص ١٩-٢٠.

(633) انظر: المتبرجات، ص ١٠٢، ١٠٥، ١٠٧.

(634) سورة التوبة، الآية (٣٠).

(635) انظر: المتبرجات، ص ١٠٢-١٠٣.

خَيْراً يَرَهُ ۞ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ ﴾[٦٣٦] فالرحمة تنال بالعمل الصالح، والتقوى والإحسان، وليس القلب قبراً يدفن فيه الإيمان، ولا يظهر على صاحبه آثاره[٦٣٧].

٢. الصوم والصلاة والصدقة والخلق الحسن لا يغنون عن الحجاب للمرأة، فهو فريضة من الله تعالى على المرأة، ونبذ التبرج أيضاً فريضة والله سبحانه وتعالى عندما نهى عن التبـــرج قرنه بإقامة الصلاة وإيتـــاء الزكاة وطاعة الله ورسوله، وذلك في قوله ﴿ **وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ** ﴾ [٦٣٨]. فالحجاب يميز المسلمة المؤمنة عن غيرها من الفاسقات المتبرجات، بل الالتزام بالصلاة والعبادات يجب أن يلزمنا بفريضة الحجاب لقوله تعالى: ﴿ **إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ** ﴾ [٦٣٩].

٣. وإن حال التي تستجيب لبعـــض أوامر الله، وتترك بعضها هي حال من ذمهم الله بقوله: ﴿ **أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ**﴾[٦٤٠].

٤. لو كان الحجاب مظهراً أو جوفاً، لما توعد الله المتبرجات بالحرمان من الجنة وعدم شم ريحها، ولما لعن المتشبهين من الرجال بالنساء والمتشبهات من النساء بالرجال[٦٤١].

الشبهة الحادية عشر:

احتجت بعض النساء أن الحجاب يسبب لصاحبته السخرية والخجل من الناس، ومنهن من تدعي أنها تخشى على نفسها الجنون إذا تحجبت.[٦٤٢].

المناقشة

١. عجباً لمن تخجل من الحجاب، ولا تخجل من نظرات الرجال إلى جسدها، ولا تخجل من عرض مفاتنها رخيصة أمام البر والفاجر، أتخجل من الفضيلة والشرف والحياء، ولا تخجل من الوقاحة والاستهتار.

---

(636) سورة الزلزلة، الآية (٧، ٨)

(637) انظر: المتبرجات، ص ١٠٣.

(638) سورة الأحزاب، الآية (٣٣).

(639) سورة العنكبوت، الآية (٤٥)

(640) سورة البقرة، الآية (٨٥)

(641) انظر: المتبرجات، ص ١٠٦.

(642) انظر: المتبرجات، ص ١٠٢، ١٠٥، ١٠٧.

إن كل من استهزأ بحجاب المرأة المسلمة فهو بمقام من استهزأ بالله وآياته ورسوله حتى لو كان على سبيل المزاح لأنه اعتذار يبررون به فعلهم الدنيء، قال جل وعلا ﴿ **وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ** ﴾ [٦٤٣]. فمن ترتدي الحجاب ترتديه مرضاة لله سبحانه وتعالى، لذا يجب عليها أن لا تأبه لكلام وسخرية المستهزئين، فلا يثنيها ذلك عن عزمها، وتصم أذنيها عن سماعهم، وتستمع لنداء الله لأن فيه سعادتها ونجاتها[٦٤٤].

٢. أمّا من تخشى على نفسها الجنون، لو التزمت بأوامر الله، فلم نسمع أياً من الأخوات الملتزمات بأوامر الله بالحجاب وغيرها أن أصابها الجنون أو مس من الشيطان.

وتذكر فاطمة الزهراء بنت عبد الله موقفاً حدث معها عندما زارتها سيدة متقدمة في السن فرأتها تحمل كتاباً ضخماً من كتب الفقه تبحث فيه عن مسألة فقهية، فقالت لها مشفقة محذرة بعد أن أخذت تحدّق فيها لفترة طويلة: كفاك يا ابنتي تقليباً في هذا الكتاب، ومن التعمق في الدين وإلا خشينا على عقلك من الضياع.

فحاولَتْ إفهامَها أن التعمق في الدين وفهمه، والعمل به، يُصلحُ العقول ولا يُذهبها، لكنها لم تقتنع وأخبرتها عن إنسان جُنّ من الدين، يسير في الشوارع، والأسواق متمتماً ومهرولاً ولا ينظر إلى أحد، فلما سألت عن ذلك الرجل عرفت أنه كان يدرس الفلسفة في شبابه وتعمّق فيها حتى فقد عقله، والفلسفة ليست من الدين، بل إنها تشكك في الدين أحياناً.

٣. إن الجنون آفة تطرأ على العقل، فتغير السلوك والتصرفات، وكل إنسان معرض للإصابة به، ولا دخل لذلك بدينه أو معتقداته[٦٤٥].

الشبهة الثانية عشر:

الاحتجاج بقاعدة "تبدل الأحكام بتبدل الزمان"

فهم أعداء الحجاب من قاعدة تبدل الأحكام بتبدل الزمان وقاعدة "العادة محكمة" أنه ما دامت أعرافهم متطورة بتطور الأزمان فلا بد أن تكون الأحكام الشرعية كذلك[٦٤٦].

---

(643) سورة التوبة، الآية (٣٠).

(644) انظر: المتبرجات، ١٤٠-١٤١.

(645) انظر: نفس المصدر السابق، ص١٤٤-١٤٥.

(646) انظر: عودة الحجاب، ٤٠٨/٣-٤١٠.

المناقشة

لا ريب أن هذا الكلام لو كان مقبولاً على ظاهره لاقتضى أن يكون مصير شرعية الأحكام كلها، هنا بيد عادات الناس وأعرافهم وهذا لا يمكن أن يقول به مسلم، لكن تحقيق المراد من هذه القاعدة أن ما تعارف عليه الناس وأصبح عرفاً لهم لا يخلو من حالات:

١. إما أن يكون هو بعينه حكماً شرعياً أيضاً بأن أوجبه الشرع، أو كان موجوداً فيهم فدعا إليه وأكده مثال ذلك: الطهارة من النجس، والحدث عند القيام إلى الصلاة، وستر العورة فيها، وحجب المرأة زينتها عن الأجانب، والقصاص والحدود وغيرها، فهذه كلها أمورٌ تعد من أعراف المسلمين وعاداتهم وهي في نفس الوقت أحكام شرعية يستوجب فعلها الثواب وتركها العقاب.

٢. وإما أن يكون حكماً شرعياً ولكن تعلّق به الحكم الشرعي بأن كان مناطاً له، مثال ذلك: ما يتعارفه الناس من وسائل التعبير وأساليب الخطاب والكلام، وما يتواصفون عليه من الأعمال المخلّة بالمروءة والآداب، وما تفرضه سنة الخلق والحياة في الإنسان مما لا دخل للإرادة والكيف فيه كاختلاف عادات الأقطار في سن البلوغ، وفترة الحيض والنفاس إلى غير ذلك.

فهذه الأمثلة أمور ليست بحد ذاتها أحكاماً ولكنها متعلّقة ومناط لها، وهذه الصورة من العرف هي المقصودة من قول الفقهاء "العادة محكمة" فالأحكام المبنية على العرف والعادة هي التي تتغير بتغير العادة، وهنا فقط يصح أن يقال: لا ينكر تبدل الأحكام بتبدل الزمان"

وهذا لا يعد نسخاً للشريعة لأن الحكم باق، وإنما لم تتوافر له شروط التطبيق، فطبّق غيره، يوضحه أن العادة إذا تغيرت فمعنى ذلك أن حالة جديدة قد طرأت تستلزم تطبيق حكم آخر، أو أن الحكم الأصلي باق، ولكن تغير العادة استلزم توافر شروط معينة لتطبيقه[٦٤٧].

وهكذا تم دحض شبهات أعداء حجاب المرأة المسلمة، ولتعلمي أختي المسلمة أن حجابك هو سترك وأدبك وعفتك وطهارتك، فإياك أن تنجري وراء كلمات معسولة، ثبت زيفها والتزمي حيث أمرك الله بلباس الحشمة والوقار، قال تعالى: ﴿ **وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ**﴾[٦٤٨].

---

(647) انظر: عودة الحجاب، ٤٠٩/٣-٤١٠.

(648) سورة الأعراف، الآية (٢٦).

المطلب الثاني: الاختلاط والخلوة

الشبهة الأولى:

قال دعاة الاختلاط إن المرأة في حاجة إلى أن تخرج للمجتمع لتتعلم، ولتعمل ولتشارك في أتـــراح الحياة وأفراحها، وكل هذا يفرض عليها الاختلاط بالرجل، الذي قد يكون زميلاً لها فـــي الدراسة أو العمل، أو معلماً في المدرسة، أو أستاذاً في الجامعة، أو رئيساً في العمل أو مرءوساً أيضاً، أو طبيباً في العلاج وغيره.. وقالوا: كيف يمكن أن تعيش المرأة بغير الرجل في عصر تشابكت فيه العلاقات وتعقدّت، ولم يعد ممكناً أن تسجن المرأة في قفص المنزل حتى لو كان هذا القفص من ذهب، فلن يعدو كونه سجناً!

ويتساءلون لماذا يباح للرجال ما لا يباح للنساء؟ لماذا يستمتع الرجل بالهواء الطلق، وتحرم المرأة منه؟ ولماذا نسيء الظن بالمرأة، وهي ليست دون الرجل ديناً وعقلاً وضميراً؟؟

ولِمَ يشدد الإسلام على المرأة، ولِمَ كل هذه القيود على الاختلاط؟ (٦٤٩)

المناقشة:

١. لقد ظلم هؤلاء المستغربون المرأة وأرادوا أن يفرضوا عليها التقاليد الغربية بما فيها من فساد، وتحلل من القيم، وانحراف عن سواء الفطرة، وبعد عن منهج الله القويم، وهم يريدون من المرأة أن تتبع سنن المرأة الغربية شبراً بشبر وذراعاً بذراع متغافلين ما تشتكي منه المرأة الغربية، وما جرّ عليها الاختلاط من سوء العاقبة وعلى الأسرة وعلى المجتمع كله، وقد توالت في الآونة الأخيرة صيحات هؤلاء الغرب من الكتاب والعلماء والأدباء والمصلحين الذين يطالبون بعودة المرأة إلى البيت وأظهروا مخاوفهم على الحضارة كلها من جراء إلغاء القيود في الاختلاط بين الجنسين، وتناسى هؤلاء المقلدون من أبناء المسلمين أن لكل أمة شخصيتها المستقلة، التي تكوّنها عقائدها وتصوراتها للإله والكون والحياة والوجود، وأن لها قيمها وتراثها وتقاليدها، وأنه لا يجوز أن يكون مجتمع ما صورة مكررة من مجتمع آخر(٦٥٠).

٢. إن الناظر في هدى الإسلام يرى أن المرأة لم تكن مسجونة ولا معزولة، بل كانت تخرج من بيتها، فتشهد الجماعة والجمعة في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان عليه الصلاة والسلام يحثهن على أن يتخذن مكانهن من الصفوف الأخيرة خلف صفوف

---

(649) انظـــر: فتاوى للمرأة المسلمة، د. يوسف القرضاوي، طبعة الفرقان الأولـــى، ١٤١٧هـــــ-١٩٩٦م، ص٤٩-٥٠.

(650) نفس المصدر السابق، ص ٥١-٥٢.

الرجال، ولم يكن بين الرجال والنساء أي حائل من بناء أو خشب أو غيره، وكانوا في أول الأمر يدخل الرجال والنساء من أي باب اتفق لهم، فيحدث نوع من التزاحم عند الدخول والخروج فخصص بعد ذلك باب لهن وسمي باسم(باب النساء) .

وكان النساء يحضرن صلاة العيدين، ويشاركن في هذا المهرجان الإسلامي الكبير، الذي يضم الكبار والصغار، والرجال والنساء، في الخلاء مهللين مكبرين(٦٥١).

وكان النساء يحضرن دروس العلم، مع الرجال عند النبي صلى الله عليه وسلم، ويسألن عن أمر دينهن مما قد يستحي منه الكثيرات اليوم.

ولم يشبع ذلك نهمهن لمزاحمة الرجال، واستئثارهم برسول الله صلى الله عليه وسلم، فطلبن لهن يوماً يكون لهن خاصة، لا يغالبهن فيه الرجال ولا يزاحمونهن وقلن في ذلك صراحة. ذهب الرجال بحديثك فاجعل لنا من نفسك يوماً نأتيك فيه تعلمنا مما علمك الله، فقال: "اجتمعن في يوم كذا وكذا، في مكان كذا وكذا"، فاجتمعن فأتاهن رسول الله صلى الله عليه وسلم فعلمهن مما علّمه الله" (٦٥٢)

وتجاوز هذا النشاط النسائي إلى المشاركة في المجهود الحربي في خدمة الجيش والمجاهدين والتمريض وللإسعاف ورعاية الجرحى والمصابين وكتب السيرة مليئة بقصص النساء المشاركات في الجهاد والتعليم والتمريض، وقد عقد البخاري باباً في صحيحه في غزو النساء وقتالهن.

وفي الحياة الاجتماعية شاركت المرأة داعية إلى الخير، آمرة بالمعروف، ناهية عن المنكر، كما قال تعالى: ﴿ **وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ** ﴾ (٦٥٣)

٣. إن إمساك المرأة في البيت، وإبقاءها بين جدرانه الأربعة لا تخرج منه، اعتبره القــرآن عقــوبة بالغة لمن ترتكب الفاحشة من نساء المسلمين، وفي هذا يقول تعالى:﴿ **وَاللَّاتِي**

---

(651) انظر: الإسلام وقضايا المرأة المعاصرة، البهي الخولي، ص١٨١-١٨٢، وفتــاوى المــرأة المــسلمة، القرضاوي، ص٥٤-٥٥.

(652) صحيح البخاري كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب تعليم النبي صلى الله عليه وسلم أمته من الرجال والنساء مما علمه الله ليس برائي ولا تمثيل، رقم الحديث (٧٣١٠)، ٣٩٣/٤. .

(653) سورة التوبة، الآية (٧١)

يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِنْكُمْ فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّى يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلاً﴾[٦٥٤].

فكيف يستقيم في منطق القرآن والإسلام أن يجعل الحبس في البيت صفة ملازمة للمسلمة الملتزمة المحتشمة، والحبس عقوبة دائمة لها من غير ذنب؟[٦٥٥].

٤. إذن اللقاء بين الرجال والنساء ليس محرماً، بل هو جائز أو مطلوب إذا كان القصد منه المشاركة في هدف نبيل، من علم نافع أو عمل صالح، أو مشروع خير، أو جهاد لازم، أو غير ذلك مما يتطلب جهوداً متضافرة من الجنسين، ويتطلب تعاوناً مشتركاً بينهما في التخطيط والتوجيه والتنفيذ ولكن بحدود وقيود شرعية ضابطة لكل لقاء بين الطرفين[٦٥٦] وهي:

أ- الالتزام بغض البصر من الرجل والمرأة، فلا ينظر إلى عورة، ولا ينظر بشهوة ولا يطيل النظر في غير حاجة قال تعالى: ﴿ **قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ۞ وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ** ﴾[٦٥٧].

ب- الالتزام من جانب المرأة باللباس الشرعي المحتشم الذي يغطي البدن ولا يشف ولا يصف، قال تعالى: ﴿**وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ** ﴾[٦٥٨] وقال تعالى: في تعليل الأمر بالاحتشام ﴿ **ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلا يُؤْذَيْنَ**﴾[٦٥٩] .

فهذا الزي يميز المرأة الحرّة العفيفة الجادة من المرأة اللعوب المستهترة، فلا يتعرض أحد للعفيفة بأذى، لأن زيها وأدبها يفرض على كل من يراها احترامها.

ج- الالتزام بأدب المسلمة في كل شيء وخصوصاً في التعامل مع الرجال، فتلتزم في الكلام فيكون بعيداً عن الإغراء والإثارة، وفي المشي والحركة فلا تتكسر

---

(654) سورة النساء، الآية (١٥)

(655) فتاوى للمرأة المسلمة، ص ٥٦، ٧١، ٦٤.

(656) فتاوى المرأة المسلمة، ص ٦٥، وانظر: المرأة بين الفقه والقانون، ص ١٨٥.

(657) سورة النور، الآيتان (٣٠-٣١)

(658) سورة الأحزاب، الآية (٥٩)

(659) سورة الأحزاب، الآية (٥٩)

ولا تتمـــايل، حيـــث قـــال الله تعالى ﴿**وَلا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيعْلَمَ مَا يُخفِينَ مِنْ زِينَتِهِنّ** ﴾[٦٦٠].

د- أن تتجنب كل ما شأنه أن يثير الغرائز ويغري الرجال من الروائح العطرية، وألوان الزينة التي ينبغي أن تكون للبيت لا للطريق، ولا للقاء مع الرجال.

ه- الحذر من أن يختلي الرجل بامرأة وليس معها محرم، فعند الخلوة يكون ثالثهما الشيطان.

و- أن يكـــون اللقاء فـــي حدود ما تفرضه الحاجة، وما يوجبه العمل المشترك دون إســـراف أو توســـع يخـــرج المرأة عن فطرتها الأنثوية، أو يطعن في عرضها، أو يعطلها عن واجبها المقدس في رعاية البيت وتربية الأجيال[٦٦١].

الشبهة الثانية:

يدّعي دعاة الاختلاط أن اختلاط الرجال بالنساء يكسر الشهوة ويهذب الغريزة ويزيل حدة إثارة الدافع الجنسي ويخفف من الكبت ويبعد الفساد لدى كل من الرجل والمرأة، وأن الفصل يؤجج الشهوة، ويلجئ إلى طلب الجنس ولو من المثل[٦٦٢].

المناقشة:

١. هذه الدعوى ضرب من الإرهاب الفكري المقيت، يحصر فيه الناس بين خيارين، إما الاختلاط أو الشذوذ، ولا اعتبار للحلال والطيب عندهم ويقول الدكتور إبراهيم الأزرق: "إن الشرف ليس جوهراً قائماً منفصلاً أو متبعضاً عن غيره، وكذلك العفة ليست كائناً يمشي على الأرض ويمسك باليد، بل هي قائمة في النفوس، وإن الصفات والأعراض قابلة للتأثر إذا لم تُصن، فالخفرات الخوذ[٦٦٣] إذا خرجن فأكثرن التعرض لأشعة الشمس الحارقة، مالت نحو السواد أبشارهن وقلوبهن البيضاء"، ثم يتابع ليبين أثر الاختلاط قائلاً:

---

(660) سورة النور، الآية (٣١)

(661) انظر: فتاوى المرأة المسلمة، القرضاوي، ص٦٥-٦٨.

(662) تحريم الخلوة بالمرأة الأجنبية، والاختلاط المستهتر، محمد بن لطفي الصباغ، مكتبة العلم ١٤٠٠هـ - ١٩٩٨م، ص ٢٢، وانظر: الاختلاط بين الواقع والتشريع، إبراهيم بن عبد الله الأزرق، محرم/١٤٢٥هـ، مكتبة صيد الفوائد، ص ٦٥.

(663) معنى الخفرات الخوذ: والخفارة الجارية استحيت أشد الحياء من خفر وخفرة وخور المـــرأة الـــشابة، انظر: المنجد في اللغة، ص ١٨٨،١٩٨.

"وكم رأيت إنساناً يتقاطر الحياء من محياه، فعاد إليك بعد أن خالط أقواماً لم يتركوا في وجهه قطرة ماء"[٦٦٤].

٢. إن الاختلاط يزيد من شدة إثارة الدافع الجنسي، ولو أنّ اختلاط الرجل بالمرأة غير المحرمة عليه يخفف من حدة الدافع الجنسي لدى كل من الرجل والمرأة لتبين أن هذا الدافع يخف تدريجياً، ثم يصل إلى درجة الانعدام عند كل واحد من الزوجين بعد فترة زواجهما، لشدة اختلاط أحدهما بالآخر بشكل دائم، ولكن الواقع عكس ذلك، إذ يستمر هذا الدافع لدى كل منهما ما دام أنه سويّ في صحته الجسمية والعقلية[٦٦٥].

٣. لقد ظهر زيف هذه الدعوى يوماً بعد يوم في المجتمعات التي يتزايد فيها الاختلاط، ففي كل يوم يزداد فيه الاختلاط، تزداد فيه سعار الشهوة الجنسية، ويزداد الفساد،وإليك مقالاً واحداً على أن حياة الغرب ترد إلى الحضيض: فقد ذكرت جريدة الشرق الأوسط أن الطالب الأمريكي (جوفوتس) والبالغ من العمر (١٩) عاماً قد أطلق النار على أستاذه (جيمس بونجي) داخل إحدى قاعات الدروس في مدرسة (سانتا مونيكا) في كاليفورنيا فأرداه قتيلاً على الفور، وذكر بيان لرجال الشرطة صدر في وقت لاحق أن خلافاً قديماً قد نشب بين الطالب وأستاذه بسبب التنافس على حب إحدى الطالبات[٦٦٦].

وتشير بعض التقارير إلى أن أكثر من تسعين بالمائة من النساء غير المتزوجات في أوروبا وأمريكا يمارسن الزنا إما بطلاقة أو من حين إلى آخر.

إذن قد ثبت في الواقع خطر اختلاط الرجال بالنساء، وأن ذلك مدعاة للفاحشة، والوقوع في الرذيلة، وهذا أمر يدركه كل عاقل، ويتغافل عنه من كان في قلبه مرض.

فميل الجنسين أحدهما للآخر أمرٌ غريزي، والعجب أن الأمم الغربية بدأت تعمل على الفصل بين الجنسين في كليات كثيرة بلغت المائة وسبعة في الولايات المتحدة عام ١٩٧٧م، وفي اليابان المتقدمة صناعياً جامعات خاصة للذكور وأخرى للإناث، وجاء الفصل بين الجنسين أيضاً في المدارس العامة وفي أوروبا تمت عمليات الفصل في أعداد كثيرة من الكليات والجامعات.

---

(664) الاختلاط بين الواقع والتشريع، إبراهيم الأزرق، ص ٦٥-٦٦.

(665) انظر: شبهات حول المرأة الاختلاط، موقع صيد الفوائد عن عوامل الانحراف الجنسي ومنهج الإسلام في الوقاية منها وعلاجها، عبد الرحيم صالح عبد الله، ص ١١٧.

(666) تحريم الخلوة بالمرأة الأجنبية والاختلاط المستهتر، ص ٢٣، عن جريدة الشرق الأوسط، العــدد ١٤٧، تاريخ ٤/١٢/١٩٧٨م.

وقد شجع الرئيس الأمريكي الحالي (بوش) عدم الاختلاط ووعد برصد أموال أكثر لكل مدرسة غير مختلطة.

وهذا الفصل جاء بعد معاناة كبيرة من المشاكل التي حدثت من جراء الاختلاط من زنا وشذوذ جنسي، وأمراض، وانتهاك لمكانة المرأة، وظلم لها من قبل الرجال الذين لا ينظرون إليها إلا نظر شهوة وتلذذ(٦٦٧).

الشبهة الثالثة:

ينادي بعض الناس بالاختلاط في المدارس للصغار بحجة أن ذلك لا يضرهم ولا يؤثر عليهم، وبحجة أن المرأة أشد لباقة وأحسن معايشة للصغار.

المناقشة:

١. إن فكرة الاختلاط في التعليم أو في العمل أو غيره بين الرجال والنساء فكرة ماسونية، وبذورها استعمارية دخيلة على الأمة، وهي أشد ضرراً على الأمة الإسلامية من الدعوة إلى السفور علانية ونزع الحجاب، لأنها تشتمل على هذا كله وأكثر منه(٦٦٨).

٢. من نتائج الاختلاط في التعليم: ضعف المستوى التعليمي، وتدني نسبة الاستفادة العلمية، ومن يزور بعض الفروع الجامعية المختلطة، أو ينظر في نتائج الامتحانات آخر العام الدراسي يتضح له ذلك.

وقد زار بعض الكتّاب مدرسة في بلجيكا، ولاحظ أن جميع طلابها بنات، فلما سأل عن سبب ذلك أجابته المديرة بقولها: "قد لمسنا أضرار اختلاط الأطفال حتى في سن المرحلة الابتدائية"(٦٦٩).

"ويخمّن القاضي الأمريكي (لندسكي) أن ٤٥% من فتيات المدارس يدنسن أعراضهن قبل خروجهن منها، وترتفع هذه النسبة في مراحل التعليم العالية"(٦٧٠).

---

(667) انظر: شبهات حول المرأة الاختلاط، موقع صيد الفوائد، وانظر: مقال الاختلاط بين الجنسين حججهم وردودنا موقع صيد الفوائد، وانظر: الاختلاط بين الواقع والتشريع، ص ٦٦،

(668) انظر: مهلاً يا دعاة الاختلاط، محمد بن ناصر الجعوان، ص ٣٠، موقع صيد الفوائد.

(669) انظر: المرأة المسلمة، وهبي سليمان غاوجي الألباني، دار القلم، دمشق- بيروت- ط١، ١٣٩٥هـ-١٩٧٥م، ص٢٤٣.

(670) نفس المصدر السابق، ص ٢٤٦.

فالاختلاط يؤدي إلى انتشار جرائم الزنا واللواط بين الصغار والكبار، تقول اللادي كوك الغربية: "إن الاختلاط يألفه الرجال، ولهذا طمعت المرأة بما يخالف فطرتها، وعلى قدر كثرة الاختلاط، تكون كثرة أولاد الزنا، وها هنا البلاء العظيم على المرأة"[٦٧١].

٣. يجيز الإسلام للمرأة أن تجتمع مع الرجال في مجالس العلم، على أن تكون منفصلة عنهم أو أن تكون ملتزمة بآداب الإسلام في اللباس والمشي والحركة، دون أن ينظر بعضهم إلى بعض، فالإسلام يعترف بحق المرأة بالعلم ولكن مع الحرص على إبعادها عن مواطن الشبهات ومزالق الشهوات، حتى تبقى سمعتها الطاهرة الطيبة، وقد قامت حضارة الإسلام الزاهرة التي فاقت كل الحضارات في نبلها وسموها وإنسانيتها على الفصل بين الجنسين[٦٧٢].

(671) مهلاً يا دعاة الاختلاط، ص ٢٣٤.

(672) انظر: المرأة بين الفقه والقانون، ص ١٨٥-١٨٦.

المبحث الثاني

الميراث والدية والشهادة

حاول أعداء الإسلام النيل من نظام الإسلام ومهاجمته، واستدلوا في هجومهم على أن المرأة ظلت فيه مظلومة، لأن للذكر مثل حظ الأنثيين في الميـراث، واسـتغلوا هـذه القسمة، وقالوا: إن الإسلام لم يسوّ بين الذكر والأنثى في بعض الحقوق كـالميراث والـشهادة والدية، وجعل حظ الأنثى فيهم النصف، فكان الهجوم والاعتراض على النصف، وقالوا: هـذا تفريق ينافي العدل(٦٧٣).

المطلب الأول: الميراث

الشبهة الأولى:

ظهرت في العالم الإسلامي حركات التحرر النسائية التي تزعم أنها تريد رفع ما وقـع على المرأة من ظلم سواء كان حقيقة أو شعوراً خاصاً بها، وتسعى لنيل ما حرمت منـه مـن حقوق بصرف النظر عن مشروعيتها، لذا أعلنت إحدى النساء في أحد المؤتمرات النسائية أن نظام الميراث في الإسلام يجب أن يساوي بين الرجل والمرأة، بتقسيم الميراث بالمساواة بـين الرجل والبنت وليس كما ينص الشرع.

ومن المؤسف أن بعض الدول الإسلامية جرت وراء التقليـد واسـتجابت لـصيحات النساء المتحررات فقضت بمساواة المرأة مع الرجل في الميراث خروجاً على أمر الله. (٦٧٤)

المناقشة:

١. إن أعداء الإسلام يقذفون هذه الشبهة في صفوف الأجيال المسلمة بشكل غـامض لإثـارة العواطف الأنانية عند الإناث، فهذا إدعاء باطل ولم يقصد به إلا الهجـوم علـى الإسـلام والنيل من تشريعاته دون تفكير أو منطق، فنظام الإرث في الإسلام نظام مثـالي واقعـي، أثبت تقديره للمرأة ورعايته لحقوقها، فالإسلام أعطاها حق الميراث خلافاً لما كـان عليـه عرب الجاهلية وكثير من الشعوب القديمة، وبعض الطوائف اليهودية والنصرانية وكثيـر

(673) انظر: أجنحة المكر الثلاثة، ص ٥٨٣، مؤتمرات بين الجهالة والعدالة، مؤتمرات بين الجهالة والعدالة، محمد علاء الدين أبو العزائم، ص ٢١-٢٢، شبهات وأباطيل لخصوم الإسلام حـول ميـراث المـرأة، رفعت مرسي طاحون، انظر: موقع صيد الفوائد.

(674) مؤتمرات بين الجهالة والعدالة، ص ٢١-٢٢.

من الشعوب المعاصرة، التي منعت المرأة من جلّ حقوقها ومنها الميراث، قال تعالى: ﴿ **لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيباً مَفْرُوضاً**﴾[٦٧٥]. وكفى بهذا إنصافاً للمرأة حيث قرر مبدأ المساواة في الاستحقاق[٦٧٦].

٢. الإسلام لم يكن جائراً حينما جعل نصيب المرأة نصف نصيب الرجل، كما في قوله تعالى: ﴿**يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ** ﴾[٦٧٧]. إن المسألة مسألة حساب لا عواطف وادعاء، فقد حفظ الإسلام حق المرأة على أساس من العدل والإنصاف والموازنة، فنظر إلى واجبات المرأة، والتزامات الرجل وقارن بينهما، ثم بين نصيب كل منهما على أساس هذا التقدير، فكان من العدل أن يأخذ الابن (الرجل) ضعف الابنة (المرأة)، وليس من العدل أن يعطي المكفى بنفقة غيره عليه، والذي يأخذ المال غالباً لأجل رفاهية نفسه، مثل ما يعطي المسؤول عن نفقة نفسه وزوجه، ونفقة أصوله وفروعه إذا كانوا محتاجين للنفقة[٦٧٨].

٣. فرّق نظام الإسلام في توزيع التركات بين نصيب الذكور ونصيب الإناث في معظم الأحوال.

ملاحظاً الأمور التالية:

أ- نظر الإسلام إلى المرأة نظرة رحمة لما تتحمله من أعباء حملها ورضاعها وتربية أبنائها، وتدبير منزل الزوجية، وخدماتها فيه، فأعفاها من واجبات السعي لاكتساب الرزق، ولم يحملها مسئوليات أعباء المعيشة، لا لنفسها ولا لغيرها لئلا يجمع عليها عبئين في الحياة، وليصونها من التبذل وليقيها متاعب الكدح خارج منزلها، وألقى كل هذه الأعباء والمسؤوليات على الرجل دون أن يمنعها من العمل الشريف إذا هي اختارت ذلك[٦٧٩].

فالمرأة غير مسئولة عن نفقة نفسها، فهي إن كانت بنتاً فالنفقة مسئولية أبيها، وإن كانت متزوجة فهي مسئولية زوجها، وإن كانت أختاً فهي مسئولية إخوتها، فلا يُلزمها الإسلام

---

(675) سورة النساء، الآية (٧)

(676) انظر: المرأة بين الفقه والقانون، ص٣٣، أجنحة المكر الثلاثة، ص ٥٨٣، مؤتمرات بين الجهالة والعدالة، ص ٢٢، شبهات وأباطيل لخصوم الإسلام حول ميراث المرأة، موقع صيد الفوائد.

(677) سورة النساء، الآية (١١)

(678) انظر: أجنحة المكر الثلاث، ص ٥٨٣، انظر: مؤتمرات بين الجهالة والعدالة، ص ٢٣.

(679) انظر: أجنحة المكر الثلاث، ص ٥٨٤.

أن تنفق شيئاً من مالها وإن كانت غنية وزوجها فقير، بل على الفقير المتزوج من غنية أن يقترض من غيره لينفق عليها، وللزوجة أن تشكو زوجها إذا امتنع عن الإنفاق أو قتّر فيه، بالنسبة لما يملك، ويحكم لها الشرع بالنفقة والانفصال، فإن لم يكن لها زوج أو أقرباء ينفقون عليها وكانت فقيرة، فنفقتها واجبة على بيت مال المسلمين، تتقاضاها من صندوق الزكاة أو الصندوق العام[٦٨٠].

ب- في نظام الإسلام عند الزواج يلزم الرجل بأعباء وواجبات مالية لا تلزم بمثلها المرأة، فهو الذي يدفع المهر للزوجة، وينفق على أثاث بيت الزوجية، وعلى الزوجة والأولاد.

وبالتالي فإنه ينقص ماله، وقد يذهب كل ما ورثه، ثم عليه دائماً أن ينفق على نفسه وزوجته وأولاده أما الزوجة فلا تسهم بشيء من نفقات البيت على نفسها وعلى أولادها، ولو كانت غنية. فالمرأة إذن هي المستفيدة من المهر ومعظم نفقات الزواج دون أن تكون مسئولة عن شيء ويزيد مالها بالمهر الذي يدفع لها، وربح المال الموروث حيث تنميه بالتجارة[٦٨١].

ج- من المفيد الإشارة إلى أن قاعدة التصنيف في الإرث المبنية على قوله تعالى: ﴿**لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ**﴾[٦٨٢]، ليست قاعدة مطردة لأن هناك حالات أخرى يزيد نصيب المرأة فيه عن الرجل، فتأخذ وحدها نصف التركة إذا لم يكن للميت فرع وارث وكانت منفردة، أو تشترك هي وأختها في الثلثين أيضاً، إذا لم يوجد فرع وارث غير الابنتين أو الأختين، وأحياناً يكون نصيبها مثل نصيب الذكر كما في الأخوات لأم، فإن الواحدة منهن إذا انفردت تأخذ السدس كما يأخذ الأخ لأم، إذا انفرد، وإذا كانوا ذكوراً وإناثاً، اثنين فأكثر، فإنهم يشتركون جميعاً في الثلث، للذكر مثل حظ الأنثى وأيضاً يتساوى الأب والأم في الميراث، حيث يرث كل منهما السدس إذا كان للميت فرع وارث من الذكور والإناث أو من الذكور فقط، أما إن ترك الميت فرعاً وارثاً من

(680) انظر: شبهات حول الإسلام، محمد قطب، دار الشروق، ط١١، ١٣٩٨هـ- ١٩٧٨م، ص١١٩-١٢٠، وانظر: شبهات وأباطيل خصوم الإسلام والرد عليها، محمد متولي الشعراوي، بدون طبعة مكتبة التراث، بدون تاريخ، ص ٧٢.

(681) انظر: المرأة بين الفقه والقانون، ص٣٥،٣٤، أجنحة المكر الثلاثة، ص ٥٨٤-٥٨٥، وشبهات وأباطيل، الشعراوي، ص ٧٢، وشبهات حول حقوق المرأة، نهى قاطرجي، موقع صيد الفوائد.

(682) سورة النساء، الآية (١١)

الإناث فقط، كان لكل من الأب والأم السدس، ويأخذ الأب بعد ذلك ما زاد من التركة[٦٨٣].

إذن تبين أن المرأة تأخذ النصف وهو الأعم والأغلب، فإنها أيضاً أحياناً تأخذ أكثر من الرجل وأخرى تتساوى مع الرجل، وفي كل الحالات لم ينتقص الإسلام من حقها، وهي المستفيدة في كل الحالات لأنها غير مكلفة بالنفقة على أحد.

فالمال الذي ترثه يبقى لها وحدها لا يشاركها فيه مشارك، وهو معرض للزيادة بما تقبض من مهور وهدايا، فهل في هذا ظلم للمرأة كما يدعي المغرضون؟! [٦٨٤].

٤. قد يقول قائل: "لقد زاد الإسلام إذن في نصيب المرأة من الميراث، إذا لاحظنا أحكامه الأخرى في نظام النفقات، كما قال الطلاب للدكتور مصطفى السباعي: "لقد حابى الإسلام المرأة على حسابنا نحن الرجال"[٦٨٥].

"يرد على ذلك الإمام الشعراوي فيقول: "نعم هو حاباها، ولكن لماذا حاباها، لأن الإسلام راعى المرأة، قد يكون من سلاحها في الحياة أنوثتها، فهو أراد أن يحصنها من أن تستعمل أنوثتها لحياتها، حتى إذا ما ظلت بلا عائل كفاها حقها"[٦٨٦].

فالميراث فيه معنيان:

المعنى الأول: أنه غطاء للتكافل الاجتماعي داخل الأسرة الواحدة، إذ يكون غرم النفقة الواجبة مقابلاً لغنم الميراث.

المعنى الثاني: أن الميراث فيه دعم للترابط الاجتماعي المشعر بوحدة الأسرة، ففيه مساواة للأقارب مما تركه ميتهم. وبذلك نستطيع إدراك حكمة التشريع التي تظهر فيها ميزة الإسلام وعظمته[٦٨٧].

الشبهة الثانية:

تزعم بعض النساء بأن المرأة تعمل وتنفق على بيتها كالزوج، وتشاركه في الأعباء، فلهذا انتفى الحكم التاريخي للآية التي يقول فيها الله عز وجل:﴿ **وَلا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ**

---

(683) انظر: المرأة بين الفقه والقانون، ص٣٣-٣٤، وانظر: مؤتمرات بين الجهالة والعدالة، ص ٢٦-٢٧.

(684) نفس المصدر السابق، ص ٣٤، شبهات حول حقوق المرأة، نهى قاطرجي، انظر: موقع صيد الفوائد.

(685) المرأة بين الفقه والقانون، ص ٣٥.

(686) شبهات وأباطيل خصوم في الإسلام والرد عليها، ص ٧٢.

(687) المصدر السابق، ص ٧٢.

بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبْنَ وَاسْأَلُوا اللَّـــهَ مِـــنْ فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً ﴾(٦٨٨)

هذا القول مرفوض شرعاً، فلو اتفق الزوجان على كتابة شرط عمل المرأة في العقــد فقد صح العقد وبطل الشرط، بخلاف بعض القوانين الغربية، ومنها القــانون الفرنــسي الــذي يشترط مساهمة الزوجة في النفقة، وثبت بطلان ذلك بالتجربة، حيث كثير من النساء الغربيات العاملات يفضلن العودة إلى البيت حيث وجدن أنه ليس من مــصلحة الأســرة والمجتمــع أن تكلف المرأة بالعمل لتنفق على نفسها أو أولادهــا إنمــا الأولــى أن تتفــرغ لــشئون بيتهــا وأولادها(٦٨٩).

المطلب الثاني: الــديـــــة

وشبهة الأعداء في الدية تقول:

لقد جعلت الشريعة دية المرأة التي قتلت خطأ أو التي لــم يــستوجب قاتلهــا عقوبــة القصاص لعدم استيفاء شروطه، بما يعادل نصف دية الرجل.

وقد استغرب بعض خصوم الإسلام هذا بعد أن قرر الإسلام مساواة المرأة بالرجل في الإنسانية والكرامة الاجتماعية، واعتبروا أن هذا ظلم وهضم لحقوق المرأة(٦٩٠).

المناقشة:

١. نعم إن دية المرأة نصف دية الرجل، والسبب في ذلك أن الدية ليست تقديراً لقيمة المقتول الإنسانية، إنما هي تعويض مادي لا معنوي لأهل القتيل جزاء ما لحق بهــم مــن ضــرر مادي.

٢. أما في القتل العمد يوجب القصاص من القاتل سواء كان المقتول رجلاً أو امــرأة وســواء القاتل رجلاً أو امرأة وهذا لأن في القصاص يقص من إنسان لإنسان، والرجــل والمــرأة متساويان في الإنسانية.

---

(688) سورة النساء، الآية (٣٢).

(689) انظر: المرأة بين الفقه والقانون، ص ٣٦، ٢٥٩، وانظر: شبهات حول حقوق المرأة، د. نهى قاطرجي، وشبهات حول الإسلام، موقع صيد الفوائد.

(690) انظر: المرأة بين الفقه والقانون، ص٣٧-٣٨.

أما في القتل الخطأ وما أشبهه فلا بد من التعويض المالي، والعقوبة بالسجن أو نحوه، والتعويض المالي يجب أن تراعى فيه الخسارة المالية قلة وكثرة، ولا يقول عاقل بأن خسارة الأسرة المالية بفقد الرجل كخسارتها بالمرأة؟

٣. إن الأولاد الذين قتل أبوهم خطأ، والزوجة التي قتل زوجها خطأ، قد فقدوا معيلهم الذي كان يقوم بالإنفاق عليهم والسعي في سبيل إعاشتهم.

أما الأولاد الذين قتلت أمهم خطأً، والزوج الذي قتلت زوجته خطأ، فهم لم يفقدوا فيها إلا ناحية معنوية لا يمكن أن يكون المال تعويضاً عنها.

٤. لا توجد قيمة معينة موحدة للدية؟ وذلك لأنها تعويض مادي، والتعويض المادي يقدر بقدره فتفرضه الظروف وتغيره أحوال الناس.

ومما يؤكد هذا المعنى أن القوانين في كثير من الدول العربية جعلت للدية حداً أعلى وحداً أدنى، وتركت للقاضي تقدير الدية بما لا يقل عن الأدنى، ولا يزيد عن الأعلى، وما ذلك إلا لتفسح المجال لتقدير الأضرار التي لحقت بالأسرة من خسارتها بالقتيل، وهي تتفاوت بين كثير من الناس ممن يعملون ويكدحون، فكيف لا تتفاوت بين من يعمل وينفق على أسرته، وبين من يعمل ولا يكلف بالإنفاق على أحد، بل كان ممن ينفق عليه.

٥. أما في المجتمعات التي تقوم فلسفتها على عدم إعفاء المرأة من العمل لتعيل نفسها وتسهم في الإنفاق على بيتها وأطفالها، فإن من العدالة حينئذٍ أن تكون ديتها إذا قتلت معادلة على العموم لدية الرجل القتيل[٦٩١].

المطلب الثالث: الشهادة

جعل الإسلام الشهادة التي تثبت الحقوق شهادة رجلين عدلين أو رجل وامرأتين، وذلك في قوله تعالى في آية المداينة: ﴿ **وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى** ﴾ [٦٩٢]

فقد ذهب أعداء الإسلام إلى أن هذا ظلم للمرأة وانتقاص لقيمتها، ومعاملة لها دون الرجل كرامة ومكانة مع أنه أعلن إكرامها ومساواتها بالرجل بنصوص صريحة واضحة.

---

(691) المرأة بين الفقه والقانون، ص ٣٨-٣٩.

(692) سورة البقرة، الآية (٢٨٢)

المناقشة:

١. ليس اعتبار شهادة امرأتين بشهادة رجل واحد دليلاً أن المرأة تساوي نصف رجل، إنما هذا إجراء روعي فيه كل الضمانات في الشهادة سواء كانت الشهادة لصالح المتهم أو ضده، ولما كانت المرأة بطبيعتها العاطفية المتدفقة السريعة الانفعال، مظنة أن تتأثر بملابسات القضية، فتضل عن الحقيقة، روعي أن تكون معها امرأة أخرى، فقال تعالى: ﴿ **أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى** ﴾ [٦٩٣] وقد يكون المشهود له أو عليه امرأة جميلة تثير غيرة الشاهدة، أو يكون فتى يثير كوامن الغريزة، أو عطف الأمومة إلى آخر هذه العواطف التي تدفع إلى الضلال بوعي أو بغير وعي، ولكن من النادر جداً حين تحضر امرأتان في مجال واحد، أن تتفقا على تزييف واحد، دون أن تكشف إحداهما خبايا الأخرى، فتظهر الحقيقة على أن شهادة الواحدة تعتبر فيما تعد المرأة خبيرة فيه أو مختصة به من شئون النساء[٦٩٤].

٢. لم يكن اشتراط اثنتين مع رجل واحد ليخدش كرامة المرأة وإنسانيتها واحترامها، فالإسلام مع إباحته للمرأة التصرفات المالية، يعتبر رسالتها الاجتماعية هي القيام على شئون الأسرة، وهذا يجعلها ملازمة لبيتها في أغلب الأوقات وخاصة أوقات البيع والشراء، لذا فإن شهادة المرأة في حق يتعلق بالمعاملات المالية بين الناس لا يقع إلا نادراً، وما كان كذلك فليس من شأنها أن تحرص على تذكره حين مشاهدته، فإنها تمر به عابرة لا تلقي له بالاً، فإذا جاءت لتشهد به كان أمام القاضي احتمال نسيانها أو خطأها أو وهمها، فإذا شهدت امرأة أخرى بمثل ما تشهد به زال احتمال النسيان والخطأ، والحقوق لا بد من التثبت فيها، وعلى القاضي أن يبذل غاية جهده لإحقاق الحق وإبطال الباطل[٦٩٥].

٣. ذهب كثير من الفقهاء إلى أنّ شهادة النساء لا تقبل في الجنايات لنفس السبب الذي ذكر سابقاً من أنها غالباً ما تكون قائمة بشئون بيتها، ولا يتيسر لها أن تحضر مجالس الخصومات التي تنتهي بجرائم القتل وما أشبهها، وإذا حضرتها فقلّ أن تستطيع البقاء إلى أن تشهد جريمة القتل بعينيها، وتظل رابطة الجأش، بل الغالب أنها إذا لم تستطع الفرار تلك الساعة، كان منها أن تغمض عينيها وتولول وتصرخ، وقد يغمى عليها، فكيف يمكن بعد ذلك أن تتمكن من أداء الشهادة، فتصف الجريمة والمجرمين، وأداة الجريمة، وكيفية

---

(693) سورة البقرة، الآية (٢٨٢)

(694) انظر: شبهات حول الإسلام، محمد قطب، ص ١٢٠-١٢١.

(695) انظر: المرأة بين الفقه والقانون، ص٣١-٣٢.

وقوعها؟ ومن المسلّم به أن الحدود تُدْرأ بالشبهات، وشهادتها في القتل وأشباهه تحيط بها الشبهة، شبهة عدم إمكان تثبتها من وصف الجريمة لحالتها النفسية عند وقوعها[٦٩٦].

٤. الشريعة الإسلامية قبلت شهادة المرأة وحدها فيما لا يطلع عليه غيرها، أو ما تطلع عليه دون الرجال غالباً، فقد قرروا أن شهادتها وحدها تقبل في إثبات الولادة وفي الثيوبة والبكارة، وفي العيوب الجنسية لدى المرأة، وهذا حين كان لا يتولى توليد النساء وتطبيبهن والإطلاع على عيوبهن الجنسية إلا النساء في العصور الماضية.

٥. فليست المسألة إذاً مسألة إكرام وإهانة، وأهلية وعدمها، وإنما هي عملية تثبُّت في الأحكام، واحتياط في القضاء لها، وهذا ما يحرص عليه كل قضاء عادل.

٦. وبهذا يتأكد لنا أنه لا معنى للتشنيع على الإسلام في هذه القضايا الثلاث واتخاذها سلاحاً للادعاء بأنه انتقص المرأة وعاملها أقل من الرجل كرامة ومكانة[٦٩٧].

---

(696) انظر: المرأة بين الفقه والقانون، ص٣٢.

(697) المصدر السابق، ص ٣٢-٣٣.

المبحـــــث الثـــالـــــث

المســـــاواة

الشبهة التي تدور حول المساواة:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "إنما النساء شقائق الرجال" (٦٩٨).

انطلاقاً من هذا الأصل يقرر أعداء المرأة أن النساء والرجال سواء لهن ما لهم، وعلـيهنّ مـا عليهم، ولا فرق بين الصنفين في جميع الأحكام، لأن النساء شقائق الرجال، فهم يريـدون أن يسوّوا بين الرجل والمرأة في كل وظيفة من وظائف الحياة(٦٩٩).

مناقشة :

١. الفوارق بين الرجل والمرأة الجسدية والمعنوية والشرعية ثابتة قدراً وشرعاً وحساً وعقلاً، حيث قال جل وعلا ﴿ **وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى** ﴾(٧٠٠). فهما يشتركان فـي عمـارة الكون، كلٌ فيما يخصه، ويشتركان في عمارته بالعبودية لله تعالى، بلا فـرق بـين الرجـال والنساء في عموم الدين، في التوحيد والاعتقاد وحقائق الإيمان، والثواب والعقاب، وبلا فـرق أيضاً في عموم التشريع في الحقوق والواجبات كافةً كما سبق توضيح ذلك(٧٠١).

لكن قدر الله سبحانه أن الذكر ليس كالأنثى في صفة الخِلقة والهيئة والتكوين، ففي الذكورة كمال خَلقي وقوة طبيعية والأنثى أنقص منه خِلقةً وجبلّةً وطبيعةً لما يعتريهـا مـن الحـيض والحمل والمخاض والإرضاع وتنشئة الأجيال، ولهذا خلقت الأنثى من ضلع آدم عليه السـلام، فهي جزء منه، تابع له ومتاع له.

كان من آثار هذا الاختلاف في الخلقة الاختلاف بينهما في القُـوى والقـدرات الجـسدية والعقلية والفكرية والعاطفية والإرادية، وفي العمل والأداء والكفاية في ذلك، إضافة إلـى مـا توصّل إليه علماء الطب الحديث من عجائب الآثار من تفاوت الخلق بين الجنسين.

٢.لو حصلت المساواة في جميع الأحكام مع الاختلاف في الخلقة والكفاية، لكان هذا انتكاسـاً في الفطرة، ولكان هذا هو عين الظلم بترجيح المفضول على الفاضل، بل ظلم لحياة المجتمـع

(698) سبق تخريجه، ص٣٣.

(699) انظر: أجنحة المكر الثلاثة، ص ٦٠١، شبهات حول المرأة، صيد الفوائد للنساء فقط.

(700) سورة النجم، الآية (٢٥)

(701) انظر: ص٣٤-٣٧.

الإنساني، لما يلحقه من حرمان ثمرة قــدرات الفاضـــل، والإثقـــال علـــى المفــضول فـــوق قدرته.[702].

٣.وبجانب رفض مبدأ المساواة المطلق، فإن هناك قدراً من المساواة بـــين الرجـــل والمـــرأة، والذي ينبغي أن يطلق عليه لفظ العدل وليس المساواة.

أ. فالمرأة تتساوى مع الرجل في أصل التكليف بالأحكام الشرعية مع بعـــض الاخـــتلاف في بعض الأحكام التفصيلية.

ب. وفي الثواب والعقاب الدنيوي والأخروي في الجملة.

ج. وفي الأخذ بحقها وسماع القاضي لها.

د. المرأة كالرجل في تملكها لما لها وتصرفها فيه.

ه. المرأة لها حرية اختيار الزوج، فلا تكره على ما لا تريد[703].

٤.يقول الأستاذ محمد قطب: "لذلك لا أرى كيف تستساغ هذه الثرثرة الفارغة عـــن المـــساواة الآلية بين الجنسين، إن المساواة في الإنسانية أمر طبيعي، ومطلب معقول، فـــالمرأة والرجـــل هما شقا الإنسانية، وشقا النفس الواحدة، أما المساواة في وظائف الحياة، وطرائقها فكيف يمكن تنفيذها، ولو أرادتها كل نساء الأرض، وعقدت من أجلها المؤتمرات وأصدرت القرارات" ثـــم يقول : "هل في وسع هذه المؤتمرات وقراراتها الخطيرة أن تبدل طبائع الأشياء فتجعل الرجل يشارك المرأة في الحمل والولادة والإرضاع"[704].

ومن ذلك يتبين أنه لا يمكن مساواة المرأة والرجل في جميع وظائف الحياة وما مثل الذين يحاولون أن يساووا بين المرأة والرجل في كل وظيفة من وظائف الحياة إلا كمثل من يحـــاول أن يسوّي بين أعضاء الجسد الواحد في وظائفها الجسدية والنفسية فيكره الأيدي مـــثلاً علـــى مساعدة الأرجل في المشي، دون أن تقوم ضرورة لذلك، ويريد للفكر أن يحب ويشتهي، ويريد لشهوات النفوس أن تعقل وتفكر[705].

وإليكم شهادة إحدى داعيات الحرية والمساواة وهي تتكلم عن تجربة ومعاناة، وبعد زمـــن طويل في درب هذه الحرية والمساواة فتقول الكاتبة الكويتية ليلى العثمان: "ســـأعترف اليـــوم

(702) انظر: شبهات حول المرأة– المساواة، انظر: موقع صيد الفوائد، للنساء فقط.

(703) انظر: المرأة وكيد الأعداء، د. عبد الله بن وكيل الشيخ، ص ٢٢، ارجع إلى مبحث مكانة المـــرأة فـــي الإسلام، ص٣٢.

(704) شبهات حول الإسلام، ص ١٠٦.

(705) انظر: أجنحة المكر الثلاث، ٦٠١-٦٠٢.

بأنني أقف في كثير من الأشياء ضد ما يسمى (حرية المرأة) التي تكون على حساب أنوثتها وعلى حساب كرامتها وعلى حساب بيتها وأولادها، سأقول أنني أحمل نفسي -كما تفعل كثيرات- مشقة رفع شعار المساواة بينها وبين الرجل". ثم ذكرت أنها تتعرض لبعض الأذى والظلم من الرجل، لكن تعقب على ذلك فتقول : " هل يعني هذا أن أتصرف وكأني رجل لا يرده خجل؟! هل يعني أن أتحدى فأفعل ما يفعله الرجل، ما هو مشروع وما هو مرفوض، لأؤكد لذاتي بأنه لا أحد أحسن من أحد، وأننا سواسية وأحرارٌ ولدتنا أمهاتنا؟! هل يعني أن أنظر إلى البيت جنة المرأة التي تحلم به على أنه السجن المؤبد وأن الأولاد ما هم إلا حبل من مسد يشد على عنقي، وإن الزوج ما هو إلا السجان القاهر ثم تتابع وتقول : لا ... أنا أنثى ... أعتز بأنوثتي.. وأنا امرأة أعتز بما وهبني الله، وأنا ربة بيت ولا بأس أن أكون بعد ذلك عاملة أخدم خارج نطاق الأسرة ولكن يا رب اشهد: بيتي أولاً .. ثم بيتي .. ثم العالم الآخر "(٧٠٦).

(706) انظر: رسالة إلى حواء، محمد رشيد العويد، الرسالة الثالثة، دار الوطن للنشر، ط٢، ١٤١٣هـ، ص١٥.

المبحـــث الرابـــع

القـــوامــــــة والطـــلاق والخلـــع

المطلب الأول: القوامة

حـــاول كثيـــر مـــن أعداء الإســـلام التشنيع على الدين الإسلامي من خلال آية القوامة ﴿ **الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ** ﴾(٧٠٧) كدليل على التمييز ضد المرأة وهدفهم تحريض المرأة المسلمة حتى تتمرد على تعاليم الإسلام وتنفر منه، مع أنّ قوامة الرجال على النساء مسألة تفرضها ضرورة الحياة الفضلى.

الشبهة الأولى:

قالوا:أن الإسلام سلب المرأة حريتها وأهليتها، وثقتها بنفسها،إذ جعل الرجل قواماً عليها(٧٠٨).

المناقشة:

٥. إن القوامة في شريعة الإسلام ما هي إلا آلة تنظيمية تفرضها ضرورة السير الآمن للأسرة المسلمة القائمة بين الرجل والمرأة، وما ينتج عنها من نسلٍ طيب، وما تستتبعه من تبعات، وقد اهتدى الناس في كل تنظيماتهم إلى أنه لا بد من رئيس مسئول وإلا عمت الفوضى، وعادت الخسارة على الجميع.

٦. وفي شأن القوامة ما بين الرجل والمرأة هناك ثلاثة أوضاع يمكن أن تفترض في الأسرة:

و. أن يكون الرجل والمرأة قيّمين معاً.

ز. أن تكون المرأة هي القيّم.

ح. أن يكون الرجل هو القيّم.

أما الشركة في القوامة فيستبعد هذا الفرض لأنه سيؤدي حتماً إلى الفوضى والتنازع حيث يرغب كل فريق بأن يعلو على صاحبه، ويستبد به، لكن لو انفرد صاحب القوامة سيطيعوا أمره بدافع من التفاهم والتواد والالتزام، ولله المثل الأعلى القائل ﴿**لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ**﴾(٧٠٩). وأيضاً أثبتت التجربة أن وجود رئيسين للعمل أدعى للفساد والفوضى.

---

(707) سورة النساء، الآية (٣٤)

(708) انظر: أجنحة المكر الثلاث، ص٥٩٧، وانظر القوامة، د. مسلم اليوسف، موقع صيد الفوائد.

(709) سورة الأنبياء، الآية (٢٢).

وأما إسناد القوامة ورئاسة الأسرة إلى المرأة دون الرجل فهو ينافي ما تقتضيه طبيعة التكوين الفطري لكل منهما، وهو يؤدي حتماً إلى اختلال ونقص في نظام الحياة الاجتماعية، وذلك لأن المرأة بصفة عامة عاطفية، انفعالية، تتغلب عاطفتها على عقلها في أي أزمة تمر بها هي أو أحد أفراد أسرتها، والذي يدبّر أموره وأمور غيره بالانفعال، كثيراً ما يحيد عن الطريق المستقيم، ويعرض نفسه وغيره لأزمات كان بالإمكان تخطّيها وعدم الوقوع بها، والعاقل الذي لا يحكمه هواه يستبعد هذا الفرض الذي لا يصلح لقوامة ورياسة الأسرة، والمرأة يحبب إليها أن تجد لدى الرجل ملجأً وسنداً وقوة إرادة.

إن المرأة ذاتها لا تحترم الرجل الذي تسيّره فيخضع لرغباتها، بل تحتقره بفطرتها ولا تقيم له أي اعتبار، والمرأة بحاجة إلى رجلٍ قيّم لها والدليل على ذلك: أن المرأة الأمريكية بعد أن ساوت الرجل مساواة كاملة، وصار لها كيان مستقل عادت فاستعبدت نفسها للرجل فأصبحت هي التي تغازل وتتلطف له ليرضى، وذلك لأنها أحست بضعفها أمام قوة الرجل، فاحتاجت إلى هذه القوة[٧١٠].

وحيث أنه تم استبعاد الأول والثاني لم يبق إلا الثالث الذي حكم به الإسلام وهو أن القوامة للرجل وذلك لأسباب:

السبب الأول: لأن من أهم خصائص القوامة المثلى رجحان العقل على العاطفة، وهذا الرجحان متوافر في الرجال بصفة عامة أكثر من توافره في النساء، ولما كانت القوامة في كل أسرة وظيفة ضرورية من الوظائف الاجتماعية، كان من الحكمة العقلية والواقعية توجيهها لمن يتمتع برجحان العقل على العاطفة، كذلك الرجل بناء على طبيعته التي خلقها الله تعالى يتمتع بقدرات جسمية وعقلية أكبر بكثير من المرأة التي تكون عادة أقل حجماً وقوة. [٧١١] وقد أثبتت التجارب الطبية أن دماغ الرجل أكبر من دماغ المرأة، وأن التلافيف الموجودة في مخ الرجل هي أكثر بكثير من تلك الموجودة في مخ المرأة، وتقول الأبحاث أن المقدرة العقلية والذكاء تعتمدان إلى حد كبير على حجم ووزن المخ وعدد التلافيف الموجودة فيه[٧١٢].

---

(710) انظر: شبهات حول الإسلام، محمد قطب، ص ١٢٢-١٢١، و أجنحة المكر الثلاث، ص٥٩٨-٦٠٠، والقوامة، د. مسلم اليوسف، موقع صيد الفوائد.

(711) انظر: أجنحة المكر الثلاث، ص ٦٠٠، والقوامة، د. مسلم اليوسف، موقع صيد الفوائد، وعمل المرأة في الميزان، د. عبد الله البر، مكتبة صيد الفوائد.

(712) عمل المرأة في الميزان، د. علي البار، موقع صيد الفوائد، وانظر: لمن القوامة في البيت، بقلم عصام بن محمد الشريف، دار الصفوة- القاهرة، ط١، ١٤١٩هـ-١٩٩٩م، ص٢٢-٢٤.

<u>السبب الثاني</u>: أن الرجل هو المسئول في نظام الإسلام عن النفقة على المرأة وبذل المال لها من المهر والتزامات الحياة الزوجية في المأكل والملبس والمشرب والمسكن ونحوها، وهذه المسئولية تجعله أكثر تحفظاً واحتراساً من الاستجابة السريعة للشهوات العابرة، والانفعالات الحادة، بخلاف المرأة في ذلك لأنها بحكم عدم مسؤولياتها عن النفقة، وعن السعي لاكتساب الرزق يقل لديها التحفظ والاحتراس وتكون في أغلب أحوالها ذات استجابة سريعة لشهواتها وانفعالاتها، التي قد تتطلب منها نفقات مالية باهظة، أو تدفعها إلى الشح المفرط، ومن أجل ذلك أيضاً كان الرجل أصلح من المرأة لوظيفة القوامة في الأسرة[٧١٣].

وقد أشار القرآن الكريم إلى هذين السببين المرجحين في قوله تعالى: ﴿ **الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ** ﴾[٧١٤] وقال تعالى في سورة البقرة: ﴿**وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**﴾[٧١٥].

ففضل الله الرجال على النساء برجحان العقل على العاطفة، وهم المسؤولون عن النفقة على أسرتهم لذلك اختار الله الرجل للقيام بوظيفة القوامة على المرأة، بينما المرأة أصلح من الرجل للقيام بوظائف اجتماعية أخرى، جعلهن الإسلام المسؤولات عنها، المكلفات بها، وأولى من القوامة في الأسرة القوامة العامة، سواء أكانت إمارة أو رئاسة أو خلافة أو غيرها، فالرجال بصفة عامة هم الأصلح لتحمل مسؤوليات القوامة العامة، والأقدر على إدارتها، وتدبير شؤونها وهذا هو ما اختاره الإسلام، دين الفطرة[٧١٦].

الشبهة الثانية:

قالوا: إن القوامة تمثل بقايا من عهد استعباد المرأة وإذلالها، يوم أن كانت المرأة كماً مهملاً في البيت، وفكرة مجهولة في المجتمع، وامرأة ذليلة مهينة للزوج، وزعموا أن القوامة تلغي شخصية المرأة[٧١٧].

---

(713) أجنحة المكر الثلاث، ص ٦٠٠-٦٠١، وموقع صيد الفوائد، شبهات حول المرأة القوامة.

(714) سورة النساء، الآية (٣٤)

(715) سورة البقرة، الآية (٢٢٨)

(716) انظر: أجنحة المكر الثلاث، ص ٦٠١، وانظر: القوامة، د. مسلم اليوسف (موقع صيد الفوائد)

(717) انظر: القوامة، د. مسلم اليوسف، موقع صيد الفوائد.

المناقشة:

١. إن الإسلام عندما جعل القوامة للرجل، لم يشرع للرجل الاستبداد بالمرأة، أو التسلط في إدارة الأسرة، ولم يرد أن تكون القوامة سيفاً مسلطاً على المرأة، ولم يلغ شخصية المرأة وإنما شرع القوامة القائمة على الشورى، والتعاون، والتفاهم والتعاطف المستمر بين الزوج والزوجة، قال تعالى: ﴿ **وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ** ﴾(٧١٨)، ولقول الرسول صلى الله عليه وسلم: "أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً، وخياركم خياركم لنسائهم خُلقا"(٧١٩)، ووصيته عليه السلام: "لأنجشه– حاد يحدو بنساء رسول الله صلى الله عليه وسلم ارفق بالقوارير"(٧٢٠)، ويقصد النساء.

٢. ولا يلزم من كون الرجال مزودين بخصائص تؤهلهم لأن يكونوا هم القوامين على النساء، أن تكون قوامتهم استبدادية، استقلالية، ظالمة، آثمة، فالقوامة في الأسرة ولاية صغرى يجب على متوليها ما يجب على ذوي الولايات الكبرى من مشورة وعدل، وتقيد بحدود الله، والمستشارون في هذه الولاية الصغرى، هم أعضاء الأسرة، وأمين سرها المخلص الغيور زوجة الرجل، وتستطيع المرأة العاقلة الحكيمة أن تكون صاحبة السلطان الخفي على قلب صاحب السلطان الظاهر، دون أن تتحمل مسؤوليات القوامة، ومشكلاتها وأعباءها وأخطاءها، والقوامة لها ضوابط يجب أن يلتزم الرجل القيم على أسرته وأهله بها(٧٢١).

٣. إن القوامة في الشريعة الإسلامية لها مدى تقف عنده وتنتهي إليه، فهي لا تمتد إلى حرية الدين، والمعتقد، فليس للزوج أن يكره زوجته على تغيير دينها إذا كانت كتابية، ولا أن يجبرها على اتباع مذهب معين، أو اجتهاد محدد من الاجتهادات الفقهية إذا كانت من أهل القبلة ما دام هذا الرأي لا يعتبر بدعة مضلة، ولا يخالف الحق وأهله.

---

(718) سورة النساء، الآية (٩)

(719) سنن الترمذي، كتاب الرضاع، باب ما جاء في حق المرأة على زوجها، رقم الحديث (١١٦٢)، ٤٦٦/٣، وقال الألباني: حسن صحيح، في صحيح سنن الترمذي، ٥٩٤/١.

(720) مسند أحمد، حديث رقم (١٢٧٨٤) ١٧٢/٣، وعلق عليه شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط الشيخين، مؤسسة قرطبة- القاهرة.

(721) انظر: أجنحة المكر الثلاث، ص ٥٩٨، القوامة، د. مسلم اليوسف موقع صيد الفوائد.

كما لا تمتد القوامة إلى حرية المرأة في أموالها الخاصة، ولا في المساواة بينها وبين الرجل في الحقوق التي أراد الله فيها المساواة، وليس لها طاعته إذا أمرها بمعصية، لقوله صلى الله عليه وسلم: "لا طاعة لأحد في معصية الله إنما الطاعة في المعروف"[٧٢٢].

فإذا كانت قوامة الرجل لا تمتد إلى الحقوق الأساسية للمرأة فما الذي يخيف دعاة تحرير المرأة في قوامة الرجل، فماذا يريدون للمرأة أفضل وأكرم من تلك المكانة المرموقة التي بوأها الإسلام إياها إن كانوا حقاً ينشدون خيراً للمرأة كما يزعمون ولكنهم يريدون تحطيم ذلك الحصن المنيع للمرأة المسلمة المتمثل في قوامة الرجل الذي جعله الإسلام قلعة لحماية المرأة من عاديات الزمان، ورجاله[٧٢٣].

الشبهة الثالثة:

يتصيد أعداء الإسلام من قوله تعالى "واضربوهن" شبهةً ينتقدون بها تعاليم الدين ليضللوا الأجيال الناشئة من فتيان المسلمين وفتياتهم.[٧٢٤].

المناقشة:

١. لما اقتضت الحكمة أن يكون الرجل هو القيّم على زوجته وولي أمرها، اقتضت أيضاً أن يكون لكل منهما حقوق على الآخر وواجبات نحوه.

ومن حقوق الزوج على زوجته أن لا تكون ناشزاً خارجة عن طاعته، ما لم يأمرها بما فيه معصية لله، أو هضم لحقوقها التي شرعها الله لها.

وأية مؤسسة اجتماعية لا بدّ أن يكون في يد صاحب الأمر فيها وسائل يضبط بها نظام هذه المؤسسة حتى لا تتعرّض للفوضى بالفساد فالتفكك والانحلال، وأبرز عناصر وحدة مؤسسة اجتماعية إنما هو عنصر طاعة أعضائها لصاحب الأمر فيها، والخروج عن هذه الطاعة نشوز يجعل المؤسسة منحلة.

٢. وقد أرشدت الحكمة النظرية والتطبيقية الناس إلى استخدام طائفة من وسائل التربية والتأديب للمحافظة على استمرار عنصر الطاعة مهيمناً على أفراد الجماعة، وتتفاوت هذه الوسائل فيما بينها رغبة ورهبة، ورفقاً وشدة، ولطفاً وعنفاً، فبعض أولياء الأمور استغل قوله

---

(722) صحيح الجامع الصغير وزياداته الألباني، رقم الحديث، (١٣٤٧٦) المكتب الإسلامي، ٣٤٨/١، وقال الشيخ الألباني (صحيح)، انظر حديث رقم (٧٥١٩) في صحيح الجامع، المكتب الإسلامي.

(723) انظر: القوامة، د. مسلم اليوسف، موقع صيد الفوائد.

(724) المصدر السابق.

تعالى "فاضربوهن" استغلالاً سيئاً فاستخدم العنف والقسوة في معاملته مع أهله وأسرته، فهذا لا يقره الإسلام لأنه يؤدي إلى الفشل.

٣. أما الحكمـــاء العقلاء فيستخدمون الوســـائل كلها، إلا أنهم يضعون كلاً منها في موضعه، وبذلك يسلـــم لهم الأمر وتسعـــد بهم الجماعة، وهذا ما أرشد إليه الإسلام أولياء الأمور بشكل عام [٧٢٥].

٤. لقد أرشد الإسلام إلى استخدام وسائل التربية والتأديب الحكيمة، وجعلها على مراحل: قال تعالى: ﴿ **واللّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنّ فَعِظُوهُن وَاهْجُرُوهُنّ فِي الْمَضَاجِعِ، وَاضْرِبُوهُن، فَإِنْ اطَعْنَكُمْ فَلا تَبْغُوا عَلَيْهِنّ سَبِيْلا إِنّ اللّه كَانَ عَلِيّاً كَبِيراً** ﴾[٧٢٦]

المرحلة الأولى: الموعظة ولها درجات كثيرة تبدأ بمعاريض القول والإشارات الخفيفة والتلويح ثم ترتقي إلى لفت النظر والتنبيه والتصريح مع الرفق في الموعظة ثم التصريح المصحوب بشيء من العنف، ثم الزجر والتعنيف وأخيراً قد تصل إلى التوبيخ والإنذار [٧٢٧].

المرحلة الثانية: الهجر في المضطجع، وهو أبلغ أنواع الهجر وعقاب ليس بالهيّن على زوجةٍ عاقلة حريصة على زوجها، وللهجر في المضجع درجات بعضها أقسى من بعض يعرفها العقلاء الحكماء من الرجال، وجعل الإسلام الهجر لا يزيد على أربعة أشهر بقوله تعالى ﴿ **لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ** ﴾[٧٢٨] وبعد ذلك إما أن يعودوا إلى معاشرتهن، وإما أن يكون لزوجاتهم الحق بأن يطالبن بالفراق.

المرحلة الثالثة: مرتبة الضرب غير المبرّح الذي يصل إلى أدنى الحدود الشرعية فالضرب المقصود هو ضرب تأديب مصحوب بعاطفة المؤدب المربي، أو كما يفعل أحدنا مع صديقه إذ يدفعه بعيداً عنه عندما يبدي ذاك الصديق تصرفاً لا يليق.

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم في خطبة الوداع: "ألا فاستوصوا بالنساء خيراً، فإنما هن عوان عندكم ليس تملكون منهم شيئاً غير ذلك، إلا أن يأتين بفاحشة مبينة فإن فعلن

---

(725) انظر: أجنحة المكر الثلاث، ص ٦٠٢-٦٠٤، وانظر: شبهات حول الإسلام، محمد قطب، ص ١٢٩.

(726) سورة النساء، الآية (٣٤).

(727) أجنحة المكر الثلاث،ص ٦٠٤، ولمن القوامة، ص٦٩-٧٠.

(728) سورة البقرة، الآية (٢٢٦).

فاهجروهن في المضاجع واضربوهن ضرباً غير مبرح"[٧٢٩]ويقول عطاء: "قلت لابن عباس ما الضرب غير المبرح؟ قال: بالسواك ونحوه"[٧٣٠].

ومنهم من قال: "ينبغي أن يكون الضرب بمنديل ملفوف أو بيده، ولا يضربها بالسياط ولا بالعصا"[٧٣١].

فغالب الظن أن أي امرأة توجّه لها أشدّ درجات الموعظة فلا تستقيم، ثم تهجر أبلغ أنواع الهجر فلا تستقيم أيضاً، إلا أن تكون مبلّدة الحس، سيئة العِشرة، كريهة الطبع، فهي تستحق التأديب بالضرب، أو أن تكون كارهة راغبة في الفراق، فإن لديها من الوسائل ما يبلغها مرادها دون أن تكاره الزوج بالنشوز والعصيان، ويمكنها أن تعرب عما في نفسها منذ استخدام المرتبة الأولى والثانية.

أما إذا لم تعلن رغبتها بمفارقته، فالظاهر من أمرها أنها إمرأة إما أن تكون ممن يصلحهن الضرب، أو أن يكون نصيبها الفراق، إلا أن إهانتها بالفراق ووصفها بأنها امرأة لا تصلح للمعاشرة الزوجية أقسى عليها وأشد من إهانتها بالضرب غير المبرّح[٧٣٢].

١. إن وجود التشريع الذي يأذن للزوج بتأديب زوجته بالضرب في آخر المراحل وبآلةٍ خفيفة لا تتجاوز عود الأراك، لا يعني أن هذا السلاح (الضرب) سيستخدمه كل زوج، فمعظم الأسر المؤدبة بآداب الإسلام لا تعرف في حياتها الهجر في المضاجع، فضلاً عن الضرب، لأن التربية الإسلامية العامة للرجال والنساء متى استوفت شروطها، فلا بد أن تجعل الأسر الإسلامية في وضعٍ من الوئام والتفاهم والود، ولا يسمح بأكثر من استخدام الدرجات الخفيفة من درجات الموعظة التي يشترك فيها كل من الزوجين[٧٣٣].

---

(729) سنن الترمذي، كتاب الرضاع، باب ما جاء في حق المرأة على زوجها، رقم (١١٦٣)، ٤٦٧/٣، وقال الألباني حسن، وقال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح، ومعنى قوله: "عوان عندكم" يعني أسـرى فـي أيديكم، صحيح سنن الترمذي، ٥٩٤/١.

(730) القرطبي، ١٦١/٥.

(731) من أجل تحرير حقيقي للمرأة، محمد رشيد العويد، دار ابن حزم، ط١، ١٤١٣هـ-١٩٩٣م، ص١٠.

(732) انظر: أجنحة المكر الثلاث، ٦٠٤-٦٠٥، وانظر: الراقصون على جراحنا، يمان السباعي، ص ١٨٢، ولمن القوامة، ص٧١-٧٦.

(733) انظر: شبهات حول الإسلام، ص ١٢٩-١٣١، وانظر: أجنحة المكر الثلاث، ص ٦٠٥-٦٠٦، وانظر: شبهات حول المرأة، موقع صيد الفوائد.

المطلب الثاني: الطلاق والخلع

لا يتوقف المستشرقون وتلاميذهم في عالمنا العربي والإسلامي عن إثارة الشبهات وتلفيق الانتقادات ولنظامه وأحكامه التشريعية، ومن ذلك الطلاق والخلع، وهدفهم من ذلك تشجيع المرأة المسلمة في التمرد على تعاليم الإسلام وقيمه ومبادئه.

الشبهة الأولى:

قالوا أن نظام الطلاق في الإسلام جاء فيه الإذن بحل عقــدة النكاح بين الزوجين وفيها إذن بهدم مؤسسة الأسرة بكلمة واحدة(٧٣٤).

المناقشة

١- الزواج شركة بين الرجل والمرأة والأولاد، وإن استمرار شركة الزواج على الوجه الذي يرافقه الخير والسعادة للزوجين، ولسائر أعضاء الأسرة حتى تؤدي وظائفها الاجتماعية أداءً حسناً لا يتم إلا ضمن شروط نفسية وخلقية ومادية وهي:

أ- المودة والرحمة.

ب- التلاؤم الخلقي والطبعي.

ج- تلبية مطالب كل من الزوجين المادية.

والإسلام علم أبناءه وجوب الحفاظ على رابطة الأسرة والتمسك بها، واتبع أساليب متعددة من النواحي التوجيهية والتطبيقية لترسيخ هذه الرابطة.

ففي نطاق التوجيه يعلن القرآن الكريم هذه الوصية ﴿ **وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْراً كَثِيراً**﴾(٧٣٥) والحديث النبوي: "لا يفرك مؤمن مؤمنة، إن كره منها خلقاً رضي منها آخر"(٧٣٦)، ولا يفرك بمعنى لا يبغض.

وفي نطاق التطبيق العملي يخول الرجل الحق في بعض التدابير للإصلاح، بمقتضى قوامته، على المرأة، فإن لم يجد نفعاً فإن الخطاب الإلهي يأمر بالتحكيم في قوله تعالى: ﴿ **وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَماً مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَماً مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلاحاً يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا**﴾(٧٣٧)

(734) انظر: أجنحة المكر الثلاث، ص ٦٠٧.

(735) سورة النساء، الآية (١٩)

(736) صحيــح مسلم، كتاب الرضاع، باب الوصية بالنساء، رقم الحديث ٦٣-١٤٦٩، ١٠٩١/٢.

(737) سورة النساء، الآية (٣٥)

فإن فشلت كل وسائل الإصلاح، فلا يمكن أن تستمر الحياة بين الزوجين، ولماذا يجبر الرجل على العيش مع زوجةٍ يبغضها ولا يطيقها، كذلك الأمر بالنسبة للزوجة.

لذا جاء الشرع بالإذن بحل عقدة النكاح، ولأن الضرورة الملحة الفردية والاجتماعية استدعت ذلك، والإسلام راعى هذه الضرورة.

٢- إنه من الخطأ أن يقال إن الشريعة الإسلامية جعلت انفصال المرأة عن زوجها بكلمة عابرة.. ولماذا يستبعد أن يكون الطلاق بكلمة إذا كان التلاقي بكلمة أيضاً، فكما يقال عند الطلاق كلمة طلقتك، فكذلك هو يدخل إلى الحلال بكلمة زوجني وزوجتك، وأيضاً، فالمرأة التي تعرف أنها ستكون مع زوجها رهن كلمة منه، لينهي هذه العلاقة، لا بد أن تعرف أن الشريعة تحتاط جداً في أن تضع هذه الكلمة في يد أمين عليها، وليس الأمين عليها سوى رجل يخاف ربه ويخشاه ويرعاه في كل أموره، كما قال الحسن لمن استشاره في زوج ابنته "قل له اجعلها عندك، فإن أحبها أكرمها، وإن كرهها لم يظلمها"[٧٣٨]

ولو أن المرأة عرفت ذلك أيضاً ووعته، وأدركت أن فراقها منوط بكلمة، لاحتاطت هي أيضاً كما احتاط لها الشرع في أن تضع هذه الكلمة في يد أمين عليها فاختارت زوجاً ذا خلق ودين كما وصاها رسول الله صلى الله عليه وسلم لقوله: إذا خطب إليكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه، إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد عريض"[٧٣٩] وكذلك الرجل عليه أن يأخذ في اختياره لزوجته منطق الدين ووصية رسوله الأمين "فاظفر بذات الدين تربت يداك" [٧٤٠]

٣- إن الطلاق لا يتم بكلمة واحدة كالزواج، فالتشريع يعطي فرصة وفرصة أخرى بعدها، وإذا عز اللقاء واستحالت الحياة الزوجية والعشرة كان أمراً لا بد منه، ثم إن الرجل إذا أراد أن يعود إلى امرأته لأنه اشتهاها واشتهته، وأحب أن يراجعها فلا رجعة إلا بعد أن تنكح زوجاً غيره، تأديباً لرجولته، وإثارة للغيرة فيه، حتى لا يقف هذا الموقف مرة أخرى، وتأديباً للمرأة حتى لا تكون سبباً في الخلاف المؤدي إلى الطلاق. فالطلاق ليس بكلمة كما يقولون، ولكنه بكلمات، وبكلمات متفرقات قال تعالى ﴿**الطَّلاقُ مَرَّتَانِ** ﴾[٧٤١]

---

(738) شبهات وأباطيل خصوم الإسلام والرد عليها، الشعراوي، ص ٧٣.

(739) سنن الترمذي، كتاب النكاح، باب إذا جاءكم من ترضون دينه فزوجوه، رقم الحديث (١٠٨٤)، ٣٩٤/٣-٣٩٥، وقال الألباني حسن صحيح في صحيح الترمذي ٥٥١/١.

(740) صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب الأكفاء في الدين، رقم الحديث (٥٠٩٠)، ٣٤٦/٣.

(741) سورة البقرة، الآية (٢٢٩)

وبعد ذلك قال الله تبارك وتعالى ﴿**فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ** ﴾ [(٧٤٢)] وإنما الطلاق مرتان على عكس الزواج، لأن الزواج إنما دخل عليه دون تبعات تسبقه، ولكن الطلاق قد يكون بعد تبعات تسبقه، وهو وجود علائق ليس من السهل على القلب البشري أن يتخطاها، وأن يتعداها، كوجود مودة، أو أبناء، وقد يرتبطان على أسباب نكد الحياة من أجل استبقاء البنوة.

لذا لا يصح أن يقال: إن الإسلام جاء يهدم مؤسسة الأسرة، وإنما جاء ليصفّى قضية اللقاء، ونقى هذه المؤسسة من أن تقوم على نكد أو بغض أو فساد[(٧٤٣)].

٤- لا شك أن هناك كثيراً من المآسي الأخرى التي تنجم عن الطلاق، من تشريد للزوجة والأطفال ومنازعات بين الأهل في المحاكم لا تكاد تنتهي حتى تبدأ من جديد، لكن ما هو الحل؟ هل يكون الحل بإلغاء الطلاق؟ وما العمل في المآسي الأخرى التي تنجم من تحريم الطلاق تلك المآسي التي تعرفها جيداً وعاشتها الدول الكاثوليكية التي لم تأخذ بمبدأ الإباحة؟ وهل يصير البيت له معنىً وأحد الطرفين أو كلاهما يكره الآخر ولا يطيق عشرته، ومع ذلك فالقيد مؤبد والخلاص مستحيل؟ مما أدى إلى وقوع الجريمة، حيث يتخذ الزوج عشيقة يلبي معها دوافع الجنس، والزوجة المنبوذه تتخذ نفس الطريق، والنتيجة هي انحراف الأطفال الذين نشأوا مع أبوين متخاصمين، متشاحنين لا ينتهي لهما خصام، مما اضطرهم بعد ذلك إلى العودة إلى قضية الإسلام في الطلاق، فأباحوا الطلاق ورفعوا عنه القيود، لا لأنهم عادوا إلى الإسلام ولكن أحداث الحياة عضتهم، فلم يجدوا الملجأ إلا أن يذهبوا إلى قضية الإسلام على أنها تحل لهم الوضع الذي يعانون منه. فهل يصح أن يفكر فريق من أبناء المسلمين وضع هذه القيود على الطلاق ليقع فيما وقعوا فيه؟ ثم نرجع ثانيةً إلى الإسلام؟ [(٧٤٤)]

الشبهة الثانية:

من شبهات أعداء الإسلام في موضوع الطلاق: كون الطلاق بيد الرجل وحده، بحيث يتحكم الرجل في بت الحياة الزوجية متى شاء؟ وله الحق في مباشرة تطليق زوجته، أما المرأة لم يجعل لها هذا الحق إلا عن طريق القضاء الشرعي[(٧٤٥)].

---

(742) سورة، البقرة، الآية (٢٢٩)

(743) انظر: شبهات وأباطيل، الشعراوي، ص ٧٤/٧٣.

(744) انظر: شبهات حول الإسلام، محمد قطب، ص ١٣٢-١٣٣، انظر: شبهات وأباطيل خصوم الإسـلام، الشعراوي، ص ٧٤، وانظر: المرأة المسلمة بين نظريتين، صالح محمد جمال، ص ٩٩.

(745) انظر: أجنحة المكر الثلاث، ص ٦١٣، وانظر: المرأة بين الفقه والقانون، ص ١٢٧.

إن (لاشون جيفرسون) المديرة التنفيذية لقسم المرأة في منظمة حقوق الإنسان في مصر تطالب بالمساواة بين المرأة والرجل في حق الطلاق "إن المرأة المصرية التي تسعى للطلاق تجد نفسها بين شرين أحلاهما مر، فإذا طلبت تطليقها للضرر، تَعيَّن عليها مكابدة الحيرة، وعدم اليقين سنوات طويلة، بينما يحسم القضاء دعواها، وإذا سعت للحصول على طلاق سريع كالخلع، وجدت نفسها مضطرة للتنازل عن كافة حقوقها المالية"(٧٤٦)

المناقشة:

لا بد لرد هذه الشبهة من دراسة الاحتمالات الممكنة كلها، وبيان الأصلح منها بشكل منطقي سليم لمقارنة ذلك بما أخذ به الإسلام منها.

ويمكن تصور أربعة احتمالات فيمن يجعل الطلاق بيده ولا بد من مناقشتها:

الاحتمال الأول: أن يجعل الطلاق بيد المرأة وحدها.

المناقشة

لا سبيل لإعطاء المرأة وحدها حق الطلاق لأن فيه خسارة مالية للرجل، وزعزعة لكيان الأسرة، والمرأة لا تخسر مادياً بالطلاق، بل تربح مهراً جديداً وبيتاً جديداً، وعريساً جديداً، وإنما الذي يخسر هو الرجل الذي دفع المهر للمرأة، ويقومُ بنفقة البيت والأولاد، وقد دفع نفقات العرس، وثمن أثاث البيت، فإذا أعطيت المرأة حق الطلاق بمجرد إرادتها، سهل عليها أن توقعه متى اختصمت مع الزوج نكاية به ورغبةً في تغريمه، فقد خلقت المرأة على طباع وسجايا لا توجد غالباً في الرجل، فهي عاطفية أكثر من الرجل وسريعة التأثير والغضب لأتفه الأسباب وتساير عاطفتها في اتخاذ المواقف، فتثور وتنفعل لأوهي الأمور، يقول عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم "تحسن إليها الدهر كله، ثم إذا أسأت إليها مرة تقول ما رأيت منك خيراً قط"(٧٤٧) وهي أيضاً لا تزن الأمور ونتائجها بميزان العقل بقدر ما تزنها بما تدعو إليه العاطفة، وإذا كان الطلاق فيه مصلحة وخير أحياناً، فإنه قد يكون شراً أحياناً إذ به تتفكك الأسرة ويتشتت الأبناء، فلهذا كان هذا الأمر يحتاج إلى تريث وتفكير وأناة، وهذه الأمور لا تتفق مع ما هو الشأن في أغلب النساء، فكان من الحكمة ألا تملك المرأة أمر الطلاق حتى لا تتصرف حسب العاطفة وتطلِّق لأتفه الأسباب. (٧٤٨)

---

(746) انظر: مقال بعنوان "المستشرقون لا يكفون عن التشكيك في عدالة الإسلام" موقع الخليج، ١٤٢٦/٥/٢١هـ www.alkhaleej.ae.

(747) صحيح البخاري، ٣٥٧/١.

(748) انظر: المرأة بين الفقه والقانون، ص ١٢٨/١٢٧، وانظر: أجنحة المكر الثلاث، ص ٦١٥/٦١٤، وانظر: مقال بعنوان: "المستشرقون لا يكفون عن التشكيك في عدالة الإسلام" موقع الخليج.

لذا تؤكد (د. سعاد صالح) عميد الدراسات الإسلامية والعربية للبنات وأستاذة الشريعة الإسلامية في جامعة الأزهر رداً على (لاشون جيفرسون) "أن منح الرجل حق الطلاق ليس تمييزاً له على المرأة، ولكنه يؤكد عدالة التشريع الإسلامي وحرصه على الاستقرار الأسرى، وعدم تعريض الأسرة للانهيار والأولاد للضياع عند حدوث أي خلاف بين الزوجين"[٧٤٩]

الاحتمال الثاني: أن يجعل الطلاق باتفاق الرجل والمرأة معاً.

المناقشة:

وجعل الطلاق بين الرجل والمرأة معاً، أمر يكاد يكون من المستحيل اتفاقهما عليه، إن الإسلام لا يمنع أن يتفاهم الرجل والمرأة على الطلاق، ولكن لا يعلق صحته على اتفاقيهما معاً، ولو ألحت الضرورة على أحد الزوجين فعزم على الحل، وأصر الآخر على بقاء الشركة للإضرار بشريك، لم يستطع أن يصل إلى ما يريد، وبذلك تنمو مشكلة استمرار شركة بموجب إرادة مستمرة من طرف واحد فقط. فمثلاً: ماذا يكون الحال فيما لو أصبحت حياة الرجل مع امرأته شقاءً ليس بعده شقاء، فأراد أن توافقه على طلب الطلاق فأبت؟ وكثير من النساء في مثل هذه الحالة يفضلن عذاب الرجل وتعاسته على راحته، ثم إن المرأة لم تنفق شيئاً على البيت، ولا دفعت مالاً للرجل، فلماذا تربط إرادته بإرادتها في إنهاء الحياة الزوجية؟ وكيف تجبره على أن يعيش مع امرأةٍ كرهها ثم أبت أن توافق على طلاقها منه؟ ومع إلزام الإنسان بما يكره أو لا يوافق مصلحته تنمو عوامل الاحتيال والمكارهة، والتهرب من الواجبات، والانحراف عن الصراط السوي وقد تصل في آخر الأمر إلى حد الجريمة. إذن فهذا الاحتمال مرفوض[٧٥٠].

الاحتمال الثالث: جعل الطلاق عن طريق المحكمة:

المناقشة:

إن جعل الطلاق عن طريق المحكمة كما هو عند الغربيين، قد ثبتت أضراره من جهة، وعدم جدواه من جهة أخرى.

أما أضراره: فلما يقتضيه من فضح الأسرار الزوجية أمام المحكمة، وللمحامين عن الطرفين، وقد تكون هذه الأسرار مخزية، من الخير لأصحابها التستر عليها، لأن معظم أسباب الطلاق تتمثل في أمور لا يصح إعلانها، حفاظاً على كرامة الأسرة وسمعة أفرادها ومستقبل أبنائها وبناتها وأيضاً ليخفف الأعباء عن القضاء الشرعي.

---

(749) موقع الخليج: www.alkhaleej.ae

(750) انظر: المرأة بين الفقه والقانون، ص ١٢٨، وانظر: أجنحة المكر الثلاث، ص ٦١٣.

فلو أن رجلاً اشتبه في سلوك زوجته، وتقدم إلى المحكمة طالباً طلاقها لهذا السبب، كم تكون الفضائح في هذا الموضوع؟ وكم يكون مدى انتشارها بين الأقرباء والأصدقاء والجيران، وبعض الصحف التي تتخذ من مثل هذه القضايا مادة لرواجها(٧٥١).

كما أن حصر الطلاق بيد القاضي أمر أثبتت التجارب عدم جدواه وذلك من نواحٍ عدة منها:

١- الفشل في التقليل من نسب الطلاق وهذا أمر أثبتته إحصاءات الطلاق التي سجلت في تونس حيث أن العدد لم ينقص، بل على العكس من ذلك، ارتفع ارتفاعاً ملحوظاً، رغم أن المبرر الذي قدّم لانتزاع سلطة الطلاق من يد الرجل (الزوج) وإيحاله إلى القاضي هو حماية الأسرة، بإتاحة فرصة للقاضي ليراجع فيها الزوجين، ويحاول الصلح بينهما، فإن الواقع يثبت أن نسبة المصالحات الناجحة ضئيلة جداً، فمن بين ألف وأربعمائة وسبعة عشر قضية منشورة في المحكمة الابتدائية بتونس في الموسم القضائي سنة ١٩٨٠- ١٩١٨م، لم يتم المصالحة إلا في عشر منها، بينما كان الاعتقاد أن تعدد الزوجات وجعل العصمة الزوجية بيد الرجل، وعدم تغريمه لفائدة الزوجية هي الأسباب الرئيسية للطلاق، وأن القضاء عليها سيقلل من نسب الطلاق، ولكن الإحصائيات تثبت أنّ شيئاً من ذلك لم يحدث.

٢- لجوء بعض المحاكم الغربية التي تتوكل بنفسها أمور الطلاق في محاولةٍ منها إلى خفض نسبة الطلاق إلى رفض التطليق إذا لم يكن بسبب الزنا، لذلك كثيراً ما يتواطأ الزوجان فيما بينهما على الرمي بهذه التهمة ليفترقا، وقد يلفقان شهادات ووقائع مفتعلة لإثبات الزنا حتى تحكم المحكمة بالطلاق.

فأي الحالتين أكرم وأحسن وأليق بالكرامة؟ أن يتم الطلاق بدون فضائح؟ أم أن لا يتم إلا بعد الفضائح؟ (٧٥٢)

الاحتمال الرابع:

جعل الطلاق بيد الرجل وحده، وتعطى المرأة فرصاً للطلاق إذا أساء الرجل استعمال حقه، أي أن يكون باستطاعة كل من الزوجين حل هذه الشركة ولكن ضمن قيود.

---

(751) انظر: المرأة بين الفقه والقانون، ص ١٢٨-١٢٩، وانظر: أجنحة المكـر الـثلاث، ص ٦١٥-٦١٦، وانظر: شبهات حول حقوق المرأة في الإسلام، نهى قاطرجي، موقع صيد الفوائد www.saaid.net.

(752) انظر: المرأة بين الفقه والقانون، ص ١٢٩.

المناقشة:

١- قد رأى الإسلام بحكمته العالية أن الأخذ بهذا الاحتمال أكثر صيانةً لبناء الأسرة، من أن يكون عرضةً لعوامل الهدم السريع، فأعطى الرجل بوصفه قيم هذه المؤسسة الاجتماعية، سلطة حل الشركة بينه وبين زوجته بشكل مباشر، ولكن جعل له فرصتيّ روية يرجع فيها عن رأيه، وحمله أعباء النفقات التي ستتبع الطلاق، بعد حمله أعباء النفقات التي استتبعها عقد الزواج، والرجل في الأعم الأغلب أضبط أعصاباً وأكثر تقديراً للنتائج في ساعات الغضب، وهو لا يقدم على الطلاق إلا عن يأس من إمكان سعادته الزوجية مع زوجته[٧٥٣].

٢- إن جعل الطلاق في يد الرجل لا يعني الاستبداد بالمرة وإكراهها على حياة زوجية لا تطيقها، فقد أعطت الشريعة المرأة حق الالتجاء إلى القضاء ليفرق بينها وبين زوجها في الحالات التي لا تستقيم فيها أمور الزوجية، كالتفريق بسبب العيوب والأمراض التي لا يحصل بها مقصود الزواج، والتفريق قد يكون لإعسار الزوج عن الإنفاق، وقد يكون التفريق للشقاق والضرر بين الزوجين، والدليل قوله تعالى: "إن خفتم شقاق بينهما"[٧٥٤] وقد يكون الطلاق بسبب غياب الزوج مدة أقصاها ستة أشهر، لأنها أقصى مدة يمكن أن تصبر خلالها المرأة.

٣- وأيضاً للزوجة أن تشترط أن تكون عصمتها في يدها فتطلق نفسها متى أرادت، وللزوج أن يفوض إليها أمر الطلاق حتى بعد الزواج، ودليل ذلك: أن نساء النبي صلى الله عليه وسلم شكون إليه في يوم من الأيام لقلة النفقة، فنـــزل قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحاً جَمِيلاً ۞ وَإِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْراً عَظِيماً**﴾[٧٥٥] فعن عائشة رضي الله عنها قالت: "خيرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخترنا الله ورسوله فلم يعد ذلك علينا شيئاً"[٧٥٦] فدلت الآية والحديث على أن اختيار الزوجات للدنيا معناه اختيارهن للطلاق. [٧٥٧]

---

(753) انظر: المرأة بين الفقه والقانون، ص ١٢٧-١٢٩، وانظر: أجنحة المكر الثلاث، ص ٦١٥.

(754) سورة النساء، الآية (٣٥)

(755) سورة الأحزاب، الآيتان (٢٨-٢٩)

(756) صحيح البخاري، كتاب الطلاق، باب من خير نسائه، رقم الحديث (٥٢٦٢)، ٣/٣٩٠.

(757) مقال: منح الرجل الطلاق ليس تسلطاً على المرأة، للدكتورة: سعاد صالح، انظر: موقع الخليج.

٤ - أما إذا لم تشترط الزوجة أن تكون عصمتها بيدها أثناء الزواج، ولم يملكها الزوج حق التفويض بعد الزواج، فإن القرآن الكريم أعطاها الحق في طلب المخالعة عن زوجها، وعليه أن يجيبها إلى ما طلبت لقوله تعالى: ﴿ **فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ** ﴾[٧٥٨]

وعلى هذا فالزوجة إذا طلبت الفراق من زوجها مخالعة فيجب عليه أن يلبي طلبها بشرط أن تكون مستندة إلى مبررات مشروعة، فلا يطالبها الزوج في هذه الحالة بالمهر ولا بأية نفقات استتبعها عقد الزواج أو الخطبة.

وإن كانت مطالبتها بذلك مستندة إلى إرادة خاصة بها كان لزوجها الحق بأن يطالب بردّ المهر الذي ساقه إليها لدى عقد النكاح، والحكمة في ذلك أن لا تتخذ النساء من منحها الحق وسيلة لتحصيل المهور، واتخاذ عقد الزواج تجارة قائمة على مصلحة مادية بحتة[٧٥٩].

إذن يتبين مما سبق أن إعطاء الرجل وحده حق الطلاق طبيعي ومنطقي ومنسجم مع قاعدة "الغرم بالغنم"

فليس العيب في نظام الطلاق إذا أساء استخدامه الزوج كأن يفعله نكاية بزوجته ورغبةً في الإضرار بها، أو يطلق زوجته لغرض الاستمتاع بامرأة أخرى، ولا يجوز أن نتهم الإسلام بأنه ظلم المرأة ولم يساوِ بينها وبين الرجل في هذه المسألة، فالسبب هو إساءة استخدام هذا الحق، الذي يحتاج إلى يقظة ضمير المسلم، وعدم إساءته ما وكل إليه من صلاحيات[٧٦٠].

ومن المعلوم أن كل نظام صالح لا بد من وجود قلة تسئ استخدام تطبيقه، فهل يلغي هذا النظام لوجود القلة المسيئة، ثم إن مزيداً من التربية الإيمانية والتوعية الدينية، تقلل من وجود من يسيء استخدام حق الطلاق بطلاق زوجته تعسفاً وظلماً.

---

(758) سورة البقرة، الآية (٢٢٩).

(759) انظر: أجنحة المكر الثلاث، ص ٦١٥، وانظر: موقع الخليج، مقال للدكتورة سعاد صالح.

(760) انظر: المرأة بين الفقه والقانون، ص ١٣٠-١٣١.

المبحث الخامس

تعدد الزوجات والزواج المبكر

المطلب الأول: تعدد الزوجات

الشبهة الأولى:

يشن الغربيون من أعداء الإسلام وخاصة المبشرين والمستشرقين والاستعمار وأذنابهم من أبناء المسلمين حملة قاسية على الإسلام والمسلمين بسبب تعدد الزوجات وقالوا: أن التعدد وحشية لا ترضى وشهوانية غير مقبولة، وأنه علة انحطاط الشرقيين(٧٦١).

المناقشة

١- عجبا !! كيف يجرؤ الغربيون على الثورة ضد تعدد الزوجات المحدود عند المسلمين ما دام البغاء شائعاً في بلادهم؟ فلا يصح أن يقال عن الغرب أن أهله لا يعددون الزوجات ما دام فيها إلى جانب الزوجة الشرعية صديقات وعشيقات من وراء الستار؟ (٧٦٢)

٢- الإسلام لم يبتدع التعدد وإنما حدده، ولم يأمر بالتعدد على سبيل الوجوب، وإنما رخص فيه وقيدّه. فالتعدد كان موجوداً في الأمم القديمة كلها تقريباً عند الأثينيين، والصينيين، والهنود، والبابليين، والآشوريين، والمصريين، والعرب قبل الإسلام لم يكن عندهم عدد محدود، وفي الديانة اليهودية أيضاً أبيح التعدد بدون حد، ولم يرد في المسيحية نص صريح يمنع التعدد(٧٦٣).

٣- جاء الإسلام والرجل يتزوج بما شاء من النساء حتى أسلم بعض أهل الجاهلية وعنده عشر نسوة !! فحصر الإسلام العدد بأربع نسوة فقط، ولما حدده لم يوجبه على عباده، بل أباحه لهم بشروطه من العدل والاستطاعة والدليل قوله تعالى: ﴿**وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلاثَ وَرُبَاعَ** ﴾(٧٦٤)

٤- الأصل الغالب في زواج المسلم أن يتزوج الرجل بامرأة واحدة تكون سكن نفسه، وأنس قلبه وربة بيته، وموضع سره، وبذلك ترفرف عليهما السكينة والمودة والرحمة وهي

---

(761) انظر: المرأة بين الفقه والقانون، ص ٧١، وانظر: قضية تعدد الزوجات بأعين الأمم المعاصرة، عبد الرحمن بن عبد الله السحيم، موقع صيد الفوائد.

(762) قضية تعدد الزوجات، موقع صيد الفوائد،

(763) انظر: المرأة بين الفقه والقانون، ص ٧١-٧٢، وانظر: لماذا الهجوم على تعدد الزوجات أحمد بن عبد العزيز الحصين، دار الضياء، ط١، ١٤١٠ – ١٩٩٠م، ص ٦-١٤.

(764) سورة النساء، الآية (٣)

أركان الحياة الزوجية ولذا قال العلماء يكره لمن له زوجة تعفه وتكفيه أن يتزوج عليها، لما فيه من تعريض نفسه للمحرم حيث قال الله سبحانه وتعالى: ﴿**وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ**﴾ (٧٦٥) وقال النبي صلي الله عليه وسلم "من كانت له امرأتان فمال إلى إحداهما، جاء يوم القيامة وشقه مائل"(٧٦٦) أما من كان عاجزاً عن الإنفاق على الزوجة الثانية أو كان يخشى من نفسه ألا يعدل بين زوجتيه فحرام عليه أن يقدم على الزواج من الأخرى ﴿ **فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً** ﴾(٧٦٧) فيجب على الزوج المعدّد أن يُسَوّي بينهما في النفقة والكسوة، والمبيت، والأكل والشرب. (٧٦٨)

٥- المطلوب إذن هو القسط والعدل وهو غير مضمون التحقيق، وعلى ذلك يكون الأصل في الإسلام هو وحدانية الزواج، ولكن هناك حالات تكون فيها الوحدانية ظلماً لا عدالة فيه، وعند ذلك يلجأ إلى تشريع الضرورة، مع علمه أن العدالة المطلقة فيه غير مضمونة ليتقي ضرراً أكبر بضرر أضعف، وأهم الحالات التي يحتاج فيها إلى هذا التشريع هي:

أ- حالات الحروب التي تفني عدداً كبيراً من الشباب، فيختل الميزان، ويزيد عدد النساء على عدد الرجال عن وجود نساء بلا رجال وشبيه بحالة الحرب، كل حالة يختل فيها التوازن لسبب من الأسباب، فمثلاً الرجال أكثر تعرضاً لحوادث العمل، وحوادث الطرق، وللموت بسبب الأوبئة لأنهم أقل مناعة بالطبيعة من النساء.

ب- عند زيادة النساء على الرجال في الأحوال العادية، كما هو الشأن في كثير من البلدان كشمال أوربا فإن النساء فيها في غير أوقات الحروب وما بعدها تفوق الرجال بكثير، حيث يولد من بين كل أربعة أطفال أو ثلاثة يكون واحد منهم ذكراً والباقون إناثاً، ففي هذه الحالة يكون التعدد أمراً واجباً أخلاقياً واجتماعياً، وهو أفضل من تسكع النساء الزائدات عن الرجال في الطرقات لا عائل لهن ولا بيت يؤويهن، ولا يوجد إنسان يحترم استقرار النظام الاجتماعي يفضل انتشار الدعارة على تعدد الزوجات(٧٦٩).

---

(765) سورة النساء، الآية (١٢٩)

(766) سنن أبي داوود، كتاب النكاح، الباب في القسم بين النساء، رقم الحديث (٢١٣٣) ٣٢٣/٢، دار الفكر، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داوود، ٥٩٣/١.

(767) سورة النساء، الآية (٣)

(768) انظر: مركز المرأة في الحياة الإسلامية، د. يوسف القرضاوي، دار الفرقان، عمان، الأردن، ط١، ١٤١٧هـ، ١٩٩٦ص ١١٨-١١٩.

(769) انظر: شبهات حول الإسلام، محمد قطب، ص ١٣٥-١٣٦، وانظر: المرأة بين الفقه والقانون، ص ٨١-٨٤، وانظر: مركز المرأة في الحياة الإسلامية، ص ١٢٤-١٢٥.

وهناك حالات فردية معروفة لدى الفقهاء يكون تعدد الزوجات فيها ضرورة وهي:

الأولى: الطاقة الجنسية الحادة التي لا تكتفي بواحدة ولا يمكن لصاحبها الصبر عليها. فهذه إما أن تأخذ طريقها المشروع إلى زوجة ثانية، وإما أن تتخذ الخليلات في السر، وهو وضع لا يسمح المجتمع النظيف بوجوده، فالحل الأول يعصمه من الوقوع في الحرام.

الثانية: عقم الزوجة، والنسل وهي رغبة بشرية عميقة رفيعة لا حطة فيها، ولا عيب في اشتهائها فإذا رضيت الزوجة الأولى الاشتراك مع غيرها كان بها، وإلا فأمامها طريق الانفصال إذا كانت لا تطيق. وغالباً ما تفضل الزوجة أن تبقى ولها شريكة أخرى في حياتها الزوجية، على أن تفقد بيت الزوجية، ثم لا أمل لها بعد ذلك فيمن يرغب في الزواج منها بعد أن يعلم أن طلاقها كان لعقمها. فلا شك أن المرأة الكريمة العاقلة تفضل التعدد على التشرد، ولهذا نرى كثيراً من الزوجات العقم يفتشن لأزواجهن عن زوجة أخرى تنجب لهم الأولاد.

الثالثة: حالات المرض الدائم الذي يمنع الاتصال. فالزوج هنا بين حالتين: إما أن يطلقها وليس في ذلك شيء من الوفاء والمروءة ولا من كرم الأخلاق، وفيه من الضياع والمهانة للمرأة المريضة معاً، وإما أن يتزوج عليها أخرى ويبقيها في عصمته، لها حقوقها كزوجة، ولها الإنفاق عليها في كل ما تحتاج إليه من دواء وعلاج، وطبعاً هذه الحالة أضمن لسعادة الزوجة المريضة وزوجها على السواء[٧٧٠].

الرابعة: أن يشتد كره الزوج لها بحيث لم ينفع معه علاج التحكيم والطلاق الأول ولا الثاني، وما بينهما من هدنة العدة التي تمتد في كل مرة ثلاثة أشهر تقريباً، وهنا يجد الزوج نفسه أمام حالتين إما أن يطلقها ويتزوج غيرها، وإما أن يبقيها عنده لها حقوقها المشروعة كزوجة، ويتزوج عليها أخرى، والحل الثاني أكرم للزوجة الأولى، وأضمن لمصلحتها خصوصاً بعد تقدم السن وإنجاب الأولاد.

الخامسة: أن يكون الرجل بحكم عمله كثير الأسفار، وإقامته تطول في البلد الذي يسافر إليه ولا يستطيع أن ينقل زوجته وأولاده معه كلما سافر، وهنا يجد نفسه بين حالين: أما أن يفتش عن امرأة أخرى يأنس بها عن غير طريق مشروع، وإما أن يتزوج أخرى ويقيم معها إقامة مشروعة في نظر الدين والأخلاق والمجتمع. [٧٧١]

---

(770) انظر: شبهات حول الإسلام، محمد قطب، ص ١٣٦-١٣٧، وانظر: المرأة بين الفقه والقانون، ص ٨٥-٨٦، وانظر: مركز المرأة في الحياة الإسلامية، ص ١٢٣-١٢٤.

(771) انظر: المرأة بين الفقه والقانون، ص ٨٥-٨٦، وانظر: لماذا الهجوم على تعدد الزوجات، ص ٢٨.

السادسة: الحصول على الذرية، فكون الزوجة تنجب ولداً واحداً ثم تقف من الإنجاب والإسلام يحث على كثرة النسل، فإذا أراد الرجل الزواج من أجل إنجاب أولاد وتكثير الذرية، فيريد أن يستعين بهم في أعماله الحياتية، أو يريد أن يراهم شباباً مؤمنين، ودعاة مصلحين صادقين، ومجاهدين يدافعون عن أوطانهم في سبيل الله.

السابعة: اختلاف طبيعة الرجل عن المرأة من حيث التكوين الجسماني حيث تمتد فترة الإخصاب في الرجل إلى سن السبعين سنة أو أكثر، والمرأة قابلة للإنجاب إلى سن الخمسين سنة. والفارق بينهما مدة طويلة تقدر بعشرين سنة وهو يريد الإنجاب، فإذا لم يبح للرجال التزوج بأكثر من امرأة يعطل ما يقرب من نصف عمره الطبيعي في الأمة، بتعطيل النسل الذي هو مقصود الزواج[٧٧٢].

٦- فالتعدد إذن ليس وحشية كما يقال أو شهوانية أو علة انحطاط المسلمين، بل هو نظام أخلاقي إنساني. أما أنه أخلاقي لأنه لا يسمح للرجل أن يتصل بأي امرأة شاء، وفي أي وقت شاء فلا يجوز أن يتصل بأكثر من ثلاث نساء زيادة عن زوجته، ولا يجوز له أن يتصل بواحدة منهن سراً، بل لا بد من إجراء العقد وإعلانه ولو بين نفر محدود، ولا بد من تسجيله في محكمة مخصصة لعقود الزواج، ويستحب أن يولم الرجل عليه، وأن يضرب الدفوف مبالغةً في الفرح والإكرام.

وأما أنه إنساني فلأنه يخفف الرجل به من أعباء المجتمع بإيواء امرأة لا زوج لها، ونقله إلى مصاف الزوجات المصونات المحصنات، ولأنه ينتج للأمة نسلاً عاملاً، ولأنه يعترف بالأولاد ويقدمهم للمجتمع ثمرة من ثمرات الحب الشريف الكريم، يعتز هو بهم، وتعتز أمته في المستقبل بهم. بخلاف تعدد الزوجات عند الغرب فهو لا أخلاقي ولا إنساني، إنه لا يقع باسم الزوجات، ولكنه يقع باسم الصديقات والخليلات، ولا يقتصر على أربعة فحسب، بل هو إلى مالا نهاية له من العدد، إنه لا يقع علناً تفرح به الأسرة، ولكنه سراً لا يعرف به أحد.

إنه لا يلزم صاحبه بأية مسؤولية مالية نحو النساء اللاتي يتصل بهنّ، بل حسبه أن يلوث شرفهن، ثم يتركهن للخزي والعار، والفاقة وتحمل آلام الحمل والولادة غير المشروعة. إنه تعدد قانوني من غير أن يسمى تعدد الزوجات، خالٍ من كل تصرف أخلاقي، أو يقظة وجدانية، أو شعور إنساني، إنه تعدد تبعث عليه الشهوة والإنسانية، ويفر من تحمل كل مسئولية. فأي النظامين أليق بالأخلاق وأكبح للشهوة، وأكرم للمرأة، وأدل على الرقي وأبرّ بالإنسانية؟ [٧٧٣]

(772) انظر: لماذا الهجوم على تعدد الزوجات، ص ٢٥-٢٦.

(773) انظر: المرأة بين الفقه والقانون، ص ٩٣-٩٥، ومركز المرأة في الحياة الإسلامية، القرضاوي، ص ١٢٦-١٢٩.

الشبهة الثانية:

قالوا إنّ تعدد الزوجات أبيح للرجل فيه أن يعدد في زواجه مثنى وثلاث ورباع وحُرّم ذلك على المرأة فهذا انتقاض لمكانة المرأة.

المناقشة:

١- إن المساواة بين الرجل والمرأة في نظام الزواج لا ينبغي أن تكون مساواة مطلقة لاختلاف طبيعة كل من الرجل والمرأة، والمساواة بين مختلفين تعني ظلم أحدهما.

فالمرأة لها رحمٌ واحدٌ، وهي تحمل في وقت واحد ومرة واحدة في السنة، ويكون لها تبعاً لذلك مولود واحد من رجل واحد، أما الرجل فغير ذلك، فمن الممكن أن يكون له عدة أولاد من عدة زوجات، ينتسبون إليه ويتحمل مسئولية تربيتهم والإنفاق عليهم، وتعليمهم وعلاجهم، وكل ما يتعلق بهم وبأمهاتهم من أمور، أما المرأة فعندما تتزوج ثلاثة أو أربعة رجال فمن من هؤلاء الرجال يتحمل مسئولية الحياة الزوجية؟ الأول أم الثاني أو الثلاثة كلهم أم الأربعة؟ ثم لمن ينتسب أولاد هذه المرأة متعددة الأزواج؟ أينتسبون لواحد من الأزواج أم لهم جميعاً؟ أو تختار الزوجة أحد أزواجها فتلحق أولادها به؟ وسنة الله في خلقه أن جعل نظام الزوج الواحد والزوجة الواحدة يصلح لكل من الرجل والمرأة، وجعل نظام تعدد الأزواج لا يصلح للمرأة، بينما جعل نظام تعدد الزوجات مناسباً جداً للرجل حيث ينتسب الولد لأبٍ واحد[٧٧٤].

٢- كما أن تعدد الأزواج يمنع المرأة من أداء واجبات الزوجة بصورة متساوية وعادلة بين أزواجها، سواء أكان ذلك في الواجبات المنزلية أو غيرها وبخاصة أنها تحيض ولمدة خمسة أو سبعة أيام في كل شهر، وإذا حملت تمكث تسعة أشهر في معاناة جسدية تحول دون القيام بواجباتها نحو الرجل، وعند ذلك سيلجأ الأزواج بلا شك إلى الخليلات، أو يطلقونها فتعيش حياة قلقة غير مستقرة. فالمجتمع لا يستفيد شيئاً من نظام تعدد الأزواج للمرأة، بعكس نظام تعدد الزوجات للرجل الذي يتيح فرص الزواج أمام كثيرات من العانسات والمطلقات والأرامل.

٣- لو أبيح تعدد الأزواج للمرأة بأن تتزوج ثلاثة أو أربعة رجال لزاد عدد العانسات زيادة كبيرة، وأصبح النساء في وضع اجتماعي لا يحسد عليه، وهكذا فإنه ليس من العدالة في

---

(774) انظر: المرأة بين الفقه والقانون، ص ٩٣-٩٥، وانظر: تعدد الزوجات في الإسلام بقلم محمد بن مسفر بن حسين الطويل، جماعة أنصار السنة المحمدية، أم القرى، ط١، ١٤٢٥هـ، ٢٠٠٤م، ص ٦٤-٦٦، موقع aymanabo@yahoo.com .

شيء أن يباح للمرأة أن تعدد أزواجها بحجة مساواتها للرجل، وليس عدلاً كذلك أن يحرم الرجل من صلاحيته في أن يعدد زوجاته بدعوى مساواته بالمرأة في حق الزواج. (٧٧٥)

الشبهة الثالثة:

زعموا أن الزواج بأكثر من امرأة سببٌ في إثارة الخصام والنزاع بين أفراد الأســرة الواحدة، الأمر الذي يؤدي إلى تفكيك الأسرة، وتشرد الأطفال. وبمعنى آخر يكون التعدد ســبباً للعداوة بين زوجات الرجل الواحد، وتنتقل العداوة بالتالي إلى أولادهن، مما يجعل الحياة فيمــا بينهن نكداً لا يكاد ينتهي(٧٧٦).

المناقشة:

١- إن هذا النزاع يرجع إلى الغيرة الطبيعية التي لا يمكن أن تتخلص منها النفوس البــشرية، فالغيرة موجودة في كل مكان، والغيرة والحزن اللذين تظهرهما المرأة وتحس بهما عندما يتزوج زوجها بأخرى شيء عاطفي، والعاطفة لا يصح أن تقدم في أي أمرْ من الأمــور على الشرع، والضرر الذي يلحق بالمرأة نتيجة التعدد أخف بكثير من الأضــرار التــي تلحق بها في حالة بقائها بدون زوج.

٢- ويلاحظ أن الغيرة بين الزوجات لم تمنع الرسول صلى الله عليه وسلم، ولم تمنع أصحابه من الأخذ بنظام تعدد الزوجات، وتحدث العداوة كثيراً بين الزوجة الواحدة وبين أقربــاء زوجها، وقلَّ ما يرجع الخلاف والنزاع إلى تعدد الزوجات، بل يمكن أن يكون السبب هو تهاون الزوج وضعفه، وعدم عدله وإنصافه في معاملة أهل بيته، هــذا بالإضــافة إلــى ضعف الوازع الديني في نفوس بعض الزوجات، بحيث لا يستطعن كبح جمــاح الغيــرة، ومن ثمّ يعمدن إلى إلحاق الضرر بضرائرهن وتعكير صفو الأســرة، كمــا يلاحــظ أن النزاع بين الزوجات وبين الزوج إنما يحدث في الغالب من أجل الحصول علــى مطلــب من مطالب الحياة الأسرية من مأكل ومشرب وملبس ومسكن مما شابه من ذلــك. وقــد يكون النزاع والخلاف بين الزوج وزوجته من أجل أمه أو أمها، وقد تختلف معه خلافــاً حاداً قد يؤدي إلى الطلاق من أجل أمور أخرى قد تكون تافهة.

٣- إن مثل هذه المشكلات تعتمد في الدرجة الأولى على شخصية الرجل، وعلى قدرته علــى إدارة شئون منزله، فإذا كان عادلاً حازماً، فان النزاع لا يجد طريقاً إلى منزلــه، أمــا إذا كان ضعيف الشخصية فإن النزاع سيدّبٌ بلا شك بين أفراد أسرته، سواء كان له زوجــة

(775) انظر: تعدد الزوجات في الإسلام، بن مسفر، ص ٦٦-٦٧.

(776) انظر: المرأة بين الفقه والقانون، ص٩٠-٩٢، وانظر: تعدد الزوجات في الإسلام، بن مسفر، ص٦٨-٦٩.

واحدة، أم عدة زوجات، وقد يحدث نزاع بين الرجل وزوجته بسبب وجود تنافر بينهما لسوء خلقهما أو سوء خلق أحدهما أو لأن العلاقة بينهما لم تقم على أساس سليم[٧٧٧].

الشبهة الرابعة:

وتقول هذه الشبهة أن التعدد يكون سبباً رئيسياً في إهمال تربية النشء وتشردهم .

المناقشة

١- إن الإهمال ليس سبب التعدد فقط، بل إن له أسباباً كثيرة منها: عدم مبالاة الأب بتربية أولاده، أو انحرافه عن الطريق الصواب، بشرب خمر، أو تعاطي مخدرات، أو لعب قمار، أو مصاحبة رفقاء السوء وغير ذلك. وقد يكون الإهمال نتيجة خلاف الزوجين على أمر من الأمور المتعلقة بشئون الأسرة.

كما أن فقد الأطفال لمن يعولهم ويتعهدهم بالرعاية والتوجيه يعد سبباً من الأسباب التي تحول دون تربيتهم تربية سليمة، ونادراً ما يكون تشرد الأطفال بسبب تعدد الزوجات. [٧٧٨]

الشبهة الخامسة:

زعموا أن تعدد الزوجات يؤدي إلى زيادة أو كثرة النسل، ويؤدي إلى انتشار الفقر والبطالة في البلاد.

المناقشة:

١- وهذا طبعاً منطق غير سليم ومرفوض، وهدف الأعداء منه تحديد نسل المسلمين، فكثرة النسل مع حسن التربية من أعظم عوامل قوة الأمة وازدهارها. ومن أمثلة ذلك: اليابان والصين عندهم تقدم وتطور وازدهار رغم كثرة سكانها بخلاف بعض الدول العربية والأفريقية واستراليا يوجد بها الفقر والبطالة رغم سعة أراضيها وكثرة مواردها، ولو أحسن أهلها استغلالها لزال الفقر واختفت البطالة، واستوعبت تلك البلاد أضعاف من يعيشون فيها.

٢- الإكثار من النسل في البلاد الإسلامية مطلب شرعي وهام "أنكحوا فإني مكاثر بكم"[٧٧٩]، وهو يساعد على زيادة الإنتاج الزراعي والصناعي والتجاري، وبه يستغني المسلمون عن العمالة الأجنبية المخالفة لهم في المعتقد والعادات والتقاليد.

(777) انظر: تعدد الزوجات في الإسلام، بن مسفر، ص ٦٩-٧٠.

(778) نفس المصدر السابق، ص ٧٢-٧٣.

(779) سنن ابن ماجة، كتاب النكاح، باب تزويج الحرائر والولود، رقم الحديث (١٨٦٣)، ١/٥٩٩، وصححه الألباني، صحيح سنن ابن ماجة، ٢/١٢٤.

٣- إن كثرة النسل في المجتمعات الإسلامية ليست سبباً في الفقر، فإن رزقهم على الله تعالى، وهو الرزاق ذو القوة المتين، بل العكس فإن كثرة الأولاد توسع في الرزق ولا تـضيّقه. [٧٨٠] ﴿**وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلاقٍ نَحْنُ نَـرْزُقُهُمْ وَإِيَّـاكُمْ إِنَّ قَـتْلَهُمْ كَـانَ خِطْئـاً كَبِيراً**﴾[٧٨١]

الشبهة السادسة:

وهي أن الظروف الاقتصادية في العصر الحديث لا تسمح للرجل بأن يعدد زوجاتـه، لأن هذا التعدد يفرض عليه أعباء مالية، فهو سيكون مطالباً بالإنفاق على عدد من الزوجـات والأولاد، في الوقت الذي ازدادت فيه مطالب كل فرد، وقلّت في الوقت نفسه الموارد المالية.

المناقشة:

١- إن قضية تعدد الزوجات قضية اجتماعية ودينية وليست قضية اقتصادية، وإن المـشكلات التي تتعرض لها الأسرة عند تعدد الزوجات أهون بكثير من المشكلات الاجتماعية التـي تتعرض لها الأسرة عندما يكون بها عانس، أو مطلقـة، أو أرملـة، والأرزاق بيـد الله، والإنسان لا يضمن رزقه في ظل الزوجة الواحدة، حتى يـشكو منـه فـي ظـل تعـدد الزوجات، وقد يكون للرجل زوجة واحدة ولكنها مسرفة ومبذرة، وأكثر خطورة اقتصادية من أربع زوجات صالحات مدبرات لدى رجلٍ آخر.

٢- في العصر الحديث بعض البلاد الإسلامية يزيد دخل الفرد كلما زاد عـدد زوجاتـه، لأن أبواب العمل أصبحت مفتوحة أمام الناس، وكل امرأة تعمل تحصل على راتـب شـهري وهذا يتيح للزوجة والزوج فرصة طيبة للادخار والاستثمار، ورفـع مـستوى المعيـشة، وتحقيق الرفاهية لكل أفراد الأسرة.

٣- يجب التوكل على الله سبحانه وتعالى في قضية الـرزق مـع الـسعي والعمـل والأخـذ بالأسباب لأن رزق العبد وأجله وعمله والشقاوة والسعادة، يكتب كل ذلك علـى الإنـسان عند نفخ الروح،وهو في بطن أمه،ولا يخرج أي إنسان للحياة إلا ورزقه مقـدر مـن الله. [٧٨٢]

---

(780) انظر: تعدد الزوجات، ابن مسفر، ص ٧٤-٧٥.

(781) سورة الإسراء، الآية (٣١).

(782) انظر: مركز المرأة في الحياة الإسلامية، ص ١٣٠-١٣١، وتعدد الزوجات، ابن مسفر، ص ٧٥-٧٦.

الشبهة السابعة:

استغل دعاة التغريب في البلاد الإسلامية والعربية الانحراف الذي وقع بهـا، فقـاموا يرفعون أصواتهم بإغلاق باب التعدد بالكلية، معددين مساوئه، في حين يصمتون صمت القبور عن مساوئ الزنا الذي تبيحه للأسف القوانين الوضعية التي تحكم ديـار المـسلمين، ولعبـت أجهزة الإعلام دوراً خطيراً في التنفير من التعدد، وقد نجح هؤلاء فعلاً فـي بعـض الـبلاد الإسلامية، فصدرت فيها قوانين تحرم ما أحل الله من التعدد، إتباعـاً لـسنن الغـرب، ومـن تبريراتهم التي وضعوها باسم الشرع لمنع التعدد واحتجوا بها وهـي: أن التعـدد جـرَّ وراءه مفاسد ومضار أسرية واجتماعية لذا فإن من حق ولي الأمر أن يمنع بعض المباحـات جلبـاً لمصلحة أو درءاً لمفسدة.

وغيرهم حاول بكل جرأة أن يحتج بالقرآن على دعواه هذه فقالوا: إن القرآن اشـترط لمن يتزوج بأكثر من واحدة أن يثق من نفسه بالعدل بين الزوجتين أو الزوجات، فمـن خـاف ألا يعدل وجب أن يقتصر على واحدة ﴿**فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِـدَةً** ﴾[٧٨٣] فـشرط القـرآن للتعدد هو العدل، ولكن القرآن في زعمهم جاء في نفس السورة بآية بينت أن العدل المـشروط غير ممكن وغير مستطاع وهي في قوله تعالى ﴿ **وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَـوْ حَرَصْتُمْ** ﴾ [٧٨٤] وبهذا نفت هذه الآية اللاحقة ما أثبتته الآية السابقة[٧٨٥].

المناقشة

١- أما قولهم بأن التعدد جرّ وراءه مفاسد ومضار أسرية واجتماعيـة، فهـو قـول يتـضمن مغالطة مكشوفة فلا يمكن لشريعة الإسلام أن تحل للناس شيئاً يضرهم كما لم تحرم عليهم شيئاً ينفعهم قال تعالى: ﴿**وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ**﴾[٧٨٦] فكل ما أباحتـه الشريعة فلا بد أن تكون منفعته راجحة، وكل ما حرّمته، فلا بد أن تكون مضرّته خالصة أو راجحة. وهذا هو ما راعته الشريعة في تعدد الزوجات فقـد وازنـت بـين المـصالح والمفاسد، والمنافع والمضار، ثم أذنت به لمن يحتاج إليه، ويقدر عليه، بـشرط أن يكـون واثقاً من نفسه برعاية العدل، غير خائف عليها من الجور والميل، فـإذا كانـت مـصلحة الزوجة الأولى أن تبقى وحدها لا ينازعها أحد، وأنها ستتضرر بمزاحمة أخرى لها، فـإن

---

(783) سورة النساء، الآية (٣)

(784) سورة النساء، الآية (١٢٩).

(785) انظر: المرأة بين الفقه والقانون، ص ٩٩، وانظر: مركز المرأة في الحياة الإسلامية، القرضاوي، ص١٣١-١٣٣، وانظـر: المـرأة وحقوقها في منظور الإخوان المسلمون، تأليف السيد يوسف، الطبعة الأولى، العربي، ١٩٩٨، ص ٢٧-٢٨.

(786) سورة الأعراف، الآية (١٥٧)

من مصلحة الزوج أن يتزوج بأخرى تحصنه من الحرام، وإن من مصلحة الزوجة الثانية كذلك أن يكون لها نصف زوج تعيش في كنفه وكفالته، خير لها من أن تعيش عانساً أو أرملة أو مطلقة، وإن من مصلحة المجتمع أن يصون رجاله، ويستر على بناته بزواج حلال، يتحمل فيه كل من الرجل والمرأة مسئولية فيه، بدلاً من ذلك التعدد الغربي الذي أنكر على المسلمين تعدد الحليلات وأباح هو تعدد الخليلات: فأي المضار أولى أن تجتنب؟ صحيح أن بعض الأزواج أساءوا استخدام هذا الحق، فلم يراعوا العدل الذي فرضه الله عليهم، ولكن سوء التطبيق لا يعني إلغاء المبدأ من أساسه وإلا لألغيت الشريعة- بل الشرائع- كلها، ولكن توضع الضوابط اللازمة(٧٨٧).

٢- وأما ما ادعاه هؤلاء من أن حق ولي الأمر منع بعض المباحات، عليهم أن يعلموا أن الذي أعطاه الشرع لولي الأمر هو حق تقييد بعض المباحات لمصلحة راجحة في بعض الأوقات أو بعض الأحوال، أو لبعض الناس، لا أن يمنعها منعاً عاماً مطلقاً مؤبداً.

٣- وأما الاستدلال بالقرآن الكريم فهو استدلال مرفوض لأن العدل المشروط المطلوب هو العدل في النفقة والملبس والمأكل والمشرب والمبيت وخاصة على الزوجة الثانية وأولادها أما الآية الثانية أفادت أن العدل المطلق الكامل بين النساء غير مستطاع، فيقصد به العدل في الميل القلبي، وهذا ليس في يد الإنسان، فالرسول صلى الله عليه وسلم كان يعدل في الأمور الظاهرة بين نسائه من النفقة والكسوة والمبيت والطعام وغير ذلك وكان صلى الله عليه وسلم يقول "اللهم هذا قسمي فيما أملك، فلا تلمني فيما تملك ولا أملك" (٧٨٨) يعني بذلك حبه لعائشة رضي الله عنها أكثر من زوجاته، فهذا معفو عنه لأنه لا قدرة له به، فلا يؤاخذه الله عليه إلا إذا أفرط في الجفاء وبالغ في الانصراف، ولذلك ختم الآية بقوله ﴿**وَإِنْ تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُوراً رَحِيماً**﴾(٧٨٩)، وهذا حث آخر للزوج على أن يصلح الوضع فيما بينه وبين زوجته الأولى، ويتقي الله في أمرها فلا يهجرها ويسيئ عشرتها، وأنه إن فعل ذلك فإن الله يغفر له ما يكون منه من ميل إلى زوجته الثانية أكثر من الأولى، وأن الله رحيم بتلك الزوجة، بما سيلقى في قلب زوجها من وجوب العدل معها وحسن معاملته لها(٧٩٠).

(787) انظر: مركز المرأة في الحياة الإسلامية، القرضاوي، ص ١٣٣-١٣٦.

(788) سنن أبي داوود، كتاب النكاح، باب ٣٨، القسم بين النساء، رقم الحديث (٢١٣٤)، ٢/٢٤٢، وضعفه الألباني في ضعيف سنن أبي داوود، محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف– الرياض، ١٤٢١هـ، ص ١٦٥.

(789) سورة النساء، الآية (١٢٩).

(790) انظر: المرأة بين الفقه والقانون، ص٩٨-١٠٠، وانظر: مركز المرأة في الحياة الإسلامية، ص١٣٨-١٤٠.

المطلب الثاني: الزواج المبكر

في الوقت الذي يطالب فيه بتدعيم اتجاهات الشباب نحو الزواج المبكر حلاً لمشكلة انحراف الشباب، ومنعاً لممارسة الجنس قبل الزواج، وخارج الإطار المشروع وما زال أعداء الإسلام وخصوم الشريعة الإسلامية يواصلون تهجماتهم التي تهدف إلى محاربة هذا الزواج ومن ذلك أُعِدّت دراسة علمية حول الزواج المبكر في مصر دعت الحكومة المصرية إلى وضع استراتيجية لمواجهة ظاهرة الزواج المبكر في المجتمع المصري.

ودعت هذه الدراسة إلى ضرورةِ أَنْ تُرَاعي استراتيجية المواجهة، طبيعة وخصوصية المجتمع المصري وزيادة الوعي لدى المواطنين بالآثار السلبية للزواج المبكر، والاهتمام بالتوعية الدينية للفتيات المقبلات على الزواج، وتعريفهن بحقوقهن الشرعية والقانونية لاختيار الزوج المناسب، وتعقيد الإجراءات الخاصة بالزواج المبكر، وتغليظ عقوبات التلاعب في عقود الزواج، ومضت الدراسات إلى إثارة الشبهات حول الزواج المبكر معددة أضراره منها:

ارتفاع حالات الطلاق نتيجة لعدم التوافق الزوجي، وحرمان الفتيات من حقوقهن في اختيار أزواجهن، ووضع الفتاة في موقف المسئولية الاجتماعية قبل بلوغ مرحلة النضج، كما يؤدي إلى متاعب صحية للأم نتيجة الحمل والولادة المتكررة. (٧٩١)

وعلى نفس المنوال في بلادنا فلسطين يدعو خصوم المرأة من النساء المتحررات إلى تأخير سن الزواج لما في التبكير من المخاطر والأضرار، حيث ورد في نشرة صادرة عن أحد المراكز النسوية التي تتبنى فكرة الدعوة إلى تأخير الزواج إلى أن تبلغ الفتاة الثامنة عشرة من عمرها مبينة، أن للزواج المبكر مخاطر متعددة على الفتاة من النواحي الصحية والاجتماعية والنفسية.

فمن المخاطر الصحية بأنها إذا حملت في فترة مبكرة، فإنها لا تتم حملها بمدته الكاملة، لأنّ جسمها لم يكتمل نموه بعد، وأنها قد تتعرض للإجهاض المتكرر.

وقد تتعرض الفتاة إلى فقر الدم وخاصة خلال فترة الحمل، وقد تزداد نسبة الوفيات بين الأمهات الصغيرات أي ما بين ١٥- ١٩ عاماً عن الأمهات اللواتي تزيد أعمارهن عن العشرين عاماً بسبب الحمل، وقد تزداد وفيات أطفال الأمهات الصغيرات بنسبة أكبر من الأمهات الأكبر سناً وذلك لقلة الدراسة والوعي بالتربية والتغذية.

(791) انظر: موقع إسلام أون لاين، القاهرة، أحمد عطية، تعليق على دراسة د. إقبال الأمير السمالوطي عن الزواج المبكر.

وزعمت النشرة وجود مخاطرة اجتماعية ونفسية، لأن الفتاة تكون في مرحلة المراهقة ولا تستطيع أن تبدي رأيها في أمور حياتها الزوجية بثقة وارتياح، وقد تقع تحت تأثير الأهل والأقارب في شؤون حياتها الشخصية.

وقد ينتج عن الزواج المبكر الحرمان من التعليم، وكذلك فإن الزواج المبكر يزيد من الأعباء الملقاة على عاتق الفتاة في هذه الفترة. (٧٩٢)

ولا زالت تعقد الندوات وورشات العمل بشأن الزواج المبكر والصحة الإنجابية والزواج المبكر وغيرها، في المراكز النسوية، وفي المدارس وفي الجامعات، وللأمهات والزوجات، وفي وسائل الإعلام بأنواعها، وتبذل في ذلك الأموال والمنح من أجل إنجاح أهداف الأعداء بالتقليل من النسل، بهدف عدم تكاثرنا بالنسبة للأمم الأخرى، وخاصة اليهود.

ودولة الاحتلال اليهودي تحاول بكل جهدها أن تزيد من عدد سكانها بإغراء اليهود على الهجرة إليها وتخشى كل الخشية من زيادة السكان العرب لها. (٧٩٣)

المناقشة:

١- إن قانون الأحوال الشخصية في فلسطين قد منع زواج الصغار أخذاً بالرأي الفقهي الذي يمنع ذلك واشترط بلوغ الزوجة خمسة عشر عاماً، وأما الزوج فستة عشر عاماً، وهذا السن بالنسبة للرجل والمرأة هو سن يكون كل منهما قد بلغ، ويدخل سن الأهلية والتكليف، وللدعوة إلى تأخير سن الزواج هو انتقاص لأهلية الرجل والمرأة وحجر على حريتهما التي ينادي بها.

٢- اعتبار الفتى والفتاة في سن المراهقة ولا يقوى كل منهما على أخذ القرار المناسب هي حجة واهية جوفاء، لأن الفتاة تأخذ رأي وليها وتستشيره في أمورها وخصوصاً موضوع الزواج، إضافةً لذلك فإن المجتمع الإسلامي هو مجتمع المحبة والمؤاخاة والتناصح.

٣- إنهم قد اعتبروا زواج الصغار أمراً لا فائدة منه حسب ادعائهم، ودعوا إلى تأخير سن الزواج إلى ثمانية عشر عاماً للفتاة والفتى تمشياً مع الاتفاقية الدولية لحقوق الطفل والعجب أننا نتمشى مع الاتفاقات الدولية لكن لا نسير وفق ما جاء في ديننا وتاريخنا

---

(792) الزواج المبكر في المجتمع الفلسطيني بين رؤية الدين وممارسة المجتمع، د. حسام الدين عفانة، موقع يسألونك www.yasaloonak.net.

(793) انظر: المرأة بين الفقه والقانون، ص ١١٢-١١٤.

وحضارتنا. لقد دق محمد بن القاسم أبواب الصين وهو دون الثامنة عشر، وقاد أسامة بن زيد جيوش المسلمين وهو ابن ستة عشر عاماً، فهل تأخير الطفولة إلى ثمانية عشر عاماً في مصلحة الأمة والمجتمع(٧٩٤).

٤- أما دعوى صغر حجم الأعضاء التناسلية عند الفتاة في تلك المرحلة، هو إدعاء مخالف لرأى الطب الذي قال: إن مرحلة بلوغ الفتاة يكون بين الثانية عشر والرابعة عشر، والقانون لا يجيز زواج الفتاة إلا في الخامسة عشر، مما يستدعى مرور سنة على بلوغها على الأقل قبل الزواج.

٥- الادعاء بزيادة الوفيات للأمهات الصغار جراء الحمل وسوء التغذية، هو ادعاء غير مسلم به، فالواقع يكذبه من خلال الحس والمشاهدة بالنسبة للوفيات. أما ادعاء سوء التغذية فهو بحاجة إلى زيادة وعي من البيت والأسرة والمدرسة، والجامعة، ووسائل الإعلام، ودور الرعاية الصحية، التي لو تم استخدامها بطريقة سليمة ودقيقة لأحدثت نقلة نوعية فائقة في هذا الأمر.

٦- إن الأمريكيين يؤجلون سن الزواج إلى سن أكبر ففي عام ١٩٦٠ كان متوسط العمر للزواج عشرين سنة للفتاة وثلاث وعشرين سنة للرجل، وفي عام ١٩٩٧ ارتفع إلى خمس وعشرين سنة للفتاة و سبع وعشرين للرجال. وكلما تأخر سن الزواج، كلما فكر الناس أكثر في عدم الزواج، لذا أدى ذلك إلى ظاهرة تفشي المعاشرة الجنسية دون زواج، حيث يقيم رجل وامرأة تحت سقف واحد دون زواج الأمر الذي زاد من انتشار العلاقة الجنسية خارج نطاق شرعية الزواج(٧٩٥).

٧- إن قانون الأحوال الشخصية عندما حدد سن الأهلية بهذا العمر لم يفرض على الناس الزواج في هذا السن بالذات، إنما اعتبر أن أقل سن يستطيع المرء الزواج فيها هو هذا السن. وبالنظر إلى سجلات عقود الزواج في المحاكم الشرعية يتبين أنه قلما تتزوج فتاة دون السابعة عشر أو دون سن العشرين للشباب. إن أولياء الأمور يستطيعون تقدير أمور الزواج المتعلقة ببناتهم، فإذا وجد في ابنته القدرة على ذلك زوجها، وإذا لم يجد فيها القدرة على ذلك لم يزوجها.

٨- إن البحوث العلمية والدراسات العالمية تثبت أنه لا يوجد زيادة في مضاعفات الحمل عند النساء اللاتي تتراوح أعمارهن ما بين ١٥- ١٩ سنة. وان المضاعفات التي تحصل عند

---

(794) انظر: الزواج المبكر في المجتمع الفلسطيني بين رؤية الدين وممارسة المجتمع، د. حسام عفانة، موقع يسألونك.

(795)انظر: الزواج المبكر في المجتمع الفلسطيني بين رؤية الدين وممارسة المجتمع، د. حسام عفانة، موقع يسألونك

الحوامل أقل من ١٥سنة هي نسبياً قليلة. هذا ما أثبته العالم الأمريكي: (satin) من ولاية تكساس.

إن إيجابيات الزواج والحمل والإنجاب في سن مبكر عديدة منها:

أ- الإخصاب: "إمكانية الحمل" إن نسبة الحمل خلال فترة الزواج عند الفتيات في سن مبكر تفوق الفتيات في الأعمار الأخرى. (٧٩٦)

ب- الأورام الحميدة والخبيثة في الرحم والمبايض هي أقل عند النساء اللواتي يبدأن الحمل والإنجاب في السنين المبكرة.

ج- الحمل المهاجر "خارج الرحم" يثبت العالم الأمريكي (Rubin) في أبحاثة عام ١٩٨٣م أن حالات الحمل "خارج الرحم"هي ١٧,٢/١٠٠٠عند النساء اللواتي يزدن عن٣٥ سنة، وأن النسبة تقل إلى ٤,٥/ ١٠٠٠ عند النساء اللواتي تتراوح أعمارهن ١٥- ٢٤سنة.

د- الإجهاض: في بحث العالم الأمريكي (Hawen) تزيد نسبة الإجهاض من ٢-٤ أضعاف عند النساء بعد ٣٥ سنة من العمر.

ه- إن العمليات القيصرية والولادة المبكرة والتشوهات الخلقية ووفاة الجنين داخل الرحم ووفاة الأطفال بعد الولادة جميعها تزداد نسبياً كلما زاد عمر الحامل.

٩- إن الحمل والإنجاب هو عمل متكرر، وإن المرأة بحاجة إلى فترة زمنية طويلة لإنجاب ما كتب الله لها من أطفال. فالمرأة التي تتزوج في سن متأخر فإنها سوف تنجب أطفالها وهي في سن متأخر، ومن المثبت طبياً أن الأمراض المزمنة تبدأ بالظهور أو تزيد استفحالاً كلما تقدم الإنسان عمراً وهذه الأمراض المزمنة تزيد مخاطر الحمل والإنجاب وأحياناً تقف عائقاً للحمل والإنجاب.

ومن إيجابيات الزواج المبكر:

١- تحمل الزوجين للمسئولية وعدم الاعتماد على الآخرين.

٢- كما أنه يقلل من الوقوع في الرذيلة والانحراف والشذوذ الجنسي.

٣- فيه المحافظة على النسل وتعمير الكون وازدهاره.

---

(796) نفس المصدر السابق.

٤- فيه التقارب في السن بين الآباء والأبناء بحيث يكون الفارق في السن بينهما قليلاً يستطيع الآباء من خلال ذلك رعاية أبنائهم والسهر على راحتهم وهم أقوياء كما يستفيدون من خدمة أبنائهم لهم.

من خلال هذه الإحصائيات والإثباتات يتبين أن ما هذه إلا دعوة إلى أفكار وآراء خبيثة اتجاه مشروع الزواج في الشريعة الإسلامية. فلا يجوز شرعاً سَن قوانين يحظر الزواج قبل الثامنة عشرة، لما يترتب على ذلك من مفاسد كثيرة. (٧٩٧)

(797)انظر: الزواج المبكر في المجتمع الفلسطيني بين رؤية الدين وممارسة المجتمع، د. حسام عفانة، موقع يسألونك.

المبحث السادس

خروج المرأة من البيت وعملها وسفرها بدون قيد

المطلب الأول: خروج المرأة من البيت

الشبهة:

زعم أعداء الإسلام وخصوم نظامه الاجتماعي بأن الإسلام ظلم المــرأة عنــدما قيــدّ حريتها وأبقاها حبيسة داخل البيت، فلا تخرج منه إلا إلى القبر، وادّعوا زوراً ظلــم الرجــل للمرأة، لأنه ضيقّ الخناق عليها ووضعها في غير موضعها الطبيعي، واندفعوا يُغرون المــرأة بالخروج على طبيعتها وفطرتها ووظيفتها الأصلية في الحياة، وأخذوا يهيجون حماستها بشتى المبررات حتى جعلوها تتمرد على آداب الإسلام وأحكامه وأوجــدوا خــصومة بــين المــرأة وأخيها الرجل بدعوى تحرير المرأة.[798]

المناقشة:

١- إن المرأة المسلمة فــي المجتمع المعاصر ضاعت بين دعاة الإفراط، ودعــاة التفــريط، فهناك قوم يحجرون على المــرأة حجراً كلياً، فيمنعونها أن تكــشف وجهها، أو ترفــع صوتها، أو تخرج من بيتها، لأن كل شيء فيها ومنها - عندهم- عورة، وحجتهم في ذلك الآية الكريمة التي تقول:﴿ **وَقَرْنَ فِي بُيُــوتِكُنَّ وَلا تَبَــرَّجْنَ تَبَــرُّجَ الْجَاهِلِيَّــةِ الْــأُولَى** ﴾ وهؤلاء هم دعاة الإفراط. وهناك إلى جوارهم دعاة التفريط يدعون المرأة إلــى الخــروج بلا قيد ولا شرط، متبرجة سافرة متقلدة ما شاءت من أعمال، متجاهلين هذه الآية "وقــرن في بيوتكن ...الخ "[799].

والمرأة في هذا المجتمع تحتاج إلى موقف آخر وسط بــين دعــاة الإفــراط ودعــاة التفريط، لكي تثبت شخصيتها، وتأخذ حقها وحريتها، وفي نفس الوقــت تــصون فــضيلتها وعفتها، ولا تخرج عن هدى ربها وسنة نبيها، وهذا الوضع يحتاج أولاً وقبل كل شيء إلى أن تكون المرأة في المجتمع إنسانه قبل أن تكون أنثى.

٢- إن موقف المرأة يعتدل عندما تعتبر نفسها في هذا المجتمع إنسانه لا أنثى، لكــن الواقــع الذي يتجلى لنا في المجتمعات المعاصرة المتحررة المتحللة، أن المرأة تعتمد على أنوثتها أكثــر من اعتمادها على أي شيء آخر فــي شخصيتهــا، ولذلك تحــاول كلما خرجــت

---

(798) انظر: مركز المرأة في الحياة الإسلامية، القرضاوي، ص١٤٢-١٤٣، مؤتمرات المرأة بين الجهالة والأصالة، ص٩٧.

(799) انظر: المرأة بين مؤتمرات الجهالة والأصالة، ص ٩٨-٩٩.

أو اختلطت أن تظهر هذه الناحية الأنثوية بمختلف الوسائل، سواء أكان ذلك ثوباً أم زينةً أم حركة أم مشية، أم إثارة لأي عاطفة تتصل بهذه الناحية. ودعاة تحرير المرأة من العلمانيين يشجعون هذا النوع في كتاباتهم وندواتهم بالقول الخادع المغري، ويروِّجون له بكل طاقاتهم الفكرية، ولو أنهم دعوا المرأة إلى أن تكون إنساناً يتحمل أعظم المسؤوليات في الحياة الإسلامية، كما أن له حقوقاً، ولم يفرطوا في تزكية هذا التأنيث الذي يظهر في الطرقات وفي الأعمال نفسها، لو فعلوا لكانوا منطقيين موضوعيين، ولما حادوا عن الحق[٨٠٠].

فمن يدخل أي مكان عمل في أي بيئة من البيئات حيث تعمل الأنثى، يرى بعض النساء قد أخذت كل زينتهن، وخلعن الثياب عن أذرعهن، وكشفن عن سوقهن، وصنعن كل مظهر للإغراء في جلوسها وحركاتها، فهي في الوقت الذي نحاول أن نجعلها إنساناً عاملاً مسئولا، نجدها تخرج عن هذا المنهاج، لتكون أنثى مغرية، أو لتكون لعبة رخيصة في يد الرجال. إن المرأة في المجتمع المعاصر لو أشعرت بقية أعضاء المجتمع أنها إنسانه، وأن أنوثتها لا تبدو ولا تظهر إلا في مجالها الطبيعي والشرعي الذي يتهيأ لها في إبداء الأنوثة لأرغمت المجتمع على احترامها، وعدم إثارة ما يعوق الطريق أمامها. ولا شك أن في المجتمع قلة من النساء كسبن احترام الرجال قبل احترام النساء بشخصياتهن التي تجلت فيها الناحية الإنسانية أو العلمية أو الخلقية، أكثر مما تجلت فيها ناحية الأنوثة[٨٠١].

٣- في قوله تعالى ﴿ **وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى** ﴾ صحيح أن الخطاب فيها بلفظه لأمهات المؤمنين رضوان الله تعالى عليهن، ولكن الفقهاء والمفسرين اتفقوا على أن حكمه عام، وهذا شيء واضح بدلالة النص، لأنّ أمهات المؤمنين يحتجن إلى الاحتكاك بالمجتمع لتعليم النساء أمور دينهن، وما يخصهن من أحكام، لأن مهمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم في الحياة هي إبلاغ الرسالة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومع ذلك قيل لهن: ﴿ **وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ** ﴾ فكيف غيرهن؟ فإذا كان الخروج من البيت يسبب فتنة، ويعد خروجاً عن طاعة الله فالقرار في البيت هو الأمثل للمرأة، وليس معنى هذا أن تبقى حبيسة في بيتها ولا تخرج منه أبداً، بل لها أن تخرج لطلب

(800) المرأة بين مؤتمرات الجهالة والأصالة، ص ٩٨-٩٩.

(801) انظر: المصدر السابق، ص ٩٩-١٠٠.

العلم الذي يصحح عقيدتها ويقوّم عبادتها ويضبط سلوكها، ولكن خروجاً ملتزماً بأدب الإسلام في اللباس والزينة والمشي والكلام[٨٠٢].

وليس لولي أمرها أن يمنعها من طلب العلم والواجب عليها، إذا لم يكن هو قادراً على تعليمها أو مقصراً فيه، فقد كنّ نساء الصحابة يذهبن إلى النبي صلى الله عليه وسلم يسألنه، فيما يعرض لهن من شئون حياتهن، ولم يمنعهن الحياء أن يتفقهن في الدين، ومع أن صلاة المرأة في بيتها أفضل لظروفها ورسالتها، ولكن ليس للرجل منعها إذا رغبت في صلاة الجماعة بالمسجد، حيث قال صلى الله عليه وسلم "لا تمنعوا إماء الله مساجد الله" [٨٠٣]

للمرأة أن تخرج من بيتها لقضاء حاجة لها أو لزوجها وأولادها،في الحقل أو السوق، كما كانت تفعل ذات النطاقين أسماء بنت أبي بكر، فقد قالت: "كنت أنقل النوى من أرض الزبير - زوجها - على رأسي وهي من منى على بُعد ثلثي فرسخ"[٨٠٤]

وللمرأة أن تخرج مع الجيش لتقوم بأعمال الإسعاف والتحريض وما شابه ذلك من الخدمات الملائمة لفطرتها ولقدراتها. فقد روى عن الربيع بنت مٌعَّوذ الأنصارية قالت: "كنا نغزو مع رسول الله صلى الله عليه وسلم نسقى القوم ونخدمه، ونرد القتلى والجرحى إلى المدينة"[٨٠٥]

فإذا شاع في بعض العصور منع المرأة عن العلم، وعز لها عن الحياة، وتركها حبيسة في البيت، لا يٌعلِّمها الزوج، ولا يتيح لها أن تتعلم، ويمنعها من الخروج إلى المسجد فذلك منشؤه الجهل والغلو، والانحراف عن هدى الإسلام واتباع تقاليد مبالغة في التزمت لم يأذن بها الله. والإسلام ليس مسئولاً عن هذه التقاليد المبتدعة. [٨٠٦]

٤- ليس في أحكام الشريعة الإسلامية تدليل للمرأة على حساب الرجل، أو الرجل على حساب المرأة. وليس فيها ما يسمح بإرضاء نزواتها على حساب رسالتها الفطرية، وإنما نجد أن موقف الإسلام تجاه المرأة يتمثل فيما يلي:

(802) انظر: عمل المرأة واختلاطها ودورها في بناء المجتمع، أ. د. نور الدين محمد عتر، الطبعة الأولى، دار البحوث للدراسات وإحياء التراث، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م، ص ٥٤-٥٥، وانظر: مركز المرأة في الحياة الإسلامية، د. يوسف القرضاوي، ص ١٤٣.

(803) صحيح البخاري، كتاب الجمعة، باب هل على من يشهد الجمعة غسل من النساء والصبيان وغيرهم، ٣٠٤/١.

(804) صحيح البخاري، كتاب فرض الخمس، باب ما كان النبي يعطي المؤلفة قلوبهم وغيرهم، رقم الحديث (٢٩١٨)، ٢٨٩/٢.

(805) صحيح البخاري، كتاب الطب، باب هل يداوي الرجل المرأة، أو المرأة الرجل، رقم الحديث (٥٢٤٧)، ١٣/٤.

(806) انظر: مركز المرأة في الحياة الإسلامية، القرضاوي، ص ١٤٣-١٤٧.

أ- إنه يحافظ على طبيعتها وأنوثتها التي فطرها الله عليها، وحفظها من جشع المستغلين الذين يريدون أن يتخذوا من أنوثتها أداة للتجارة والربح والحرام.

ب- إنه يحترم وظيفتها السامية التي تهيأت لها بفطرتها التي خلقها الله تعالى عليها والذي خصّها بنصيب أوفر من نصيب الرجل، في جانب الحنان والعاطفة، وسرعة الانفعال ليعدّها بذلك لرسالة الأمومة التي تشرف على أعظم صناعة في الأمة وهي صناعة الأجيال والقادة.

ج- إن الإسلام جعل البيت مملكة المرأة العظيمة، فهي ربته ومديرته، وقطب رحاه، فهي زوجة الرجل وشريكة حياته، وأم أولاده، وهو يعدّ عمل المرأة في تدريب البيت، ورعاية شؤون الزوج، وحسن تربية الأولاد عبادةً وجهاداً ولهذا يقاوم كل مذهب أو نظام يعوقها عن رسالتها، أو يضر بحسن إيوائه لها، أو يخرّب عليها عشها، لأنه هو العدو الحقيقي للمرأة.

د- إن الإسلام يهدف إلى بناء البيوت السعيدة التي هي أساس المجتمع السعيد، والبيوت السعيدة إنما تبنى على الثقة واليقين، لا على الشك والخوف الذي يجعل الحياة داخل البيوت جحيماً لا يطاق.

ه- إنه يأذن لها أن تعمل خارج البيت فيما يلائمها من الأعمال التي تناسب طبيعتها الأنثوية واختصاصها وقدراتها، ولا يسحق حياءها وكرامتها[٨٠٧].

المطلب الثاني: عمل المرأة:

الشبهة:

تبين مما سبق أن دعاة السفور والاختلاط يريدون للمرأة أن تتمرد على فطرتها وتخرج عن حدود أنوثتها، وأنهم يريدون استغلال أنوثتها للمتعة الحرام، أو للكسب الحرام، لذا رأيناهم يدعون أيضاً إلى تشغيل المرأة في كل مجال، سواء أكان لها حاجةً إلى العمل أم لا، وسواء أكان المجتمع في حاجة إلى عملها أم لا، المهم عملها عند هؤلاء أن تخرج المرأة وتعمل، وتختلط بالرجال، وتتحرر من (البيت) ومن مكرهم ودهائهم أنهم يظهرون في صورة المخلصين الذين يريدون المصلحة للمرأة والتقدم فهم يؤيدون رأيهم في تشغيل المرأة بمزاعم وشبهات وهي:

١- إن الغرب وهو أكثر منا تقدما ورقيا في مضمار الحضارة قد سبقنا إلى تشغيل المرأة، فإذا أردنا الرقي مثله، فلنتخذه قدوة لنا في كل شيء، فإن الحضارة لا تتجزأ.

(807) مركز المرأة في الحياة الإسلامية، القرضاوي، ص١٤٧-١٤٨.

٢- إن منع المرأة من العمل، أو تضييق الخناق عليها على أضيق نطاق هو مـــن الثقافـــة الاجتماعية السائدة في كثير من البلاد الإسلامية، والتي تؤدي إلى تعطيل لقوةٍ كبيـــرة من المجتمع، لأن المرأة نصف المجتمع، وإبقاءها في البيت تعطيل لهـــذا النـــصف، ومن الظلم أن تبقى الإناث فارغات اليد من العمل، عاطلات عن الكسب فـــي الـــبلاد الإسلامية، وهي بحاجة إلى تجنيد كل طاقاتها من الرجـــال والنـــساء لبنـــاء مجتمـــع الرفاهية والرخاء(٨٠٨).

٣- إن من حق المرأة أن تعمل وتتكسب من أي مهنةٍ شاءت، كما يفعل الرجل، طالمـــا أن ذلك نابعُ من رغبتها، وكان لها قدرات على العطاء والإنتاج، ولا تقل عن الرجل فـــي أي شيء، كما أن منعها من العمل لا يواكب روح العصر ومتطلباته، حيث تقتـــضي ظروف المعيشة الراقية، أن تباح للمرأة كافة الأعمال التي ترغب فيهـــا، ومـــصلحة الأسرة كذلك تقتضي عملها، فإن تكاليف الحياة قد تزايدت في هـــذا الوقـــت، وعمـــل المرأة يزيد من دخل الأسرة، ويعاون الرجل على أعباء المعيـــشة، وخـــصوصاً فـــي البيئات المحدودة الدخل(٨٠٩).

٤- ومصلحة المرأة نفسها تدعو إلى العمل، فإن الاحتكاك بالناس، وبالحيـــاة، وبـــالمجتمع خارج البيت يصقل شخصيتها، ويمدها بخبرات وتجارب، ما كـــان لهـــا أن تحـــصل عليها داخل الجدران الأربعة.

٥- كما أن العمل سلاح في يد المرأة ضد عوادي الزمن، فقد يمـــوت أبوهـــا أو يطلقهـــا زوجها أو يهملها أولادها، فلا تذلها الفاقة والحاجة. ولا سيما في زمـــنٍ غلبـــت فيـــه الأنانية، وشاع فيه العقوق وقطيعة الأرحام(٨١٠).

٦- أن عمل المرأة ينمي الاقتصاد الوطني ويزيد الثروة القومية للبلاد، خصوصاً عنـــدما تحل المرأة الوطنية محل الأيدي العاملة الأجنبية، فتصبح منتجة لا مستهلكة فقط، وأن البلاد تخسر كثيراً بقصر عمل المرأة على أعمال البيت لان فيـــه هـــدراً لكرامتهـــا، وشللاً لحركتها، تعطيلاً لطاقاتها ولنتاجها العلمي والعملي والفكري(٨١١).

---

(808) انظر: مركز المرأة في الحياة الإسلامية، القرضاوي، ص ١٤٩-١٥٠، وانظر: عمل المرأة في الميزان، عبد الله البر، موقع صـــيد الفوائد، وانظر: عمل المرأة المسلمية، المحامي مسلم اليوسف موقع أبو قتيبة.

(809) انظر: عمل المرأة في الميزان، عبد الله البر، موقع صيد الفوائد، وانظر: مركز المرأة في الحياة الإسلامية، القرضاوي، ص ١٥٠-١٥١، وانظر: عمل المرأة المسلمة، مسلم اليوسف صيد الفوائد.

(810) مركز المرأة في الحياة الإسلامية، القرضاوي، ص ١٥٠-١٥١.

(811) انظر: المرأة بين الفقه والقانون، ص١٩٢، وانظر: حاضر العالم الإسلامي، د. صالح الرقب، ص١٢٤.

مناقشة المزاعم السابقة:

١ - أما الاحتجاج بالغرب فهو احتجاج باطل، للأسباب الآتية:

أ- لأن الغرب ليس حجة علينا، ولسنا مكلفين أن نتخذ الغرب إلهاً يعبد، ولا قدوة تتبع: ﴿**لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ**﴾[٨١٢]، كما أن هؤلاء القوم منسجمون ومتوافقون مع عاداتهم وتقاليدهم، حتى الإباحيات التي عندهم متوافقة مع نمط حياتهم وطبيعة مجتمعهم وتفكيرهم، ومخالفتها عندهم يعتبر خروجاً على المجتمع كله، حتى أن البنت التي لا تصادق شاباً يعتبرونها مريضة نفسياً، وتعرض على الطبيب النفسي[٨١٣].

ب- إن المرأة في الغرب خرجت إلى كافة ميادين العمل مكرهة لا مختارة، تسوقها الحاجةُ إلى القوت، والاضطرار إلى لقمة العيش نتيجة الأوضاع الخاطئة عند القوم، بعد أن نكل الرجل عن إعالتها في مجتمع قاسٍ بعيد عن القيم والأخلاق لا يرحم صغيراً ولا أنثى.

وعمل المرأة في الغرب لإعالة نفسها واجب عليها متى وصلت سن البلوغ، مهما كان الأب غنياً موسراً، فحُرِم غير المسلمين من نظام النفقة الواجبة في شريعة الإسلام، فمثلاً: لا يلزم عند الغرب أن ينفق الأب على الابن والبنت إذا بلغا، لذلك لا بد أن يعمل الولد أو البنت ويدفعا أجرة البيت الذي يسكن أحدهما فيه مع أهله (أبويه)، وقيمة نفقة المعيشة، وبالتالي نجد أن الأبناء أيضاً يعاملون آباءهم بالمثل، لانعدام نظام النفقة الواجبة، فيكبر الأبوان أو أحدهما، والابن يملك مالاً كثيراً، وهما فقيران معدمان، فلا يمد ولدهما إليهما يد العون، فتحجرت القلوب وساءت العلاقات نتيجة فقدان هذا التشريع الإلهي. أما الإسلام فقد كرم المرأة تكريماً لائقاً بها، لقد رحم ضعفها، ولم يجبرها على العمل، ولم يكلفها بالنفقة على نفسها أو على أحد غيرها، بل ألزم نفقتها على أبيها أو ابنها أو زوجها وبالتالي فإنه لا يجوز للأب أن يلزم ابنته على العمل لكسب المال، إلا أن تطوع البنت، وكذلك الزوج لا يجوز له أن يلزم امرأته أن تعمل لتكسب. فالإسلام كفل حماية المرأة من الإهانة والابتذال، فلا تحمل هم العيش، والكد لكسب لقمة الغذاء، بل يجب أن تتفرغ لمهمتها الحقيقية ورسالتها الفطرية، وهي صنع المجتمع بتربية النشء على قيم الأمومة الإنسانية[٨١٤].

ج- إن الغرب الذي نسعى لتقليده في إلزام المرأة بالعمل أصبح اليوم يشكو من عمل المرأة وما جرَّه من آثار، وأصبحت المرأة نفسها تشكو من هذا البلاء، الذي لم يكن لها فيه

(812) سورة الكافرون، الآية (٦)

(813) انظر: رسالة إلى الأسرة المسلمة، د. نظمي خليل أبو العطا، مكتبة النور- مصر، ١٩٨٨.

(814) انظر: عمل المرأة واختلاطها ودورها في بناء المجتمع، أ. د. نور الدين عتر، ص٤١-٤٣.

خيار، تقول الخبيرة الاجتماعية الأمريكية الدكتورة إيدا إلين "إن التجارب أثبتت ضرورة لزوم الأم لبيتها، وإشرافها على تربية أولادها، فان الفارق الكبير بين المستوى الخلقي لهذا الجيل والمستوى الخلقي للجيل الماضي إنما مرجعه إلى أن الأم هجرت بيتها، وأهملت طفلها، وتركته إلى من لا يحسن تربيته"(٨١٥)

وتكاثرت صيحات الغربيين وغيرهم في التحذير من خروج المرأة للعمل، فمن ذلك ما نبه به الدكتور سوليفان الأمريكي بقوله: "إن السبب الحقيقي في جميع مفاسد أوربا وفي انحلالها بهذه السرعة هو إهمال النساء للشؤون العائلية المنزلية، ومزاولتهن الوظائف والأعمال اللائقة بالرجال في المصانع والمعامل والمكاتب جنباً إلى جنب"(٨١٦)

"إن الذين عاشوا تجربة إخراج المرأة من بيتها للعمل، يعلنون بصراحة أنها كانت فاشلة، تسببت في محو الأُسَر، وتشرد الأطفال، وحرمانهم من الحنان والعاطفة والتربية، وما يتبع ذلك من الانحراف، وهم الآن يحاولون إرجاع المرأة إلى بيتها:

فبعض الدول الأوربية تعطي جوائز لأحسن أم، وكثير من النساء اللاتي بلغن مناصب عالية في شركات كبيرة يستقلن ويعلنّ أن المكان الصحيح لهن هو البيت والأمومة، مع وجود كثير من الكليات والمدارس في أمريكا وأوربا نسائية مائة بالمائة"(٨١٧).

٢- إن الإسلام لا يمنع أحداً من العمل والكسب سواء كان ذكراً أو أنثى، ولكنه يضع الآداب والضوابط التي تلائم كلاً منهما وتفيد المجتمع وتعود عليه بالسعادة والهناء، فقسم الأدوار بين الرجل والمرأة تقسيماً عادلاً متوازناً، فريداً، لبناء الأسرة وتماسكها وتأمين احتياجاتها المادية والنفسية.

وقد يحتاج المجتمع الإسلامي إلى عمل المرأة ببعض الأعمال والمهام على سبيل الضرورة بل يكون عملها واجباً في هذه الحالة مثل: التوليد، الطب البدني العام للنساء، طبابة الأمراض الخاصة، طب الأسنان، أو تدريب على مهن يمكن أن تعمل فيها المرأة دون اختلاط مثل: الحاسوب، التريكو، الآلة الكاتبة، بعض المعالجات والإسعافات المنزلية، ويمكن أن تكون معلمة لبنات جنسها، أو في مجال الشئون البيتيه، كأن تعمل في حياكة وتفصيل الألبسة النسائية والولادّية، أو تكون داعية إلى الله سبحانه وتعالى، تُعلِّم بنات جنسها أمور دينها(٨١٨).

---

(815) أقوال واعترافات بخطورة عمل المرأة، محمد بن عبد الله الهبدان، موقع صيد الفوائد، ١/٦/١٤٢٦هـ.

(816) المصدر السابق، موقع صيد الفوائد، ١/٦/١٤٢٦هـ www.saaid.net/pfv.php

(817) شهادة غربية، خطر المساواة بين الذكور والإناث في مناهج التعليم، أبو سارة، صيد الفوائد.

(818) انظر: مركز المرأة في الحياة الإسلامية، ص١٦١-١٦٢، وانظر: عمل المرأة المسلمة واختلاطها، نور الدين عتر، ص ٥٦.

ويمكن للمرأة أن تقوم بأي عمل يفيد المجتمع، ويفيد بنات جنسها مع مراعاة الضوابط الشرعية والتي من أهمها:

أ- ألا يكون لعمل المرأة تأثيراً سلبياً على حياتها العملية، ورسالتها داخل بيتها لأن المرأة راعية لبيتها، وقائمة لشئون زوجها وأولادها، وربما يكون عملها خارج البيت فيه مضيعة للأولاد، وتقصير لحق الزوج وعندها يكون عملها محرماً، لأن ذلك خروج عن الوظيفة الطبيعية، وتعطيل المهمة الخطيرة التي يجب عليها القيام بها، مما ينتج عنه سوء بناء الأجيال، وتفكك عرى الأسرة التي يقوم على التعاون والتكافل.

ب- أن لا تعمل عملاً فيه محذور شرعي كالاختلاط والخلوة، وذلك حفاظاً على عرضها ووقاية لها من القيل والقال والفتن، فلا يجوز أن تعمل عارضة أزياء، أو مغنية، أو راقصة أو حلاقة للرجال، أو أي عمل يخدش حياءها ويعرضها للفتن.

ج- ألا يؤثر عملها على عمل أخيها الرجل، كأن تكون سبباً في قطع رزقه، فالمرأة قد تعمل بأجرٍ زهيد وهي راضية، فتزاحم الرجل مما يؤدي إلى انتشار البطالة، وتفاقمها في صفوف الرجال، وهذا من أشد المخاطر الاقتصادية والاجتماعية، والمرأة في هذه الحالة تجلب منفعة لنفسها مع المضرة التي تلحقها بغيرها، وقد يكون هذا الغير الذي أضرته هو زوجها أو أباها أو أخاها فأي ربحٍ اقتصادي للأسرة، إذا كان اشتغال المرأة يؤدي إلى بطالة عميدها والمكلف بالإنفاق عليها، ويؤدي أيضاً إلى حرمان المرأة من متعة الحياة الزوجية، لأن الرجل لا يجد عملاً فلا يستطيع نكاحاً. (٨١٩)

د- أن يتوافق العمل وطبيعتها الأنثوية، فالإسلام راعى طبيعة المرأة، وما فطرت عليه من استعدادات نفسية وجسدية وقد أثبتت الدراسات الطبية المتعددة أن كيان المرأة النفسي والجسدي قد خلقه الله على هيئة تخالف الرجل، وقد بنى جسم المرأة ليتلاءم مع وظيفة المرأة الأصلية (الأمومة)، كما أن نفسيتها قد خلقت لتكون ربة منزل، بل إن كل خلية من خلايا جسم المرأة تختلف في خصائصها وتركيبها عن خلايا الرجل، حيث يوجد ستون مليون خلية في جسم الإنسان، ويقول أهل العلم المتخصصون أن هناك فروقاً واضحة بين الرجل والمرأة،ابتداءً من الخلية وانتهاءً بالأنسجة والأعضاء، كما تختلف عضلات المرأة عن عضلات الرجل وعظامه في شدتها وقوة تحملها، وهناك اختلاف

---

(819) انظر: المرأة من الفقه والقانون، ص ١٩٣، وانظر: مركز المرأة في الحياة الإسلامية، ص ١٥٨، وانظر: عمل المرأة، موقع صيد الفوائد.

في الدم، وفي الجهاز التناسلي، وفي اختلاف الهرمونات، وفي الاختلاف النفسي كذلك، فنرى إقدام الرجل وصلابته في مقابل خفر المرأة وحيائها[٨٢٠].

والحكمة في الاختلاف البيّن في التركيب التشريحي والوظيفي بين الرجل والمرأة هو أن هيكل الرجل قد بنى ليخرج إلى ميدان العمل ليكدح ويكافح، وتبقى المرأة في المنزل لتؤدي وظيفتها العظيمة التي أناطها الله بها.

ويعتري بعض النساء بحكم الأنوثة جملة من الحالات التي تمنعها قهرياً من العمل وهي الحيض والنفاس والحمل والولادة، وهذه تسبب آلام ومتاعب للمرأة مما يمنعها من أداء عملها الشرعي فكيف بالعمل غير الشرعي.

وأيضاً المرأة لها تكوين عاطفي خاص يختلف عن تكوين الرجل، لذا فإن إقحامها في الأعمال الشاقة بدنياً ظلمٌ لها، وإجحافٌ في حق مجتمعها لأنه صرفٌ وتوزيع خاطئ لطاقاتها، وفي هذا تعطيل ظاهر لكفاءات المجتمع وقدراته[٨٢١].

٣- إن مصلحة المجتمع ليست في أن تدع المرأة رسالتها الأولى في البيت، لتعمل مهندسة أو محامية أو نائبة أو قاضية أو عاملة في مصنع، بل مصلحته أن تعمل في مجال تخصصها الذي هيأتها له الفطرة: مجال الزوجية والأمومة، والذين يزعمون أن المرأة في البيت عاطلة، يجهلون أو يتجاهلون، ما تشكو منه فضليات النساء، من كثرة الأعمال والأعباء المنزلية، التي تستنفذ وقتها وجهدها كله ولا يكاد يكفي[٨٢٢].

ويؤكد التقرير الصادر عن الأمم المتحدة عن القيمة الاقتصادية لعمل المرأة في البيت فيقول : "لو أن نساء العالم تلقين أجوراً نظير القيام بالأعمال المنزلية، لبلغ ذلك نصف الدخل القومي لكل بلد، ولو قامت الزوجات بالإضراب عن القيام بأعمال المنزل لعمت الفوضى العالم: سيسير الأطفال في الشوارع، ويرقد الرضع في أسرتهم جياعاً تحت وطأة البرد القاسي، وستتراكم جبال من الملابس القذرة دون غسيل ولن يكون هناك طعام للأكل ولا ماء للشرب، ولو حدث هذا الإضراب.. فسيقدر العالم أجمع.. القيمة الهائلة لعمل المرأة في البيت".

---

(820) انظر: عمل المرأة في الميزان، عبد الله البر، موقع صيد الفوائد، وانظر: عمل المرأة، مسلم اليوسف، نفس الموقع.

(821) انظر: عمل المرأة في الميزان، عبد الله البر، موقع صيد الفوائد، وانظر: عمل المرأة، مسلم اليوسف، وانظر: شبهات حول المرأة رابعاً العمل (موقع صيد الفوائد).

(822) انظر: مركز المرأة في الحياة الإسلامية، القرضاوي، ص١٥٤.

ويمضى التقرير فيقول "عمل المرأة المنزلي غير منظور لدى الكثيرين.. وأن المـرأة لا تتلقى أجراً نظير القيام بهذا العمل.. إن هذا العمل حيوي وعلى جانب عظيم من الأهميـة.. غير أن هذه الساعات الطويلة من عناء المرأة لا يدركه الكثيرون.. لأنه بدون أجر"(٨٢٣)

ويضيف التقرير: "إن المرأة لو تقاضت أجراً لقاء القيام بأعمالها المنزلية لكان أجرها أكثر من ١٤٥٠٠ دولار في السنة.. وان النساء الآن في المجتمعات الصناعية يساهمن بـأكثر من ٢٥% إلى ٤٠% من منتجات الدخل القومي. بأعمالهن المنزلية"(٨٢٤)

فالمرأة إذن هي العمود الفقري للأسرة، وكما قيل: وراء كل عظيم امرأة تربـي فـي حجرها.ومن العجب أن عمل المرأة في البيت يصنف في ضمن الأعمال الشاقة، فهو يتطلـب مجهوداً كبيراً، علاوة على ساعات طويلة تتراوح بين عشر واثني عشر ساعة يومياً فما يـأتي المساء إلا وهي منهوكة القوى، تروح عن نفسها بالاجتماع إلى جاراتها وصديقاتها(٨٢٥).

والواقع أن كثيراً من النساء العاملات يستخدمن نساء أخريات للعمل مربيات لأولادهن أو شغالات في بيوتهن، ومعنى هذا أن البيت في حاجة إلى امرأة ترعى شئونه، وأولى النـاس بذلك ربته وملكته، بدلاً من المرأة الغريبة، والتي كثيراً ما تكون غريبة عن أهل الـدار فـي الخُلُق والدين واللغة، والأفكار، والعادات، كما هو شائع فـي المجتمعـات الخليجيـة حيـث المربيات والخادمات القادمات من المشرق الأقصى، وخطورة هذا الأمر لا تخفى على عاقل.

٤ - إن سعادة الأسرة ليست في مجرد زيادة الدخل الذي ينفق معظمه في أدوات الزينة، وثياب الخروج، وتكاليف الحياة المختلطة، التي تقوم علـى التكلـف والتـصنع وسـباق الأزيـاء، و(الموضات) وما إلى ذلك، ويقابل هذه الزيادة في الدخل حرمان البيت مـن أجـواء المـودة والسكينة والأنس، الذي تشيعه المرأة في جو الأسرة، وفي ذلك خـسارة كبـرى لا توازيهـا خسارة، وخسارة الزوج لأجواء المودّة، وخسارة الأولاد لعطف وحنان ورعاية الأم، وخـسارة المرأة لأنوثتها وسمعتها، وربما شرفها. وهذه الخسائر المعنوية والاجتماعية التي يتعرض لهـا المجتمع لا تقدر بمال، وهي أبلغ ضرراً في الأمة(٨٢٦).

(823) من هي العاملة الحرة، محمد بن عبد الله الهبدان، موقع صيد الفوائد، www.saaid.net/pfv.php. ١/٦/١٤٢٦هـ.

(824) رسالة إلى حواء، ٧٣/٣.

(825) انظر: المرأة بين الفقه والقانون، ص ١٩٥.

(826) انظر: مركز المرأة في الحياة الإسلامية، ص ١٥٦-١٥٧، وانظر: عمل المرأة في الميزان، عبد الله البر، موقع صيد الفوائد.

المطلب الثالث: سفر المرأة بدون قيد:

الشبهة:

في أعقاب مؤتمر بكين شكلت (لجان وطنية لمتابعة شؤون المرأة) مهمتها متابعة الدول العربية في تقدمها نحو المساواة بين الجنسين، وهذا يتطلب من حكومات هذه الدول عمل إجراءات من أجل تغيير أو تعديل قوانين الأحوال الشخصية أو العقوبات.

وإعطاء المرأة حقها في السفر وأولادها بلا قيود أي بدون محرم أو بدون إذن الزوج كان من ضمن المطالب التي تفرضها الأجندة الدولية للتسليم بالدخول في طاعة النظام العالمي الجديد والإقرار بالدين النسوي البديل.

لذا يسعون الآن إلى تطبيق ذلك على المجتمعات المسلمة بحجة إزالة الاختلافات بين الرجل والمرأة، لتحقيق المساواة المزعومة والقضاء على جميع أشكال التمييز ضد المرأة[٨٢٧].

المناقشة :

١. إن هذه الدعوة للأيديولوجية الجديدة بلا ضوابط أو آداب شرعية ما هي إلا انعكاس للفكر الغربي النسوي، حيث تشعر المرأة المسلمة العربية بالنقص تجاه المرأة الغربية، وتشعر أن الالتحاق الفكري بها ومن ثم التقليد سيعوض هذا النقص، مما يؤدي إلى كراهية الدين الإسلامي والتمرد على أنظمته الاجتماعية، واتهامها بالظلم وعدم المساواة، وهذا مخطط واضح من أعداء الإسلام لتدمير الأسرة والمرأة معاً، والقضاء على النظم الاجتماعية التي أثبتت أنها القلعة التي حمت العالم الإسلامي من السقوط والانهيار[٨٢٨].

٢. لا يجوز مخالفة الدين الإسلامي فيما يتعلق بسفر المرأة من غير محرم، فقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن سفر المرأة من غير محرم، ولو كان ذلك لأداء فريضة الحج. ولذا قال النبي صلى الله عليه وسلم: "لا يخلون رجل بامرأةٍ إلا ومعها ذو محرم، ولا تسافر المرأة إلا مع ذي محرم، فقام رجل فقال:يا رسول إنّ امرأتي خرجت حاجة،

---

(827) انظر: مؤتمر بكين خطوة باتجاه مجتمع التحلل العالمي، ماجد بن جعفر الغامدي، ص ٦، موقع صيد الفوائد ١٤٢٦/٦/٣هـ، وانظر: عولمة المرأة قراءة في الأيديولوجية النسوية الجديدة، كمال حبيب، المصدر: مجلة البيان، العدد ١٥٠، موقع إسلاميات أون لاين www.islamiyatonline.com .

(828) انظر: عولمة المرأة قراءة في الأيديولوجية النسوية الجديدة.

وإني اكتتبت في غزوة كذا وكذا، قال:انطلق فحجّ مع امرأتك"[٨٢٩]وقال صلى الله عليه وسلم: "لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر تسافر مسيرة يوم إلا مع ذي محرم"[٨٣٠].

وتحريم سفر المرأة من غير محرم محل إجماع بين العلماء حيث قال الحافظ بن حجر في فتح الباري واستدل به على عدم جواز السفر للمرأة بلا محرم، وهو إجماع في غير الحج والعمرة والخروج من دار الشرك، ومنهم من جعل ذلك من شرائط الحج[٨٣١].

٣. لا يجوز شرعاً للمرأة المسلمة أن تسافر بدون إذن زوجها ولا خلاف على ذلك، والسماح لها بالسفر من غير إذن زوجها، وسن قانون بذلك، فيه إسقاط صريح لحق الزوج في القوامة وخروج عن قوله تعالى : ﴿**الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ** ﴾[٨٣٢] والأصل المقرر في الشريعة الإسلامية ألا تسافر المرأة وحدها، بل يجب أن تكون في صحبة زوج أو محرم لها، وليس مرجع هذا إلا اتهام المرأة أو سوء ظن بها، لكنه حسن الرعاية والحماية والتكرم والحفاظ عليها من التعرض للمشاكل والمضايقات في زمن كثر فيه المتربصون لها.

٤. جاء في الحديث الشريف : "لا يحل للمرأة أن تصوم وزوجها شاهد إلا بإذنه، ولا تأذن في بيته وما أنفقت من نفقة عن غير أمره فإنه يؤدي إلى شطره" [٨٣٣]

فإن كانت لا تأذن لأحد أن يدخل بيتها إلا بإذن زوجها، فمن باب أولى ألا تخرج للسفر إلا بإذنه [٨٣٤].

(829) صحيح مسلم، كتاب الحج، باب: ٧٤، سفر المرأة مع محرم إلى حج وغيره، رقم الحديث (٤٢٤) –(١٣٤١) ٩٧٨/٢، دار إحياء الكتب العربية.

(830) صحيح مسلم، كتاب الحج باب، ٧٤، سفر المرأة مع محرم وغيره، رقم الحديث (٤٢٠)، ٩٧٧/٢. دار إحياء الكتب العربية.

(831) فتح الباري، ٥٦٨/٢، وانظر: شبهات حول المرأة، موقع صيد الفوائد

(832) سورة النساء، الآية (٣٤)

(833) صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب لا تأذن المرأة في بيت زوجها لأحد إلا بإذنه، رقم الحديث (٥١٩٥) ٣٧٤/٣.

(834) انظر: مؤتمرات بين الجهالة والأصالة، ص ١١٥-١١٦.

الفصل الرابع

آثار الغزو الفكري ونتائجه على الحياة الاجتماعية وطـــــرق مــواجهتـــــه

المبحث الأول: آثار الغزو الفكري ونتائجه على الحياة الاجتماعية.

المبحث الثاني: طرق ووسائل مواجهة الغزو الفكري على المرأة المسلمة.

الفصل الرابع

تبين من خلال عرض الأساليب والوسائل التي استخدمها قادة وأتباع الغـزو الفكـري للمرأة المسلمة، أن الهدف الأكبر هو تدمير المجتمع الإسلامي بنشر الإباحية والفساد، وتـدمير الأسرة المسلمة، وإخراج المرأة من رسالتها وقيمها، بدءاً بدعوى تحريرها، التي حمل لواءهـا كثيرون غُرِّر بهم وظنوا أنهم يسترجعون حقاً ضائعاً، لكنهم في الحقيقـة أفسـدوا العلاقـات الطبيعية الفطرية بين المرأة والرجل، والزوج والزوجـة والآبـاء والأبنـاء، فغـدت الحيـاة الاجتماعية متحللة ومضطربة، وبعيدة كل البعد عن المفهوم الإسلامي الأصيل [٨٣٥]. وقد قال الفيلسوف الألماني شوبنهور "اتركوا للمرأة حريتها المطلقة كاملة بدون رقيب، ثم قابلوني بعـد عام لتروا النتيجة، ولا تنسوا أنكم ستُرْثُونَ معي الفضيلة والعفة والأدب، وإذا مت فقولوا أخطأ أو أصاب كبد الحقيقة" [٨٣٦].

لقد أصاب الغزاة كبد الحقيقة، حيث ظهرت الآثار والنتائج المدمرة والمروعـة للحيـاة الاجتماعية، والتي ستقوم الباحثة بتفصيلها وتوضيحها في سبعة مباحث.

---

(835) انظر: المرأة في وجه التحديات، أنور الجندي، دار الاعتصام، ودار العلوم للطباعة، القاهرة، سنة الإيداع ١٩٧٩م، ص٣-٧.

(836) المرأة بين الفقه والقانون، ص ٢٦٦.

المبحث الأول

آثار الغزو الفكري ونتائجه على الحياة الاجتماعية

المطلب الأول: إبعاد المرأة عن رسالتها الفطرية:

عندما تأثرت المرأة المسلمة بهدى شعراوي، وخلعت حجابها، وخرجت من بيتها وأخذت تطالب بحقوقها، وبمساواتها بالرجل للمجتمع الغربي الذي يشكو هو نفسه من مساوئ ونتائج هذه المساواة، كانت النتيجة إبعاد المرأة عن رسالتها الفطرية، تشير إلى ذلك الكاتبة د. عائشة عبد الرحمن "إن المرأة دفعت ضريبة فادحة ثمناً للتطور، ويكفي أن أشير في إيجاز إلى الخطأ الأكبر الذي شوه نهضتنا، وأعني به انحراف المرأة الجديدة عن طريقها الطبيعي، وترفعها عن التفرغ لما نسميه خدمة البيوت وتربية الأولاد" [٨٣٧]. ويقول الشيخ أبو بكر الجزائري "فأي عمل يطلب من المرأة خارج البيت فهو منافٍ لطبيعتها، معوق لها من أداء رسالتها التي لا يقدر عليها سواها" [٨٣٨].

إن من المكابرة تجاهل البعض لوظيفة المرأة الأساسية، ومقرها الطبيعي، وهي:

تربية الأبناء وطهي الطعام وغسل الثياب، ورعاية شئون البيت، وتلبيته مطالب الزوج المادية والنفسية وذلك بعد أداء فريضة الصلاة، خمس مرات في اليوم يتطلب منها.

ويضاف إلى ذلك نافلة تؤديها المؤمنة في صلاة وتسبيح وذكر ودعاء فلهذا وقتها تستغرقه وظائفها، فلم يبق مجال للعمل خارج البيت.

وقد منح الله سبحانه وتعالى المرأة طائفة من الخصائص الجسدية والنفسية تخالف فيها بعض الخصائص الجسدية والنفسية الممنوحة للرجل، كما وضحت الباحثة ذلك سابقاً والإسلام لاحظ هذه الخصائص وقرر لها من الأحكام ما تناسبها، ولا يرضى عاقل أن تسوّى الأحكام بين المرأة والرجل بعد أن عرف الاختلافات في الخصائص الجسدية والنفسية للمرأة لذا فمن يدعو للمساواة بين الرجل والمرأة في الحقوق والواجبات، يريد أن يلغي أمومة المرأة فلا تكون أماً مربية، وزوجة صالحة، ويريد أن يلغي مبدأ التخصص بحسب الاستعدادات الفطرية، وهذا يتطلب إحداث تغيير في الدور التقليدي للرجل، وكذلك في دور المرأة حيث تشترك النساء والرجال جميعاً في الفنون النسوية، وفي صناعة الحدادة والنجارة والأعمال الثقيلة الشاقة، وأن تحمّل المرأة مسئولية الكسب والنفقة كما يحمل الرجل، ويحمل الرجل

---

(837) انظر: المرأة بين الجاهلية والإسلام، سعد صادق محمد، ص ٩٠

(838) انظر: المرأة المسلمة، أبو بكر الجزائري، دار الكتب السلفية، القاهرة، ط٢، ١٤٠٦، ص ٩١.

مسئولية إرضاع الأطفال وتدابير شئونهم، وأن تهمل القوامة في الأسرة أو تكـون بالتنـاوب بينهما، وغير ذلك من الأمور التي تضطرب فيها الحياة، ويفسد فيها نظام المجتمـع الإنـساني وجماله، وتنحرف المرأة عن أداء واجباتها الفطرية ووظائفها الطبيعية. التـي يتوقـف علـى أدائها بقاء المدنية، بل بقاء الجنس البشري بأسره، كل هذا نتيجة المفهوم الخاطىء للمـساواة. فدعاة المساواة يحاولون أن يخلطوا المجتمع الإنساني خلطاً تضيع فيه الحكمـة وتحـرم فيـه الخصائص من تلبية مطالبها الفطرية، وتصبح الحياة مزعجة، حيث تصاب النفـوس بالتـذمر والسأم والكراهية، والظمأ الروحي والنفسي إلى نفحات السعادة التي لا تحـدث فـي أجـواء مشحونة بالنفور، والإحساس بعدم الملائمة [٨٣٩].

إذن فاشتغال المرأة في أعمال الرجال، وانهماكها فيه بغير قيود ليس من مصلحة المرأة، لأنها تفقد أنوثتها، وخصائصها، وتحرم من بيتها وأولادها، حتى إن كثيـراً أصـبن بـالعقم، وبعضهم سماهن (الجنس الثالث) الذي لا هو رجل ولا هو امرأة. [٨٤٠].

وكتب محمد حسين في هذا الموضوع فقال:

أحسن ما قرأته في وصف النساء المترجلات، اللاتي يأبين إلا الخروج على فطـرتهن، والزج بأنفسهن في ميادين الرجال، تسمية أحد كتاب الإنجليز لهن "الجنس الثالث" فـالواقع أن هذه التسمية تسمية وصف صادق كل الصدق لهذه الطبقة الجديدة من النـساء التـي بـرزت مشكلتها في المجتمع الأوربي منذ أواخر القرن الميلادي الماضي، بعـد أن تكـاثر عـددها، وطغى سبيلها، ذلك لأنهن قد فقدن أنوثتهن، فلم يعدن نساءً، وابتـذلن أجـسادهن وأرخـصن مفاتنهن حتى عافها الرجال، وانصرفوا عنها، ثم إنّ فطرتهن وخلقتهن تأبى عليهن من بعد أن يدخلن في عداد الرجال. من أجل ذلك سماهن الكاتب الإنجليزي "الجنس الثالث بعد أن أخرجن أنفسهن من عداد النساء، واستحال عليهن أن يدخلن في عداد الرجال، فهنّ يخـالفن الرجـال طبيعةً وتركيباً ويخالفن النساء وظائفاً وأعمالاً [٨٤١].

---

(839) انظر: أجنحة المكر الثلاث، ص ٥٦٣-٥٦٤، وانظر: مجلة الأزهر بعنوان اتفاقية القضاء على أشكال التمييز ضد المـرأة مـن المنظور الإسلامي، جاد الحق على جاد الحق، مطابع الأوفست، سـنة ١٤١٦هـــ-١٩٩٥م، ص ٣-٤، وانظـر: الحجـاب للمودودي، ص ٢٧، وانظر: ضرورة الفصل بين الجنسين حسن زكريا فليفل، مكتبة ابن سينا، القـاهرة، ط١، ١٤٠٠هـــ-١٩٩٠م، ص١٣

(840) انظر: مركز المرأة في الحياة الإسلامية، القرضاوي، ص ١٥٤

(841) انظر: عمل المرأة بين المشروع والممنوع، ص ٨٤

وقد درس هذا الأستاذ أحوالهن درساً مدققاً "فوجد أنهن يتــركن الــزواج وبــانتزاعهن أنفسهن من وظائفهن الطبيعية كالأمومة وما يتبعها، قد تغيرت إحساساتهن عن إحساسات بنات جنسهن، وصرن في حالةٍ من الكآبة تشبه أعراض (الماليخونيا)" (٨٤٢).

المطلب الثاني: هــدم الأســرة

الأسرة هي الوحدة الأولى للمجتمع، وأولى مؤسساته التي تكون العلاقات فيها في الغالب مباشرة، ويتم داخلها تنشئة الفرد اجتماعياً، ويكتسب فيها الكثير من معارفه ومهاراته، وميوله، وعواطفه واتجاهاته في الحياة، ويجد فيها أمنة وسكنه" (٨٤٣). والمــرأة المــسلمة هــي قــوام الصلاح والفساد في هذه الأسرة، فإن بقيت متمسكة بدينها بقيت الأسرة قوية منيعــة محــصنة وإذا أمكنها القيام بوظيفتها في المنزل، وفي مجالات العمل المناسب لأنوثتها وطبيعة تكوينهــا، استطاعت أن تخرج جيلاً مسلماً قوياً ينفع دينه ووطنه، لكن أعداء الإسلام كان لهم دور كبيــر في دكّ هذا الحصن المنيع بكثير من الوسائل المدمرة والتي ذكرت بالتفــصيل فــي الفــصل الثاني، ولكن لا بد هنا من بيان العوامل التي أدت إلى فك رباط الأسرة المسلمة.

ومن أبرز هذه المؤثرات:

١- انجراف المرأة في تيار الثقافة الغربية، والفكر الوافد مقلدةً، فخرجت مــن بيتهــا التــي صارت تعتقد أنه سجن، وسعدت لأنها تحررت منه، وأخذت تطالب بحقوقها المزعومة، وتنادي بمساواتها مع الرجل في جميع الحقوق والواجبــات، وخرجــت لتعمــل أعمــال الرجال، متناسية أن لها بيتاً وأولاداً يحتاجون إلى رعايتها وحنانها، وأنها هي المــسئولة عن تهيئة الجو الاجتماعي والنفسي لهم، لينشأوا تنشئة سليمة. وقد نجم من تخليها عــن هذه الوظيفة كثير من المضاعفات السيئة كان من أهمها انهيار الأســرة، ففــي الغــرب أصبح التقاء المرأة بزوجها وأطفالها التقاءً عابراً، وأصبحت الأسرة في نظر الكثيــرين أشبه (بالفندق) من دون أن يوجد ذلك الرباط الاجتماعي والنفسي الذي يربط بين أفــراد الأسرة (٨٤٤).

ويقول الشيخ رياض المسميري محذراً من تقليد الغرب: "وإذا كانت المجتمعات الغربيــة قد فرضت على نسائها الخروج للعمل بفضل أنانيتها وماديتها المقيتة، وتهميشها لــدور المــرأة التربوي في بيتها ومع أولادها، فما بالنا نحن المسلمين نتبع خطى هؤلاء المساكين حذو القــذة

(842) نفس المصدر السابق، ص ٨٤

(843) نظام الأسرة في الإسلام، د. محمد عقلة، مكتبة الرسالة الحديثة، عمان، ط١، سنة ١٩٨٣م، ٨/١

(844) انظر: الأسرة في العصور الحديثة عن الأسس الاجتماعية، ص ٧٢ www. Al Resool. Net.

بالقذة على حساب أخلاقنا ومنظومتنا الاجتماعية، ونستبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير، ثم تابع يقول "ومن العار أن نقع في ذات الأخطاء التي وقع بها القوم، لا شيء إلا لحب التقليد واقتفاء دروب الحضارة باتجاهٍ معاكس" (٨٤٥).

وقد نعى على المرأة خروجها من بيتها جمع كبير من علماء التربية والاقتصاد وعلم النفس يقول الفيلسوف الكبير براترندسل: "إن الأسرة انحلت باستخدام المرأة في الأعمال العامة، وأظهر الاختبار أن المرأة تتمرد على تقاليد الأخلاق المألوفة" (٨٤٦).

ويقول العالم الاقتصادي جون سيمون: "النساء قد صرن الآن نسّاجات وطبّاعات، وقد استخدمتهن الحكومة في معاملها، وبهذا فقد اكتسبن بضعة دريهمات، ولكنهن في مقابل ذلك قد قوّضن دعائم أسرهن تقويضاً. نعم إن الرجل صار يستفيد من كسب امرأته ولكن إزاء ذلك قلّ كسبه لمزاحمتها له في عمله" (٨٤٧).

ويقول ساموبل سمايلس: "إن النظام الذي يقضي بتشغيل المرأة في المعامل مهما تنشأ عنه من الثروة للبلاد فإن نتيجته هادفة لبناء الحياة المنزلية، إلا أنه يهاجم هيكل المنزل، ويقوّض أركان الأسرة، ويمزق الروابط الاجتماعية" (٨٤٨). هذه بعض الآراء التي تدلل على أن خروج المرأة من بيتها، ودخولها في المعامل ومزاحمتها للرجل في عمله واقتصاده يؤدي إلى عجزها عن القيام بوظيفتها في تربية النشء، فإنها لم تعد إلى المنزل إلا وقد أضناها العمل، واستنزفت الأتعاب جميع قواها، فكيف تتمكن من تربية أطفالها؟!

٢- عقد المؤتمرات والندوات العالمية والإقليمية كان له أكبر الأثر على الأسرة المسلمة، وهذه المؤتمرات كما بينت الباحثة سابقا (٨٤٩) كانت تخص المرأة وتهتم بها بهدف إفسادها وإبعادها عن حصنها الحصين الذي فيه أمنها وراحتها وعفتها، وكان من أهم السلبيات التي دعت إليها هذه المؤتمرات: إهمال دور الأسرة في البناء الاجتماعي وتهميشه.

٣- وسائل الإعلام التي لعبت دوراً كبيراً في هدم الأسرة، خاصة التلفزيون الذي يمثل الوسيلة الإعلامية الأكثر انتشاراً بين الناس، حيث بات من النادر ألا يتواجد هذا الجهاز في كل بيت تقريباً، وهذا الجهاز له دورٌ مهم في التأثير على الناس، والوصول إلى عقولهم وقلوبهم، وقد تجلت مهمته الإفسادية في بث البرامج والمسلسلات والأفلام المحلية

(845) عمل المرأة بين المشروع والممنوع، ص ١٥٤.

(846) انظر: الأسرة في العصور الحديثة عن الإسلام والحضارة العربية، ٢/٩٢.

(847) نفس المصدر، عن مجلة المجلات، ص ١٧

(848) نفسه عن نظرية العلاقة الجنسية في القرآن، ص ٩٨-٩٥

(849) ارجع إلى مبحث المؤتمرات، ص١٤٨-١٥٨ .

والمستوردة والتي لا تخلو من الإباحية والفساد، والتي تؤدي إلى تخريب كثير من البيوت والمجتمعات [٨٥٠].

٤- المنظمات الحكومية والأهلية لها دور كبير في طمس معالم نظام الأسرة وإلغاء بعض أحكامها الأساسية الشرعية كإباحة الطلاق وتعدد الزوجات. لقد بدأت تعديلات قوانين الأحوال الشخصية في مصر عام ١٩١٠م ثم تبعها قانون ١٩٣٧م وفي تركيا بدأ سنة ١٩١٧م، ثم تتابعت عمليات تقنين القوانين في شتى الأقطار العربية والإسلامية، وقد تم حالياً تنفيذ قانون (الخطة الوطنية لإدماج المرأة في التنمية) في المغرب وعدداً من الدول، وقبل أربع سنوات تقريباً ثم تعديل قانون الأحوال الشخصية في تركيا، الذي أنهى سيادة الرجل على الأسرة، وفرض مطالب "تحرير المرأة كاملةً وبدأ تنفيذه مطلع سنة ٢٠٠٢م، وهذا كله بفضل نشاط هذه المنظمات التي بدأ من مجرد بث الأفكار إلى التوصيات والتنظيمات ثم محاولة الفرض الحكومي الرسمي[٨٥١].

٥- الدعوة إلى العلاقات غير الشرعية، وإعلاء شأن الجنس، والدعوة الصارخة إلى الحب الإباحي وهي مؤامرة تهدف إلى هدم الأسرة، تزعمها قديماً فرويد ودوركايم ومن تتلمذ على أيديهما [٨٥٢].

المطلب الثالث: السفور والتبرج

السفور هو أن تكشف المرأة عن أجزاء من جسمها مما يحرم عليها كشفه لغير محارمها، كأن تكشف شعرها وعنقها، وساقيها وعضديها، والتبرج هو أن تظهر المرأة محاسنها لمن لا يحل لها أن تظهرها له أو التبرج هو أن تستعمل المرأة الطلاء، والمساحيق، والأصبغة، وما يعرف بوسائل الزينة لإقناع الذين يرونها بأنها جميلة سواء كانوا محارمها أو غير ذلك[٨٥٣].

ولقد كانت المرأة المسلمة إلى الأمس القريب في جميع بلدان الإسلام محتشمة متحجبة، ولم يكن الحجاب إلا التزاماً لأمر الله، ولكن الحجاب كان حجر عثرة أمام أعداء الإسلام، لذلك أصبح ولا زال شغلهم الشاغل، فدعوا المرأة إلى السفور التبرج، ومن ثم كان الانحلال وكانت الخلاعة والميوعة.

---

(850) نفسه، عن نظرية العلاقة الجنسية في القرآن، ص ٩٨-٩٥

(851) انظر: نظام الأسرة في الإسلام، ١/١٤، وانظر: تحرير المرأة.. عقم المفهوم وانتهازية التطبيق قلم معتز الخطيب، www. Inna.me.uk/ drasat

(852) انظر: المرأة المسلمة في وجه التحديات، أنور الجندي، ص ٤٦.

(853) انظر: خطر التبرج والاختلاط ، عبد الباقي مضون، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٣٩٤هـ-١٩٧٤م، ص٦١-٦٢، وأهم قضايا المرأة المسلمة، محمد حسن أبو يحيى، دار الرشيد- الرياض، ط١، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م،ص١٠٩..

ونجحوا في تجنيد روّاد لهم من المسلمين والمسلمات للقيام بتنفيذ مخططاتهم في إفساد المرأة كما تبين في الفصول السابقة هؤلاء المنتسبون إلى الإسلام يفاخرون بأنهم من أبناء الثقافة الغربية التي جلبوها على المجتمع الإسلامي، وبأن أوربا هي قلعة الحرية والتمدن والديمقراطية واحترام الإنسان، ولهذا يرون أن تنطلق المرأة مع التيار الأوربي، وتحرر من نظم الإسلام، والتحرر الذي ينادون به يعني سفور وتبرج وخلاعة وفجور باسم الثقافة الغربية وباسم الحضارة الأوربية (٨٥٤).

العوامل التي أدت إلى السفور والتبرج:

وقد سلك هؤلاء خطة ماكرة استهدفت المرأة وحجابها مما أدى إلى تخلي المرأة عن جلبابها وخمارها، وتدهور حالها إلى حدٍ يشعر معه المسلم الغيور بالألم والحسرة مما وصل إليه حال المرأة من ضياعٍ وخسران. فمن هذه العوامل المؤثرة:

أولاً: الدعوة إلى السفور والتبرج:

وقد مرّت الدعوة إلى السفور في الأقطار الإسلامية بمراحل، ومن الثابت تاريخيا أن حركة "السفور" تطابقت زمنياً في مصر وتركيا وإيران، ثم انتشرت في الدول الأخرى أما في مصر فقد ألقت هدى شعراوي، وسيزا نبراوي حجابيهما، وداستاه بأقدامهما فور وصولهما من مؤتمر النساء الدولي الذي عقد بروما صيف سنة ١٩٢٣م. خلعت المرأة النقاب عن الوجه، ثم استبدلته بالمنديل ثم لم تلبث أن نبذت الجلباب فتخلصت منه واستبدلته بالثياب الملونة الفاتنة، ثم أخذا المقص يحيف على الثياب في الذيول وفي الأكمام وفي الجيوب، ولم يزل يجور عليها حتى يضيقها على صاحبتها حتى أصبحت كبعض جلدها، ثم تجاوزت ذلك كله إلى الظهور على شواطئ البحر في المصايف بما لا يكاد يستر شيئاً على جسمها، ولم تعد عصمة النساء في أيدي أزواجهن، ولكنها أصبحت في أيدي صانعي الأزياء في باريس من اليهود ومشيعي الفجور (٨٥٥).

وفي تركيا بدأت الدعوة إلى تحرر المرأة من تعاليم الإسلام مع سقوط الخلافة الإسلامية عام ١٩٢٤م، وقد كان يصنع الغرب الكافر لكمال أتاتورك أثراً قوياً في فرض السفور على المرأة التركية، حتى أصبحت المرأة التركية كما وصفها الغربي جان رو: "المرأة التركية

(854) انظر: المرأة بين الجاهلية والإسلام، سعد صادق محمد، ص ١٤٦.

(855) انظر: المؤامرة على المرأة المسلمة، ص ٣٠، وانظر: المرأة بين الجاهلية والإسلام، ص ١٤٦

عصرية تماماً، هي ترتدي أثواب السهرات العارية الكتفين والظهر، كما لا تحجم عن ارتـداء المايوه، ولكنها تتحاشى التطرف في ذلك" [٨٥٦].

ولم يكف دعاة السفور ما وصلت إليه المرأة التركية بل طالبوا بالمزيد، فهذا أحمد رضـا بك من زعماء أحرار تركيا يقول "مادام الرجل التركي لا يقدر أن يمـشي علنـاً مـع المـرأة التركية وهي سافرة الوجه، فلا أعدّ في تركيا دستوراً ولا حرية" [٨٥٧].

وفي عام ١٩٢٦م أرسلت تركيا باخرة تجوب موانئ أوربا، وفيها خمس وعشرين فتاة من فتيات تركيا الجديدة، كلهن جميلات مقصوصات الشعر لا يكاد يميزهن الرائـي مـن فتيات باريس ولندن، يُجدن التكلم بالإنجليزية، وقد صرخت إحداهن في بعـض المـوانئ الإنجليزية إن المرأة التركية اليوم حرة فلن تسير في الطرقات في ظلام، وإننا نعيش اليوم مثل نسائكم الإنجليزيات، نلبس أحدث الأزياء الأوربية والأمريكية، ونـرقص، ونـدخن، ونسافر، ونتنقل بغير أزواجنا" [٨٥٨].

أما في إيران، فقد قام الإنجليز بنزع حجاب المرأة بالقوة عام ١٩٢٦م، وكـان البـوليس يتعرض للنساء، وينزع حجابهن بالقوة، وكذلك منعت الفتيات والمدرسات من دخول المـدارس محجبات [٨٥٩].

وبدأت الدعوة إلى السفور في الكويت في الخمسينات، وطُلِبَ من المرأة الكويتية أن تثـور ضد التقاليد الاجتماعية وفي مقدمتها العباءة السوداء، وأن تملك الشجاعة لتخرج سـافرة بـين الرجال، وأقنعوها أن الحجاب هو السدَّ الكبير الذي يفصل المرأة عن المجتمـع، وفـي سـنة ١٩٥٥م تم حرق الحجاب، وفي عام ١٩٥٦م تم إحراق البوشيه في إحدى المدارس الثانويـة، وقالت إحدى الطالبات أمام وزير المعارف: "علم وحجاب لا ينسجمان.. لقـد قـررت جميـع الطالبات أن يخلعن البوشيه إلى الأبد، ولقد جاء دور المرأة الكويتيـة لتتحـرر" [٨٦٠]. ويُـشَادُ بالفضل لعبد الله جابر الصباح (وزير المعارف)، لأنه كان له دور في تحرير المرأة الكويتيـة حتى قيل عنه "لقد كان الرجل هو قاسم أمين الكويت" [٨٦١].

(856) المؤامرة على المرأة المسلمة، ص ٨.

(857) نفس المصدر السابق، ص ٨.

(858) نفس المصدر، ص ٩.

(859) المرأة بين الجاهلية والإسلام، ص ١٤٧.

(860) المؤامرة على المرأة المسلمة، ص ١٤

(861) المؤامرة على المرأة المسلمة، ص ١٤، عن مجلة العربي، ١٩٩٤-١٣٩٤هـ.

وهكذا في سائر الدول العربية والإسلامية نشط دعاة تحرير المرأة في الدعوة إلى السفور والتبرج، حتى خلعت المرأة حجابها واعتبرته موضة قديمة، وخرجت كاسية عارية، في فلسطين وسوريا ولبنان وتونس والمغرب، حتى أن السائر في الطرقات لا يستطيع أن يميز المرأة المسلمة عن المرأة الأجنبية، ويشعر بالغربة وكأنه يسير في مدينة أوربية لا تمت إلى الوطن الإسلامي بصلة فالنساء في تكشف مزرٍ، وتبرجٍ مشين، قد خلق ثوب الحياء والخجل، ونزعن رداء الطهر والشرف.

ثانياً: وسائل الدعاية والنشر من كتب ومجلات وجرائد وإذاعة وتلفاز:

كان للإعلام العربي دور في تفشي ظاهرة السفور في المجتمعات الإسلامية حيث تساهم أجهزة الإعلام كلها للدعاية والإعلان للأزياء الغربية، وكافة أدوات التجميل والزينة، وتروّج لمصانع أدوات التجميل في الخارج والداخل، ودور الأزياء المنتجة لكل جديد في عالم الموضة، والمرأة. تتلقف كل هذا بشغف، وتنفق كل ما لديها لتبدو جميلة جذابة أمام أعين الناظرين عند خروجها من البيت لمشاهدة الحفلات، ولحضور المنتديات، والذهاب إلى أماكن عملها، وهي تهدف أن يراها الناس مرتدية الأزياء الحديثة، وأنها امرأة متقدمة متحضرة، وربما يكون ذلك على حساب بيتها وأولادها أو زوجها بل وعلى حساب كرامتها وحيائها.

ثالثاً: الشركات والمحلات التجارية.

تلعب الشركات والمحلات التجارية دوراً كبيراً في ترويج السفور وانتشاره، وذلك لترويج وبيع الملابس الكاسية العارية حسب الموضة كل عام، حتى إذا خرج ولي الأمر لشراء ملابس ساترة لابنته فلا يجد إلا الضيق، أو مفتوح الجانبين، أو القصير ومعه بنطال، حتى ظهرت للمعجبات أحدث الموضات المخالفة للزى المطلوب شرعاً.

رابعاً: الاختلاط المطلق بين الرجال والنساء:

شجع على المبالغة والإسراف في الزينة والعرىّ المكشوف الذي أجج شهوات الرجال، فالاختلاط يوحى لها كي تبدو جميلة في نظر زميلها في العمل أو في الجامعة، فتتفنن في سفورها وتبرجها، وهناك أسباب أخرى ساهمت في إقبال المرأة على السفور والتبرج منها:

- سوء التربية والتوجيه والتعليم من جهة الآباء أو من جهة المدرسة التي لا تملك المناهج التعليمية الصالحة التي توجه الطالبة التوجيه الصحيح، وتشجيع التعليم المختلط بين الطلاب والطالبات.
- التقليد الأعمى للغرب وإتباع الموضة.

- غياب دور الدعاة وتثاقلهم في القيام بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.
- إنشاء النوادي المختلطة ومحلات (الكوافير) غير الشرعية.
- الفهم الخاطئ لمعنى التحرر على أنه الإباحية المطلقة للنساء، وفي اختيار الأزياء غير المحتشمة، وفي توظيف النساء خارج البيوت وفي الأسواق والمسارح ودور السينما.
- إلغاء القوامة بدعوى المساواة بين الرجل والمرأة في جميع الحقوق والواجبات. أدى إلى ترجّل المرأة، حتى صارت تلبس مثل ما يلبس الرجل، وتقص شعرها كالرجل تماماً، وتعمل عمل الرجل.
- الكتب الزائفة التي ألّفت وركزت على تشويه صورة المرأة المسلمة المحجبة وتسمية الزى الإسلامي تارة بالخيمة، وتارة بالكفن وأثنت على المرأة المسافرة المتبرجة.
- عدم الضرب على أيدي المفسدين الذين يتاجرون بالجنس، ويستغلون النساء للعمل في دور اللهو والفساد (٨٦٢).

المطلب الرابع: تدمير القيم الأخلاقية

فمن آثار الحياة الاجتماعية تدمير القيم الأخلاقية في العالم الإسلامي، فمن مقولات الغزاة "يجب أن نعمل لتنهار الأخلاق في كل مكان لتسهل سيطرتنا" (٨٦٣). وفعلاً نلاحظ اليوم في مجتمعاتنا الإسلامية، سيطرة الشهوات والغرائز الجنسية، والانهماك في لقمة العيش، والحرص على جمع المال مما أدى إلى زيادة تعلق كثير من الناس بأعراض الدنيا، وإبعادهم عن القيم الإنسانية، والمبادئ النبيلة والمشاعر التي تدفعهم للحفاظ على كرامتهم وعزتهم.

والذي ساعد على انهيار الأخلاق ما يلي:

١- غياب الوازع الديني، والضمير الحي.
٢- تقويض دعائم الأسرة بالإباحية.
٣- عرض الأفلام الخليعة والأغاني المصورة الماجنة.
٤- الأزياء الفاحشة المتجددة.
٥- المجلات والكتب الجنسية والمهيجة مثل مجلة روزا اليوسف.
٦- القصص الغرامية المثيرة مثل قصص إحسان عبد القدوس.

(862) انظر: خطر التبرج والاختلاط، ص ١٨٢-١٨٥، وانظر: المرأة المسلمة في وجه التحديات، ص ١٧-٢٠
(863) خطر التبرج والاختلاط، ص ١٩٦.

٧- الصور العارية في أوضاع شتى على جدران دور السينما ومحلات الكوافير وفي الشوارع. بالإضافة إلى الصور التي تجتمع فيها المرأة مع الرجل في معظم الدعايات وتكون شبه عارية.

٨- وسائل الدعاية للتشجيع على الاختلاط والإباحية والزنا.

وستذكر الباحثة بعض النماذج التي تبين أنّ القيم والأخلاق لا وجود لها إلا عند قلةٍ مؤمنة، واعية لما يخطط لها من قبل أعداء الإسلام من استغلال المرأة لتكون سلعةً رخيصةً، بعد أن كانت جوهرة مصانة[٨٦٤].

ومن هذه النماذج:

- استغلال مظهر المرأة وجسدها، وصورها العارية في مختلف الأوضاع، في الدعايات على البضائع والمنتجات، بالإضافة إلى عرض الملابس العارية على ما يسمى (المليكان) بطرق مثيرة تخدش مشاعر المرأة وتحط من كرامتها، ويستوقف أنظار المارة في الشوارع والطرقات ليتأملوا بخيالهم مفاتن المرأة، ومواطن الشهوة منها[٨٦٥].

وما ورد على لسان الصحفي الغربي أنيس منصور محرضاً على العريّ والفساد ما يدل على ذلك حيث قال: "سوف تكون خيوط الموضة هذا الشتاء محتشمة جداً وسخيفة جداً لأن الفساتين سوف تكون طويلة، وواسعة، وسوف تبدو المرأة وكأنها شماعة تحمل هذه الفساتين، وأن ما بينها وبين هذه الفساتين خصام، فلا الفستان يحتضنها برفق على الصدر أو على الخصر أو على الأرداف"[٨٦٦]، ثم تابع قائلاً: "إن الفساتين تبدو وكأنها إهانة للمرأة، فلا الساقان ظاهرتان ولا النهدان أو الردفان ولا الذراعان ولا العنق، كأنها أنواع مختلفة من الخيام، وأن المرأة قد ضربت حولها وأمامها وراءها الخيام فلا يراها أحد" ثم يقول محرضاً على هدم كل القيم التي جاء بها الدين للمرأة المسلمة من أن تكون زينتها قاصرة على بيتها وزوجها وألا تخرج إلا بالملابس الواسعة المحتشمة.

إن ملوك الأناقة عوضوا المرأة عن هذه الخيمة بأشكال جميلة من قمصان النوم، ومعنى ذلك أن الموضة ستجعل المرأة جميلة في البيت وغير ذلك في الشارع، على الرغم من أن المرأة حريصة على أن تبدو جميلة لكل الناس، فإنها تفضل أن تكون جميلة لشخص واحد،

(864) انظر: خطر التبرج والاختلاط، ص ١٩٥.

(865) انظر: مكانك تحمدى، ص ٩٠-٩١، وانظر: الإسلام والجنس، فتحي يكن، ص ٦٨-٦٩.

(866) الصحافة والأقلام المسمومة، أنور الجندي، ص ٤٢.

والمرأة التي لا تسعد برجلٍ واحد فإنها تحاول أن تلفت عيون الآخرين، ولــذلك فــإن المــرأة تسارع إلى الشارع وتتمتع بنظرات الناس إليها لأنها لا تجد هذه المتعة في البيت(٨٦٧).

فانتفت القيم والأخلاق عند هذا الكاتب، فقال كلماته هذه التي تقضي على القيم والأخلاق.

* الأفراح والحفلات الماجنة والمختلطة وما يحدث فيها من عريّ وتكشف، وأغــاني ماجنــة والرقص المختلط رجالاً ونساءً ورقص (سلو) والسكر والفجور وإحضار الراقصات والمغنيات العاريات في هذه الأفراح التي يتم إحياء الليل فيها على الفواحش والمنكرات، وهجــران القــيم والأخلاق.

* القارئ للصحف اليومية والمجلات الأسبوعية ومواقع الأخبار على الانترنت ينزعج لكثــرة الحوادث الإجرامية من اغتصاب وخطف وقتل وأمثلة على ذلك:

- طباخة بالشقق المفروشة استدرجت جارتها التلميذة بالثانوية، فجرت خلفها طــابوراً مــن التلميذات تحت إغراء المال والملابس. الأهرام/ مصر
- شابان يحاولان خطف فتاة بشارع مجلس الأمة. الأهرام /مصر
- ابتزاز المرأة جنسياً في الأتوبيسات(٨٦٨).
- اغتصاب فتاة في محل للتصوير وتهديدها بفضحها في الجزائر.
- أردني يقتل شقيقته في جريمة شرف في الأردن.
- ثماني فتيات قتلن خلال شهرين (جرائم الشرف) ظاهرة تستشري في المجتمع الفلسطيني.
- تعرض طفلة في الرابعة من عمرها للاغتصاب في السودان.
- إعدام سعوديين وكويتي أُدينوا باغتصاب وقتل طفلة.
- الإعدام لثلاثة فلسطينيين أدينوا باغتصاب وقتل فتاة قاصر، وحاولوا اغتــصابها فرمــت نفسها من الطابق الخامس(٨٦٩).

وهذا كله نتيجة غياب القيم الإنسانية والأخلاق الإسلامية.

أثناء العمل تتعرض المعلمة والموظفة للإغراءات الجنسية المتكررة، وإن لم ترضخ فإنها تقــع تحت طائلة الانتقام من رئيسها المباشر(٨٧٠)

---

(867) الصحافة والأقلام المسمومة، ص ٤٢-٤٣.

(868) انظر: عمل المرأة في الميزان، عبد الله البار، موقع صيد الفوائد.

(869) مــركــز الأخبــار- أمــان المركز العربي للمصادر والمعلومات حول العنف ضــد المــرأة. الأردن www. Amman Jordan onj

المطلب الخامس: كثرة المشكلات والأمراض الاجتماعية والجنسية:

اندفعت المرأة المسلمة وراء الحصول على حريتها، تقليداً للمرأة الغربية، حتى وصلت إلى ما يسئ إلى الحرية، لأنها فهمت الحرية فهماً مغلوطاً، وفي ظل هذه الحرية الزائفة تحررت المرأة من الآداب والأخلاق والضوابط الشرعية، فداست على أقدس واجباتها كزوجة مخلصة، وأم مربية، وربة بيت، مما زاد حياتها تعقيداً، وزادت المشكلات والأمراض النفسية التي أدّت إلى تدمير كثير من البيوت، وتشتت عدد لا بأس به من الأسر.

أولاً: المشكلات:

وستعرض الباحثة بعض المشكلات مع بيان أسبابها

المشكلة الأولى: ضياع الأولاد وتفكك الأسر:

وهي مشكلة كثير من السيدات المتزوجات اللاتي كنّ يعشن في سعادة مع أزواجهن، ولكن بسبب اختلاط الرجال مع النساء بعد ذلك في العمل، التفت الرجال إلى التسلية والضحك والمزاح مع النساء اللاتي يجتمعن معهم كل يوم، وفي نفس غرفة العمل، مما أدى إلى إهمال بيوتهم وزوجاتهم وأولادهم، وازدياد الخلافات، وانحراف الأولاد.

وأصبحت هذه المشكلة مشكلة أمة، ومستقبل جيل، حيث يتعرض الرجل كل يوم للإغراءات، يراها أمامه وباستمرار، بسبب خروج المرأة للعمل واختلاطها بالرجل دون مراعاة للآداب الإسلامية [٨٧١].

ويمكن أن ينعكس ذلك على المرأة نفسها، حيث تهدم بيتها بيدها، كما حدث مع رجل مسلم عربي كان يعيش مع زوجته حياة هانئة، وبعد عامين من زواجه. ألحت عليه زوجته بأن تعمل من أجل حياة أفضل، فرفض زوجها في بداية الأمر، وبعد الإصرار عليه، وافقها على العمل في إحدى المؤسسات الحكومية، واثقاً بأخلاقها، وشدة حرصها على سمعتها وكرامتها، ولأنها أم لطفل صغير، ولم تمض بضعة شهور على عملها في المؤسسة، حتى حدثت المأساة الخطيرة التي لم تكن في الحسبان. حدث أن هربت الزوجة مع زميل لها في العمل، عندما زين لها فكرة الهرب، وسلب رشدها بمعسول الكلام، وتركت زوجها الذي وثق بإخلاصها مشدوهاً أمام المصيبة التي حلت بالأسرة الهادئة، غير آبهة بطفلها الصغير الذي

(870) انظر: عمل المرأة في الميزان، عبد الله البار، موقع صيد الفوائد .

(871) انظر: المرأة بين الفقه والقانون، ص ٢٨٢-٢٨٣.

كان موضع عنايتها واهتمامها، مـن أجـل التمتع بلذة الحياة مـع هـذا الـشاب الوضـيع، فخسرت بيتها وزوجها وولدها [٨٧٢].

المشكلة الثانية: مضايقات الرجل من عمل المرأة:

توجد دراسة تبين الآثار السلبية لعمل المرأة على زوجها والبيت، وقد أجرت هذه الدراسة إحدى الباحثات على عينة من الزوجات العاملات.

- أجاب ٨٤% منهن بقولهن: أضايق زوجي بغيابي عن البيت عندما يكون متواجداً فيه.
- أجاب ٤٢% أثير أعصاب زوجي بكلامي حول مشاكل عملي مع رؤسائي وزملائي.
- أجاب ٦٧% أثير أعصاب زوجي عندما أناقشه حول اعتقاده بعدم كفاءتي في العمل.
- أجاب ٢٣% أؤلم زوجي بتركي له وحيداً في حالات مرضه الشديد بسبب ذهابي إلـى العمل.
- وقالت ٢٢% أقلق زوجي بتأجيل فكرة الإنجاب بسبب العمل [٨٧٣].

ويتضح من هذه الدراسة أن غياب الأم عن بيتها يؤدي إلى نشوء الخلافات الحـادة بـين الزوجين حيث أخلت الزوجة بمتطلبات زوجها، وحاجته إلى الاهتمام بـه شخـصياً، وتلبيـة مطالبه المختلفة، حتى لو كان مقتنعاً بخروجها، إلا أن هذا لم يمنع خروجه عن طـوره فـي أحيانٍ كثيرة بسبب الضغط النفسي الناشئ عن فوات حقوق كثيرة لا يمكن التقاضي عنها إلـى الأبد [٨٧٤].

المشكلة الثالثة ظاهرة المعاكسات والمضايقات:

انتشار ظاهرة المعاكسات والمضايقات الجنسية للمرأة تبدأ هذه المعاكـسات منـذ لحظـة خروجها من منزلها، ففي مصر مثلاً: تنتشر ظاهرة المعاكسات والابتـزازات الجنـسية فـي الحافلات نتيجة الزحام الشديد، وفي أثناء العمل تتعرض العاملة والوظيفة للإغراءات الجنسية المتكررة. وكثير من الحوادث قد وقعت، وسمع بها كل من له أدنى صلة بالمرأة العاملة فـي البلاد العربية، حيث تبتز المرأة العاملة جنسياً في مقابل العمل فيعتدي على شـرفها بالتهديـد والإكراه حيناً، وبالإغراء والوعود المعسولة حيناً آخر، وبكلمات الحب الكاذبة حيناً، وبالهـدايا التافهة حيناً آخر، وما أن تستسلم لواحد منهم حتى تجد خلفه طابوراً، كلهم يطلب المساواة فـي

---

(872) انظر: المصدر السابقة، ص ١٨٤-٢٨٥.

(873) أقوال واعترافات بخطورة عمل المرأة، للشيخ محمد الهبدان، موقع الجود١٩/٤/١٤٢٥هـ www. aljoood. com

(874) أنظر: عمل المرأة بين المشروع والممنوع، ص ٥٥.

المعاملة وإلا التهديد بالفضيحة. يقول د. عبد الله البار "إن هذه الحوادث رغم كثرتها وبشاعتها، لا تزال في طيّ الكتمان ولم تبلغ بعد الصحافة والإعلام كما هو في الغرب... وإلى الآن لا توجد دراسات عن المرأة العاملة في البلاد العربية والإسلامية. مثل الدراسات التي نشرت عن المرأة العاملة في الغرب" (٨٧٥).

المشكلة الرابعة: وجود الخادمات الكافرات في البيت:

تحدث هذه المشكلة عندما تخرج الأم من بيتها تاركة الخادمة لتنوب عنها في مهمتها كأم وزوجة، ومن ثم تحدث المآسي والفواجع، خاصة في دول الخليج التي يزيد فيها عدد المربيات الأجنبيات من ستين إلى خمس وسبعين في المائة، فمن المآسي التي تحدث:

١- حرمان الطفل من حنان أمه التي لا تستطيع الخادمة أن تعوضه.

٢- نقل معتقدات كفرية إلى الأطفال، وقد وجد أطفال في البيوت يؤشرون بعلامة التثليث على الرأس وجانبي الصدر، كما يرون النصرانية تصلي، وتقول للطفل هذه الحلوى من المسيح، ويرى الطفل الخادمة تصلى إلى تمثال بوذا، وأخرى تحتفل بأعياد قومها، وتنقل الكفر بذلك إلى أطفالنا، فيعتادون المشاركة في أعياد الكفرة.

٣- إقامة العلاقات الجنسية مع أصدقاء لهن في المنازل، بالإضافة إلى احتسائهن الخمر، وتدخين السجائر بمصاحبة الأطفال.

٤- تشويه لغة الطفل العربية بما يشوبها من الكلمات الأجنبية.

٥- ما يحصل من تفسخ الأسرة بسبب العلاقة التي قد تنشأ بين صاحب البيت أو الأولاد الكبار من جهة والخادمة من جهة أخرى.

٦- الإرهاق المالي الذي يحصل لأرباب الأسر برواتب الخادمة، ثم النزاعات العائلية حول من يدفع تلك النفقات الزوج أو الزوجة؟ (٨٧٦).

ومن هذه المشاكل تذكر الباحثة بإيجاز:

- نشوء البطالة في أوساط الرجال بسبب إيثار النساء على الرجال في كثير من الوظائف، وسبق الحديث عن ذلك في مبحث العمل.
- نشؤ الجريمة الارتجالية والمنظمة، نتيجة شعور بعض أفراد المجتمع، واستئثار الآخرين بالثروات دونهم.

---

(875) عمل المرأة في الميزان، ص ١٢٥.

(876) انظر: علم المرأة بين المشروع والممنوع، ص ٥٦.

- ارتفاع نسب الانتحار بسبب اليأس والقلق والقنوط من إمكانية تصحيح وضع المنتحر الاجتماعي.
- الإسراف في تكاليف التبرج المؤدي إلى التبذير والبذخ أو إلى الفقر.
- ازدياد نسب حالات الطلاق، نتيجة العلاقات المختلطة المحرمة.
- ارتفاع معدلات السرقة، بسبب الحاجة والحرمان، وتعد البطالة من أهم أسباب ودوافع السرقة.
- شيوع المخدرات وانتشار ظاهرة المدمنين، بسبب الترف والفراغ، والبطالة السائدة في المجتمعات، وبسبب غياب دور المربي الذي يؤدي إلى انحراف أولاده.
- العزوف عن الزواج بسبب، العجز عن المئونة أو بسبب الاختلاط والتكاليف الباهظة للزواج، مما أدى إلى ارتفاع نسبة العوانس، ويترتب على ذلك انتشار الزنا، ودور البغاء، وكثرة اللقطاء [٨٧٧].

ثانياً: الأمراض الاجتماعية والجنسية:

إن وجود الأمراض الاجتماعية والجنسية في مجتمعاتنا تكون غالباً نتيجة الاختلاط والتبرج والسفور، ولقد أقر علماء الطب قديماً وحديثاً بأن الانغماس في الشهوات الجنسية والملذات الغريزية، وفي الترف والمجون بشكل حيواني، دون حدود أو قيود، ودون قوانين وضوابط يؤدي إلى حدوث وانتشار أمراض كثيرة وخطيرة في الجسم والنفس والعقل، تؤدي إلى هلاك الإنسان، فإلغاء القوامة مثلاً: وغياب الأم عن أطفالها فترات طويلة كذلك يسبب اضطراباً نفسياً عند الأطفال. وقد أثبتت الإحصاءات العالمية التي أجريت على عدد من هذه الأمراض، في المجتمعات الغربية بشكل قاطع ومدعوم بالأرقام، أن نسبة ازدياد الأمراض الجنسية الخبيثة ترتفع وتزداد من مجتمع إلى آخر بازدياد الاختلاط والتبرج والإباحية [٨٧٨].
ومن هذه الأمراض الاجتماعية والجنسية ما يلي:

١- المتاعب النفسية والانحرافات الاجتماعية:

ثبت بعد دراسة وتجربة أن البنات في المدارس الداخلية، يعانين متاعب نفسية وانحرافات لا حصر لها، بسبب ابتعادهن عن جو الأسرة، والحل هو عناية الأمهات ببناتهن، وإشرافهن المباشر على تربيتهن، لذلك يطالب علماء النفس في أمريكا بإلغاء المدارس الداخلية بأمريكا

(877) انظر: عمل المرأة بين المشروع والممنوع، ص ٥٥-٥٩ (بتصرف).
(878) خطر الاختلاط والتبرج، ص ١٢٠-١٢١.

فوراً، لأن البنت إذا كانت بعيدة عن أمها انطوت على نفسها، ونجم عن ذلك انحـــراف كبيـــر وخطير [٨٧٩].

ويقول الدكتور دين دينس) عالم النفس الأمريكي: "أن ذكاء الطفل ينمو وقدراته علـــى الكـــلام تقوى إذا نشأ بين أبويه، ولم يترك للمحاضن أو رياض الأطفال، أو المربيات الأجانب" [٨٨٠].

٢- التشتت العاطفي وفقدان الأمن النفسي:

إن إلغاء القوامة، وتعدد مراكز السلطة داخل الأسرة، بين والدين لكل منهما وجهتـــه وهدفـــه ومفاهيمه، يوقع الأولاد في حيرة نفسية، وتشَتُت عواطفهم وَتَبَددْ أمنهم النفـــسي الـــذي كـــانوا يستمدونه من الأب باعتباره المصدر الأساس للسلطة داخل البيت [٨٨١].

إن غياب الأم فترات طويلة في العمل، يقلل من فترة الرَضـــاعة، ويقلـــل مـــن إدرار اللبن، وقد تضطر الأم إلى فطام الطفل في سن مبكرة، لأن عملها لا يتيح لها فرصـــة تغذيـــة نفسها التغذية الملائمة لفترة الرضاعة.

وقد أثبتت التجارب العلمية أنَ الطفل لا ينمو ولا يترعرع إلا على حليب أمه فحسب، بل على الغذاء العاطفي أيضاً، فهو لا يقل أهمية عن الغذاء الجسدي في تنمية شخصيته، لـــذا يفضل في الأطفال الذين يحرمون من التغذية الطبيعية (الرضاعة) أن تضمهم أمهـــاتهم إلـــى صدورهن حسب ما ينصح أطباء الأطفال [٨٨٢].

٣- هناك بعض الأمراض الجنسية التي تحدث بسبب الاتصال الجنسي المحرَم ومنها:

- مرض السيلان: وهو بسبب التهاباً حاداً أو مزمناً فـــي الـــرحم لـــدى المـــرأة وفـــي الخصيتين لدى الرجال، وقد يؤدى إلى العقم، وإلى التهابات في المفاصل، وقد يـــؤثر على المولود فيصاب بالتهابات في عينيه تؤدي إلى العمى.
- مرض الزهرى: ويسبب هذا المرض التهابات جلدية، ومفصلية، وعظمية، وعضلية، وقلبية، وبطنية ورئوية، وكبدية، وعينية، وعصبية، وتشوهات فـــي الوجـــه والجلـــد واللسان والأظافر.

---

(879) انظر: المرأة بين الفقه والقانون، ص ٢٧٥.

(880) المرأة المسلمة في وجه التحديات، ص ١٦.

(881) انظر: نفس المصدر السابق، ص ٤٥.

(882) انظر الأسرة في العصور الحديثة عن أسس الصحة النفسية، ص ٧٥.

- مرض التقرحات الجنسية: ويسبب التهابات في العقد البلغمية القريبة من الأعضاء الجنسية، قد تؤدي إلى خراجات قيمية مزمنة، والتهابات في المجاري البولية، وآلاماً مفصلية، وتورمات في الأطراف.

- مرض القرح اللين: يسبب تقرحاً مؤلماً في الجهاز التناسلي قد ينتشر ليكتسح الجلد.

- مرض النمو الحبيبي الالتهابي المنعبي: ويسبب التهابات في الجلد قريباً من العانة، ويحدث تقرحات ذات إفرازات كريهة الرائحة،وآلاماً وتشويهات في مكان الإصابة (٨٨٣).

- مرض قئ الصباح: ويصاب به الحبالى من الزنا.

- مرض الشذوذ الجنسي: (اللواط، السحاق): ينشأ هذا المرض في سن التاسعة من العمر غالباً، ويزداد سوءاً إذا ترك الولد لشهواته وغرائزه، ولم يعالج بالتربية الأخلاقية الجيدة التي تجعله ينفر ويشمئز من هذا السلوك، وذلك بالترغيب والترهيب وبتركيز فكرة الحلال والحرام، ورضا الله وسخطه، وتعميق ذلك في نفسه وعقله، وتوفير البيئة الصالحة التي تشجعه على الخير، وتصرفه عن الشر..

- مرض النضج الجنسي المبكر: ويصاب به بعض الأولاد نتيجة لتهيج الشهوة قبل أوانها واستثارة الغريزة قبل اكتمال غددها وأعضائها، ويسبب تشوهات بدنية وأمراضاً عصبية ونفسية.

- مرض طغيان الشهوة والغريزة: يحصل نتيجة إطلاق العنان للشهوة بصورة مستمرة حيث يندفع المريض نحو أعمال الشهوة والغريزة اندفاعاً حيوانياً جنونياً يلحق به الضرر وبغيره.

- مرض الهوس الجنسي: وبه ينشغل المريض في جميع أوقاته وحالاته بتخيلات لأعمال الشهوة والغريزة فينصرف عن كل شيء، فيكثر نسيانه، ويقل اهتمامه، ويضعف انتباهه وتزيد غفلته (٨٨٤).

عافى الله أمة محمد صلى الله عليه وسلم شر هذه الأمراض.

- مرض الإيدز (Hiv In Fe ction) العوز المناعي.

---

(883) انظر: خطر التبرج والاختلاط ص ١٢١-١٢٢ عن الأمراض الجنسية، د. نبيل الطويل، وعن ألسنة بعض الأطباء.

(884) خطر التبرج والاختلاط، ص ١٢٣-١٢٥.

وهو مرض خطير جداً ينتج عنه عجز مقدرة الجهاز المناعي في الجسم عن محاربة كثير من الأمراض، وسببه فيروس يسمى "فيروس نقص المناعة البشري" فهو يدخل إلى الجسم ويعطله مما يؤدي إلى إصابات مميتة، وبعض أنواع مرض السرطان وهو، والسبب الرئيسي لانتقال فيروس الإيدز هو الاتصال الجنسي بكافة أشكاله مع الشخص المصاب سواء كان ذكراً أم أنثى (حوالي تسعين بالمائة من الإصابات)، ويبدأ هذا المرض بارتفاع في درجة الحرارة، وانتفاخ الغدد الليمفاوية، وطفح جلدي خلال ثلاثة أسابيع من بداية الالتهاب، ويعاني المريض من نقص في الوزن، بسبب الإسهال والعرق الليلي وبعض في كرات الدم البيضاء، ونقص في الخلايا المساعدة، وإصابة المخ وفقدان الذاكرة [٨٨٥].

المطلب السادس: علمنة أفكار المرأة

كانت العلمانية في العالم الإسلامي أفكاراً مطروحة على الساحة الثقافية، ثم تحولت مع مرور الأيام إلى واقع يسيطر على حياة المجتمعات الإسلامية، وأصبح الإسلام في نظر كثير من المسلمين عبارة عن علاقة روحية محصورة فقط في المسجد، بعد أن كان الإسلام هو المنبع الأصلي والمصدر الوحيد لكافة جوانب الحياة للمسلمين، فلم يكن للمسلم اتجاه سياسي مخالف الإسلام، ولم يكن له أدب إلا الأدب الإسلامي، ولا أعياد إلا الأعياد الإسلامية ولم يكن ينظر إلى العالم الخارجي إلا بمنظار الإسلام، ويتعامل مع المخالفين وفق عقيدة الولاء والبراء، وأما الآن فقد حصل تحول شبه كلي فيما يتعلق بموقع الإسلام من الحياة، بسبب سطوة العلمانية، وسيطرتها على حياة المسلمين(نساءً ورجالاً) في جميع المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية.

ففي الحكم محيت الشريعة الإسلامية، وحصرت في جانب من الأحوال الشخصية أما ما سوى ذلك من أحكام فاصطبغت بالصبغة العلمانية البحتة واستوردت لها القوانين الوضعية من الغرب الكافر، وحتى الأحوال الشخصية لم تسلم من تدخلات العلمانيين. وفي الجانب الاقتصادي نهج المسلم منهج الغرب، فاستحل الربا والمعاملات المحرمة، بل أصبح النظام المصرفي قائماً على تلك المعاملات ومرتهناً بها. وأما في الجانب التعليمي والثقافي، فقد انتشرت النظريات والفلسفات المخالفة للإسلام، ودُرِّست في جامعات المسلمين ومدارسهم، وهُمِّش التعليم الإسلامي، وانتشرت الكتب والروايات التي تطعن في الدين وتسيء إلى أحكامه وشرائعه. والفن تحول إلى أداة علمنة تمارس على المجتمع في كل الأوقات، واستخدم الفن لإعادة صياغة مفاهيم المجتمع وفق النظرة العلمانية، فرسخت عادات كانت قبيحة بنظر المجتمع المسلم، كخروج الفتاة بصحبة شاب مثلاً، وأثيرت الشبهات والاستهزاءات ضد

(885) انظر: الموسوعة العربية العالمية، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، ط٢، ١٤١٩هـ-١٩٩٩م، ص ٤٥٧،

الأحكام الشرعية الثابتة، لقد أصبح الفن معول هـدم لكثيـر مـن القـيم والعـادات والآداب والإسلامية.

وفي الجانب الاجتماعي، تم التركيز على قضايا المرأة المسلمة كما بينت الباحثة فيمـا سبق، حيث رفع لواء تحرير المرأة، وألِّفت الكتب، وسخرّت وسائل الإعلام في سـبيل ذلـك، بهدف إخراج المرأة عن هدي ربها وتعاليم دينها، وبذلك تم علمنة أفكارها وأخلاقها. والواقـع خير شاهد على ذلك، فما آل إليه حال المرأة المسلمة من تبرج وسفور وخروج مـن البيـت، وتنكر لرسالتها الفطرية، جعلها كالسلعة تمتهن باسم الفن والموضة والأناقـة، وبـذلك فقـدت دورها الأساسي في الحياة، وأصبحت تمارس حياتها بعيدة عن الالتزام بفرائض الدين وآدابه، متشبعة بأفكار العلمانيين، حتى أصبحت هي التي تنادي بالعلمانية وتدعو لها، وتجاهد لتطبيقها في مجتمعاتها الإسلامية، ظانة بذلك أنها تعمل من أجل الوطن، وتناضل من أجل نيل حقوقها، وأنها تسلك المسلك الصحيح، وأخذت تعادي أختها المسلمة الملتزمة بتعاليم دينهـا، الرافـضة لتبعية الغرب، فنراها في المؤتمرات والندوات وورشات العمل الأحكام الشرعية وعلى دعـاة استئناف الحياة الإسلامية تطالب بحقوقها المزعومة، وتتهجم على الإسلام، وتـصف المـرأة المسلمة الملتزمة بحجابها والمحافظة على حيائها بالتخلف والرجعية، وتتطاول علـى قـانون الأحوال الشخصية المستمد من الشريعة الإسلامية.

ولقد رأت الباحثة بأم عينها وسمعت بأذنها هؤلاء العلمانيات، حيث التقت معهـن فـي وقت قريب في ورشة عمل لمشروع قانون الأحوال الشخصية في السادس عشر من أغسطس سنة ٢٠٠٥م، (أقامها كل من مجلس الوزراء. ديوان الفتوى والتـشريع) والمجلـس الأعلـى للقضاء الشرعي، ديوان قاضي القضاة) وكانت لمناقشة مواد القـانون، حـضرها عـدد مـن المؤسسات والجمعيات، وجمع من الرجال والنساء، ومن بين المؤسسات النسائية، طاقم شـئون المرأة، ووزارة شئون المرأة، واتحاد المرأة، وجمعية الـشابات المـسلمات، ودائـرة العمـل النسائي التابعة للمجمع الإسلامي ومجموعة من العلماء والفقهاء والقضـاة الشرعيين ومـنهم د. أحمد أبو حلبية، والمفتي إحسان عاشور، وأمام الحضور تقف إحدى النساء تعترض علـى البعض ببنود هذا القانون تريد إلغاء المهر، وأخرى تعترض علـى حكـم شـرعي بقولهـا: المفروض أن يكون كذا، معترضة على ما جاء في الكتاب والسنة، وثالثة احتجت علـى مـن عارض إحدى مواد القانون، التي تبيح للبنت أن تزوج نفسها بدون ولي، واستشهد بأدلة تؤكـد أن لا نكاح إلا بولي فقالت: لا أدري كيف لا تقدرون على تصور أن المرأة ممكن أن تـزوج نفسها، فأنا أتخيل أن المرأة ولية نفسها وقادرة على ذلك، ثم قالت: وهـذا قـانون عـصري، فردّت عليها إحدى الأخوات المسلمات بأنّ هذه قوانين شرعية غير قائمة على التخيلات، وأنه

لا يوجد قانون عصري وقانون قديم، هو قانون واحد شرعي رباني" والنماذج كثيرة من هؤلاء العلمانيات اللاتي تشبثنَ بأفكار خاطئة، ووضعن أنفسهن في محاضن الشهوات والفــتن ومــن هذه النماذج:

أولاً: نوال السعداوي (٨٨٦).

ولدت نوال السعداوي بقرية (كفر طلخا) إحدى قري صــعيد مــصر، عــام ١٩٣٠م ودرست الطب في جامعة القاهرة، ثم حصلت على الماجستير مــن جامعــة "كولومبيــا" فــي الولايات المتحدة، وبعد عودتها عملت مستشفى القصر العيني كطبيبة نفسية ثم عينــت مــديرة الصحة العامة في مصر. تصف نفسها ب(التقدمية)، طلقت من ستة أزواج (٨٨٧). وفي ســنة ١٩٧٢ نشرت نوال السعداوي كتابها (المرأة والجنس) وهو كتاب يعجُّ بالــشذوذ، والخــروج الصريح على طبيعة العلاقة الشرعية المنضبطة بين الرجل والمرأة، ويهــزأ مــن الــشرف، وعذرية الفتيات، طردت على إثره من وظيفتها في وزارة الصحة، وتركت عملها كمحررة في مجلة الصحة ومساعدة السكرتير العام لنقابة الأطباء.

في العام ١٩٧٣م بدأت مرحلة جديدة في حياتها أكثر تخطيطاً والتــصاقاً بالمنظمــات المشبوهة، وعملت أثناءها باحثة في كلية الطب، بجامعة عين شمس حتى عام ١٩٧٦م، قامت خلالها بعمل دراسة عن المشاكل النفسية التي تعاني منها المرأة، لم يختلف فيها الطرح كثيــراً عما قالته في كتابها "المرأة والجنس" (٨٨٨).أعلنت تمردها على الشريعة الإســلامية ورفــضها للقيم والآداب الإسلامية المتعلقة بالمرأة فنادت بأعلى صوتها "أنا ضد المهــر، لأنــه يجعــل الزواج مبنياً على النفعية والبيع والشراء. إن المرأة عندنا معروضة إمّا في سوق الــزواج أو في سوق الإعلانات والبضائع" (٨٨٩).ومن أقوالها أيضاً "أنا ضد تعدد الزوجات، أنا مع المــرأة المتحررة، الزواج بغاء مقنع، إذا كان الله قال من أربعة عشر قرناً مــضت، فالأوضــاع قــد تغيرت، الحجاب مفهوم عبودي أرفضه" (٨٩٠).وتعترض على جعل الطلاق في يــد الرجــل، وتتباكى على المرأة التي ليس لها حرية الطلاق، أو حرية الزواج كالرجل" (٨٩١).

---

(886) انظر: حجاب المسلمة بين انتحال المبطلين وتأويل الجاهلين، ص ٥٠٧-٥١٩، وانظر: السيرة الذاتية لنوال السعداوي www. Egypty. com، ١٠/ يناير/ ٢٠٠٥م

(887) المصدر السابق.

(888) السيرة الذاتية لنوال السعداوي www. Ejypty. com

(889) حجاب المسلمة، ص ٥١٢.

(890) السيرة الذاتية لنوال سعداوي ejypty. com

(891) حجاب المسلمة، ص ٥١٢.

هذه الصيحات وغيرها الكثير، جعلها جديرة بالعمل مستشارة للأمم المتحدة في أفريقيا والشرق الأوسط من عام ١٩٧٩م حتى ١٩٨٠م.وفي عام ١٩٨٠م اعتقلت نوال السعداوي لفترة قصيرة، استثمر هذه الفترة فيما بعد كد أب الشيوعيين والعلمانيين في الترويج لنفسها والتسويق على أنه من حملة ألوية الحقوق والحريات، والدفاع عن المرأة، فأسست منظمة اسمها (منظمة المرأة العربية الجديدة).

وفي عام ١٩٩٩، (في ذكرى مرور مائة عام على صدور كتاب (تحرير المرأة) شاركت في مظاهرة نسوية نظمها المجلس الأعلى للثقافة في القاهرة، سبقت إخراج مشروع قانون الأحوال الشخصية، وفي ذكرى الاحتفال بمرور مائة عام على صدور كتاب قاسم أمين "تحرير المرأة" حيث طالبت نوال سعداوي مع غيرها بالمساواة بين الرجل والمرأة في الميراث، وبحق المرأة المُطَلّق في الحرية بجسدها، وفي كسر أي قيود للرَجل عليها، والتخلص مما أسموه القيود الدينية التي تعيق المرأة عن التقدم [٨٩٢].

وفي مقابلة لها مع إحدى الصحفيات الفرنسيات هاجمت قانون الأحوال الشخصية فقالت: "إن قانون الأحوال الشخصية المصري رغم بعض الإصلاحات، يعطى صلاحيات كثيرة للرجل، فهو يستطيع تطليق زوجته، والزواج من أربع، ونحن من جهتنا نناضل من أجل إصلاح هذا القانون" [٨٩٣].

وفي إحدى حواراتها تناولت الحجاب بصورة مليئة بالافتراءات والتهجم، وادّعت أنه لا علاقة للحجاب بالإسلام، وأنه عادة عبودية انعكست في اليهودية والمسيحية وقالت: "أرفض الحجاب،لأن التغطية والتعري معناهما أن المرأة جسد.. فأنا عندما أغطي نفسي فمعنى هذا أنني فتنة،وسوف أفتن الرجل إذا تعريت. وهذا خطأ، فأنا عقل، وليس جسداً مثيراً للشهوة" [٨٩٤].

ولنوال سعداوي أقوال كثيرة تتمرد فيها على الإسلام وأحكامه وتستهزئ بها على المقدسات الإسلامية، وهذا إن دلّ على شيء فإنما يدل على شخصيتها المريضة وفكرها الذي تشبع من المناهج الكفرية الإلحادية التي تقوم على الإباحية المستمدة من فلسفات ماركس وسارتر وفرويد، مما جعلها تتجرأ على خلقها، وتعترض على تشريعات وتقول: "إنها لا تصلح لهذا العصر" [٨٩٥].

---

(892) السيرة الذاتية لنوال سعداوي ejypty. com

(893) حجاب المسلمة، ص ٥١٢.

(894) نفس المصدر، ص ٥١٤.

(895) انظر: نفس المصدر، ص ٥١٦/١٧/٥

ثانياً: وفاء سلطان:

والتي تشارك نوال السعداوي في فكرها العلمـاني الملحـد، وفـي انتقاصـها للـدين الإسلامي واستهزائها بالعلماء الأجلاء، وهي من أصل سوري لكنها هاجرت إلى أمريكا، لكي تعيش في مدينة وفاء سلطان الفاضلة كما قالت، حصلت على شهادة الدكتوراه في علم النفس، وهي متحاملة على الإسلام، ترفضه فكرياً، وتزعم أن الفكر الإسلامي هو سبب البلاء، وهـو مشتل الارهابين، حيث يلقن الناشئة الآيات التي تحض على القتل، وتـتهجم علـى المـسلمين وقيمهم وحضارتهم، حتى رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يسلم من بذاءة لسانها، فتقول بكل حقد: "منذ نعومة أظفار المسلم وهو يدرك الحقيقة التاريخية التي تقول: تزوج النبي محمد وهو في الرابعة والخمسين من الطفلة عائشة، وهي في التاسعة، تلـك حقيقـة لا يختلـف عليهـا مسلمان، ولكن لم يسمح مسلم واحد في تاريخ الإسلام لنفسه أن يرتقى بمستوى وعيه ويـسأل: هل يليق هذا الأمر بنبي الله؟!" [٨٩٦].ووفاء سلطان امرأة لا دينية، فهي تعترف بلسانها أنهـا لا تدين بدين فتقول: "أنا لا أدين بالمسيحية ولا بأي دين وعندما أقرر أن أتبنى ديناً أقولها علنـاً، وبلا وجل أو خوف، ستكون المسحية على قمة جدول خياراتي... ثم تقول المـسيحية كـدين استهوتني، بل سحرتني لأنها أولاً وأخيراً توافقت مع منطقي العلمي والعملي.. ثم تطعن فـي الإسلام وتقول:

"لقد اعتمد هذا الدين بصورةٍ عامة، لغة صحراوية قاحلة غير مهذبة جلفة، تدعو إلى العنـف، وتكاد تخلو من أي معنى إنساني. والأمثلة في كتب التراث الإسلامي، بالجملة والمفرق لمـن يريد أن ينهل ويستنير"[٨٩٧]. فأصبح القرآن والسنة عند وفاء سلطان (تراث إسلامي)، ووظفت قلمها للسخرية من القرآن الكريم فذكرت بعض آية في سورة المائدة أي لـم تـذكرها مـن بدايتها فتقول: "عندما نتلو على طفل لم يتجاوز بعد سنواته الأولى الآية التي تقول: "أن يقتلـوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف"[٨٩٨]. تكون قد خطوت الخطـوة الأولـى فـي صناعة إرهابي كبير" ثم تتابع وتقول "أنا كطبيب علمها بعلم النفس والسلوك أؤمـن بـأن أي رجل، مسلم في العالم عاجز أن يشوّه هذه الآية أكثر مما هي مشوّهة، هي نفسها التي ساهمت في تشويه هذا الرجل"[٨٩٩] وعند قراءة هذه الآية من بدايتها يفهم القارئ مقصدها وما تتضمنه من أحكام، فهي لا تدعو إلى الإرهاب بل تردع الإرهـابيين الـذين يحـاربون الله ورسـوله ويفسدون في الأرض.

---

(896) موقع الناقد وهو ينقل أقوال وفاء سلطان كما هي www. Annaqed. com

(897) نفس المصدر السابقة، وانظر: موقع وفاء سلطان elsultanl@hotmail.Com

(898) سورة المائدة، الآية (٣٣)

(899) موقع الناقد

وتحتج وفاء سلطان على الأذان الذي شُرِع لإعلام النـــاس وتجمعهـــم لأداء الـــصلاة فتقول "سبعون ألف مئذنة في مدينة القاهرة لوحدها، تبدأ هذه المآذن في رفـــع الأذان خمـــس مرات في اليوم، وكل على حده يغني على ليلاه!!.. ثم قالت: "لم تعد تلك المدينـــة المزدحمـــة تعاني من تلوث البيئة بالسموم والدخان، بل غدت أشدُّ تلوثاً من الـــضجيج والـــصراخ... ثـــم تابعت باستهزاء هل يحتاج الله إلى كل هذا الزعيق كيّ يسمع ويصدق أننا نعبده أليست قدرتـــه على سماع دبيب النمل كافية لقراءة صحتنا؟" (٩٠٠).

إن وفاء سلطان أثبتت ردتها عن الإسلام، وأنها أمريكية أكثر من الأمريكيين، ولقد تم إعدادها للهجوم على المسلمين والعرب بطريقة علمية لتكـــون خادمـــة لأهـــدافهم الـــصليبية التدميري، ومن أراد أن يقرأ المزيد من أقوالها وافتراءاتها على الإسلام والمسلمين، فليرجـــع إلى موقع الناقد أو موقعها الرئيس فسيجد ما تقشعر له الأبدان، وسيعجب مـــن تلـــك المـــرأة المرتدة التي تجرأت على الله سبحانه وتعالى وكتابه الكريم ورسوله صلى الله عليه وسلم.

المطلب السابع: عولمة الحياة الاجتماعية

قبل الخوض بالحديث عن عولمة الحياة الاجتماعيـــة، وأثـــر العولمـــة علـــى الحيـــاة الاجتماعية لا بد من الوقوف على تعريـــف العولمـــة، حيـــث كثـــرت التعريفـــات اللغويـــة والاصطلاحية للعولمة، ولكن لضيق المجال هنا، ستكتفي الباحثة بذكر هذين التعريفين:

التعريف الأول: للدكتور فؤاد بين عبد الكريم: عرف العولمة تعريفاً أولياً شاملاً لجميع جوانبها المختلفة فقال: "إن العولمة هي التداخل الواضح في أمور الاقتـــصاد والاجتمـــاع والـــسياسة والثقافة والسلوك، دون اعتداد يذكر بالحدود السياسية للدول ذات السيادة، أو انتماء إلى وطـــن محدود، أو لدولة معينة، ودون حاجة إلى إجراءات حكومية" (٩٠١).

التعريف الثاني: للدكتور صالح الرقب، حيث عرف العولمة بعد دراسة متأنية لها ولأهـــدافها ووسائلها وتأثيراتها فقال: "العولمة هي الحالة التي تتم فيها عمليـــة تغييـــر الأنمـــاط والـــنظم الاقتصادية والثقافية والاجتماعية، ومجموعة القيم والعادات السائدة، وإزالة الفـــوارق الدينيـــة والقومية والوطنية، في إطار تدويل النظام الرأسمالي الحديث وفق الرؤية الأمريكية المهيمنـــة، والتي تزعم أنها سيدة الكون، وحامية النظام العالمي الجديد"(٩٠٢). فالعولمة إذن هجمة غربيـــة

(900) نفس المصدر السابق.

(901) قضايا المرأة في المؤتمرات الدولية، ص ١١٥، عن ظاهرة العولمة: الأوهام والحقائق محمد محمد مسعد، ص ٤٧-٤٨.

(902) العولمة نشأتها- أهدافها- وسائلها، د. صالح الرقب، مكتبة الأمل التجـــارية، غزة، ط١، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م، ص ٨

أمريكية انتقلوا فيها من التخطيط والإعداد للغزو الفكري للعالم الإسلامي إلى التنفيذ، مستندين إلى غطرسة قوتهم، وضعف العالم الإسلامي.

وتأتي الأسرة وقضايا المرأة ذات الأولوية من الهجمة الغربية الأمريكية الجديدة المتمثلة في العولمة خاصة بعد أن حققوا ما أرادوه بالنسبة للعالم فيما يتصل بالسياسة بسيطرتهم على النظم الحاكمة، وفرض ما يريدونه عليها، حيث شعر الغرب أن هذه النظم الحاكمة قدمت ولاءها وعبوديتها له، لكن الناس في العالم الإسلامي تصوغهم القيم الإسلامية، وولاؤهم لا يكون إلا لله.

ومن هنا كان اقتحام عالم الأسرة التي تمثل أساس الاجتماع الإسلامي[٩٠٣]. والنظام العالمي الجديد في حربه ضد الإسلام والمسلمين ينطلق من (العولمة) كسبيل للسيطرة والهيمنة على العالم، وإجهاض أية محاولة لاستئناف الحياة الإسلامية التي تعيد للمسلمين عزتهم وقوتهم العسكرية والاقتصادية، وتعمل على توحيدهم[٩٠٤]. وبشكل عام فإن الغرب وأمريكا خاصة يتبنى سياسة تفكيك المجتمعات الإسلامية ولقد لجأ في ذلك إلى وسائل شيطانية، هدفها الأساسي تفكيك الأسرة المسلمة، حتى تصبح مجتمعاتنا مفككة أخلاقياً واجتماعياً، وتنتقل إليها عدوى الأمراض الاجتماعية التي فتكت بالأسرة الغربية، فأصبحت حضارتهم على حافة الهاوية، وفي طريقها إلى الزوال[٩٠٥] ولتنفيذ مخططاتهم في هدم الأسر من خلال المرأة ساروا في عدة مسارات في آن واحد وهي:

أ- التمويل الأمريكي والأوربي للجمعيات والمنظمات الأهلية النسائية العلمانية، مكررة، والمؤتمرات العالمية، والتعليم للمرأة من أجل تنفيذ مخططات إخراج المرأة المسلمة من الأخلاق الإسلامية، وتمردها على أحكام الشريعة الربانية.

ب- الاتفاقات الدولية الخاصة بحماية حقوق الإنسان، وإزالة آثار كافة التمييز ضد المرأة، وإلزام الدول الإسلامية بالتوقيع عليها، مقابل إعفائها من بعض الديون المترتبة عليها، وقد تم تضليل الرأي العام بهذه الاتفاقيات وإيهام المرأة أن هذه الاتفاقية ستحررها من الجور والظلم، وأن الأمم المتحدة ستحررها من أسطورة مجتمعها، مثل اتفاقية القضاء على جميع أشكال التمييز ضد المرأة، وهي تتضمن ثلاثين مادة

(903) انظر: مشاريع هدم الأسرة المسلمة من التخطيط إلى التنفيذ، د. كمال حبيب، صيد الفوائد.

(904) انظر: العولمة وآثارها على العالم الإسلامي بقلم، خالد الغزاوي، والقدس بمجلة الإسراء، دار الفتوى والبحوث الإسلامية (القدس) ، رمضان- شوال ١٤٢٢هـ، العدد ٣٨، ص ٥٩

(905) انظر:هدم العولمة للأسرة

من ستة أجزاء، وجاءت هذه الاتفاقية لأول مرة بصيغة ملزمة قانونياً للــدول التـــي توافق عليها(٩٠٦).

ج- المؤتمرات النسائية: وخاصة التي تتبنى قرارات الهدف منها هدم المجتمعات البشرية، وخاصة المجتمعات الإسلامية، وبمراجعة البحوث التي ألقيت في المؤتمرات النسائية التي عقدت في بعض البلاد الإسلامية يتبين أنها جميعاً تريد إخراج المرأة المــسلمة من النظام الاجتماعي الإسلامي الذي ينظر إلى المرأة من خلال فطرتها واستعداداتها وكرامتها(٩٠٧). وفي الجانب الاجتماعي تسعى العولمة إلى تعميم السياسات المتعلقــة بالطفل والمرأة والأسرة وكفالة حقوقهم في الظاهر، إلا أن الحقيقة هي إفساد المــرأة والمتاجرة بها، واستغلالها في الإثارة والإشباع الجنسي، ومن ثمّ إشاعة الفاحشة فـــي المجتمع، وبالمقابل تعميم فكرة تحديد النسل وتعقيم النساء، وتأمين هــذه الــسياسات وتقنينها بواسطة المؤتمرات التي بدأت تهتم بقضايا المرأة على المستوى العالمي مثل (مؤتمر حقوق الطفل) و(مؤتمر المرأة في بكين) و(مؤتمر الــسكان والتنميــة) فـــي القاهرة، وما تخرج به هذه المؤتمرات من قرارات وتوصيات واتفاقيات تأخذ صــفة العالية ومن ثم الالتزام في التنفيذ والتطبيق، وعقدت مؤتمرات قمــة للمــرأة علـــى مستوى قرينات رؤساء وملوك الدول العربية وقد أقيمت قمتان الأولى فـــي القــاهرة بمصر، والثانية في عمان بالأردن، وقد انبثق عنها عدة مؤتمرات إقليمية، ناقش كــل منها موضوعاً خاصاً كالمرأة والإعلام، والمرأة والتعليم، والمرأة والتنمية(٩٠٨).

د- إنشاء مؤسسات خاصة بشؤون المرأة على أعلى مستوى مثل. المجلس القومي للمــرأة بمصر، والمجلس الأعلى لشؤون المرأة في بعض دول الخليج كالبحرين وقطر.

هـ- الترويج لما يسمى (حقوق المرأة)، حيث أن الولايات المتحدة الأمريكيــة لــم تكتــف بالتدخل العسكري والسياسي والاقتصادي للمنطقة العربية (أفغانستان) إنمــا تــدخلت أيضاً بالمجال الاجتماعي متمثلاً بالمرأة وقضاياها فاســتغلت مــا أســمته (بحــرب الإرهاب) للترويج لحقوق المرأة، وأخذت تبشر دول المنطقة وشعوبها بالديمقراطيــة الأمريكية، والتي تقوم بجانبها الاجتماعي على المساواة بــين الجنــسين، والتحــرر

---

(906) انظر: العولمة، د. صالح الرقب، ص ٦٤/٦٥، وانظر: المرأة المسلمة بين موضات التغيير وموجات التغرير، د. فؤاد بــن عبــد الكريم أل عبد الكريم، ط١، مجلة البيان ١٤٢٥هــ. ٢٠٠٤، الرياض، ص ١٠

(907) انظر: العولمة، د. صالح الرقب، ص٦٤-٦٥، وانظر: المرأة المسلمة بين موضات التغير وموجات التغرير، د. فؤاد بن عبد الكريم أل عبد الكريم، ط١، مجلة البيان ١٤٢٥هــ. ٢٠٠٤، الرياض، ص ١٠

(908) انظر: المرأة المسلمة بين موضات التغير وموجات التحرير، ص ٩-١١، وانظر: تحديات النظام العالمي الجديد، د. عماد الــدين خليل، موقع الإسلام على الطريق www.islamoeb.com

الجنسي والشذوذ الجنسي وإباحة الإجهاض. وقد أعربت الولايات المتحدة عن التزامها بالترويج لحقوق المرأة في جميع أنحاء العالم، حيث أنشأت مكتب (كبير منسقي قضايا المرأة الدولية) والذي يرأسه وزير الخارجية السابق كولن باول، يجتهد هذا المكتب في إعلام الناس في الولايات المتحدة وفي الخارج بالحاجة الملحة إلى الاعتراف بحقوق المرأة وتحررها من الرجل. وقد كانت هناك تصريحات أمريكية وما زالت إلى هذا اليوم تنادي بوجوب حصول المرأة المسلمة على حقوقها بالمفهوم الغربي المخالف للإسلام، وهذه التصريحات على مستوى الرئاسة الأمريكية بدءاً من بوش ومروراً بوزير خارجيته، وكبار المسئولين في الحكومة الأمريكية[٩٠٩].

ومن هذه التصريحات:

١- ما جاء في خطاب الرئيس بوش- الابن- في ٢٩يناير عام ٢٠٠٢م "ومن الآن فصاعداً يحق للعالم: تناول الخمر والتدخين، وممارسة الجنس السوىّ، أو الشذوذ الجنسي، بما في ذلك سفاح القربى واللواط، والخيانة الزوجية، والسلب، والقتل، وقيادة السيارات بسرعة جنونية، ومشاهدة الأفلام والأشرطة الخلاعية داخل فنادقهم أ، غرف نومهم"[٩١٠].

٢- ما جاء في خطاب (رتشارد وول) العضو الشعبي في الوفد الأمريكي إلى لجنة الأمم المتحدة لحقوق الإنسان الذي ألقاه في الدورة السنوية التاسعة والخمسين للجنة حقوق الإنسان حول موضوع "الحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية "بجنيف في ٢٠٠٣/٤/٧م قال فيه: "إن الولايات المتحدة ملتزمة بتوفير الأوضاع الملائمة للأفراد لتحقيق الرفاهية الاقتصادية والاجتماعية والثقافية في الداخل والخارج، إن نسبة مئوية كبيرة من المساعدات الخارجية الأمريكية تستهدف استراتيجيات التنمية الخاصة بالقضايا الاقتصادية والاجتماعية والثقافية" وقال "فقد طلب الرئيس للسنة المالية التي تبدأ في تشرين أول أكتوبر ما يزيد على ألفي مليون دولار لبرامج المساعدات الجديدة"[٩١١].

وقد اتضح مما سبق أن العالم الغربي يريد أن يفرض عولمة الحياة الاجتماعية، وفق منظومة القيم الغربية، مستظهراً، دعاوى حقوق الإنسان وحماية الأسرة، حيث أن العالم الغربي لم يعد يرى أن ترتيب قواعد الاجتماع البشري مسألة داخلية تخص أبناء دين

---

(909) انظر: المرأة المسلمة بين موضات التغير وموجات التحرير، ص ١١-١٤

(910) العولمة، د. صالح الرقب، ص ٦٤

(911) أنظر: المرأة المسلمة بين موضات التغيير وموجات التحرير، ص ١٩-٢٠

أو مجتمع بعينه، وإنما هي مسألة كونية عالمية، تفرض القيم العربية، وتستدعى حمايتها ولو بالتدخل الذي يحمل صفة إنسانية [٩١٢].

ومن هنا لا بد من بيان خطر العولمة وأثرها على حياة الأسرة والمرأة بالذات (خطر العولمة وأثرها على الحياة الاجتماعية):

إن العولمة في الجانب الاجتماعي، تركز على حرية الإنسان الفردية إلى أن تصل إلى المدى الذي يتحرر فيه من الشرائع الدينية والأخلاق والقيم والأعراف، والوصول به إلى مرحلة العدمية، وفي النهاية يصبح الإنسان أسيراً بكل ما يعرض عليه من الشركات العالمية الكبرى التي تستغله أسوأ استغلال، وتلاحقه بما تنتجه وتروج له من سلع استهلاكية، فنجد سرعة التطور التكنولوجي واستمراره، كي يشمل جميع حاجيات الإنسان، ولهذا سيلجأ الناس إلى التخلص من السلع القديمة التي يملكونها كلما ظهرت سلعة جديدة[٩١٣].

أما عن أثر العولمة على الحياة الاجتماعية فتظهر في أمور منها:

١- تكريس النزعة الأنانية لدى الفرد، وتعميق مفهوم الحرية الشخصية في العلاقة الاجتماعية وفي علاقة الرجل والمرأة، مما يؤدي إلى التساهل مع الميول والرغبات الجنسية، والتمرد على النظم والأحكام الشرعية التي تنظم وتضبط علاقة الرجل بالمرأة وهذا يزيد من انتشار الإباحية والرذائل والتحلل الخلقي، وخدش الحياء والكرامة والفطرة الإنسانية.

٢- إهمال العلاقات الاجتماعية القائمة على التعاطف والتكافل والاهتمام بمصالح وحقوق الآخرين ومشاعرهم.

٣- تشكل عالماً يجعل من الشح والبخل فضيلة، ويشجع على الجشع والانتهازية والوصول إلى الأهداف بأي وسيلة دون التطلع إلى القيم الشريفة السائدة في المجتمع.

٤- إباحة العولمة للشذوذ الجنسي والعلاقات الجنسية الآثمة بين الرجل والمرأة، وبين الرجل والرجل، وبين المرأة والمرأة ويظهر ذلك عند مراجعة وثيقة الأمم المتحدة عن السكان والتنمية الذي عقد في القاهرة(سبق الحديث عنه في مبحث المؤتمرات).

٥- زيادة معدلات نسبة الجريمة، ليس في الدول النامية وحدها، بل في كل الدول الأوربية الغنية[٩١٤].

---

(912) مشاريع هدم الأسرة المسلمة، د. كمال حبيب، صيد الفوائد.

(913)انظر: العولمة، د. صالح الرقب، ص ٦٤-٦٥، مخاطر العولمة على المجتمعات العربية أ.د مصطفى رجب، مجلة البيان، ٢٠٠١م

(914)العولمة، د. صالح الرقب من، ص٦٤-٧٠ (بتصرف)

٦- زيادة معدلات الفقر والبطالة، والظلم الاجتماعي الذي يصيب الأسر الفقيرة نتيجة تقليص الدول للدعم الاجتماعي، حيث أن العولمة تؤدي إلى تشغيل خمس المجتمع، والاستغناء عن الأربع أخماس الأخريين، نتيجة التقنيات الحديثة المرتبطة بالكمبيوتر والتكنولوجيا الحديثة، والاكتفاء بخمس قوة العمل لإنتاج جميع السلع، وسيدفع بباقي أفراد المجتمع إلى الفقر والجوع والبطالة، ومن ثم إلى الجريمة أو القلق النفسي.

٧- أسهمت قوى العولمة رغم إتاحتها لفرص كثيرة لتنتفع بها بعض الدول وبعض الشعوب على إضعاف المؤسسات التي تقدم الدعم الاجتماعي للفقراء.

٨- تفكيك الحياة الاجتماعية، وإفساد المرأة والمتاجرة بها، واستغلالها لإشاعة الفاحشة في المجتمعات[٩١٥].

٩- من آثار العولمة اختفاء الرقابة الوطنية على الثقافة الوافدة، حيث كانت كثير من المؤثرات الخارجية والأفلام والمجلات تخضع لرقابة في أكثر من مرحلة، وأصبحت الأسرة المسلمة تجد مشقة كبيرة في إبعاد الأبناء عن هذه المؤثرات، ويبذلون جهداً مضاعفاً لأجل غرس الرقابة الداخلية، وذلك لاختفاء الرقابة الخارجية، فوسائل العولمة الحديثة غالبها معين على الوقوع في الفساد والمعاصي، فكثير من أبناء المسلمين يتعرضون يومياً لعشرات المثيرات الجنسية والمفاسد الاجتماعية في مقابل ضعف التربية. ونجد كثيراً من الأبناء ينحرفون أخلاقياً وفكرياً وتربوياً، ويقل الانحراف إذا بذل الوالدان جهداً كبيراً في المحافظة على أبنائهم، والأسرة المهددة بالعولمة هي التي يكون فيها الأب غافلاً عنها، والأم مشغولة، أي اختفت فيها الرقابة الداخلية والخارجية.

وهكذا يلاحظ أن العولمة غزو ثقافي وفكري واجتماعي، بل هي طغيان ثقافي، يهدف إلى ضرب الثقافة الإسلامية من الداخل، وطمس هوية الأمة والسيطرة عليها، ومن ثُمّ العولمة تعمل على جعل العالم قرية صغيرة، يتحرر فيها الناس والأعراف، وتتبدل فيها القيم والأخلاق التي تحكم سلوك الناس، فيكسر الحياء في النفوس، وتتزعزع مقومات استقرار الأسرة المسلمة، ويفسد الذوق العام، ويُلغي دور الوالدين في التربية، وتصبح الوسائل التقنية الحديثة بديلاً تربوياً فاسداً يحل محل الوالدين.

---

(915)انظر: العولمة، د. صالح الرقب، ص ٧١.

المبحث الثاني

طرق ووسائل مواجهة الغزو الفكري على المرأة المسلمة

بعد استعراض كل ما سبق من أساليب ووسائل للغزو الفكري للمرأة المسلمة، اتضح من خلال العرض مدى خطورة هذا الغزو على الحياة الاجتماعية، فدمر الأسرة، وهدم القيم والأخلاق الإسلامية.

لذا ينبغي أن تتنبه المرأة المسلمة، ويتيقظ ضميرها، وتستشعر بالمسئولية الملقاة عليها نحو مقاومة هذا التيار الذي يريد إفساد نساء المسلمين.

من هذا المنطلق كان لا بد من إعداد العدّة من قبل المسلمين نساءً ورجالاً لمواجهة ومقاومة هذا الغزو الذي فتك بالمجتمعات الإسلامية بأساليبه وطرقه الخبيثة، بوسائل وأساليب ناجحة لصد الهجوم على المرأة المسلمة، وتصحيح فكرها الذي تشوش بفعل دعاة الغزو الفكري.

لذا تقترح الباحثة عدة طرق ووسائل وبرامج لمقاومة هذا الغزو وهي:

المطلب الأول: دور التربية والمنزل:

فالمنزل هو أول مؤسسات التطبيع الاجتماعي وتكوين الشخصية المسلمة المتميزة فيلزم تربية المرأة وتوجيهها على أن البيت والأسرة بمثابة الخندق الأول والأخير لصيانة شخصيتها، وممارسة مهامها ومسئولياتها، وإعداد أجيال ملتزمة وسوية ومتزنة. والبيت المسلم يمكنه القيام بأدوار مهمة جداً ولكن بشرط الالتزام بالآتي:

١- أن يفهم كل من في المنزل الإسلام فهماً عميقاً، خالياً من البدع، مدركاً لأهدافه ومراميه.

٢- أن يكون كل فرد فيه قدوة للطفل في الكلمة والسلوك، والمعاملة والعبادة، والمظهر والجوهر، والسر والعلن.

٣- أن يشيع فيه جو الروحانية الصافية التي يظهر فيها الارتباط الوثيق بالله، في أوضح صوره وأقوى مظاهره، كالحرص على الصلاة جماعة، والمشاركة في توزيع الزكاة، واحترام القيم الدينية، والتمسك بالفضيلة والأمانة، والصدق والإخلاص.

٤- أن تُقَدَّم المعلومة الدينية بالأسلوب المناسب لإدراك الأطفال، الملائم لمستوى نموهم، فيفسر لهم القرآن الكريم بصورة واضحة، وتشرح لهم سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم، وسيرة الصحابة والتابعين، ويتم التركيز على قصص الصحابيات ونماذج لنساء مسلمات للفتيات بصورة تثير اهتماماتهن، وتحرك مشاعرهن. ويكون ذلك عن طريق جلسة إيمانية أسرية، مرتين أو ثلاث في الأسبوع. وأن تكون الدعوة في المنزل قائمة على الموعظة الحسنة، والكلمة الطيبة، والقدوة الصالحة.

٥- أن تكون الأخلاق فيه إسلامية أصيلة دون تقليد أو ادعاء، أو رياء، أو تمثيل ويكون التعامل فيه على أساس المحبة والمودة والعطف.

وبهذا يمكن للبيت القيام بدوره التربوي الصحيح في غرس القيم، تأصيل الوعي وتربية الضمير، وتنمية الأخلاق وتوجيه السلوك، وغرس التقوى وغيرها بحيث يعتمد على هذا الفرد الذي أُسس على هذه التربية، فلو تعرض لأي مؤثرات خارجية لا يتأثر بها، بل ينكرها خاصةً إذا كانت تمس دينه وعرضه. هذه الثمرة إذا كان البيت يقظاً واعياً، ومربياً مرشداً، وموجهاً مقنعاً، ومستقراً سوياً.

فالبيت ليس هيكلاً أو مبني، أو إنفاقاً أو طعاماً، بل علاقات إنسانية وهذه العلاقات إن لم تقم على أسس سليمة، يفقد رسالته، ويتحول إلى مكان إقامة، ومائدة طعام.

لهذا كله حرص الإسلام على الأسرة والمنزل، والأبوة والبنوة، والأمومة والقربى والأخوة والزوجية والأدلة كثيرة من القرآن والسنة والسيرة ولا متسع هنا لذكرها [٩١٦].

المطلب الثاني: دور المؤسسات والجمعيات النسائية الإسلامية:

والمؤسسات الإسلامية والتي تشمل (المساجد والمدارس الإسلامية والجامعات الإسلامية والجمعيات الأهلية الخيرية والمراكز الإسلامية) لا بد أن يكون لها دور فعّال في صدّ الهجوم على المرأة المسلمة، ويمكن تفعيل دورها من خلال الأتي:

أولاً: المساجد:

ويمكن استغلال المساجد للقيام بأدوار تربوية فعالة منها:

١- الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى من خلال الخطب والندوات والدروس الدينية يتم التركيز فيها على بيان خطر الغزو، وكشف أهدافه الحقيقية، والاستمرار في فضح دعاة تحرير المرأة وأساليبهم وبيان أغراضهم.

---

(916) انظر: وسائل مقاومة الغزو الفكري للعالم الإسلامي، د. حسان محمد حسان، ص ١٥٦-١٦٠

٢- تفعيل الدور النسوي في المساجد لتوجيه المرأة وتعليمها وتثقيفها دينياً من خلال الندوات الأسبوعية والمسابقات الثقافية والبرامج الدعوية المعينة.

٣- طرح حلول لمشاكل الأسرة في المجتمع من الوجهة الشرعية، وتعميمها من قبل الخطباء والعلماء، ولجان الإصلاح والدعوة، وكل من يهمه إصلاح البيوت والأسر، وإنقاذها من الجهل المدمر لكثير من البيوت المسلمة.

٤- أن تقوم لجنة الأمر الوعظ والإرشاد في دائرة الأوقاف الإسلامية المسئولة عن المساجد باستصدار فتاوى شرعية مسبقة لبعض الأمور التي يخشى أن تقع في المستقبل، وربط الناس بربهم، وتعليم الأسر [٩١٧].

ثانياً: المدارس الإسلامية:

١- لا بد من تأسيس مدراس إسلامية خاصة للإناث، ذات كفاءة عالية تقوم على أسس التربية السليمة بحيث تخرج لنا جيلاً من الفتيات واعياً بدينه، متمسكاً بعقيدته، قادراً على مواجهة تحديات الغزو الفكري للمرأة المسلمة.

٢- عدم التساوي في مناهج التعليم بين الرجال والنساء، وإعداد مناهج للإناث تتناسب مع قدراتهن الجسمية والنفسية والعقلية.

٣- إيجاد منهاج للإناث في الثقافة الإسلامية تعتني بجانب حقوق المرأة في الإسلام وواجباتها ومنزلتها، وبيان ما تتردّى فيه المرأة في الشرق والغرب، والردَّ على ما يردده أدعياء التحرر من شُبَه [٩١٨].

ثالثاً: الجامعات الإسلامية:

١- لا بد من تنفيذ مشروع جامعة البنات يتم برسم خطة تناسب هذا الجنس، وتبتعد عن التخصصات التي لا تناسب ولا تفيد المرأة، وأن توكل هذه الجامعة إلى الكفاءات المخلصة رجالاً ونساء، ومحاولة تأنيث الكادر التعليمي وذلك بإيجاد كفاءات نسائية (دينية وثقافية وعلمية وتربوية وإدارية) من حملة الشهادات الجامعية والدراسات العليا والدكتوراه [٩١٩].

٢- تفصيل دور الجامعات الإسلامية الحالية في البلاد الإسلامية (خاصة قسم الطالبات) لمنافسة الجامعات الأمريكية والعلمانية المختلطة أكاديمياً وثقافياً وتربوياً وفكرياً،

([917]) المؤامرة على المرأة المسلمة، ص ٦١-٦٣ (بتصرف).

([918]) انظر: المرأة وكيد الأعداء، ص ٤٤.

([919]) انظر: نفس المصدر السابق، ص ٤٥.

بحيث يتم تخريج طالبات مسلمات متفوقات علمياً، متميزات تربوياً قياديات في مجالات التخصص المناسب، مثقفات دينياً وفكرياً وسياسياً مما يؤهلهن لمواجهة الغزو الفكري ودفع المطاعن التي وردت على الإسلام عامة، وعلى المرأة المسلمة خاصة.

٣- القيام بأنشطة لا منهجية للطالبات الجامعيات تدّعم القيم وتوجه السلوك، وترّسخ المبادئ الإسلامية وتؤصِّل الفكر، كمخيمات التقوية والأيام الدراسية، والحفلات والرحلات الإسلامية، أو بإصدار نشرات أو مجلات ثقافية، وإنشاء نوادٍ علمية وغيرها. ولا تنسى الباحثة أن تشيد بفضل الجامعة الإسلامية بغزة التي تميزت عن سائر الجامعات بقطاع غزة، وكانت السبّاقة في تأصيل الفكر الإسلامي، كما وتعزز الباحثة دور الجامعة الإسلامية في كل المجالات التي ذكرت سابقاً، ويكفي أنها إسلامية غير مختلطة، تحافظ على أصالة المرأة وترتقي بمستواها الأكاديمي والتربوي.

رابعاً: الجمعيات الأهلية الخيرية النسائية الإسلامية:

ودور الجمعيات النسائية لا يقل أهمية عن دور المنزل والمدرسة والجامعة، بل هي حلقة اتصال وتواصل مع الطفلة الصغيرة والطالبة والشابة والمرأة، وتؤتى ثمارها إذا أخلصت عملها وفق أهداف منشودة ولا بد لأي جمعية خيرية نسائية إسلامية أن تضع لها أهداف وأنشطة وفعاليات، في جميع الجوانب المختلفة (الاجتماعية والثقافية والفكرية والتربوية والتنموية والدعوية).

ومن هذه الأهداف التي يُنْشَد تحقيقها من خلال الجمعيات النسائية الإسلامية:

١- حشد طاقات المرأة المسلمة بنتاً وأختاً وزوجةً وأماً وتنظيمها وتوجيهها.

٢- المساهمة في تنمية المجتمعات الإسلامية والتخفيف من مشاكلها ممثلاً بالمرأة والطفل.

٣- الحفاظ على شخصية المرأة المسلمة وهويتها في وجه الانحراف والغزو الفكري.

٤- العمل على نشر الوعي الإسلامي لدى المرأة، والدعوة للأخلاق الإسلامية الحميدة.

٥- تنمية المرأة المسلمة ورعايتها من خلال فرص التدريب المتنوعة ثقافياً ومهنياً واجتماعياً وصحياً.

٦- تفعيل دور المرأة المسلمة في الأسرة والمؤسسات.

٧- المساهمة في تربية الجيل تربية إسلامية وتعميق انتمائه الوطني والإسلامي.

٨- رعاية الأطفال والعمل على تنميتهم على أسس علمية.

٩- الاهتمام بمراكز تحفيظ القرآن الكريم وتعليم أحكام التلاوة والتجويد.

١٠- توثيق العلاقة بين الجمعيات والمؤسسات والمراكز النسوية.

١١- العمل على مواساة الأسر المنكوبة ومساعدة الأسر الفقيرة والمحدودة الدخل من خلال تقديم المساعدات المادية والمعنوية وفق الإمكانيات المتاحة [٩٢٠].

١٢- التعاون مع المؤسسات المحلية والإقليمية والدولية المعنية خاصة التي تتفق بالأهداف يتم من خلالها تشكيل تنظيم دولي أو اتحاد نسائي إسلامي عالمي يضم جميع المؤسسات النسائية من جميع الدول العربية والإسلامية، يقوم بعقد أيام عالمية، وندوات دولية عن المرأة المسلمة، والمشاركة في المؤتمرات العالمية التي تعقدها الأمم المتحدة، وأن تكون قوة ضاغطة على اتخاذ القرارات حتى ولو كانت من الأمم المتحدة، والعمل على إلغاء أو تجميد ما لا يتفق مع الشريعة الإسلامية، أو يخل بالقيم الاجتماعية.

١٣- محاولة التغلب على كل الصعوبات التي تعيق تطوير المؤسسات الإسلامية خاصة الصعوبات المادية، وعمل برامج وأنشطة ومشاريع لدعم هذه المؤسسات ومناشدة أهل البر والإحسان لدعم هذه المؤسسات القائمة على التبرعات، وبعض الأجور الرمزية التي تتقاضاها.

خامساً: المراكز الإسلامية الثقافية:

١- إيجاد مراكز إسلامية للدراسات النسوية، يتم فيه نشر وطباعة الدراسات التي تكتب عن المرأة، وإيجاد بعض الكتّاب يتحققون في الكتابة عن المرأة، ويجب تفعيل هذه الدراسات في الوسط الإسلامي.

٢- أن توجد هذه المراكز بدائل ثقافية وتعليمية للمرأة، واستغلال تجمع العائلات في الجلسات والمنتديات والسهرات والملتقيات، وتنظيم الدروس والمناقشات والحوارات والتفاعلات، وتوزيع كتيبات ونشرات ذات مواضيع خاصة بالمرأة أو الأسرة.

٣- إيجاد مراكز محو الأمية وتعليم الكبار، ومراكز لتعليم اللغة العربية الفصحى والتدريب على الكلام بها.

---

(920) مستفاد من نشرة جمعية الشابات المسلمات التعريفية، سنة ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.

٤- إنشاء نوادٍ ثقافية ترفيهية رياضية، خاصة بالمرأة والطفل بصورة دائمة ويقام فيها مكتبة للطفل والناشئة والمرأة، ومكان للتدريب على الرياضة، والسباحة، وتنظم فيه الحلقات والدروس الإسلامية والمسابقات الثقافية وتقام برامج ثقافية وأدبية وترفيهية تعمل على تنمية المواهب، وتنمية الشخصية القيادية وروح الجماعة.

٥- إعداد برامج للتوعية بمزايا القانون الإسلامي للأحوال الشخصية لأن الثقافة هي أحد أسباب التغير أو منعه ويمكن أن يكون ذلك بصياغة شعارات سهلة وجميلة ومؤثرة، نشيد موحٍ معبر، دراسات متخصصة [٩٢١].

المطلب الثالث: المؤتمرات والندوات:

وهي وسيلة مهمة ولها أكبر الأثر في غرس اتجاهات صحيحة، أو تغيير اتجاهات فاسدة، فهي تتيح فرصة للمناقشة والحوار، لاكتشاف المعلومات وإبداء الآراء والمقترحات، وتترك المناقش أو المحاور يفصح عما في داخله ويتم اكتساب معلومات جديدة بطريقة أفضل.

لذا لا بد من تدريب وإعداد بعض القياديات النسائية والداعيات المسلمات للمشاركة في الندوات والمؤتمرات تدريباً نظرياً وعملياً، باستخدام مختبرات اللغة والصوت، وطرق تحليل الآراء، وأساليب تحليل التفاعل اللفظي والحركي، وقياس التفاعلات الاجتماعية في الجماعات الصغيرة والكبيرة، وقياس قوة الإيحاء والحضور، وإدارة الحوار والمناقشة مع الجماعات الصغيرة، وأساليب تغير الاتجاه، وتحتاج هذه المهارات إلى خبراء وعلماء للتدريب فلا بد من جهد علمي عميق وواسع، مؤثر وفعّال لرفع مستوى الداعية التي تقاوم الغزو الفكري، وذلك لأن العاملات في مقاومة الغزو الفكري يختلفن عن المحدّثة التلقائية أو من لديهما الموهبة والفطرة بدون تدريب ودراسة [٩٢٢].

فالتي تعمل في مقاومة الغزو الفكري تواجه سموماً سبق نفثها، وتخاطب عقولاً سبق تدريبها، لهذا ينبغي أن تدخل المعركة مزودة بكل سلاح، ومعدة بكل إتقان، ولا مانع من إنشاء معهد أو تهيئة مكان بالتعاون مع المؤسسات والجمعيات النسائية الإسلامية، لتدريب الداعيات وتأهيلهن حتى تتوفر لديهن:

---

(921) المؤامرة على المرأة، ص٦١-٦٣ بتصرف. وانظر: واقع المرأة الفلسطينية في سياق التغير الاجتماعي والسياسي، نهاد الشيخ خليل ورقة عمل، في يوم دراسي بعنوان: المرأة الفلسطينية إلى أين، حزب الخلاص دائرة العمل النسائي، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م، ص٧-٨.

(922) انظر: وسائل مقاومة الغزو الفكري، ص ١٨٠-١٨١.

١- القدرة على عقد المؤتمرات والندوات وإداراتها والتخطيط لها وعمل فريق أو لجنة للتحضير لهذه المؤتمرات المعّدة لمواجهة الغزو الفكري (٩٢٣).

٢- المشاركة في الندوات والمؤتمرات العالمية والإقليمية الخاصة بالمرأة، فغالباً ما تكون كلمة المرأة أقوى تأثيراً من كلمة الرجال فيما يخصها.

٣- عقد مؤتمرات أو ندوات للردّ على المؤتمرات العالمية الخاصة بالمرأة، والتوصيات الصادرة منها، وتبين خطورتها على المرأة المسلمة، وفضح المعاهدات التي تتم بين الدول حول موضوع المرأة، ورصد جميع الدعاوى لتحرير المرأة وإفسادها في كل بلد إسلامي، والرد على جميع من يدعون إلى تغريب المرأة المسلمة، مع تنوع الأساليب، وجمع الحشود ضد دعاة التغريب (٩٢٤).

٤- دراسة القانون الإسلامي للأحوال الشخصية، وقانون العقوبات دراسة واعية، والاهتمام بالقوانين والأفكار والدراسات والرؤى التي يطرحها الآخرون.

٥- السعي لنشر الأنظمة والقرارات التي تمنع تجاوزات النساء، وخروجهن عن حدود ما شرع الله (٩٢٥).

٦- توثيق هذه المؤتمرات بعد انعقادها في كتيب وكتابة التوصيات والاقتراحات، لتستفيد منها من لم تتمكن من حضورها أو فاتها شيء منها.

(923) نفس المصدر السابق، ص ١٨١-١٨٢.

(924) انظر: المؤامرة على المرأة المسلمة، ص ٦١-٦٣.

(925) انظر: واقع المرأة الفلسطينية، نهاد الشيخ خليل، ص ٨.

المطلب الرابع: الإعلام الموجه

إننا نعيش في عصر وسائل الإعلام، فتأثيرها في كل بيت، وهي تسهم بدرجة كبيرة في تشكيل كل فرد في جميع المجتمعات الإسلامية والعربية، وكلما ازداد التعقيد الاجتماعي، كلما ازداد اتصال الإنسان بأجهزة الثقافة والإعلام، يستقى منها، ويتأثر ويقتدي بها.

لذا لا بد من الحرص الشديد في إدراة وتوجيه هذه الأجهزة، لتصبح مع المسجد، والبيت، والمدرسة في خط واحد، ونحو هدف مشترك وإلا ستفسد أجهزة الإعلام ما أصلحه المسجد إذا لم يوجه الفرد لاستخدامها والاستفادة من الطيب منها، وترك الملوث والمشوه فيها.

وهناك ملايين من النساء المسلمات مصدر معلوماتهن الرئيس هو وسائل الإعلام، فيستمعن إلى المذياع أو مشاهدة التلفاز، ويستمعن للأغاني ويشاهدن التمثيليات، وهي غير قادرة على التحليل والنقد والفرز والانتقاء لذا يسهل التأثير عليهن واستهوائهن (٩٢٦).

لهذا كله لا بد من إعادة النظر في وسيلة إعلامية هامة وهي ما زالت سائدة في مجتمعاتنا: الجلسة والمنتدى، والسهرة والملتقى، فمن خلالها يكتسب ملايين المسلمين معلوماتهم وأفكارهم، فيمكن تنظيم الدروس والمناقشات والحوارات والتفاعلات، يتم من خلالها غرس الأفكار الإسلامية الحية، ومقاومة البدع المنتشرة ومعالجة أمراض اجتماعية منتشرة (٩٢٧).

ومن المقترحات لصد هجوم الغزو الفكري الإعلامي ما يأتي:

١- ضرورة إعداد كوادر إعلامية تربوية من النساء مدربة تدريباً جيداً على حسن صياغة المضامين التربوية ومحاولة دمجها في الأشكال والمواد الإعلامية التي تبث وتذاع للمجتمعات الإسلامية، مع الإلمام بالعلوم الأخرى كالفلسفة وعلم الاجتماع وعلم النفس والعلوم الإسلامية.

٢- العمل على إنشاء إذاعات إسلامية وقنوات تلفزيونية إسلامية، تقوم بعرض الواقع البيئي، وتجذب انتباه الجمهور بتنوعها الإعلامي، ولا تقتصر على النقل من المحطات الأخرى، بل تعرض برامج مستقلة تقوم بإعدادها إعداداً جيداً بما يتناسب مع طبيعة المجتمع.

٣- إنشاء مكتبة عامة للمرأة مجهزة بمختلف وسائل الثقافة الإسلامية من كتب وأبحاث متخصصة من المرأة المسلمة، وحقوقها، والشبهات التي تثار حولها ومناقشتها،

---

(926) انظر: وسائل مقاومة الغزو الفكري، ص ١٧١-١٧٢.

(927) نفس المصدر السابق، ص ١٧٢.

ونشرات ومجلات وجرائد، ورسوم ومؤلفات وأفلام تعليمية، وغير ذلك من الوسائل الإعلامية التي تعالج قضايا الأسرة، وجعلها في متناول الأيدي، لتثقيف المرأة وزيادة خبراتها (٩٢٨).

٤- العمل على إنشاء صفحات محلية على الانترنت بحيث تكون ذات إبداعٍ عالٍ حتى لا تستطيع أن تنافس ما يتم عرضه في الصفحات الأخرى وكذلك طرح المشكلات والقضايا الخاصة بالمرأة.

٥- استغلال الوسائل الإعلامية ذات الطابع الإسلامي الخاص من إذاعة وتلفزيون وصحف وفضائيات وانترنت في الدعوة إلى الله، وفضح أهل الفساد وأعمالهم، وطرح قضايا ومشكلات المرأة، ووضع حلول، والرد على الشبهات التي يطرحها أهل الفساد حول المرأة، والرد عليها بدراسات محكمة باستضافة العلماء والمفكرين المسلمين.

٦- معالجة المشكلات المستمدة في كل عصر، وطرح الحلول المناسبة من خلال تفعيل الزاوية الإسلامية في الصحف والمجلات (٩٢٩).

(928) انظر: الدور التربوي لوسائل الإعلام وسبل تطويره من وجهة نظر طلبة الجامعات الفلسطينية، إعداد الطالبة منور نجم، إشراف د. محمود أبو دف، سنة ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م، ص ١٧١

(929) نفس المصدر السابق، ص ١٧١-١٧٢، والمؤامرة على المرأة المسلمة، ص ٦١-٦٣ بتصرف.

الخـــاتمـــة

بعد إتمام هذا البحث بتوفيق من الله سبحانه وتعالى، تم التوصل إلى النتائج التالية:

١- بالمقارنة بين وضع المرأة في المجتمعات غير الإسلامية (القديمة والمعاصرة) والمجتمعات الإسلامية، تبين أن الإسلام هو الوحيد الذي أكرم المرأة وعزز مكانتها وأعطاها حقوقها كاملة غير منقوصة، وبما يتناسب مع فطرتها الطبيعية .

٢- كثير من العوامل ساعدت على تحقيق أهداف الغـزاة، وقد لعب اليهود والصهاينة، والماسون والمنصرون، وكثير من الحركات الهدامة، دورا كبيرا في خدمة أهداف الغزو الفكري على العالم الإسلامي عامة، والمرأة المسلمة خاصة.

٣- نجح أصحاب الغزو الفكري في الاستيلاء على كثير من العقول والقلوب في جميع دول العالم الإسلامي، مما أدى إلى تخليها عن هويتها الإسلامية ، وتأثرها بالأفكار الغـربية، حتى غدت من رواد الغزو الفكري ومن الدعاة المخلصين لتغريب المرأة وتحريرها.

٤- استخدم دعاة الغزو الفكري كثيرا من الأساليب والوسائل للتآمر على المرأة المسلمة، وتشويش فكرها، وتشكيكها في عقيدتها، فعقدوا المؤتمرات العالمية والإقليمية الخاصة بالمرأة، تحت رعاية الأمم المتحدة، وهدفها الرئيسي هو هدم الأسر المسلمة، واستغلوا المنظمات غير الحكومية (العلمانية واليسارية) وخاصة النسائية لتحقيق أهدافهم .

٥- سخر أعداء الإسلام وسائل الإعلام، والتعليم، والمؤلفات والمطبوعات، لخدمة أهدافهم في علمنة أفكار المرأة، وعولمة الحياة الاجتماعية، ونجحوا في استخدام المرأة سلاحا في معـركتهم ضد الإسلام.

٦- أثار دعاة الغزو الفكري كثير من الدعاوى والشبهات حول قضايا المرأة المسلمة، ونادوا بتحرير المرأة ، ومساواتها مع الرجل في جميع الحقوق والواجبات ، وطالبوا المرأة بالخروج من بيتها، لتعمل وتختلط بالرجال، مدعين أن الاختلاط يهذب الأخلاق ، فتأثرت المرأة بذلك فخرجت سافرة كاسية عارية ، مقلدة للمرأة الغربية، ظانة بذلك أنها ستنال حريتها، ولكن ثبت زيف هذه الادعاءات، أن الهدف منها إفساد المرأة، وتدمير القيم الإسلامية.

٧- خروج المرأة إلى العمل في مجالات لا تناسب طبيعتها، ومخالطتها للرجال أدى إلى حدوث كثير من المشكلات الاجتماعية، وانتشار كثير من الأمراض الجنسية والنفسية.

٨- سخر الله دعاة الإسلام، من العلماء المسلمين، والباحثين والباحثات، لتفنيد هذه الشبهات والرد عليها بأسلوب علمي، مقنع بالأدلة النقلية والعقلية، وكاشف لأساليب الأعداء، وطرقه الخبيثة، لإفساد نساء المسلمين وبينت أن التحرير الحقيقي للمرأة بالتزامها بتعاليم دينها الإسلامي، وأن طهارتها وعفتها في حجابها.

٩- العولمة هي الحالة التي تتم فيها عملية تغيير الأنماط، والنظم الاقتصادية، والثقافية، والاجتماعية، ومجموعة القيم والعادات السائدة، وإزالة الفوارق الدينية والقومية، والوطنية، في إطار تدويل النظام الرأسمالي الحديث، وفق الرؤية الأمريكية المهيمنة، الزاعمة أنها سيدة الكون، وحامية النظام العالمي الجديد.

١٠- من آثار العولمة على المرأة المسلمة:

- تغريبها وعزلها عن قضاياها وهمومها الإسلامية، وإدخال الضعف لديها، وتشكيكها في جميع قناعاتها الإسلامية وهويتها الثقافية.
- إفساد علاقاتها الاجتماعية، وإهمال العلاقات القائمة على التعاطف والتكافل والاهتمام بمصالح وحقوق الآخرين ومشاعرهم.
- انتشار العلاقات الآثمة بينها وبين الرجل، بل بينها وبين المرأة ، مما أدى إلى انحرافها وشذوذها.

١١- وضعت الباحثة خطة وضحت فيها بعض الطرق والوسائل المقترحة للتصدي للهجوم على المرأة المسلمة، ناشدت فيها المؤسسات الإسلامية من مساجد ومدارس وجامعات إسلامية وجمعيات نسائية إسلامية للقيام بتفعيل دورها لصيانة المرأة وحمايتها، من الانجراف في تيار الثقافة الغربية، والوقوف في وجه القرارات والقوانين المخالفة للشريعة الإسلامية، وتقترح الباحثة أيضا استغلال الوسائل الإعلامية ذات الطابع الإسلامي في الدعوة إلى الله وطرح قضايا المرأة ومشكلاتها، ووضع حلول، والرد على الشبهات التي يطرحها أهل الفساد حول المرأة، بالاستعانة بالعلماء المسلمين، وأصحاب الدراسات المحكمة.

التوصيات

وتوصي الباحثة بما يلي:

١- توصي الباحثين والباحثات الاستمرار في الكتابة عن المــرأة، ومتابعــة قــضــاياها، وحــل مشاكلها، والرد على أي شبهة تثار حولها.

٢- توصي الجامعة الإسلامية بفتح مركز إسلامي للدراسات النــسوية، لنــشر وطباعــة الأبحاث التي تكتب عن المرأة.

٣- توصي الجمعيات الإسلامية الأهلية النــسائية، وتخــص بالــذكر جمعيــة الــشابات المسلمات، وأهل البر والخير، والحريصين على نشر العلم، بالتعاون مع الباحثة علــى طباعة ونشر هذه الدراسة بعد تحكيمها ، لأنها تهتم بقضايا المرأة.

٤- إيجاد لجنة فتوى نسائية، في الجامعة الإسلامية، تــضم الفقيهــات وحملــة العلــوم الشرعية المتنوعة تقوم بحل مشاكل المرأة وإصدار الفتاوى الخاصة بالمرأة .

٥- توصي طالبات قسم الصحافة والاعلام للكتابة في القضايا التي تثار حــول المــرأة ، وتحليلها، والرد عليها، وبيان الجانب السلبي والايجابي فيها، كما وتوصــي طالبــات قسم الحاسوب بإنشاء مواقع في الانترنت خاصة بالمرأة وتوجيههــا، نحــو الأفــضل والمناسب للمرأة من جميع الجوانب، ويعالج المشاكل التي تواجهها المرأة.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً : الكتب

القرآن الكريم

١- الاتجاهات الفكرية المعاصرة، د. علي جريشة، دار الوفاء للطباعة والنشر، ط١، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م، ط٢، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م.

٢- اتحاد الجمعيات الخيرية، نشاطات وخدمات الجمعيات الخيرية في محافظة القدس لعام ١٩٨٥م، إشراف يوسف البكري، دار الأبحاث والدراسة.

٣- أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها ، عبد الرحمن حبنكة الميداني، دار القلم، دمشق، بيروت،ط٧، ١٤١٤هـ، ١٩٩٤م.

٤- أجنحة المكر الثلاثة، عبد الرحمن حبنكة الميداني، دار القلم، بيروت، ط١ القديمة، ١٩٧٧م.

٥- أحجار على رقعة الشطرنج: وليام كاري كار، ط١، سنة ١٣٩٥هـ - ١٩٧٠، ط ١٠، سنة ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

٦- إحياء علوم الدين، أبو حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي، المكتبة العصرية ، بيروت، لبنان، بدون طبعة ، ٢٠٠٢م.

٧- الاختلاط بين الواقع والتشريع، إبراهيم الأزرق، مكتبة صيد الفوائد، محرم- ١٤٢٥هـ.

٨- إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٢، ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م.

٩- أساليب العلمانيين في تغريب المرأة المسلمة، د. بشر بن فهد البشر.

١٠- أسرار الماسونية، جواد رفعت أتلخان، ترجمة نور الدين رضا الواعظ وسلمان محمد أمين القابلي، مجلة الأزهر، ١٤٠٥هـ، مؤسسة دار العلوم.

١١- الإسلام في حل مشاكل المجتمعات الإسلامية المعاصرة، د.محمد البهي، ط الثالثة.

١٢- الإسلام والجنس، فتحي يكن، مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٣٩٥هـ -١٩٧٥م.

١٣- الإسلام والمرأة، سعيد الأفغاني، دار الفكر، ط٣، ١٣٨٩هـ - ١٩٧٠م.

١٤- الإسلام وقضايا العصر، د. إبراهيم الدبو ومؤلفون آخرون، مكتبة وهبة، القاهرة، ط١، ١٤١٢هـ، ١٩٩٢م.

١٥- الإسلام وقضايا المرأة المعاصرة: البهي الخولي، مكتبة دار التراث، القاهرة، ط٤، ١٤٠٤هـ، ١٩٨٤م.
١٦- الإسلام يتحدى، وحيد الدين خان، دار البحوث العلمية، ط٣، ١٩٧٩م.
١٧- أضواء على الثقافة الإسلامية، نادية العمري، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٥، ١٤١٤هـ، ١٩٩٤م.
١٨- إعادة النظر في كتابات العصريين في ضوء الإسلام، أنور الجندي، دار الاعتصام، القاهرة، بدون طبعة وبدون تاريخ، تم إيداعه بدار الكتب سنة ١٩٨٥م.
١٩- الأعلام، خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، ط٥، سنة ١٩٨٠م.
٢٠- الأعمال الكاملة، تحقيق: د. محمد عمارة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٧٦م.
٢١- أقاويل الثقات في تأويل الأسماء والصفات، مرعي يوسف الكرمي المقدسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٠٦هـ، تحقيق: الأرنؤوط. ٤٩/١.
٢٢- إلى كل أب غيوب يؤمن بالله، عبد الله علوان، دار السلام، ط١، ١٩٧٥م، ط السابعة، ١٩٨٦م.
٢٣- إلى كل فتاة تؤمن بالله، محمد سعيد رمضان البوطي، مكتبة الفارابي، دمشق – سوريا.
٢٤- الأمة الإسلامية وقضاياها المعاصرة: عبد الوهاب بن أحمد عبد الواسع، مكتبة العبيكان، الرياض، السعودية، الطبعة الأم، بدون تاريخ ودار نشر.
٢٥- أهداف الأسرة في الإسلام والتيارات المضادة: حسن محمد يوسف، بناء الأسرة المسلمة ، سلسلة (١) ، دار الاعتصام- القاهرة، ١٩٧٧م.
٢٦- أوقفوا هذا السرطان، حقيقة الماسونية وأهدافها ، د. سيف الدين البستاني، بدون طبعة، ١٩٩٩م.
٢٧- بحث مختصر عن كتاب الماسونية أقدم الجمعيات السرية وأخطرها، بدون مؤلف، بدون طبعة وتاريخ نشر.
٢٨- بروتوكولات حكماء صهيون، د. إبراهيم عبد الله، دار البشير، طنطا، ط١، ١٩٩٩م.
٢٩- التبرج، نعمت صدقي، دار الاعتصام، ١٩٧٥م.
٣٠- التبشير والاستعمار، د. مصطفى الخالدي، د. عمر فروخ، شركة علاء الدين، بيروت، ط٤، ١٣٩٠هـ، ١٩٧٠م.

٣١- التحدي الصهيون للدعوة الإسلامية في العصر الحديث، يحيى علي الدجني، رسالة ماجستير، السودان، ط١، ١٩٩٥م.
٣٢- تحرير المرأة في عصر الرسالة: عبد الحليم أبو شقة، دار القلم ، الكويت والقاهرة، ط٤، ١٤١٥هـ- ١٩٩٥م.
٣٣- تحريم الخلوة بالمرأة الأجنبية والاختلاط المستهتر، محمد بن لطفي الصباغ، مكتبة العلم، دار الاعتصام، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.
٣٤- تعدد الزوجات في الإسلام، بقلم محمد بن مسفر بن حسين الطويل، جمعية أنصار السنة، محمدية أم القرى، ط١، ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٤م.
٣٥- التعريفات، الجرجاني، ت٨١٦هـ، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط١، ٢٠٠٠م.
٣٦- تفسير ابن كثير، دار الفكر.
٣٧- التنصير مفهومه وأهدافه سبل مواجهته، علي إبراهيم النملة، الرياض، ١٩٩٣ – ١٤١٣هـ.
٣٨- الجامع لأحكام القرآن: القرطبي، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، ١٤٠٥هـ ،١٩٨٥م.
٣٩- جاهلية القرن العشرين، محمد قطب، بدون طبعة، وبدون دار نشر.
٤٠- حاضر العالم الإسلامي والغزو الفكري، د. صالح حسين الرقب، مطبعة الرنتيسي، غزة- فلسطين- ط١، ١٤١٨هـ، ١٩٩٨م.
٤١- حجاب المسلمة بين انتحال المبطلين وتأويل الجاهلين، د. محمد فؤاد البرازي، مكتبة أضواء السلف، الرياض، ط٣، ١٤٢٠هـ، ٢٠٠٠م.
٤٢- الحجاب، أبو الأعلى المودودي، دار التراث للطباعة والنشر، بدون طبعة وتاريخ نشر.
٤٣- الحداثة في منظور إيماني، د. عدنان علي رضا النحوي، دار النحوي- الرياض، ط٤، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.
٤٤- الحركات النسائية في الشرق الأوسط وصلتها بالاستعمار والصهيونية، محمد فهمي عبد الوهاب، دار الاعتصام، دار العلوم العربية للطباعة، القاهرة، سنة الإيداع بدار الكتب، ١٩٧٩م.
٤٥- حركات ومذاهب في ميزان الإسلام، فتحي يكن، ط ١، ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م، ط٢، ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م.

٤٦- الحضارة الإسلامية مقارنة بالحضارة الغربية: توفيق الواعي، دار الوفاء، المنصورة، ط١، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
٤٧- حقوق المرأة المسلمة في المجتمع الإسلامي، مصطفى بغدادي، المنظمة الإسلامية، ط١، ١٤١١هـ، ١٩٩١م.
٤٨- الحلول المستوردة وكيف جنت على أمتنا، د.يوسف القرضاوي، مكتبة وهبة، القاهرة، ط٣، ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م.
٤٩- حياة الصحابة: محمد يوسف الكاند هلوي، دار القلم، دمشق، دار المنارة- جدة، ط٤، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
٥٠- خطر التبرج والاختلاط عبد الباقي مضمون، مؤسسة الرسالة- بيروت، ط١، ١٣٩٤هـ -١٩٧٤م.
٥١- الخطر اليهودي بروتوكولات حكماء صهيون، محمد خليفة التونسي، دار الكتاب العربي، بيروت –لبنان، ط٢، ١٩٦١م.
٥٢- الخنجر المسموم الذي طعن به المسلمون، أنور الجندي، دار الاعتصام، بدون طبعة وتاريخ نشر.
٥٣- الداعية زينب الغزالي، إعداد ابن الهاشمي، تصدير محمد الغزالي، دار الاعتصام، القاهرة، ١٤٠٩هـ.
٥٤- دراسات في الثقافة الإسلامية، صالح ذياب هندي، دار الفكر، عمان، ط٢، ط٥، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.
٥٥- دستور الأسرة في ظلال القرآن: أحمد فائز، مؤسسة الرسالة، بدون طبعة وتاريخ.
٥٦- دمروا الإسلام أبيدوا أهله، جلال العالم، المختار الإسلامي، القاهرة، ط٣، ١٣٩٧هـ، ١٩٧٧م.
٥٧- الدور التربوي لوسائل الإعلام وسبل تطويره من وجهة نظر طلبة الجامعات الفلسطينية، إعداد الطالبة:منور نجم، إشراف: د.محمود أبو دف، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.
٥٨- ديوان الرصافي، دار مكتبة الحياة، محمود حلمي، بيروت، ط٦، ١٨٧٥هـ، ١٩٤٥م.
٥٩- الراقصون على جراحنا، يمان السباعي، شركة أبناء شريف الأنصاري للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٩م.

٦٠- رسالة إلى الأسرة المسلمة، د. نظمي خليل أبو العطا، مكتبة النور – مصر، ١٩٨٨م.
٦١- رسالة إلى حواء، محمد رشيد العويد، الرسالة الثالثة، دار الوطن للنشر، ط٢، ١٤١٣هـ.
٦٢- سنن أبي داوود، دار الفكر، بيروت- لبنان، ١٩٩٩م.
٦٣- سنن الترمذي ، طبعة كاملة لونان، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.
٦٤- سنن الترمذي، دار الفكر، بيروت – لبنان، سنة ٢٠٠١م، دار الجيل.
٦٥- سنن الدارمي، دار إحياء السنة النبوية.
٦٦- شبهات التغريب في غزو الفكر الإسلامي، أنور الجندي، المكتب الإسلامي، دمشق، بدون طبعة، ١٣٩٨هـ- ١٩٧٨م.
٦٧- شبهات حول الإسلام، محمد قطب، دار الشروق، ط١١، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م.
٦٨- شبهات وأباطيل خصوم الإسلام والرد عليها، محمد متولي الشعراوي، مكتبة التراث ، بدون طبعة وتاريخ نشر.
٦٩- الصحافة والأقلام المسمومة، أنور الجندي، دار الاعتصام، ط١، ١٤٠٠هـ، ١٩٨٠م.
٧٠- صحيح البخاري، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.
٧١- صحيح الجامع وزيادته، محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت – لبنان، ١٩٨٨.
٧٢- صحيح سنن ابن ماجة، مكتبة المعارف، الرياض، دار الجيل.
٧٣- صحيح سنن أبي داوود، مكتبة المعارف، الرياض، ط٢، ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م.
٧٤- صحيح سنن الترمذي، محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، ط١، ١٩٨٨م.
٧٥- صحيح مسلم، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ودار الفكر، ١٩٨٣م.
٧٦- الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية، أبو الحسن الندوي، دار الأنصار، القاهرة، ط٣، ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م.
٧٧- ضرورة الفصل بين الجنسين، حسن زكريا فليفل، مكتبة ابن سينا، القاهرة، ط١، ١٤٠٠هـ - ١٩٩٠م.
٧٨- الطبقات الكبرى، ابن سعد، دار صادر بيروت- لبنان، بدون طبعة وتاريخ نشر.
٧٩- عداء اليهود للحركة الإسلامية، زياد أبو غنيمة، دار الفرقان للنشر والتوزيع، عمان، ط٣، ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م.

٨٠- العلمانية وثمارها الخبيثة، محمد شاكر الشريف، دار الوطن، الرياض، ط١، ١٤١١هـ.
٨١- عمل المرأة في الميزان، د. عبد الله البر، مكتبة صيد الفوائد.
٨٢- عمل المرأة واختلاطها ودورها في بناء المجتمع، أ. د. نور الدين عتر، دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث، ٢٠٠١م.
٨٣- عودة الحجاب، محمد أحمد إسماعيل المقدم، دار طيبة للنشر- السعودية- الرياض- ط١، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٣م.
٨٤- العولمة: نشأتها وأهدافها ووسائلها، د. صالح الرقب، مكتبة الأمل التجارية، غزة، ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م.
٨٥- الغارة على العالم الإسلامي، أ. ل شاتليه، ترجمة محب الدين الخطيب، ط٣، ١٩٨٠م.
٨٦- الغزو الفكري في التصور الإسلامي: د. أحمد عبد الرحيم السايح، هدية مجلة الأزهر المجانية، بدون طبعة ، ١٤١٤هـ.
٨٧- غزو في الصميم، عبد الرحمن حبنكة الميداني، دار القلم، دمشق، ط٤، ١٤١٧هـ، ١٩٩٦م.
٨٨- فتاوى للمرأة المسلمة، د. يوسف القرضاوي، طبعة الفرقان الأولى، سنة ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.
٨٩- فتح الباري شرح صحيح البخاري، دار أبي حيان، القاهرة، ط١، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.
٩٠- فتياتنا بين التغريب والعفاف، د. ناصر العمر، الناشر: موقع المسلم، دار الوطن للنشر، الرياض – ط٣.
٩١- الفرق بين الفرق، البغدادي، دار المعرفة، بيروت، لبنان، بدون طبعة وتاريخ نشر.
٩٢- الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي، د. محمد البهي، دار الفكر، بيروت، ط٦، ١٩٧٣م.
٩٣- الفكر الإسلامي وسموم التغريب والتبعية، أنور الجندي، دار الفضيلة، القاهرة، بدون طبعة، تاريخ الإيداع ١٩٩٩م.
٩٤- قاسم أمين، د.ماهر حسن فهمي، مؤسسة المصرية، بدون طبعة وتاريخ نشر.
٩٥- قضايا المرأة في المؤتمرات الدولية، رسالة دكتوراه، د. فؤاد بن عبد الكريم بن عبد العزيز العبد الكريم، الناشر: موقع الدرر السنية.

٩٦- القومية في ميزان الإسلام، عبد الله علــوان، دار الــسلام، ط١، ١٤٠٠هـــ - ١٩٨٠م.
٩٧- الكتاب المقدس.
٩٨- كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس، إسماعيل بن محمد بن عبد الهادي بن عبد الغني الجراحي العجلوني، تحقيق: أحمد القلاش، دار إحياء التراث العربية، بيروت، لبنان، بدون طبعة وتاريخ نشر.
٩٩- لسان العرب، ابن منظور، دار المعارف، بيروت– لبنان، دار صــادر للطباعــة والنشر.
١٠٠- لماذا الهجوم على تعدد الزوجات، أحمد بن عبد العزيز الحــصين، دار الــضياء، ط١، ١٤١٠هـ -١٩٩٠م.
١٠١- لمن القوامة في البيت، بقلم عصام بن محمــد الشــريف، دار الصفوة – القاهرة، ط ١، ١٤١٩هـ- ١٩٩٩م.
١٠٢- المؤامرة على المرأة المسلمة، طالب علم، الناشر ، مكتبة موقع صيد الخاطر.
١٠٣- مؤتمرات بين الجهالة والعدالة، محمد علاء الدين أبو العزائم، بــدون دار نــشر، بدون طبعة وتاريخ نشر.
١٠٤- ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ، أبي الحسن الندوي، دار الكتــاب العربــي، بيروت، ط٧، ١٤٨٧هـ، ١٩٦٧م.
١٠٥- ماذا عن المرأة نور الدين عتر، دار الفكر، دمشق، ط٣، ١٣٩٩هـ، ١٩٧٩م.
١٠٦- المتبرجات ، فاطمة بنت عبد الله، مكتبة السندس، القاهرة، مصر، ١٩٨٩م.
١٠٧- مجلة الأزهر، بعنوان اتفاقية القضاء على أشكال التمييز ضد المرأة من المنظــور الإسلامي، جاد الحق علي جاد الحق، مطابع الأوفست، ١٤١٦هـ، ١٩٩٥م.
١٠٨- المخططات التلمودية الصهيونية اليهودية في غزو الفكر الإسلامي، أنور الجندي، دار الاعتصام – القاهرة، مصر، ١٩٧٧م.
١٠٩- مذاهب فكرية معاصرة، محمد قطب، دار العلم للطباعة والنشر، جدة، ١٩٨٣م.
١١٠- المرأة المسلمة بين موضات التغيير وموجات التغرير، د. فؤاد بن عبد الكــريم آل عبد الكريم، مجلة البيان، الرياض، ط١، ١٤٢٥هـ ٢٠٠٤م.
١١١- المرأة المسلمة، أبو بكر الجزائري، دار الكتب السلفية، القاهرة ط٢، ١٤٠٦هـ.
١١٢- المرأة المسلمة، وهبي سليمان غاوجي الألباني، دار القلم، دمشق- بيروت- ط ١، ١٣٩٥هـ، ١٩٧٥م.

١١٣- المرأة بين التبرج والتحجب، محمد أحمد السباعي، السنة الثانية عشرة، الكتاب التاسع، ١٤٠٢هـ، ١٩٨١م.
١١٤- المرأة بين الجاهلية والإسلام، سعد صادق محمد، إدارة الصحافة والنشر برابطة العالم الإسلامية، مكة المكرمة، العدد٧٥، جمادى الثانية، ١٤٠٨هـ، يناير ١٩٨٨م.
١١٥- المرأة بين الفقه والقانون: د. مصطفى السباعي، المكتب الإسلامي- بيروت- دمشق، ط٥، ١٩٦٢م.
١١٦- المرأة بين نظرتين، صالح محمد جمال، رابطة العالم الإسلامي كله، العدد ٨٩، ١٤٠٩هـ، ١٩٨٩م.
١١٧- المرأة في الإسلام: د. محمد معروف الدواليبي، دار النفائس، بيروت- لبنان، ط١، ١٤٠٩هـ ، ١٩٨٩م.
١١٨- المرأة في الإسلام، د. علي عبد الواحد وافي، دار نهضة مصر للطبع والنشر، ط٢، ١٩٧٠م.
١١٩- المرأة في التاريخ والشريعة، د. أسعد السحمراني، دار النفائس، بيروت- لبنان- ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م.
١٢٠- المرأة في وجه التحديات، أنور الجندي، بدون طبعة، دار الاعتصام، دار العلوم للطباعة، القاهرة، سنة الإيداع، ١٩٧٩م.
١٢١- المرأة والمتغيرات المعاصرة، مكتبة صيد الفوائد.
١٢٢- المرأة وحقوقها في منظور الإخوان المسلمون، السيد يوسف، ط١، ١٩٩٨٧م.
١٢٣- المرأة وكيد الأعداء، د. عبد الله بن وكيل الشيخ، دار الوطن للنشر، بدون طبعة وتاريخ نشر.
١٢٤- مركز المرأة في الحياة الإسلامية، د. يوسف القرضاوي، دار الفرقان، عمان – الأردن، سنة ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.
١٢٥- المستدرك على الصحيحين، للإمام الحاكم النيسابوري، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط٢، ١٤٢٢هـ ، ٢٠٠٢م.
١٢٦- معجم البلدان، ياقوت بن عبد الله الحموي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان ١٤٢/٢.
١٢٧- معجم لغة الفقهاء عربي – إنجليزي، وضع د. محمد رواس قلعة جي، وحامد صادق قنيبي، دار النفائس – بيروت، ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م.

١٢٨- المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة، السخاوي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٤، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢هـ.
١٢٩- مكانة المرأة: عمرو خالد، مؤسسة أريج.
١٣٠- مكانك تحمدي: أحمد محمد جمال، مطبعة أطلس، القاهرة، ط١، ١٩٧٦م.
١٣١- الملل والنحل، الشهرستاني،دار المعرفة، بيروت، لبنان، بدون طبعة وتاريخ نشر.
١٣٢- من أجل تحرير حقيقي للمرأة، محمد رشيد العويد، دار ابن حزم، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.
١٣٣- مناهجنا بين التطوير والتغريب، إعداد القسم التربوي بموقع المسلم، مشرف الموقع د. ناصر العمر.
١٣٤- المنجد في الأعلام، دار المشرق – بيروت، ط١٦، ١٩٨٨م.
١٣٥- المنجد في اللغة، إصدار دار المشرق، بيروت، ط٢٠، ١٩٨٨م.
١٣٦- الموسوعة العربية العالمية، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، ط٢، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.
١٣٧- موسوعة المرأة المسلمة، إعداد عوض محمد أحمد، دار أسامة للنشر والتوزيع، ٢٠٠١م.
١٣٨- موسوعة المرأة المسلمة، الحقوق العامة للمرأة، صلاح عبد الغني محمد، مكتبة الدار العربية للكتاب.
١٣٩- الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة، إعداد د. مانع بن حماد الجهني، دار الندوة العالمية، ط٤، ١٤٢٠هـ.
١٤٠- نظام الأسرة، د. محمد عقلة، ط ١، مكتبة الرسالة الحديثة، عمان، ١٩٨٣م.
١٤١- واقعنا المعاصر، محمد قطب، مؤسسة المدينة، جدة، ط١، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٦م.
١٤٢- وسائل مقاومة الغزو الفكري للعالم الإسلامي، د. حسان محمد حسان، مكة المكرمة، الأمانة العامة لرابطة العالم الإسلامي، بدون طبعة، ١٩٨١م.
١٤٣- اليهودية: د. أحمد شلبي مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط٢، ١٩٨٦م، ط١، ١٩٦٠م.

ثانياً : المجلات :

١- الإسراء، دار الفتوى (القدس)، العدد ٣٨، ٢٠٠١/٢/١م، والعدد ٥١، ٢٠٠٣/٢/١م.
٢- مجلة عالم الفكر، المرأة، المجلد السابع، العدد الأول، تصدر عن وزارة الإعلام في الكويت، مايو – يونيو ، ١٩٧٦م.

٣- نشرة ليوم دراسي بعنوان المرأة الفلسطينية إلى أين، إصدار حزب الخلاص الـــوطني الإسلامي، ١٤١٧هــ -١٩٩٧م.
٤- نشرة جمعية الشابات المسلمات التعريفية، غزة- ٢٠٠٥م.

ثالثاً: المواقع الإلكترونية

صيد الخاطر www.saidk.com
صيد الفوائد www.saaid.net
إسلام أون لاين www.islam-online.net
www.uaezayed.com
www.pnic.gov.ps/arabic.map
مركز المعلومات الوطني
طاقم شئون المرأة www.palwac.org
شئون المرأة www.wacgaza.org
الدليل www.aldalil.com
الدرر السنية www.dorar.com
الصندوق www.unfpa.org
المسلم www.almoslim.com
الخليج www.alkhaleej.ae
يسألونك www.yasaloonak.net
الرسول www.alresool.net
www.inna.me.uk/dreasat
أمان www.ammanjordan.orj
الجود www.aljoood.com
www.egypty.com
الناقد www.annaqed.com
إسلام ويب www.islamweb.com

فهرس الموضوعات